



كتاب تجار الإسلام

لأبي علي أحمد بن محمد
المعروف بمسكويه

الجزء الثاني

(يحتوي على حوادث أربعين سنة) (من ٣٢٩ إلى ٣٦٩ هجرية)

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ خلافة المتقي لله أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ﴾

لما مات الراضى بالله بقى الامر فى الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدم أبي عبد الله الكوفى من واسط وأحيط على دار السلطان وانتظر أمر بحكم فيمن يُنصب للخلافة فورد كتابه على أبي عبد الله الكوفى يأمر فيه أن يجتمع مع الوزير الذى كان يزر للراضى بالله وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن وكل من تقلد الوزارة مع أصحاب الدواوين والقضاة والمدول والفقهاء والعاوين^(٢١) والعباسيين ووجوه البلد وشاورهم فيمن يُنصب للخلافة ممن يرتضى مذاهبةً وتحمد طرائقه فمن وُجِدَتْ فيه هذه الاحوال عُقدت له الخلافة . فلما اجتمعوا ذكر بعضهم ابراهيم بن المقتدر ففرق الناس عن هذا ذلك اليوم من غير تقرير لأمس فلما كان اليوم الثانى دُفع كتاب بحكم الى كاتب فقام وقراه على الناس وذكر ابراهيم : فقال محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الهاشمى : هذا الرجل من ولد المقتدر فقل لنا هذا الرجل المذكور فى الكتاب يجب ان يكون من ولد المقتدر أو من غيرهم ؛ فقال أبو عبد الله الكوفى : من كانت فيه هذه الاوصاف نُصب فى الخلافة كائناً من كان . فقال له : يحتاج ان

يكون الخطاب في هذا سرًا . فقام أبو عبد الله فدخل الى بيت وأقبل يدخل اليه الناس اثنان اثنان ويقول لهما : قد وُصف لنا ابراهيم بن المقتدر فأي شيء تقولون ؟ فاذا سمعنا ذلك لم يشكّا في أنه شيء قد تقرر وورد فيه أمر بحكم فيقولون : هو موضع لما أهّل له . وكلاما في هذا المعنى فلما استوفى كلام الجماعة تقدم بحمله ليعقد له الامر في دار بحكم ثم يحمل الى دار السلطان . وانحدر أبو عبد الله الكوفي وعرضت الالقاب على المتقي لله فاختار منها هذا اللقب وأخذت البيعة على الناس ^(٣٠) وأخذ الخلع واللواء الى بحكم مع أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصبهاني الى واسط فانحدر بها وخلع عليه وأخذ البيعة عليه للمتقي لله ^(١)

وأطلق بحكم لاصحابه صلة البيعة نصف رزقه أو دون ذلك ولم يُطلق للكتاب ولا للقباء وأشباههم شيئًا . ووجه بحكم قبل استخلاف المتقي فحمل من دار السلطان فرسا كان استحسنة وآلات كان اشتهاها . وخلع المتقي لله على سلامة الطولوني وتلمذه حبيبته وأقر سليمان بن الحسن على وزارته وانما كان له من الوزارة الاسم فقط والتدبير الى أبي عبد الله الكوفي وفيها ورد الخبر بدخول أبي علي ابن محتاج في جيش خراسان الى الري وقتله ما كان الديلمي وهزيمة لوشمكير الى طبرستان

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ما كان مستقرًا بكرمان من قبل صاحب خراسان حتى بلغه قتل

(١) وفي تاريخ الاسلام رواية عن أبي بكر الصولي ان الحسين بن الفضل بن النامون بعث الى الكوفي بعشرة آلاف دينار له واربعين ألف دينار ليفرقها في الجند ان ولاء الخلافة فلم ينفع . وله أيضا ان المتقي لم يسر على جاريته التي له وكان كثير الصوم والتمدد لم يشرب نبيذا قط وكان يقول : لا أريد نديسا غير المصحف

مرداويج فاجتمع عليه استثمان رجاله الى عماد الدولة على بن بويه ومجاورته
اياهم وطعمه في معاودة أعماله الاولى من جرجان وطبرستان فصار الى خراسان
واستغنى من ولاية كرمان وسأل ولاية جرجان فولها وسار اليها وفيها انقسم
ابن بالحسن من قبل وشمكير . فقدم ما كان كتابا الي وشمكير يداريه فيه
ويستنزله عن أعماله التي كانت ^(٣١) في يده ويستعيده الى حال المودة
والموادة . وكان الاجماع قد وقع من الجيل والديلم انه لم ير فيهم أشجع ولا
أنجده ولا أفرس من ما كان وأقر له بذلك كل شجاع مذكور وكل متقدم
مشهور فصادت رسالته من وشمكير ضعف قلبه بقتل أخيه مرداويج وقرب
عهده بالمصيبة واشفاقه من صاحب خراسان ومن جهة عماد الدولة على بن بويه
فاستجاب له الى النزول عن جرجان وكتب الى صاحبه بانقسم بن بالحسن
بتسليمها اليه . فلما مضت له مدة استنزله ما كان أيضا عن سارية فنزل له أيضا
عنها فتأكدت الحال بينهما واستحكمت المودة واستوحش صاحب
خراسان من تضافرها وآل الامر الى ان خلع ما كان طاعته وأسقط خيلته .
فسار حينئذ أبو على ابن محتاج الى جرجان لمواقفته في عسكر كثيف أمدّه به
صاحب خراسان وكتب ما كان الى وشمكير بالصورة واستنجدّه فأنجده
بعسكر قوى ثم اتبعه أيضا بعسكر ثان مع شيرج بن ايلي . وحاصر ابن محتاج
ما كان واشتدّ به الحصار الى أن أكل أصحابه لحوم الجمال والبغال

فاتهر هذه الفرصة ركن الدولة الحسن بن بويه وانغمش شغل وشمكير
بما كان فطمع في الري وكاتب أبا على ابن محتاج صاحب جيش خراسان ^(٣٢)
وأشار عليه بمناجزة القوم ووعدّه بالمعاونة وكذلك فعل عماد الدولة كاتبه
وأشار عليه بالمناجزة ووعدّه بان يسير أجهه الى الري في عسكر قوى

وعرف وشمكير الخبير وكتب الى ما كان بالصورة وأشار عليه بتسليم جرجان الى الخراسانية وكتب الى شيرج والى سائر عسكره بالانصراف ففعل ما كان ذلك وعاد الجيش باجمعه الى الري وحصل ما كان بسارية وتمكن ابن محتاج من جرجان . واتصلت المكاتبة بينه وبين عماد الدولة نوركن الدولة واستحكمت المودة بينهم واتفقوا على حرب وشمكير حين اختلط عسكراهما وصارا عسكرا واحدا واشتملت عدة العساكر على سبعة آلاف من الديلم والجيل سبوى الاتراك والعرب وأظهرا من السلاح والجُنن والآلات والدواب أمرا عظيما . فترافدا في التذير لان وشمكير كان منفردا باطلاق النفقات والاموال واقامة الانزال والعلوفات وتفقد القواد والرجال لان الري وأعمالها كانت في يده فاما ما كان فانه تفرد بمباشرة الحرب وترتب منها في القلب

فسار ابن محتاج على طريق الدامغان حتى قرُب منها وأقام الديلم والجيل مصافها وبات الفريقان على أهبة لباكرة الحرب والمناجزة^(٣٣) وكان وشمكير ضرب عدة خراكهات للمصاف ونصب المطارد والاعلام وأحضر الطعام للناس وأجلس ما كان في الصدر يأكل ويُطعم ويُجلس من يرى ووشمكير قائم متردّد على رسمهم في ذلك ؟ فكان ما كان يقول : يا با طاهر لِمَ لاتأكل معنائهم تتوفر على النظر بمد ذلك ؟ فيقول : يا با منصور نحن بازاء أمرٍ قد قرُب انفصاله فان كان لنا فسوف نأكل معاً ونظم وان كان لغيرنا فسوف يأكل ويُطعم . (وكانا يتعاملان مُعاملة النظراء ويتخاطبان بالكُنَى ويتساويان في جميع أحوالهما) فما استتموا طعامهم حتى ورد عليهم الخبر بان ابن محتاج رحل عن موضعهم عادلا عن سيمتهم الى اسحاقاباذ ليجتمع معه العدد الذي

أنفذه ركن الدولة لانه كان سار على طريق قُم وقاشان فارتحلا جميعا في الوقت الى هذه القرية وأعاد المصاف بها ووافى ابن محتاج وقد عبي جيشه كراديس ﴿ ذكر حيلة في الحرب تفرق بها الجيش المجتمعون ودخل ﴾

﴿ بينهم القدر فازال تمبئهم وهزمهم ﴾

تقدم ابن محتاج الى أصحابه أن يَطْرُقوا القلب ويلجؤا عليه وكان فيه ما كان وجُمرة العساكر وان يتطاردوا لهم ويستجروهم . ثم وصى الكراديس التي بازاء الميمنة^(٣٢) والميسرة ان يناوشهم مناوشة خفيفة بمقدار ما يشغلهم عن ان يصيروا مدداً لمن في القلب ولا يطلبوا المناجزة بل يقفوا بازائهم على هذا السبيل فتعلوا ذلك وألحوا على القلب ثم تطاردوا لهم كاللهزمين فطمع ما كان وأصحابه الذين كانوا في القلب فيهم فاتبعوهم وفارقوا مصافهم وبعثوا عن ميمنتهم وميسرتهم وصار بينهم فضاء كثير . فحينئذ أمر ابن محتاج الكراديس التي بازاء الميمنة والميسرة أن يتركوا من بازائهم ويدخلوا في القضاء الذي اتسع لهم وراء القلب وأمر الذين كانوا بازاء الحرب ان يحملوا ويحققوا عليه مواجهين له فانكسر الديلم وحصلوا بين الكراديس ولم يكن لهم مهرب فقتلوه كما شاؤا . وكان ما كان قد ترجل وأبلى بلاء حسنا وظهرت منه آثار لم ير مثلاً فوافاه سهم عائر وقع في جبينه فنفذ الخوذة والتراس حتى طلع من قفاه وسقط ميتا وأنت وشمكير وقوم من أصحاب الخيل الى سارية وأسر الباقون وقتلوا باجمعهم

وملك ابن محتاج الري وأخذ رأس ما كان بخوذة والسهم فيه وحمل على هيئته وحالته الى خراسان مع الاسارى ورؤس القتلى وكانوا عدداً جماً يقال انهم نحو ستة آلاف^(٣٣) . ثم حمل بعد ذلك رأس ما كان الى بغداد بعد

مقتل بجكم لان بجكم ينتسب الى ما كان ويزعم انه ترييته وقد كان أظهر حزنا
ونمّا شديدا لما سمع بقتله وجلس للعزاء . فلما قتل بجكم ورد أبو الفضل العباس
ابن شقيق المرسوم كان بالترسل بين ولاية خراسان وبين السلطان ومعه رأس
ما كان وفيه السهم وعليه الخوذة وذلك في سنة ٣٢٩

(ذكر غلطة وقعت من ابن محتاج في استناته الى جيش)

(غريب حتى قتل خلق من أصحابه وانهب)

(سواده ونجا بنفسه)

كان الحسن بن الفيرزان ابن عمّ ما كان وصنيعة وكان قريبا منه في
الشجاعة الا انه كان شرسا متهورا زعيم الاخلاق فلما قتل ما كان التمس منه
وشمكير ان يدخل في طاعته وينحاز اليه فلم يفعل ثم لم يقتصر على التثاقل عنه
حتى أطلق لسانه فيه وقال : هو الذي أسلم ما كان الى القتل وخذله ونجا
بنفسه . فافسد ما بينه وبين وشمكير بهذا الضرب من الكلام والوقعة فيه
فقصده وشمكير وهو يومئذ بسارية فانصرف عن سارية وصار الى ابن محتاج
داخلا في طاعته ومستنهضا له على وشمكير فقبله ابن محتاج وأحسن اليه وساعده
على قصد وشمكير . فلقية بظاهر سارية واتصلت الحرب بينهما أيما الى أن
ورد الخبر ^(٣٦) على ابن محتاج بوفاة نصر بن أحمد صاحب خراسان فصالح
وشمكير وأخذ ابنا له يقال له سالار رهينة ووافقه على أمور تقررت بينهما
وانصرف الى جرجان وجذب الحسن بن الفيرزان معه وهو غير طيب النفس
بما فعله وأراد منه أن يتم الحرب ثم يستخلف الحسن ويمتدّ بمد ذلك الى
خراسان فلما لم يفعل ابن محتاج ذلك انجذب الحسن بن الفيرزان معه على هذا
الحقد ودبر أن يطلب غيرة في طريقه ويفتك به فلما صار الى الحد بين أعمال

جرجان وخراسان وثب الحسن على ابن محتاج وأوقع بمسكركه ليقتله فافلت منه وقتل حاجبه وانتهب سواده واسترجع رهينة وشمكير أعنى ابنه سالار وعاد الى جرجان فاستولى عليها وعلى أعمال الدامغان وسمنان والقلة التي كان يعتصم بها . وكان وشمكير صار الى الري فملكها فلما فعل الحسن بابن محتاج ما فعل عاد الى مواصلة وشمكير وبدأه بالمجاملة ورد عليه ابنه الذي كان رهينة عند ابن محتاج وأراد بذلك ان يستظهر على الخراسانية به ان عاودوا حربته فتسلم وشمكير ابنه وحاجزه في الجواب ولم يصريح له بما ينقض شرائط ابن محتاج عليه

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير^(٢٧) فانهزم وشمكير واستأمن أكثر رجاله الى ركن الدولة وصار الى طبرستان . فاعتزم الحسن ابن الفيرزان ضعف وشمكير فسار اليه واستأمن الى الحسن بقية أصحابه وانهزم وشمكير الى خراسان على طريق جبل شهربار . فلما حصل وشمكير بخراسان رأى الحسن بن الفيرزان ان يواصل أبا على ركن الدولة وينحاز اليه فراسله ورغب في مواصلة فاجابه الى ذلك وتمت المصاهرة بينهما بوالدة الامير على ابن ركن الدولة أعنى نحر الدولة وهي بنت الحسن بن الفيرزان وفي هذه السنة فرغ من مسجد برانا وجمع فيه

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وبلغ السكر من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً وكل الناس المشيش وكثر الموت حتى كان يدفن في قبر واحد جماعة من غير غسل ولا صلوة وظهر من قوم ديانة وصدقة وتسكين ومن آخرين فجور وغضب وهم الاكثر^(١)

(١) زاد صاحب التكملة : وكان على بن عيسى وانقرى يكفيان الناس على أبواب دورهما

وفيهما انبثق نهر الرُّفيل ونهر بوق^(١) فلم يقع عناية بتلافيهما حتى خربت
بادُوريا بهذين البُتقين بضعة عشر سنة
وفيهما قتل بجكم

{ ذكر سبب قتله }

كان ورد جيش البريدي الى المذار وأنفذ بجكم نوشتكين^(٢) وتوزون في جيش
للقائه فكانت بينهما وقعة^(٣) عظيمة كانت أولا على أصحاب بجكم فكتبوا
الى بجكم يسألانه ان يلحق بهما تخرج بجكم من داره بواسط يوم الاربعاء لاربع
عشرة خلت من رجب للمسير الى المذار ليلحق عسكره وأصحابه . فورد كتاب
توزون ونوشتكين بظفرهما وهزيمة جيش البريدي وانه قد استغنى عن انزعاجه
فأنفذ بجكم بالكتاب الى بغداد وكتب به كتاب هناك قرىء على المنابر
وهم بجكم بالرجوع من حيث وصل اليه الكتاب بالخبر وكانت
خزائنه قد سارت فاشار عليه أبوزكرياء السوسي بان لا يرجع وقال له : تمضي
وتتصيد . فعمل على ذلك^(٤) فلما بلغ نهر جور عرف ان هناك قوما من

وسقطت القبة الخضراء التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعراء . ونكب الكوفي
هرون اليهودي جهنم ابن شيرزاد وبقي عليه من مصادره ستون ألف دينار فاخذت
داره وكانت قديما لابراهيم بن أحمد المادرائي را كبة دجلة والمرأة وفيها بستان
أبي الفضل الشيرازي ودار المرتضي وحمل هذا اليهودي الى بجكم بواسطة فضرب بين يديه
بالدبابيس حتى مات

(١) وفي الاصل : نهر بو . وفي التسمية : نهر بوا . (٢) وفي تاوئخ الاسلام هو :
كورتكين (٣) وقال صاحب كتاب العيون في ترجمة سنة ٣٢٨ : فيها خرج بجكم الى الصيد
بمرج البنديجين فاوغل في طلب الصيد وأقطع عن أصحابه فلم يشعر الا وقد أحاط به من
الاعراب جماعة فيهم رجل يقال له حجاج معروف بالصمالة (وهو قطع الطريق وقتل

الاكراد مياسير فشره الى أموالهم وقصدهم متهاونا بهم في عدد يسير من غلمانهم وعليه قباء طاق بلاجبة فهرب الاكراد من بين يديه وتفرقوا . ورمى واحدا منهم فاخطأ ورمى آخر فاخطأ واستدار من خلفه غلام من الاكراد وهو لا يعرفه فطمعه بالرمح في خاصرته فقتله وذلك بين الطيب والمذار يوم الاربعاء لتسع بقين من رجب . واضطرب عسكره جدا ومضى ديلمه خاصة

(النفس) وكان تحت بكم فرس كان عليه سرج مسوره من ذهب وحليته بلور فلما نظر الى الخيل قد أحاطت به ترحل وخلي لهم فرسه وحى نفسه فلم يكن لهم فيه حيلة وقتلوا بالفرس ولم يزل يمشى الى ان قصد قصرا خرابا من قصور الكاسرة قصد الى أنشاه وأبرق بسيفه فلهفته عسكره وسألوه عن خبره فذكر ان فرسه تقطر به وغاب عنه ولم يدر أين أخذ . ثم بقي يتعجب من حسن القصر ومن صورة فيه من صور الكاسرة فسأل عن أهله وأمر ان يجمع له بحارى الموضع فسألهم فقالوا : ما بقى من اسل هذا الذى بنى القصر وهو المرمزان الا قوم بناحية نهر مرة من حذاء البصرة . فوجه اليهم بمحضرهم فاحضر اليه منهم بضعة عشر رجلا فسألهم فلم يجد فيهم الا مولى لهم وقد بعدت معرفتهم بخبر القصر ووجد رجلا آخر خيرا فقال لهم : لم انتقل سلفكم من هذا الموضع الحسن الطيب ؟ فقال الرجل : بلغنا ان سبب انتقالهم طاعون ظهر فرحل الخلق عن مواضعهم وكل قصر تراه خرابا أو بهرا مطورا فهذا سبب انتقال أهله عنه . فسأل وقال : أرى صورة ملك وأسد بازائه قد التزم يد الملك الواحدة الى مرفقه وبسط يده الاخرى كأنه يومى الى موضع من المواضع وكأنه رافع ونجيه نحو السماء يستغيث بالله . فقال له الرجل أما اقباله نحو الاسد فانه الموضع الذى يزول ملكه منه وبماك عدوه ونحو الحجاز لما كانوا يتوقعونه من ظهور النبي صلعم وزوال ملكهم وهو الاسد الذى قد التزم بيده واما بماؤه الى موضع آخر فيجوز ان يكون يومى الى موضع فيه ذخيرة له : فيقال ان بحكم قاس الموضع الذى يومى اليه المصور وأمر بحفره واستقصي الحفر فوجد مالا عظيما كسرويا وآنية وجواهر في الموضع فصدق من المثال عشره على آل أبى طالب وغيرهم وقال : سبب سياقة الله عز وجل الى بما كان من الاعراب واشراقي على النصر وما وقع في نفسى الاستقصاء والمسئلة عن الصورة . وعمر مواضع كثيرة في تلك الناحية وأنشأها وأجرى اليها الانهار وغرس بها غرونا

الى البريدي وكانوا ألف وخمسمائة رجل فقباهم وأضعف أرباقهم في دفعة واحدة
 وكان بنو البريدي^(٢٩) عملوا على الحرب وقد ضاقت عليهم البصرة
 لمراسلة بجكم أهلها بما سكن نفوسهم فكانوا مجتمعين بمطارا فلما بلغ بنو
 البريدي قتل بجكم فرج عنهم ونفس خناقهم . وعاد أتراك بجكم الى واسط
 وسار تكينك بهم الى بغداد ونزلوا في النجى وأظهروا طاعة المتقي لله
 وصار أحمد بن ميمون كاتب المتقي لله قديما هو المدبر للامور وصار أبو
 عبد الله الكوفي من قبله فكانت مدة تقلد أبي عبد الله الكوفي كتابة
 بجكم وتديره الملكة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ومدة اماره بجكم
 سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام

ووجه المتقي بجماعة من حجابيه فوكاهم بدار بجكم ولم يتعرض لشي مما
 فيراخذوا من أن يرد خبر لبجكم يبطل الخبر الاول فلما صبح عنده قتله أحضر
 يكاك صاحب تكينك فاثبت الموضع التي فيها المال مدفونا فسئل عن سبب
 معرفته بها فذكر انه كان يخرج من الخزانة ويستدل على انه لدفين ثم يتبع
 الاثر سرا فلما عرف البيت الذي فيه الدفين والموضع المظنون فيه المال طلب
 له ثقة وضم الى نجاح خادم المتقي فاستخرج شئ كثير في قدور كبار منها عين
 ومنها ورق فلما فرغ مما وجد بذل للحفارين أن يأخذوا التراب باجرتهم
 قامتوا^(٣٠) فأطلق لهم ألفي درهم ثم تقدم بغسل التراب فغسل وأخرج منه
 ستة وثلاثون ألف درهم . وكان بجكم قد دفن في الصحارى ولم يقتصر على
 ما دفنه في البيوت فكان الناس يتحدثون انه اذا دفن في الصحراء شيئا ومعه
 من يماونه قتله لئلا يدل على ما يدفنه في وقت آخر فبلغ بجكم ما يقوله
 الناس فعجب منه

خشي سنان بن ثابت قال : قال لي بجكم : فكرت فيما دفنته في داري من المال وقلت : قد يجوز ان يحال بيني وبين الدار بحوادث تحدث فلا أصل اليها فيتلف مالي وروحي اذ كان مثلي لا يجوز ان يعيش بغير مال فدفنت في الصحراء وعلمت انه لا يحال بيني وبين الصحراء . فبلغني ان الناس يشنعون عليّ باني أقتل من يكون معي ولا والله ما قتلت أحداً على هذه السبيل وأنا أحدثك كيف كنت أعمل . كنت اذا أردت الخروج للدفن أخضرت بغالا عليها صناديق فرغّ الى داري فاحمل في بعضها المال وأقبل عليها وأدخل من أريد أن يكون معي من الرجال الى باقي الصناديق التي على ظهور البغال وأطبق عليهم وأقفل وأسير بالبغال . ثم آخذ أنا مقود القطار وأسير الى حيث أريد وأرُدّ من يخدم البغال وأتفرد وحدي في وسط الصحراء ثم أفتح عن الرجال^(١) فيخرجون ولا يدرون أين هم من أرض الله وأخرج المال فيدفن بحضرتي وأجعل لنفسى علامات ثم أرد الرجال الى الصناديق وأطبقها عليهم وأقفلها وأقود البغال الى حيث أريد وأخرج الرجال فلا يدرون الى أين مضوا ولا من أين رجعوا واستغنى عن القتل^(١)

واستوزر المتقي لله أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون وخلع عليه

واستخلف أبا عبد الله الكوفي . وطلب تكينك فاستتر .

وقديم الترجان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد

وفيها أصعد البريديون من البصرة بعد قتل بجكم

وذكر الخبر عن اصعاده وما آلت اليه أمورهم ﴿

لما قُتل بجكم اختلف أهل عسكره فاما الديلم فعقدوا الرياسة لبلسوار

(١) زاد تاريخ الاسلام : قضاعت بموته الدقاتن

ابن مالك بن مسافر السككري فهجم عليه الاتراك وقتلوه . فانحدر الديلم بأسرهم الى البصرة مستأمنين الى أبي عبد الله البريدي وكانوا ألفا وخمسمائة رجل مختارين متجيين ليس فيهم حشوف قوي البريدي بهم وعظمت شوكته واستظهر بهم على السلطان وانضاف عسكرهم اليهم فبلغوا سبعة آلاف رجل فاصعد البريديون من البصرة الى واسط فراسلهم المتقي لله وأمرهم ألا^(١٢) يضمعدوا وان يقيموا بواسط فارساوا : أنا محتاجون الى مال الرجال فانفذ الينا ما يرزقهم به ونحن نقيم . فوجه المتقي لله أبا جعفر بن شيرزاد بعد ان رد عليه ضيعته مع عبد الله بن يونس صاحب بيت المال وانحدر في جملة تكينك سرا من المتقي لله .

وقال الاتراك البجكية والجنكائي الذي كان استأمن من جهة البريدي للمتي لله : نحن نقاتل بني البريدي ان جاؤا فاطلق لنا مالا وانصب لنا رئيسا . فانفق فيهم وفي رجال الحضرة القداماء أربعمائة ألف دينار من المال الذي وجد لبجكم وجعل الرئيس عليهم سلامة الطولوني الحاجب وبرزوا مع المتقي لله الى نهر دياي . وعاد عبد الله بن يونس بجواب الرسالة من البريديين ياتمسون المال فحمل اليهم معه من مال بجكم أيضا مائة وخمسين ألف دينار فاخذها وقال : أنا أحتاج الى خمسمائة ألف دينار للديلم فان حملت الي والافان الديلم لا يمهلونني وعلى كل حال أنا سائر فان تلفاني المال انصرفت والا دخلت الحضرة فقال المتقي لله لما أذيت رسالته : أنا قد أنفقت في الاتراك أربعمائة وخمسين ألف دينار وفي غيرهم جملة فمن أين أعطيه ما طلب؟ دعه يرد الحضرة ويعمل ماشاء فاني أرجو ان أكفي أمره . وسار أبو عبد الله البريدي^(١٣) من واسط نحو الحضرة فلما قرب منها اضطرب الاتراك البجكية وقلعوا

خيمهم واستأن بهم الى البريدى وسار بعضهم الى الجسكاقي الى الموصل
ودخل سلامة بغداد واستتر أبو عبد الله الكوفي وسلامه الحاجب ومحمد بن
ينال الترجمان وتقاد الشرطة مكان الترجمان أحمد بن خاقان وتأسف الوزير
أبو الحسين على أربعمائة ألف دينار ذهبت ضياعا . ورهب الناس البريدى
رهبة عظيمة لفسقه وتهوؤره وطعمه فهم أرباب النعم بالانتقال .

فتحدث بعض المختصين بابي الحسن علي بن عيسى قال : كنت بين يديه
أنا وأولاده وأخوه وخواصه في تلك الايام ونحن نتحدث بامر البريدى
وموافاته المضرة وتجارى جرأته وإقداؤه وتله أكثرائه وأنه يفعل الناس
بعمال الدواب وأشار الجماعة عليه بالأبقاء ببقائه وان يخرج هو وعياله
الى الموصل الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وفزعناه وهو لنا عليه
وهو لا يصنني الي رأينا فلما أكثرنا عليه ترجيح رأيه . ثم أطلق لي مائتي دينار
على ان أبكر وأكترى له بها زواريق يصعد هو فيها وعياله الى الموصل
فباكرني رسوله مع السحر يأمرني بالمصير اليه^(١) وجئت وسألني فمرفته
انى ما مكنت من امتثال أمره بمباكرة رسوله واستدعائه اياي فقال : ويحك
لنكرت البارحة فيما أشرت به فوجدته خارجا عن الصواب مفسدا للدين
أيهرب مخلوق الى مخلوق ؟ اصرف تلك الى وجوه الصدقة فاني مقيم .
فرددتها الى خزائنه وأقام فلما قرب البريدى انحدر اليه وتلقاه فأكرمه أبو
عبد الله غاية الاكرام ووفاه حقه وأعظمه ومنه من أن يخرج من طياره
وانقل هو اليه وشكر برّه وخاطبه بنهاية الاكرام والتعظيم^(٢)

ودخل أبو عبد الله البريدى بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم

(١) وردت هذه الحكاية في كتاب الوزراء ص ٣٥٨ وفي ارشاد الاربيب ٥ : ٢٨٠

وأبو جعفر ابن شيرزاد يوم الثلاثاء ليلتين خلتا من شهر رمضان فنزلوا البستان الشفيهي وتلقاه الوزير أبو الحسين ابن ميمون والكتّاب والعمال والقضاة والوجوه وكان معه من الشذات والطيارات والحديدات والزبازب ما لا يحصى كثرة . فوجه المتقي اليه يمرّقه أنسه بقربه وحمل له الطعام والشراب والالطاف عدة ليل وكان يخدم في ذلك كله خدمة الخلافة . وظهر محمد بن ينال الترجمان وكان الناس يخاطبون أبا عبد الله البريدي بالوزارة ويخاطبون أبا الحسين ابن ميمون أيضا بالوزارة ويضير^(١٠) أبو الحسين اليه بسيف وببنطقة وقبّاء ويخاطب كل واحد منهما صاحبه بالوزارة . ثم لبس أبو الحسين الدراعة وأزال عن نفسه اسم الوزارة بمواطاة الخليفة وذلك استخلون من شهر رمضان فكانت مدته فيها ثلاثة وثلاثين يوما وتفرّد أبو عبد الله البريدي باسم الوزارة .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان حضر أبو الحسين ابن ميمون ومعه ابنه أبو الفضل مجلس الوزير أبي عبد الله وكان الوزير قد واطأ القواد ان أحضر أبو الحسين مجلسه ان يجتمعوا ويكلموه ويتوثبوا عليه ويتهددوه بالقتل ويقولوا انه « يضرب علينا الخليفة ويُفسد علينا رأيه » ففعل الديلم ذلك في هذا اليوم فما زال الوزير يسكنهم ويعرفهم كذب ما يلقونهم عنه ثم قال لابي الحسين وابنه : قوما ادخلا الرواق . يوهما أنه يريد ان يخلصهما من القتل فدخلا الرواق ووكل بهما وانصرف القواد وحضلا في قبضه . ثم قال لهما بعد أيام : يا أبا الحسين قد قلديك الإشراف على واسط وأجريت لك ألف دينار في كل شهر فامض الى عمك مع اينك . فحملا الى واسط ومنها الى البصرة ولما قبض عليه استكتب المتقي لله على خاص أمره أبا العباس أحمد

ابن عبد الله الاصميهاني واعتل أبو الحسين بعد مدة^(١٦) بالبصرة ومات بها .
ولم يلق الوزير أبو عبد الله طول مقامه ببغداد المتقي لله ولا دخل دار
السلطان وذهب اليه الامير أبو منصور ابن المتقي لله وهو في النجفي ليسلم
عليه فلبس أبو عبد الله البريدي قباء أسود وعمامة سوداء وتلقاه في أحسن
زي وأوفر عُدّة وشر عليه دنانير ودرهم . وراسل الوزير أبو عبد الله البريدي
المتقي لله على يد القاضي أحمد بن عبد الله بن اسحق الخرق^(١٧) وأبي العباس
الاصميهاني يطالبه بحمل مال فحمل اليه مائة وخمسين ألف دينار فاخذها
وراسله بأنه لا بد من خمسمائة ألف دينار فالتوى المتقي لله فقال للقاضي: انصحه
وقل له « أما سمعت خبير المعتز بالله والمهتدي بالله والمتوكل على الله ؟ والله
لئن خليتك والاولياء لتطلبين نفسك فلا تجديها وأنت أبصر إنما الديلم وافوا
لاجل المال الذي أخذته لا الي بغداد وعندهم انهم أحق به منك ولا يعرفون
اليعة ولا من لك في رقابهم » وكان الجواب عن هذه الرسالة الانعام وحمل
اليه خمسمائة ألف دينار فاستوفاهما عن آخرها في سلخ رمضان وذهب
للقاضي الخرق منها خمسة آلاف دينار . ولما حصلت الاموال عند البريديين
انصرفت أطماع الجند كلهم اليه وكان البريدي^(١٧) يبعث الجند على طلب

(١) وفي تاريخ الاسلام هو أبو الحسن قلند القضاء بواسط ثم بمصر والمغرب ثم ولي
قضاء بغداد سنة ٣٠ وكان هو وأبوه وعمومه من التجار يشهدون على القضاء وكان المتقي
لله رعى له خدمته فلما أنضت الخلافة له أحب أن ينوه باسمه ويبلغه الى حال لم يبلغها
أحد من أهله فقلده القضاء ولم يكن له خدمة للعلم ولا مجالسة لأهله فتعجب الناس لكن
ظهرت منه رجولة وكفاءة وعفة وتزاهة . واقطع خبره في هذا العام (يعني سنة ٣٣٤)
لأنه رحل الى الشام ومات هناك . وفي التكملة ان في هذه السنة قلند القاضي القضاء بمصر
والحرمين وخلع عليه

الاموال من الخليفة ويحملهم على الشغب فلما استصفى مال السلطان رجعت المكيدة عليه وتشغب الجند عليه . وكان الديلم قد اجتمعوا يوم الاحد لليلتين بقيتا من شهر رمضان فرأسوا على أنفسهم كورنكيج بن الفاراضى الديلمى فرأس الاتراك على أنفسهم تكيينك غلام مجيم وانحاز الديلم باجمعهم الى دار السلطان وأحرقوا دار أبي الحسين البريدى التي كان ينزلها .

ونفر الجيش عن أبي عبد الله البريدى وصار تكيينك الى الديلم وتضافروا وكان سبب ذلك ان تكيينك لم يكن كبيرا في نفوس الاتراك فارسل اليه كورنكيج وخدعه وقال له : ان تفرّد كل واحد منا عن صاحبه ضعف وأرى أن نجتمع وتصير أيديا واحدة . فانخدع له وصار اليه فاجتمعوا فلما تمكن منه عاجله بالقبض عليه الا انه استعان به في العاجل لما اجتمعوا ووافقه على قصد البريدى ونهب ما حصل عنده فاتفقوا على ذلك وقصدوا باجمعهم النجمى وعاونهم العامة . فقطع الوزير أبو عبد الله الجسر ووقعت الحرب في الماء ووثبت العامة في الجانب الغربى بأسباب أبي عبد الله البريدى وقتل نعمة القرهطلى فهرب الوزير أبو عبد الله البريدي وأخوه وابنه وانحدروا الى واسط في ^(٤٨) الماء ونهبت داره في النجمى ودور قواده ونهب بعض المال الذي كان حمله اليه المتقي في ذلك اليوم لان هربه كان يوم الاثنين سلخ رمضان وآخر ما حمل اليه من بقية المال في ذلك اليوم . واستتر أبو جعفر ابن شيرزاد ونهبت داره وظهر سلامة الطولونى وبدرالخرشنى . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه أربعة وعشرين يوما . ولما هرب البريدى حصلت الامارة لـ كورنكيج يوم الاربعاء للياليتين خلتا من شوال

﴿ ذكر امارة كورنسكيج ﴾

فلما كان يوم الخميس اثلاث خلون منه لقي كورنسكيج المتقي لله فقلده^١
امارة الامراء وعقد له لواء وخلع عليه. وكان يكتب له رجل من أهل أصفهان
يُعرف بابي الفرج ابن عبد الرحمن واستدعى المتقي لله أبا الحسن علي بن عيسى
وأخاه عبد الرحمن فدبر الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة . وقبض
الإمير أبو شجاع كورنسكيج على تسكينك يوم السبت لخمس خلون من شوال
وعرقه ليلا . وفي يوم الجمعة اجتمعت العامة في الجامع من دار السلطان وضجوا
وتظلموا من الديلم ونزولهم في دُورهم بغير أجره وتعديهم عليهم في معاملاتهم
فلم يقع انكار^٢ لذلك فمنعت العامة الامام من الصلاة وكسرت المنبر . وشغب
الجند فمنعهم الديلم من ذلك^٣ فقتل بين الفريقين جماعة

واستوزر أبو اسحق محمد بن أحمد الاسكافي المعروف بالقراريطي للمتقي
لله فكانت مدة نظر علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن تسعة أيام .

﴿ ذكر السبب في وزارة القراريطي ﴾

حكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي قال : كنتُ بحضرة
كورنسكيج مع كاتبه أبي الفرج وفي مجلسه علي بن عيسى وعبد الرحمن أخوه
والقراريطي فطالب كورنسكيج أبا الحسن علي بن عيسى بالمال وعرقه حاجته
اليه لإعطاء الرجال فبلّغ هو وأخوه وذكر ان المال قد استنظف من
النواحي وانه لا وجه له (قال) فقال القراريطي ونحن في المجلس ؟ فيما بيني
وبينه : ان رُدَّ الامر اليّ أقت^٤ به واستخرجت ما يدفع الى الرجال
ويفضل بعده جملة وافرة . فاجتمعت مع أبي الفرج كاتب كورنسكيج

وعرفته ماخاطبني به فالتمس ان يصير اليه في خلوة ليسمع كلامه فاحضرته في غد فاعاد عليه ما قاله لي وأراه وجوها لجملة من المال . فذهب الى صاحبه كورنكيچ فعرفه ان علي بن عيسى وأخاه قد بلّغا وان القراريطي قد حضر وذكر انه يقوم بالامر ويزيح عائل الرجال حتى لا يقع إخلال بشي يحتاج اليه فاستروح كورنكيچ الى ذلك وأمره باحضاره ليلا فاحضره وخلا به وبكاتبه وجعله على ثقة من القيام ^(١) بكل ما يحتاج اليه ولم يرح حتى انعقد له الامر ووقف المتقي لله عليه

وأخرج اصيهان الديلمي الى واسط من قبل الامير أبي شجاع كورنكيچ لمحاربة البريدي وكان أبو يوسف قد أصد من البصرة الى واسط فلما سمعوا بالانحدار اصيهان الديلمي انحدر البريديون الى البصرة . وظهر ابن سنجلا وسائعه على بن يعقوب من استتارهما وصارا الى دار الوزير أبي اسحق القراريطي لیسلماه عليه فقبض عليهما من داره قبل ان يصلا اليه وحملهما الى دار السلطان وكتب فيهما رقعة الى المتقي لله وأمر بحبسهما ونالهما مكروه غليظ بالضرب والتعليق وصودرا على مائة وخمسين الف دينار

وفي هذه السنة سار محمد بن رائق من الشام الى مدينة السلام لما بلغه قتل بجكم

﴿ ذكر الخير عن مسير ابن رائق من الشام ﴾

﴿ ودخوله بغداد وما آل اليه أمره ﴾

كان الاتراك البيجكية مثل توزون وخججج ونوشتكين وصيغون وكبارهم لما انصرفوا من بغداد بعد قتل بجكم وإصعاد البريدي صاروا الى الموصل فناد عنهم أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وراسلوه في إطلاق نفقاتهم فاطلن لهم ربع رزقة فتقدموا الى ابن رائق بالشام . فصح عنده قتل بجكم

بمبصر الاتراك اليه وكتب اليه المتقي يخبره بقتل بجكم ويخاطبه^(٥١) بخطاب جميل ويستدعيه الى الحضرة فصار من دمشق فلما قرُب من الموصل كتب كورنكيچ الى اصبهان الديلمي بان يصعد من واسط فاصعد ودخل بغداد وخرج لؤلؤ الى واسط متقلدا لها ولم يتم أمره ورجع من الطريق . ولما وصل ابن رائق الى الموصل حاد عنه أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وجرت بينهما رسالة تقرر فيها ان يحمل أبو محمد الى ابن رائق مائة الف دينار فاخذها وانحدر الى بغداد وعاد أبو محمد بن حمدان الى الموصل ولما كان يوم الاحد لخمس بقين من ذي القعدة قبض كورنكيچ على القراريطي فكانت مدة وزارته ثلاثة وأربعين يوما وقلد الوزارة أبا جعفر محمد بن القاسم السكرخي ولقى المتقي لله في هذا اليوم وخلع عليه وورد الخبر بدخول بني البريدي واسط لما انصرف عنها اصبهان الديلمي وخطبوا بواسط والبصرة لابن رائق وكتبوا اسمه على أعلامهم وفيها دخل ابن رائق بغداد وانهزم كورنكيچ واستتر ﴿ ذكر الخبر عن هزيمة كورنكيچ واستناره باتفاق وحرب ﴾ لما قرب ابن رائق من بغداد خرج كورنكيچ منها وانتهى الى عكبرا وقلد لؤلؤ الشرطة ببغداد وخلع عليه وانتهى ابن رائق الى كورنكيچ وابتدأت الحرب واتصلت أياما متتابعة كانت^(٥٢) على ابن رائق . فلما كان يوم الثلاثاء لحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة دخل ابن مقاتل ببغداد ومعه قطعة من جيش ابن رائق وفي ليلة الخميس لتسع بقين منه دخل ابن رائق بجميع جيشه من الجانب الغربي ونزل في النجفي وعبر في غداة غد هذا اليوم الى دار السلطان ولقى المتقي لله وسلم عليه واستركبه فركب معه

في دجلة الى زقّة الشماسية وانحدرا من وقتها الى دار السلطان فصعد المنقي لله
اليها وعبر ابن رائق الى النجى . ولما كان بعد الظهر من هذا اليوم وافى
كورنكيچ في جيشه من عكبرا على الظهر بغداد هو وأصحابه وهم في نهاية
الهاون بابن رائق ومن معه وكانوا ينهرون ويقولون « أن نزلت هذه
القافلة الواردة من الشام » ولما وصل كورنكيچ الى دار السلطان دُفع عنها
وكان فيها لؤلؤ وبدر الخرشني فانصرف كورنكيچ ونزل في الجزيرة التي بين
يدى اصطبل مربط الجمال وخزانة الفرش ويعرف اليوم بدار الفيل

فتحدث أبو بكر ابن رائق بعد ذلك انه كان عمل على الانصراف
والرجوع الى الشام لما دخل كورنكيچ بغداد وانه حمل ثقله وابتدأ بالمسير
قال : ثم قلت في نفسي « أنصرف وأسلم هذا الامر » فلم تطب نفسي وقلت
لِفَاتِك حاجي : استوقف الناس . فاستوقفهم فلم يقفوا حتى بادر الى بغل من
بغال النقل فمرقه ^(١) فوقف حينئذ الناس . وعبرت نحو من مائة رجل من
أصحابي مع محمد بن جعفر النقيب على الظهر الى الجانب الشرقي وعبرت أنا
في سُميرية ومعى سبائشي الخادم التركي ونحو من عشرين سُميرية فيها غلمان
وانفق مجيئي مجيء أصحابي على الظهر في وقت واحد فلما رشقنا الديلم
بالنشاب سمعوا من ورائهم الزعقات من أصحابي ومن العامة فاضطربوا
ونخبت قلوبهم وقدروا ان الجيش قد وافاهم من خلفهم وانهم قد ملكوا
ظهورهم فانهزموا وأخذهم الرحمة من العامة وطُرحت الستر عليهم ^(٢) وهرب
كورنكيچ واستتر وقيل ما عرف أصحابه أي طريق أخذوا وثبت أمرنا
(ذكر الخبر عن قتل الديلم وامارة ابن رائق)

(١) وفي التنكية : ورماهم العامة بالستر والأجر

لما استتر كورنكييج وتقطع جيشه وبطل أمره ظهر أبو عبد الله أحمد بن
على البكوفي لابن رائق وعاد الى خدمته . وأمر ابن رائق ببقية الديلم المستأمنة
ب طرح أسلحتهم وأنفذ خاتمه الى جماعة منهم كانوا تحصنوا في حصن بالقرب
من جسر النهر وان فرجموا ودخلوا الدار المرونة بدار الفيل فكلوا نحو
أربعمائة رجل لم يجسروا ان يتفرقوا . فلما كان يوم الاثنين لخمس بقين من ذى
الحجة وجه ابن رائق برجاله السودا الى دار الفيل ووضعوا السيف فيمن
اجتمع هناك من الديلم فقطعوه فلم يسلم منهم^(١) الا رجل يقال له خذا كرد
وقع بين القتلى وحمل في جملة المقتولين في الجوالقات الى دجلة ورمي به مع
غمرة فعاش مدة طويلة بعد ذلك . وكان ابن رائق استأمر من قواد الديلم
بضمة عشر قائداً فوجه بهم الى دار فاتهم حاجبه وأمره بضرب أعناقهم
فضربت أعناقهم صبرا في داره . وكان من المهزمين من الديلم قوم مضوا في
الهزيمة الى طريق خراسان فلما تجاوزوا جسر النهر وان باتوا في بعض الخانات
فسقط عليهم الخان بالليل فمات أكثرهم

ولما كان يوم الثلاثاء لاربع بقين من ذى الحجة خلع المتقي لله على ابن
رائق وطوقه وسوره بطوق وسوار مرصعين بالجواهر وعقد له لواء وقاده
أمره الامراء وألزم أبو جعفر السكرخني بيته وكانت وزارته هذه ثلاثة
وخمسين يوما . ودبر الامور أبو عبد الله أحمد بن على البكوفي كاتب الامير
أبي بكر ابن رائق من غير تسمية بوزارة وأطلق أبو اسحق القراريطي الى
منزله ووجد كورنكييج فأخذ وحمل ابى دار السلطان
(ودخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة)

واستوحش ابن رائق من بني البريدي لانهم ما حملوا شيئا من مال

واسط والبصرة فلما كان يوم الثلاثاء لعشر خلون من المحرم انحدر ابن رائق
وهرب البريديون الى البصرة . وسفر بينهم ^(٥٥) الكوفي الى أن ضمن
البريدي البقايا بواسط بمائة وسبعين ألف دينار ثم بستائة الف دينار في كل
سنة مستأنفة وأصعد ابن رائق الى بغداد .

وفيهما دخل العباس بن شقيق ومعه رأس ما كان بن كالي الديلمي مع
هدايا صاحب خراسان الى المتقي لله من غلمان أتراك وطيب وشهابي وشهر
رأس ما كان في شذاعة وكان على الرأس خوذة وفيه سهم قد نفذ في الخوذة
والرأس ؟ ومر من الجانب الآخر من الخوذة

وفيهما شغب الأتراك على ابن رائق وخرجوا الى المصلى ومعهم تورون
ونوشتكين وأخذوا في طريق التجنى عليه ورحلوا سحر يوم الأحد الخامس
خلون من شهر ربيع الآخر الى البريدي بواسط فلما وصلوا اليه قوى بهم
جانبه واحتاج ابن رائق الى مداراته

﴿ ذكر وزارة أبي عبد الله البريدي ﴾

فكاتب أبا عبد الله البريدي بالوزارة للنصف من شهر ربيع الآخر
وأفقد اليه الخلع مع الطيب ابن سوسن واستخلف له أبا جعفر ابن شيرزاد
بالخضرة وأوصله الى المتقي لله الأبن المدير للامور كلها أبو عبد الله الكوفي
ووردت الاخبار بعزم البريدي على الاصعاد الى بغداد فزال ابن رائق عنه
اسم الوزارة وعزله بابي اسحق القراريطي ولزم أبو جعفر ^(٥٦) ابن شيرزاد
منزله واستتر . وركب المتقي على الظهر ومعه ابنه أبو منصور وابن رائق
والوزير أبو اسحق القراريطي والجيش وساروا على الظهر وبين أيديهم
المصاحف المنشورة والقراء واستنفر العامة لقتال البريديين ثم انحدروا الى داره

في دجلة من باب الشمسية . واجتمع خلق^(١) من العيارين بالسكاكين المجرّدة في جميع محال الشرق من بغداد وفي يوم الجمعة لَمِنَ بنو البريدي على المنابر في المساجد الجامعة ببغداد

(ذكر أبي الحسين البريدي في اصماده الى بغداد)

خرج أبو الحسين من واسط مصعداً في الجيش الى بغداد ومعه غلمان أخيه ابن عبد الله والأتراك والديلم فلما قُرب من بغداد استأمن كل من كان معه من القرامطة الى ابن رائق . واستعد ابن رائق للقتال وعمل على ان يتحصن في دار السلطان فسدأ أكثر أبواب دار السلطان والثلم في سورها ونصب العرّادات والمنجنيقات على السور وعلى شاطئ دجلة في قناء الدار وطرح حول الدار الحـك والحديد واستنفض العامة وفرض بعضهم فصار ذلك سبباً لتوزع المصديات بينهم واتصال الحروب . وافتتحت الجانب الغربي وأحرق نهر طابق مما يلي دار البطيخ واتصلت الكهبات بالليل والنهار على قوم ذوى أموال واستنفر الناس نهراً وليلاً وقتل بعضهم^(٥٧) بعضاً قتلاً ظاهراً وفتح الحبس ودامت الفتنة . وبرزت خيم السلطان الى نهر ديارى وخرج ابن رائق الى الحلبة والقواد معه . فلما كان يوم الاثنين لانصف من جمادى الآخرة عبر أصحاب أبي الحسين البريدي نهر ديارى وكان أولو مقبلاً على شاطئ النجى وبدر الخرشنى بالدُّحلى وما زالت الحرب بين البريدي وابن رائق الى وقت الظهر وما زالت الحرب في الماء منذ ذلك اليوم الى يوم السبت لتسع يمين من جمادى الآخرة فاشتدت الحرب على الظهر وفي الماء وأوقع الديلم بالمامنة الذين فرضوا ودخل الديلم من أصحاب البريدي

(١) وفي تاريخ الإسلام: واجتمع الحاق على كرسي الجسر فقتلهم وانخسف ففرق خلق

دار السلطان من جهة الماء وملأوا الدار . فخرج المتقى وابنه منها هاربين في نحو عشرين فارسا فخرجا الى باب الشماسية ولحق بهما ابن رائق وجيشه وأولوا ومضوا الى الموصل . واستتر القراريطى الوزير فكانت مدة وزارته احد وأربعين يوما . وقتل الديلم من وجدوا في دار السلطان ونهبوها نهباً قبيحاً ودخل الديلم دور الحرم وأقام البريدي أبو الحسين في حديدية أياما على باب الخاصة ووُجد في دار السلطان ابن سنجلا وعلى بن يعقوب فاطما وأما كورنكيج فقيده وحضره الى أخيه أبي عبدالله فكان آخر العهد به ووُجد القاهر في محبسه فأقر فيه من دار السلطان^(١)

فلما كان بعد أيام صمد أبو الحسين البريدي^(٢) ونزل في دار مونس وهي التي كان ينزلها ابن رائق وقلداً أبا الوفاء توزون الشرطة في الجانب الشرقى ونوشتكين الشرطة في الجانب الغربى . وأخذ الديلم في النهب والسلب وكُبت الدور وأخرج أهلها ونزلات ولم يزل الناس على ذلك الى ان تقلد توزون ونوشتكين الشرطة فان الفتنة سكنت قليلا . وأخذ أبو الحسين البريدي حُرْم توزون وابنيه وعيالات أكثر القواد والأتراك وأنفذهم الى أخيه ليكونوا رهائن في يده

وغلت الاسعار يفسداد وظالم البريدي الظلم المعروف لهم وافتتح الخراج في اذار فخبط التشاء حتى تهاووا وافتتح الجوالى^(٣) وخبط أهل الزيمة وأخذ الاقوياء بالضعفاء ووظف على كرم من الخنطة سبعين درهما وعلى

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان القاهر محبوسا فتركه الموكلون فخرج فرثى وهو يتصدق بسوق الثلاثاء فبلغ ذلك البريدي فأنفذ بمن أقامه وأجرى له في كل يوم خمسة دراهم
(٢) وفي التكملة : وافتتح الجزية

سائر المكيلات وعلى الزيت وقبض على نحو خمسمائة كراً كان للتجار ورد من الكوفة وادعى انه للحسن بن هرون المتقلد كان للناحية وهرب خججيج الى المتقي لله وكان أخرج الى بزرج وسابور والراذانيين . وكان توزون ونوشتكين والاتراك تحالفوا على كبس أبي الحسين البريدي فقدر نوشتكين بتوزون ونمى الخبر الى أبي الحسين البريدي فتحرّز وأحضر الديلم داره واستظهر بهم وقصد توزون دار أبي الحسين فحاربه من كان فيها من الديلم وغلقت الابواب دونه . وانكشف لتوزون غدر نوشتكين^(٥٩) فلعنه وانصرف ضحوة يوم الثلاثاء ومضى مع قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل واضطرب العامة وقتلوا البريدي .

ولما صار توزون وخججيج والاتراك الى الموصل وقوى بهم ابن حمدان عمل على ان ينحدر مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك أبا الحسين البريدي وكتب الى أخيه يستمدّه فامدّه بجماعة من القواد والديلم . وأخرج أبو الحسين مضربه الى باب الشماسية وأظهر انه يحارب ابن حمدان ان وافى وذلك كله بعد ان قتل أبو محمد بن حمدان ابن رائق وسنشرح خبره على أثر هذا الحديث . فلما قرّب المتقي وأبو محمد بن حمدان من بغداد انحدر أبو الحسين هارباً وجميع جيشه وأخذ معه من كان معتقلاً في يده يطالبه مثل ابن قرابة وأبي عبد الله بن عبد الوهاب وعلى بن عثمان بن النفاط ومن أشبههم فاضطربت العامة ببغداد زيادة اضطراب ونهبت الدور وتسليح الناس في الطرقات ليلاً ونهاراً . وكانت مدة أبي الحسين البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً

ولما وصل المتقي لله وابناه ومحمد بن رائق ومن معهم الى تكريت

وجدوا هناك وهم مصعدون الى الموصل بعد ابا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وذلك ان ابن رائق لما قرُب البريدي من بغداد كتب الى ابي محمد ابن حمدان يستلّه مدداً ومعاونة على قتاله فانفذ أبو محمد أخاه فلم ياجتهدهم الا بتكرير^(٦٠) وقد انهزموا وأخذوا طريق الموصل . فلما التقوا أقام على بن حمدان للمتقي لله وابنه وابن رائق والقواد كل ما يحتاجون اليه من الميرة والسياب والفرش والدرهم وما قصر في أمرهم وساروا باجمعهم الى الموصل . فلما وصلوا اليها حاد عنها أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان وعبر الى الجانب الشرقي ومضى الى نواحي ملثايا فزالا الرسل تتردد بينه وبين محمد بن رائق الى ان توثق بعضهم من بعض بالايمن والعهود والمواثيق حتى انس أبو محمد وعاد فنزل في الشرقي بازاء الموصل

﴿ ذكر الخبر عن مقتل ابن رائق ﴾

فمهر اليه الامير أبو منصور ابن المقي لله ومعه أبو بكر ابن رائق يوم الاثنين لتسع بقين من رجب ايسأوا عليه فلقاهم أجل لقاء ونثر على الامير أبي منصور الدنانير والدرهم . فلما أراد الانصراف من عنده ركب الامير أبو منصور ثم قُدِّم فرس ابن رائق ايركب من داخل المضرب فامسك أبو محمد بن حمدان كفه وقال له : تُقيم اليوم عندي لتحدث فان بيننا ما نتجاراه . فقال له ابن رائق : اليوم لا يجوز لاني أريد ان أرجع مع الامير ولكن يكون يوماً آخر . فالح عليه ابن حمدان الحاحاً استراب به ابن رائق فجذب كفه من يده حتى تخرق وكان رجلاه في الركاب فشب به الفرس فوق^(٦١) وقام ليركب فصاح أبو محمد بغلامانه وأمرهم بالايقاع به وقال : وبلكم لا يفوتكم .

فوضوا عليه السيف وقتلوه^(١) وأرسل أبو محمد ابن حمدان الى المتقي لله
انه وقف على ان ابن رائق أراد أن يقاتله ويوقع به فجري في أمره ما جرى
فرد المتقي عليه الجواب يعرفه انه الموثوق به ومن لا يشك فيه ويأمره
بالمصير اليه فمهر ولقيه

{ ذكر اماره أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان }

فخام عليه المتقي وعقد له لواء ولقبه ناصر الدولة وجعله أمير الامراء
وكناه وكان ذلك مستهل شعبان وخلق على أخيه علي وعلى أبي عبد الله
الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطى بتقليده الوزارة وذلك
في شوال وجاس في داره وقتل وعزل وأمر ونهى وضبط الامر الى ان
وافى المتقي وناصر الدولة أبو محمد

{ خبر تخاربه البريدي مع ابن حمدان }

دخل المتقي بغداد مع ناصر الدولة أبي محمد وأخيه علي وجميع الجيوش
وعمت لهم العامة القباب^(٢) ونزل ناصر الدولة وأخوه في البستان الشفيهي
ولقى الوزير القراريطي المتقي لله وناصر الدولة وتقدم أبو الوفاء توزون

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : فاضطربت أصحابه خارج الخيم وجاء مطر فتفرقوا
فدفن وعنى قبره . ونهبت داره التي بالموصل فقل ابن الحسن التنوخي (وهو أبو القاسم
على وترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٣٠١) عن عبد الواحد بن محمد الموصل قال حدثني
رجل ان الناس : نهبوا دار ابن رائق فدخلت فأجد كيسا فيه ألف دينار أو أكثر فقلت
« ان خرجت به أخذه مني الجند » فطقت في الدار فمرت بالمطبخ فاخذت قدر سكاج
ملأى فربيت فيها الكيس وحملتها على رأسي فكل من رأى بظن أنني جائع فذهبت
بها الى منزلي (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وقد انتفى بدرا الخرشني طريق
الفرات فسار اليها ثم سار الى مصر فأكرمه الاخشيذ واستعمله على دمشق فمات بها .

الشرطة في جاني بغداد وخلع المتقى على الوزير أبي اسحق القراريطي^(٦٢)
 خلع الوزارة يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذى القعدة وفي يوم الخميس خلع
 المتقى لله على ناصر الدولة وأخيه وطوقا وسورا بطوقين وطوقين وأربعة
 أسورة ذهباً وعلى أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وطوق بطوق
 واحد وسوارين ذهباً

وورد الخبر بأن أبا الحسين علي بن محمد البريدي قد أصعد من واسط
 يريد الحضرة فاضطرب الناس ببغداد وعبر المتقى الى الزبيدية ليكون مع
 ناصر الدولة وقدّم حرّمه الى سر من رأى وهرب جماعة من وجوه أهل
 بغداد وعبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرق الى الجانب الغربى منها
 وسار أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان في الجيش . وكان مع أبي الحسين
 البريدي لما أصعد من واسط أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو بكر ابن قرابة
 والديلم وجيش عظيم فكانت الوقعة بين أبي الحسن علي بن حمدان وبين
 البريدي يوم الثلاثاء انسلخ ذى القعدة ويوم الاربعاء مستهل ذى الحجة
 ويوم الخميس ويوم الجمعة ثلاث وأربع خلون من ذى الحجة في القرية
 المروفة بكيل أسفل المدائن بفرسخين . ومع ابن حمدان توزون وخيخنج
 والأتراك فكانت أولاً على علي بن عبد الله بن حمدان وانهمز أصحابه فردّهم
 ناصر الدولة وكان ناصر الدولة بالمدائن ثم صارت على أبي الحسين البريدي^(٦٣)
 فانهمز واستؤسر من أصحابه يانس غلام البريدي أبي عبد الله وأبو الفتح ابن
 أبي طاهر ومحمد بن عبد الصمد ومبذكر البريدي والفرج كاتب جيش
 البريدي واستأمن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترجان وابراهيم بن أحمد
 الخراساني وحصل له جمع الديلم الذين كانوا في عسكر البريدي . وقبل جماعة

من قواد البريدي وعاد البريدي الى واسط مهزوما منلولا ولم يبق في على ابن حمدان وأصحابه فضل لا تباعه لعظيم ما مرت بهم وللكثرة الجراح فيهم واسبع خلون من ذي الحجة عاد المتقي لله من الزبيدية الى دار الخلافة على ثلاث ساعات ونصف وعاد الحرم من سر من رأى ومن كان هرب اليها من بغداد . ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدي وأبو الفتح بن أبي طاهر والمذكر البريدي مشهرين على جمال وعلى رؤسهم برانس^(١) وكتب عن المتقي كتاب الفتح الى الدنيا ولقب المتقي لله أبا الحسن على بن عبد الله بن حمدان لما فتح هذا الفتح سيف الدولة وأنفذ اليه خلعاً وكتب فيه كتاباً وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد أهدروا منها الى البصرة وأقام بها وومه الأتراك والديلم وسائر الجيش

﴿ ذكر حيلة ابن مقاتل على ناصر الدولة^(٢) ﴾

وراسل أبو بكر محمد بن على بن مقاتل ناصر الدولة على يد أبي زكريا السوسي فاخذ له أماناً من ناصر الدولة واشترط فيه ابن مقاتل ان يستقر بينه وبين ناصر الدولة مصادرة ينهض بها ويطيّب نفسه لها أقام على ظهوره وان لم يستقر عاد الى استناره فلما ظهر تباعد ما بينهما فقال له ناصر الدولة : عد الى استنارك . فقال ابن مقاتل : لم أجد الى ذلك حداً فاذا شئت فقلت . فضيح ناصر الدولة من ذلك لأنه مضطّر الى الوفاء بعهده وعلم ان الحيلة قد تمت عليه فاضطر الى ان فصل أمره على مائة وثلاثين ألف دينار

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وسار في الجانب الغربي الى دار عمه أبي الوليد سليمان ابن حمدان وهو بالقرب من الجسر

ونظر ناصر الدولة في أمر النقد والعيار فامر بتصفية العين والورق
وضرب دنانير سماها الابريزية^(١) من أجود عيار وكتب في ذلك كتابا
وفي هذه السنة استولى الديلم على آذربيجان

(ذكر السبب في ذلك)

ان ديسم بن ابراهيم لما تمكن من آذربيجان وقد كتبنا خبره فيما
تقدم كان معظم جيشه الا كراد الا طائفة يسيرة من بقية عسكر وشكير
اختاروا المقام معه حين رد عسكر وشكير اليه فتبسط عليه الا كراد وزاد
أمرهم في الادلال والتحكم الى ان صاروا يتغلبون على حدود أعماله . فنظر
في أمره فلم يجد من يستظهر عليهم بهم الا الديلم فاجتذب جماعة من أكابرهم^(٢)
منهم صعلوك بن محمد بن مسافر وأسفار بن سياكولي ؟ وجماعة من أمثالهم
وصار اليه جماعة من الموصل وفيهم رجل كان من قواد بجكم (فنفاه بجكم من
عسكره لشيء أنكره منه) يقال له علي بن الفضل الصولي فافضل عليه ديسم
ومولاه وعظم محله فاجتذب الديلم اليه فلما قويت شوكة ديسم بهم انتزع من
يد الا كراد ما كانوا تنابوا عليه وقبض على جماعة من رؤسائهم وازداد من
عدة الديلم واستظهر بهم . وكان متولي وزارته أبو القاسم علي بن جعفر
وكان من كتاب آذربيجان وكثرت سعاية أعدائه به فاخافه ديسم وأوحشه
حتى هرب منه الى الطرم ليعتصم بمحمد بن مسافر فوافق وصوله اليه
الوقت الذي استوحش فيه ابناه منه وهسودان والمرزبان وماكا عليه تلمته
المروفة بسميران . وكان السبب في وحشتها قبح سيرته وسوء معاملته لاهل

(١) زاد فيه صاحب النكلة : ويح الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد أن كان

عشرة وكتب ابن ثوابة عن المتقي بذلك كتابا

بيته وقبضه عليهم لنير ذنب كبير وذلك لشرب كان في طبعه . وكان استوحش منه وهسودان فصار الى أخيه المرزبان وكان في قلعة من قلاع أيه بالطر فلم محمد بن مسافر انه لا يتمكن من القبض عليه الا بعد أن يفرق بينه وبين أخيه فكتب الى المرزبان يستدعيه فقال وهسودان له : اني لا أقيم في القلعة بعدك . وأعلمه انه ان^(٦٦) فارقه تمكن منه وقبض عليه فقال له المرزبان : فاخرج مني . فلما صاروا في بعض الطريق ظفرا برسول لا يهما كان أنفذه سرا الى القيمين في القلعة يأمرهم اذا خرج المرزبان أن يقبضوا على وهسودان والاحتياط عليه وعلى القلعة فمجا من ذلك وجمعهما الاستيحاء من أبيهما فوصلا الى قلعة أبيهما وقد خرج أبوهما الى قلعة أخرى فعرفا أمهما خراسويه ما كتب أبوهما فيهما وكانت أمهما هذه جزلة فسأدتهم على القلعة وفيها ذخائر محمد بن مسافر وأمواله فالتوليا عليها وتمكنا منها فلما عرف محمد بن مسافر ذلك تحير في أمره وحصل في القلعة التي كان قصدها وحيدا قد فرق بينه وبين نعمته . فلما وصل على بن جعفر كاتب ديسم الى هذه الصورة اعتمد بالمرزبان وأطمعته في آذريجان فضمن له ان يملكه اياها فيوصله الى أموال جلييلة من ارتفاعها من وجوه يعرفها فذلق عليه وقرب من قلبه وقلده وزارته . واتفقا مع ذلك على عصبة في الدين وذلك ان على ابن جعفر كان من دعاة الباطنية وكان المرزبان مموذا فيهم فأذن له المرزبان أن يدعو الى هذا المذهب ظاهرا فاجتمع له كل ما أراد .

وكاتب عسكر ديسم وكان يعرف من استوحش من ديسم^(٦٧) ومن هو غير راض عنه وهن لا يرضى مذهب ديسم لان ديسما كان يرى رأى الشراة وكذلك كان أبوه وكان يصحب هرون الشاري^(٦٨) اعنى أباه فلما قتل

(١) ظفر به الحسين بن حمدان في سنة ٢٨٣ (طبري ٣ : ٢١٤٩)

هرب الى آذربيجان وتزوج الى رئيس من أكرادها فولد ديسم فاصطنعه ابن أبي الساج وارتقى معه الى ما ارتقى اليه .

ولم يزل على بن جعفر يصمم أركانه ويفسد قلوب أصحابه وخاصة الديلم الى أن استجاب له أكثر أصحابه وكاتبوه وقالوا : ان صار الينا المرزبان فارقنا ديسما بأجمعنا . فلما وثق المرزبان بذلك من ثبات أصحاب ديسم سار الى آذربيجان وسار اليه ديسم فلما صافه الحرب قلب الديلم ترأسهم في وجهه وصاروا الى المرزبان وكانوا نحو النجاشي رجل واستأمن معهم كثير من الاكراد وحمل عليه المرزبان ففرق عنه من بقي معه وانهمزوا وهرب في طائفة يسيرة الى أرمينية واعتصم بجاجيق بن الديراني لودّة كانت بينهما فأحسن ضيافته وحمل اليه ما يحمل الى مثله . فاستأنف ديسم يالف الاكراد وعرف خطاه في الاستكثار من الديلم وكان أشار عليه بعض النصحاء الفضلاء ان لا يرتبط من الديلم أكثر من خمسمائة رجل بمصاه . وملك المرزبان آذربيجان وجرى أمره على سداد بتدبير كاتبه على بن جعفر الى ان أفسد ما بينه وبينه ^(٦٨)

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان له كاتب يعرف بابي سعيد عيسى بن موسى ويعرف بعيسكويه فسمي عليه وأطعم المرزبان في ماله وكان علي بن جعفر قد أوحش جماعة من حاشية المرزبان فتضافروا عليه وعارضوه في تدبيره وأحس علي بن جعفر بذلك فاحتال على المرزبان بان أطعمه في أموال عظيمة يثيرها له من بلد تبريز وتبريز هذه مدينة جالية وعليها سور حصين وحواليها غياض وأشجار مشرفة وهي حصينة وأهلها ذو بأس ونجدة ويسار . فضم اليه المرزبان جهستان بن

شمر بن و محمد بن ابراهيم ودلير بن أورشفناه والحاجب الحسن بن محمد المهاني^(١) في جماعة من ثقاة فصار على بن جعفر الى تبريز . فلما تمكن بها استمال أهل البلد وكتب الى ديسم يتلافاه ويستدعيه ويعدده من نفسه ان يقتل الديلم ويوازره حتى يعود الى مملكته . فأجابه ديسم بأنه لا يثق به الا بعد أن يوقع بالديلم فواطأ أهل البلد على الايقاع بهم وأعلمهم انه انما حضر لطمع المرزبان فيهم وان الديلم لا يساعدونه على صلاح أمرهم وهم لا يرضون الا باستئصالهم . فواطأه أهل البلد على التوب بهم في يوم ذكره وأحضر القواد المذكورين في ذلك اليوم فقبض في داره عليهم وقتل الديلم فصار الى ديسم في العسكر الذي أجمع له .

وكان المرزبان أساء الى^(٢) الا كراد الذين استأمنوا اليه فوافق ذلك ظهور ديسم بتبريز فصاروا بأجمعهم اليه وانصل بالمرزبان ما جرى على الديلم فقدم على ايجاش على بن جعفر واستماع كلام أعدائه فيه واستوزر أبا جعفر أحمد بن عبدالله بن محمود وخلع عليه واقبه المختار . ثم استعد وسار الى تبريز وقد سبقه ديسم فحرت بينهما حروب وثبت الديلم وانهمز الا كراد فماد ديسم الى تبريز متحصناً بها وحامي أهلها عليه وذلك لما سبق من فعلهم بالديلم وحاصرهم المرزبان . وابتدأ في استصلاح على بن جعفر ومراسله واعطائه عهد الله وميثاقه والعصمة التي بينهما من الدين على ان يعود له فأجابه على بن جعفر بأنه لا يريد من جميع ما بذله له الا السلامة وانه ما فارق ديسما حين فارقه الأهربا من المكروه ولا فارقه الآن وعاد اليه الا هربا من مثل ذلك وان الذي ياتمه منه ان ينفية من العمل ويصوره في نفسه وحاله ليلزم منزله

(١) هو الوزير وردت ترجمته في ارشاد الايب ٣ : ١٨٠

ويروح ويقعدو اليه فأجابه الى ذلك وسفر بينهما من الثقات الذين يجمعهم الدين من وثق له بجميع ما أراد فسكن اليه . واشتد الحصار على ديسم فلم تلمة في سور المدينة ليلًا وخرج منها هو وأصحابه الى أردبيل ولم يحسر المرزبان على اتباعه في الوقت خوفا من أن يطف عليه في صبا اليكم^(٧٠) ويخرج من ورائه أهل تبريز فتأخر عنه . وخرج اليه على بن جعفر فوفى له وأقام أهل تبريز على ممانته .

﴿ ذكر ما آل اليه أمر ديسم بعد حصوله بارد بل ﴾
لما عرف المرزبان حصول ديسم باردبيل تخلف على تبريز بعض جيشه وصار في معظم المسكر اليه واستدعى أخاء وهسوذان اليه في جماعة من أطاعه وجد في محاصرة ديسم . وكان ديسم استوزر بعد مفارقة على بن جعفر أبا عبدالله محمد بن أحمد النعمي فراسله المرزبان وتلف له ووعد ان يستوزره فاستجاب له وآثره على ديسم وواطأه على التدبير عليه .

﴿ ذكر حيلة النعمي على ديسم حتى فارق الحصار وخرج الى المرزبان ﴾
أخذ النعمي في المشورة على ديسم بأن ينفذ الى المرزبان وجوه أردبيل ليسألوه الصلح ويهادوه ويستوثقوا منه بالايان المؤكدة على ان يومئذ يدخل في طاعته وخوفه من طول الحصار واستيحاء أهل البلد وانهم سيواطئون المرزبان ويسلمونه بأن يفتحوا له الباب وأعلمه انه قد وقف من ذلك على أمر سيظهر له ان لم يبادر بالصلح . ونظر ديسم في أمره فوجد الصورة قريبة مما خوفه منه وذلك ان الحصار كان قد اشتد وانقطعت الميرة عنه^(٧١) وعن جنده وعن أهل البلد فالجميع في شدة والدمدمة كثيرة والناس مستوحشون

وهم على يأس من الصلاح وخوف من زيادة المكروه . وانفذ ديسم اليه وجوه
البلد وأعيانهم ومذكورهم ليتوثقوا له بالايان والمهود حتى يأنس بها ويخرج
اليه ففعل القوم ذلك وتوثقوا له نهاية التوثيق . وراسل أبو عبدالله النعمي
المرزبان بان يحبس هؤلاء الوجوه ولا يردهم الى البلد الا بعد خروج ديسم اليه
لئلا يتغير الامر أو يحدث ما ينقض رأيه ولان أهل البلد اذا حبس عنهم
وجوههم ورؤسائهم اجتمعوا عليه ولم يملوه وعرفوه انه قد أمن على نفسه
بالايان التي سألها وسكن الى ما بذل له وليس لتأخره عن الخروج وجه
ويشيد هو أيضاً كلامهم ويؤيده ولا يقنع منه الا بالخروج اليه في أسرع
وقت وأقربه . ففعل المرزبان ذلك واضطرب أهل البلد على ديسم لحصول
رؤسائهم في يد المرزبان فخرج اليه فلما آتاه خبره تلقاه وأكرمه وأعظمه
ووفى له بكل ما وافقه عليه وقلد أبا عبدالله النعمي وزارته وقبض على ابن
محمود وسلمه اليه فصادره وجميع أصحابه وصادر وجوه البلد واستخرج
أموالاً عظيمة . واستقامت أمور المرزبان وخطب له ^(٧٢) على جميع منابر
آذريجان .

فليتبر الناظر في هذا الكتاب هل آتي هؤلاء الملوك الا من سوء
تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفتقدها لذاتهم وشروعاتهم وإغنائهم
أمر أصحاب الاخبار وتركهم تعرف نيات وزراءهم وقوادهم وأمور عساكرهم
وتمويلهم على الاتفاقات والدول التي لا يوثق بها وقلة تصفحهم أحوال الملوك
قبلهم ممن استقامت أمورهم كيف كانت سيرتهم وكيف ضبطوا ممالكهم
ونيات أصحابهم بضروب الضبط أولاً بالدين الذي يحفظ نظامهم ويملك
سراثرهم ثم بأصحاب الاخبار الثقات والعيون المذكاة على مديري أمورهم

والتفقد لهم يوما يوما وحالا خالا وترك ايجاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراته والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء لسريته . وقد كان حُصفااء الملوك يخرجون من خزائهم الاموال العظيمة جسدًا الى أصحاب الاخبار ولا يستكثرونها في جنب ما ينتفعون به من جهاتهم

فاما ما انتهى اليه أمر ديسم فانه خاف بعد ذلك على نفسه وسأل الرزبان ان يخرج به الى قلعة بالطرم ليقام فيها مع أهله ويقبض على ارتقاع ضياعه وهو ثلاثون ألف دينار في السنة وهو دون ما كان يبذله الرزبان له ويتكلمه من مؤوته^(٧٢) فاجابه الى ذلك وحصل في القلعة مصونا في أهله ونفسه وضياعه

ودخلت سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة

وفيها وافى الامير أبو الحسين أحمد بن بويه الى عسكر أبي جعفر بازاء البصرة وأظهر ان السلطان كاتبه في حرب البريدى فاقام مدة يحاربهم ثم استأمن جماعة من قواده الى البريديين مثل روستاباش وغيره فاستوحش من المقام وعاد الى الاهواز بعد ان استأمن اليه جماعة من عسكر البريدى

وفيها زوج ناصر الدولة ابنته^(٧٣) من الامير أبي منصور ابن المتقى ووقع الاملاك والخطبة بحضرة المتقى ولم يحضر ناصر الدولة وجعل العمد الى أبي عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمى وكان الخاطب القاضي الخرقى فاجن في مواضع وجعل الصداق والنحلة واحداً وجعلها صداقا وكان الصداق بخمسمائة ألف درهم والنحلة مائة ألف دينار ولم يُحسن ان يعقد التزويج فعقده ابن أبي موسى

وفي رجب من هذه السنة عبر الوزير أبو اسحق القراريطى الى ناصر

الدولة على رسمه فقبض عليه وعلى جماعة معه فكانت مدّة وزارته ثمانية أشهر وستة عشر يوماً^(١) وجعل اسم الوزارة على أبي العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني وخلع عليه المتقي لله خلع الوزارة^(٢) في دار السلطان لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب وانصرف بها الى دار الامير ناصر الدولة فكان يابس القباء والسيف والمنطقة في أيام المواقب والمدير الامور أبو عبد الله الكوفي وصور القراريطي والكتاب والمتصرفون

وكان ناصر الدولة ينظر في قصص أصحاب الجنايات من السامة وفيما ينظر فيه صاحب الشرطة وتقام الحدود الواجبة عليهم من ضرب وقطع يد ورجل بمحضرة وتعرض عليه الايدي والارجل اذا قطعت وتعد بمحضرة ويستوفي الممدد عليهم لئلا يرتفق أصحاب الشرطة من الجناة ويطلقوا من غير علمه^(٣).

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : هو محمد بن أحمد بن ابراهيم ابن عبد المؤمن أبو اسحق الاسكافي الكاتب المعروف بالقراريطي الوزير كان كاتباً لـ محمد ابن رائق الامير ثم وزير ثم صار الى الشام وكتب لسيف الدولة ابن حمدان ثم قدم بغداد في وزارة المهدي فاكرمه ووصله وكان ظالماً عسوقاً توفي في المحرم وله ست وسبعون سنة (٢) وزاد صاحب التكملة : وصار عدل حاجب بحكم بعد الى ابن رائق وبعد الى ناصر الدولة نقله الرحبة واستولى عليها وكثر اتباعه . فانفذ ناصر الدولة بدر الخرشني لحربه فلما صار بدر بالدالية توقف عن السير الى عدل وكاتب الاخشيدي محمد بن طنج وهو بدمشق يستأذنه في السير اليه فاذن له وانفذ اليه القرب والجل والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده الاخشيدي المعاونة . وجعلت الرحبة وأعمال الفرات لعدل وطأه أبو علي التوبختي وحصل لعدل من المصادرات التي الف درهم فانتسعت يده وكثرت رجاله وأقبل الديلم والأتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات فخلع عليهم . وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه أراد المضي الى يانس المولسي بالركة فذمه عدل من ذلك فقال له سهلون : قد كثرت أتباعتك ولايني بمؤتسك مافي يديك وأنا أكتب عن ناصر

وكان معه توقيع من ناصر الدولة بخطه اليه يقول فيه : قد اتصل طمعك في وانبساطك علي وأنا محتمل وأنت مقترب وبلغني ادخالك يدك في وقف فلان ووالله لئن لم تخلصها وتقصير عن فملك المذموم لا قطعن يديك ورجليك . فزعم أبو عمرو والمسيحي انه قرأه وانحدر وذكر انه قال له قبل ذلك بايام : يا مسيحي أنت مجتهد في أن تجعل توزون أميراً وعلى رأسك تحنو التراب ان بلغ ما تؤمله له لم يرضك كاتباً لنفسه وطلب ابن شيرزاد أو مشله وشبهه فاستكتبه وأنف منك فصادرك

فتلا في سيف الدولة أبا عمرو^(٧٦) المسيحي وواراه وراسل توزون وسكنه . وكان سيف الدولة كثيراً يرهد الأتراك في العراق ويحملهم على قصد الشام معه والاستيلاء عليه وعلى مصر ويضرب بينهم وبين أخيه فكانوا يصدقونه في أخيه ويأتون عليه في البعد من العراق وكانوا يتسحبون على سيف الدولة ويطالبونه باستحقاقهم وينصون على ان يوفيههم يوم الستين من أيامهم استحقاقهم ويستصغرونه وأخاه . فلما وافى أبو عمرو والمسيحي قالوا له : نحتاج أن تحمل مال قائد قائد ورجاله وتوفينا ذلك بالقبان وزنة واحدة مالا مالا . فاجاب الى ذلك قطعاً للحجة وساموه ان يكون الوزن بالليل والنهار فصبر على ذلك كله وأذن فيه . وأخرج سيف الدولة أبا عبد الله السكوفي ليلا وضم اليه ابن عمه أبا وليد في جماعة من العرب وأصعد معه بنفسه اشفاقا عليه ثم وصي العرب حتى بلغوا به المدائن . فلما كان ليلة الاحد انسلخ شعبان كبس الأتراك سيف الدولة بالليل وهرب من معسكره وازم نهراً^(١) بقرب معسكره فاداه الى قرية تعرف بيرة وازم البرية حتى وافى

(١) وفي التكملة يقال له الجازور

بغداد . وأضرَم الأتراك النار في عسكره وقد كان بقي من المال المحمول اليه مع الكوفي من عند أخيه شيء لم يفرق فيهم فهبوه ونهب جميع سواده^(١) فهذا خبر سيف الدولة بواسط

فاما خبر ناصر الدولة ببغداد فان أبا عبد الله الكوفي وصل الى بغداد ولقي ناصر الدولة ووصف له الصورة فبرز ناصر الدولة الى باب الشماسية وركب اليه المتقي لله في دجلة يسئله التوقف عن الخروج من بغداد فعبر ناصر الدولة غلمانه الى الجانب الشرقي من بغداد وأكثر جيشه ليوم الأتراك أنه يعبر ويسير في الجانب الشرقي فلما حصل جيشه في الجانب الشرقي قطع الجسر . وسار ناصر الدولة في الجانب الغربي فنهبت داره وأفات يانس غلام البريدي وأبو الفتح ابن أبي طاهر من الحبس وعادا الى البصرة واستتر أبو عبد الله الكوفي^(٢) وخرج من بقي من الديلم ببغداد الى المصلي وعسكروا هناك وضبط الأتراك الذين كانوا ببغداد دار السلطان ورحل الديلم من المصلي ودبر الأمور بالحضرة أبو اسحق القراريطي من غير تسمية بوزارة وانهقدت الرئاسة بواسط لتوزون . فكانت مدة اماره ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام

﴿ ذكر ماجرى من أمر توزون بواسط مع الأتراك بعد ﴾
﴿ هزيمة سيف الدولة حتى تمت له الامارة ﴾

لما انصرف سيف الدولة من واسط على تلك الصورة وعاد توزون

(١) زاد صاحب التكملة : وابن مقاتل . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٠ انه مات في شعبان هذه السنة بمصر وهو متولى ديوان الخراج بها فوجدوا في داره ثلثمائة ألف دينار مدفونة . ولراجع كتاب الولاة لابي عمر الكندي ص ٢٩٤

وخرجنخج الى معسكرهما وقع الخلاف^(٧٨) بينهما وتنازعا الرئاسة ثم استقرت الحال على ان يكون توزون الامير وجيء بالأس والريحان اليه على رسم المعجم اذا ترأس واحد منهم وعلى ان يكون خججنج صاحب جيش وهو الاسفهنبلار وأمضى القواد ذلك عليهما بتفسير رضى جماعة ثم صاهر القواد بينهما وطمع البريدى بواسطة فاصمد اليها وتقدم توزون الى خججنج ان ينحدر الى نهر أبان ويراعى من يرد من أصحاب البريدى ويطلبه فنقد . ووافق عيسى بن نصر برسالة البريدى الى توزون يهته بالامارة ويسأله ان يضمه أعمال واسط ويعرفه عنه ان رأى تعجله الى الحضرة لخراج ابن حمدان عنها فاجابه جوابا جميلا وامتنع من التضمين وقال : اذا استقرت الامور نتخاطبنا في القمان فاما وأنا بصورتى هذه وأنت تظن انى مطلوب خائف من بني حمدان فلا وعسكرى عسكر بحكم الذى قد جرّبت وخبرت وطائفة منهم تقى بك . وانصرف عيسى بن نصر واتبعه توزون جاسوسا

﴿ ذكر سبب قبض توزون على خججنج وسمه اياه ﴾

فناد اليه الجاسوس وأعلمه انه اجتمع مع خججنج وتخاليا طويلا وان خججنج على الاستئمان الى البريدى . فسار اليه توزون لثانى عشر من رمضان ومعه مائة غلام من الأتراك^(٧٩) ومائة من الخاصة واشكورج وجماعة من الكبار وكبسه فى فراشه فلما أحس به ركب دابة النوبة بقميصه وفى يده ات ودفع عن نفسه سويمة ثم أخذوه وجاؤا به الى واسط وسمه توزون^(٨٠) وهدأت نار خججنج

وسمى أبو الحسين على بن محمد بن مقلة فى الوزارة وراسل المتقى لله

(١) زاد صاحب التكملة : فى دار عبد الله بن بونس .

واستصلح قبل ذلك الترجمان وضمن له مالا فبعث المتقى اليه : انى راغب
فيك مائل اليك محبٌ لتقليدك ولكن ليس يجوز ان أبتدي بذكرك
فاصلح أمرك مع الترجمان وقل له يسيبك مع جماعة فاني أختارك من بينهم .
فعمل ذلك ولقى المتقى لله وقلده وزارته وانصرف الى منزله
وورد الخبر بنزول سيف الدولة المروفة

(ذكر الخبر عن مصير سيف الدولة الى بغداد بعد)

(هزيمته وما انتهت اليه حالته)

لما بلغ سيف الدولة خلاف توزون وخججج بواسط طمع في بغداد
فوافى المروفة وظهر المستترون من أصحابه من الجند وخرجوا اليه . وانحدر
أبو عمرو المسيحي كاتب توزون الى واسط مستترا هاربا الى صاحبه وانحدر
أيضا الترجمان . وأرجف الناس بالحدار المتقى واضطرب الناس وأصبحوا على
خوف شديد فامر المتقى لله بالنسداء براءة الذمة ممن أرجف بالحدار^(٨٠)
وجاء سيف الدولة في يوم الاثنين لاربعم عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
الى باب حرب فنزل في المضارب وعليه وعلى أصحابه أثر الضر الشديد لما
لحقهم في البرية وخرج اليه أصحابه ومن يريد الاثبات وجرت بينه وبين
المتقى لله رسائل على يد أبي زكرياه السوسى وطالب بان يحمل اليه مال
ووعده ان يقاتل توزون ان ورد الحضرة . فحمل اليه المتقى أربعمائة ألف
درهم في دفعات وانضم اليه كل من بقى بالحضرة من القواد وما زال يقول
في مجلسه : ما أنصفنا أبو الوفاء توزون حيث كبسنا في الليل ونحن نيام والا
فليحضر نهرا ونحن مستيقظون . ونحو هذا من الكلام .

وخلع المتقى لله على الوزير أبي الحسين بن مقيلة يوم السبت لاثني

عشر بقيت من شهر رمضان

ولما بلغ توزون وصول سيف الدولة الى بغداد خلف بواسط كيغلف في ثلاثمائة غلام وأصعد مبادرا من واسط الى بغداد ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاده رحل من باب حرب مع من انضم اليه من قواد الحضرة وفيهم أبو علي الحسن بن هرون ومضى على وجهه . ودخل محمد بن ينال الترجمان آذنا لتوزون الى بغداد لست بقين من شهر رمضان ودخل توزون من الهند ونزل دار مونس^(١) وأنتم البريدي بعد توزون من واسط فوافاهما اثلاث بقين من شهر رمضان فهب وأحرق واحتوى على الغلات وأخذ جميعها . وتبض توزون على أبي عمرو المسيحي كاتبه وقتل كتابته أبا جعفر الكرخي وسليم أبو اسحق القراريطي الى الوزير أبي الحسين ابن مقلة فصادره

﴿ ذكر الخبر عن تقليد توزون امرة الامراء ﴾

لما حصل توزون ببغداد خلع المتقى عليه وعقد له لواء وقلده أمرة الامراء . وصار أبو جعفر الكرخي كاتب توزون ينظر في الامور كما كان الكوفي ينظر فيها فاما الكوفي فانه لحق بسيف الدولة وهرب معه . فكان مدة نظر الوزير أبي الحسين ابن مقلة في الامور الى ان ينظر فيها أبو جعفر الكرخي نحو شهر وقد كان كيغلف لما استخلفه توزون بواسط أمره بقتال أبي الحسين البريدي فمجز عنه فاصعد الى بغداد . ولم يمكن توزون المبادرة بالرجوع الى واسط الى ان تستقر الامور بالحضرة وتجهز جميع ما يحتاج اليه فاقام مدة شوال وأكثر ذى القعدة الى ان توطأت الامور واستقامت .

وكان وقت هزيمة سيف الدولة من واسط أسر غلاما له يقال له نعل

(١) زدنا « مونس » من التسمية

عزيزا على سيف الدولة فاطمة ووهبه لسيف الدولة وأكرمه وأنفذه اليه^(٨٢) في هذا الوقت لما حصل ببغداد لحسن موقع ذلك منه ومن ناصر الدولة حتى قال بالموصل : توزون صديقتي وقد قلده الحاضرة واستخلفته بها . فسكنت نفس توزون الى ذلك

وكان مغيظا على البريدي ليقبح معاملته به فانحدر توزون الى واسط وخلف الترجمان ببغداد^(١) وتقدم الى أبي جعفر السكري ان يلحق به وضمن ضياعه أبا الحسين ابن مقله برغبة منه اليه بمائة وثلاثين ألف دينار في السنة . ووافي في هذا الوقت أبو جعفر بن شيرزاد الى توزون هاربا من البريدي فتلقاه توزون في دجلة وسر به وقال له : يا أبا جعفر كملت أمارتي بك وتمت النعمة عندي لاجلك أنت أبي وهذا خاتمي (فنزعه من يده وأعطاه اليه) فديرني وصرفني على رأيك . فقبل أبو جعفر يده وسأله ان يمهله فلم يجبه وكان أبو الحسن الاسمر واقفا وجماعة فقال الاسمر : بالله ياسيدي أجب الامير وتصدق بصدقة وانظر في أمره ! فقبل ونظر في أمره وأنفذ طازاد ابن عيسى آخر ذلك اليوم الى الحاضرة لخلافته . فكان مدة كتابة أبي جعفر السكري ونظره نيفا وعشرين يوما

﴿ ذكر سبب مفارقة ابن شيرزاد البريدي ﴾

﴿ والاتفاق الغريب له في ذلك ﴾

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وخطب ابن مقله كتابة توزون لعمه أبي عبد الله (يعني الحسن بن علي بن مقله وترجمته في ارشاد الارب ٣ : ١٥٠) وأنفذه اليه هدية منها عشرون ثوبا ديتميا وعشرون رداء قصب وطيبا وذلك بعد ان استكتب توزون القراريطي وصرف التويجتي فلم يجب توزون الى ذلك وقال : لا يحسن بي صرفه بعد ثلاثة أيام من استخدامي له .

كان يوسف بن وجيه صاحب عمان وافي (في) ذى الحجة في مراكب
وشذات يُريد البصرة يحارب بني البريدي^(٨٣) وكان معه من محارب بقوارير
النار فأحرق شذاتهم وزبازبهم فلك الابلّة وضغظهم فهرب في تلك الوهلة
أبو جعفر ابن شيرزاد ومعه طازاذ وغيره . فاما سبب هزيمة يوسف بن
وجيه بعد تمكنه فسنذكره .

(ذكر حيلة تمت على يوسف بن وجيه)

كان قد استظهر استظهارا شديدا وقارب ان يملك البصرة وكان مع
البريدي ملاح يعرف بالزيادي فلما ضغظ يوسف بن وجيه البريديين
وأشرفوا على الهلاك قال هذا الملاح : ان انا هزمت العدو وأحرقت
مراكبه ما تصنع بي ؟ فوعده الاحسان اليه ان فعل ذلك ولم يعرفه الملاح
ما يريد ان يعمل وكنتم أمره ومضى فاخذ بالنهار زورقين وليس يعلم أحد
لماذا يريد هما ولم يأخذ معه أحدا من أسباب البريدي ومضى فلما الزورقين
سعدفا (ومثل هذا لا يذكر بالبصرة) وحدهما في أول الليل (ومثل ذلك
البصرة كثير لا يستراب به) وكان رسم مراكب ابن وجيه ان تُشدّ بمضها
الى بعض بالليل في عرض دجلة فيصير كالجسر فلما كان في الليل ونام الناس
وكان من في المراكب أشعل ذلك الملاح السعف وأرسل الزورقين والنار
فيهما فوقما على تلك المراكب والشذات فاشتعلت واحترقت قلوبها
وتقطعت واحترق^(٨٤) من فيها ونهب الناس منها مالا عظيما . وانقلم يوسف
ابن وجيه ومضى هاربا على وجهه وانكشف وجه البريدي ووفى للملاح
بما وعده .

(وفيها استوحش المتقى من توزون)

﴿ ذكر السبب في الوحشة بين توزون والمتقى ﴾

﴿ وما آل اليه الامر فيه ﴾

كان الترجمان قد نفر من توزون اشيء بلغه عنه وكان أبو الحسين ابن مقلة خائفا من توزون لانه خسر في مال ضمانه وأشفق أن يطالبه به ويهلكه ؟ وزاد في نفوره تقلد أبي جعفر ابن شيرزاد كتبه توزون . وما شك أحد ان أبا جعفر ابن شيرزاد وافى عن موافقة البريدى قطارت نفس ابن مقلة خوفا من ابن شيرزاد وان يطالبه بمال ضمانه واقطاع توزون وخاف الترجمان وغيره وساءت الظنون . وغلب القنوط على الكافة من أهل الحضرة فوقع التدبير بين أبي الحسين ابن مقلة وبين الترجمان على مكاتبة ناصر الدولة في انفاذ من يُشيع المتقى ويخرجه اليه وقيل للمتقى : ثبت للبريدى بالامس فجرى ما ندمت عليه وأخذ منك خمسمائة الف دينار وخرجت الى ناصر الدولة في دفعته الثانية فاظفرك الله وعدت موفورا وقد ضمنك بخمسمائة الف دينار أخرى وقال لتوزون « هي باقية في يدك من تركة بجكم » وهذا ابن شيرزاد وارد لتسليمك بعد خليك . فانزعج واعتبر بما مضى على ^(٨٥) مستأنف أمره وأصعد بعد ذلك أبو جعفر ابن شيرزاد الى الحضرة في ثلاثمائة غلام

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد بخراسان وانتصاب نوح ابنه مكانه

(ودخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة)

ووافى أبو جعفر ابن شيرزاد الخمس بقين من المحرم فدخل بغداد فلم يشك المتقى لله والجماعة في انه انما وافى لما أرجف به ولقى المتقى لله في اليوم الذي وصل الى بغداد فيه وحمل الوزير أبو الحسين والترجمان المتقى لله على القبض عليه فلم يفعل . وبادر أبو جعفر بالانصراف وأمر ونهى وأطلق

القراريطي من الاعتقال ونظر فيما كان ينظر فيه الوزير

ووافي أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فنزل باب حرب في جيش كثير فخرج اليه المتقي لله وحرمه والوزير أبو الحسين ابن مقلة والترجمان^(١) واستتر ابن شيرزاد وخرج وجوه أهل الحضرة وكتائبها . فلما بلغ المتقي تكريت ظهر ابن شيرزاد وطالب الناس وخطبهم

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش وبلغ توزون وهو بواسط ماجرى بالحضرة من خروج المتقي والوزير من بغداد فجرد موسى ابن نسيان في ألف رجل وبادر به الى بغداد . وامتد موسى الى باب الشماسية وعسكر^(٢) هناك وأقام توزون حتى عقد واسطا على البريدي ثم أصعد ودخل بغداد وقلد الشرطة غلامه صافيا . وانحدر ناصر الدولة ومعه الجيش^(٣) ووصل الى تكريت فلقاه الخليفة وسار توزون الى عكبرا وعبر من الجانب الشرقي الى قصر الجص بسر من رأى . وصاعد المتقي لله الى الموصل ومعه أبو الحسين الوزير وأبو اسحق القراريطي وأبو زكريا السومى وسار سيف الدولة للقاء توزون فاشتبكت الحرب بينهما أسفل من تكريت بفرسخين وناصر الدولة بتكريت فدامت الحرب بين سيف الدولة وتوزون يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فلما كان يوم الخميس انهزم سيف الدولة . وأصعد معه ناصر الدولة ونهب الاعراب بعض سوادهما وملك توزون وشعب أصحاب توزون فانحدر الى بغداد . وتأهب سيف

(١) زاد صاحب النكلة : وسلامة الطولوني وأبو زكريا السومى وأبو محمد المادرائي والقراريطي وأبو عبد الله الموسوى وغيرهم (٢) وفي النكلة : انه انحدر في بني نمير وبني كلاب وبني أسد .

الدولة للقاء توزون ثانية فأنحدر الى تكريت وخرج توزون الى باب
الشماسية ثم سار الى ناحية أخرى^(١) وواقعه هناك فانهزم سيف الدولة وتبعه
توزون . فلما وصل سيف الدولة الى الموصل سار منها وسار ناصر الدولة
والتقى والوزير وسائر من معهم الى نصيبين ودخل توزون الموصل ومعه
ابن شيرزاد وأبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي واستخرج^(٨٧) ابن شيرزاد
من الموصل نحو مائة ألف دينار

ورحل المتقى وحرّمه ومن معه من نصيبين الى الرقة ولحق بهم سيف
الدولة وقد كان توزون عند خروجه من بغداد زوج ابنته من أبي عبد الله
البريدي وعقد الإيماء بالشماسية وأنفذ المتقى لله أبا زكرياء السوسي الى
توزون في رسالة يقول فيها : اني استوحشت منك لاجل البريديين اقبح
ما يفعلونه دفعة بعد دفعة وأبلغت انكما اجتمعتما وصرتما يداً واحدة فخرجت
من الحضرة والآن فقد مضى ما مضى فان آثرت رضائي فصالح ناصر الدولة
وارجع الى الحضرة فاني اذا رأيتك مطيعاً لي عدت واستقامت لك الامور بي
وبرضائي وكان الله عونك . قال أبو زكرياء : فلما وردت حضرة توزون اتهمني
وتم بقتلي فخلصني ابن شيرزاد وقل : أيها الامير أنا والله سألت أبا زكرياء
الخروج مع الخليفة اليه الينا وايسكون خليفتنا بحضرتي فان كان متهما فانا
متهم . ثم أديت الرسالة فتقبلها ابن شيرزاد وأشار على توزون بالاجابة
وسفرت في الصلح الى ان تم^(٢) وصح لابي جعفر ابن شيرزاد قبل الصلح

(١) وهي « جربي » كذا في النسخة (٢) قال فيه صاحب النسخة : فقال

ابن سعيد : يا امير المؤمنين اني أخافه على نفسي . فقال : اذا قصدت الصلاح كفيت .
فقلت له : فان لم يتم الصلح أعود الي وطني . قال : قد أذنت لك . فقلت يده . فلما جئت

وبعده زيادة على مائتي الف دينار . وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين كل سنة بثلاثة آلاف الف وستمائة الف درهم^(٨٨) وانصرف توزون الى بغداد وتواترت الاخبار بنزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسطاً وكان على وعد من البريديين بمسكرو الماء فاخلفوه وانحدر اليه توزون محارباً له والتقى في الموضع المعروف بقباب حميد وطالت الحرب بينهما بضعة عشر يوماً على اجتهاد شديد بين الفريقين الا أن توزون كان يتأخر كل يوم ويتقدم الدليم على سبيل الزحف وعلى عادتهم في مثل ذلك وكثر القتلى من الجانبين الى ان عبر توزون نهر دبالى يحصل في الجانب الذي يلي بغداد وقطع جسوراً كان عقدها عليه . فلما صار بينهما النهر ثبت الاتراك وكان مع توزون زبازب وخيل في الماء فيها غلمان رماة فكانوا يستولون في كل يوم على قطعة من خزائن أحمد بن بويه وزواريق عسكره ثم يحولون بين العسكر وبين الماء فيعطشونهم ودوابهم فرأى من الدولة ان يصعد على دبالى الى نحو جسر النهر وان ليعد عن دجلة ويقرب من الماء ويحتال الديرة فقد كانت ضاقت عليه وأحس توزون بذلك

﴿ ذكر حيلة تمت على معز الدولة حتى انهزم بعد انتظاره ﴾

وعبر توزون بخمسمائة من الاتراك مع تسكين الشيرزادى والف فارس من العرب فيهم ابراهيم المطوق وقطينه وأمثالهم من حيث^(٨٩) لم

الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي فقلت : أيها الامير قد كنت أسفر بينك وبين ابن رائق وهل عرفتني الامستقيا ؟ قال : صدقت . فقلت : انا رجل سنى وأرى طاعة الخليفة وخرجت معه احتساباً لا أطلب الدنيا وقد أنقذنى رسولا وأنتم أولادى وريثكم وأرى الصلح . وأشار عليه ابن شيرزاد بذلك ووردت الاخبار بمجيء معز الدولة الى واسط فاجب توزون انعام الصلح وحصل لابن شيرزاد الخ

يشعر بهم معز الدولة فلما سار وسار سواده في أثره خرج عليهم القوم فقالوا
بينه وبين السواد ووقفوا في العسكر على غير آمية . وتعجل توزون فعبر
بجناحة من أصحابه سباحة ولم يزل يقتل ويأسر حتى ملّ . وأفلت معز الدولة
مع الصيمري^(١) ونفر يسير معه بأسوأ حال وحصل بالسوس واجتمع اليه
نفر من الفلّ بعد أيام وعاد توزون الى بغداد

وفي صفر من هذه السنة ظهر لصّ يقال له ابن حمدي وكان أنعمي
السلطان فخلع عليه ابن شيرزاد وأثبتته برسم الجند ووافقه على ان يصحح في
كل شهر خمسة عشر ألف دينار مما يسرقه وأصحابه وأخذ خطه بها فكان
يُسْتَوْفَى منها ويأخذ البرآت وروزات الجيذ بما يؤدّيه أولاً أولاً
وفي هذه السنة قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف

(ذكر السبب في قتل البريدي أخاه وما جرى)

(بعد قتله اياه وعاقبة أمره)

كان أبو عبد الله البريدي لما حاصره سيف الدولة أيام مقامه بواسط احد
عشر شهراً ثم توزون بعده ضاقت به الامور فاضطربت رجاله وعملوا على
الاستئمان الى أبي يوسف أخيه ليساره . واستقرض من أبي يوسف قرصاً
بعد قرص فكان يعطيه النزر اليسير وذكر تخلفه^(١) وتضييمه وأنه
بالاقبال تمّ له ما تمّ لا لتدبير ثم تدهى ذلك فصار يذكر جنونه وعجلته .
وصح عند أبي عبد الله ان أبا يوسف يريد القبض عليه واعتقاله لان يجري

(١) زاد صاحب التكملة : وأخذ في جملتهم ابن الاطروش المعروف بالداعي

العلوي (والاطروش هو أبو محمد الحسن بن علي الحسيني من ولد عمر الاشرف) وأبو
بكر ابن قرابة وكان قد وافي مع الديلم فعودر على عشرين ألف دينار

عليه جناية على نعم فاستوحش كل واحد منهما من صاحبه
فخفى اسرائيل الجهمذ وكان خصيصا بابي عبدالله انه استدعا وشكا
اليه حاله في الاضافة ثم قال : قم الى أبي يوسف أخى (وأوما الى درج بين
يديه وفتح فيه حب لؤلؤ وياقوت أحمر وأزرق يهر الناظرين) وقال :
احمل هذا اليه وسله ان يقرض عليه عشرة آلاف دينار . وكان مافى الدرج
قد وهبه بحكم لابنته سارة التى تزوج بها وكان يحكم أخذه من دار الخليفة
فأخذه أبو عبد الله منها قال اسرائيل : فمضيت الى أبي يوسف وحدثته
بجميع ما خاطبني به أخوه وأخرجت الدرج اليه فقال لى : يا أبا الطيب من
سوء تحصيله يرى ولو مدت دجلة مالا لبدده هذا رجل حصل له من
واسط فى كراته التى تولاهما ثمانية آلاف الف دينار أما وحب ان يستظروا
بالف ألف دينار . فقلت : ياسيدي ومن أولى به منك على تصرف كل حال ؟
فتفضل بما طلب . فقال : انى قد أعطيته الى هذا الوقت ومنذ انصرف من
واسط . خمسين الف دينار وما تلتى عينه ابعث الى الجوهرين^(١) واحضروهم
حتى يقوموا هذا الجوهر وأعطيه قيمته . فوجه اليهم وحضروا وأخرجه
اليهم فقالوا : لا قيمة له تُحدّث واذا حضر ملك يرغب بحكم صاحبه ولو انتهى
فى السوم الى أقصى غاية . فاشتط وقال : يا جهال من لكم انى مروان
الاموى (فانه كان راغبا فى الجوهر وحضر للابتياح) أو خمارويه بن أحمد
وابن الجصاص ؟ قوموه بما اذا طالبكم به بكرة صحتهموه العصر .
فقوموه خمسة آلاف دينار فقال : اعطوني خطوطكم بها . فتبثروا ثم ردوها
الى خمسين الف درهم وضمنوها فقال : هذا أعطيك . فقلت : ياسيدي
اجعلها خمسة آلاف دينار . فقال : قم ودع فى القيمة فضلا لطلبه فانه سيعاود

ويطلب . فانصرفت بخمسين الف درهم الى أبي عبد الله وحديثه الحديث فقال : لا اله الا الله قل له : يا أبا يوسف جنوني الذي ذكرته وقلة تحصيلي أتمدك هذا المقعد وصيرك كقارون : ثم عدّ ما عمله معه ودعت عينه وتبين الشرف في وجهه . فلما كان بعد أيام نحو العشرة أقام غلمانه وفيهم يانس واقبال وريب وملاح يانس في مخترق قد سقّف بين باب داره (وكانت دار فضلان الساجي) بالابلّة وبين الشط . فتسكّن له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين وما زال يصيح « بأخي قتلوني قتلوني » وأبو عبد الله^(١٢) يقول « الى لعنة الله » فخرج أبو الحسين أخوه وكان ينزل في جواره الى روشن دجلة وقال : يا أخي قتلته ! فقال : يا فاعل خربت اسكت والا الحقة شك به . فجمع أبو الحسين نفسه وشغب الجند وظنوه حياً فنبشوا وظهره لهم فسكنوا ثم أعاده الى قبره

وانتقل الى الدار بمساران فساعة فملكها طلب الجوهر فأحضره قال اسرايل : دخلت اليه فقال لما رأيته : يا غلام هات الدرج . فأحضره اياه فقال لي : يا أبا الطيب أخذنا المال والجوهر ومضى الفاعل بن الفاعل الى لعنة الله . ثم أودع أبو عبد الله هذا الجوهر ابنة أبا القاسم سرّاً وأمره أن يستره فلما توفي أبو عبد الله وملك الامر بعده أخوه أبو الحسين طلب هذا الجوهر طلباً شديداً فلم يجد له أثراً وقيل « أودعه من لا يعرف » ولما خرج ابنة الى هجر أخذته معه فسأله الهجريون ان يريهم اياه ففعل ذلك ووهب لهم منه حبة واحدة فلما حضر مدينة السلام في أيام أبي الحسين معز الدولة طلبه منه ليراه فأحضره عنده ووسط أبا محمد عبد الله بن يحيى ليتاعه منه فامتنع من بيعه ثم رأى الوجه في يعبه فاستجاب فقوّم بما قومه تجار البصرة فقال أبو

مخلد : حط منه ثمن الحبة التي أخذها المجرىون . فأعطى ثلاثة آلاف دينار عن قيمة خمسة^(١٣) وأربعين ألف درهم وأحاله بذلك على كار الثمر واستوفاه

وكان أبو عبد الله البريدى يتهم أبا الحسن ابن أسد بالتضريب بينه وبين أخيه وقيل له : ان عنده ستة عشر ألف ألف درهم . فلما ملك الأمير أخرج اليه دفتر فيه ثبت ودائع أبي يوسف بخطه فلم يجد فيه وديعة عند أحد الا ما عند ابن أسد فطالبه بها وبسط منه وأقره على ما كان يتولاه . فمضى الى منزله وحمل اليه ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ولم يظهر له وعرفه انه لا وجه للباقي وان أخاه حصل عليه ذلك من عجز بعد عجز لحقه في مدة سنة معه وأخذ خطه بها انها وديعة له عنده . وكان في أسفل الثبت الذي وجد له عمل الكل سنة عملا بالضممان وما صح منه بالامانة وما تحصل من العجز الذي أخذ خطه به وجمع ذلك وكان بازاء العجز وهو ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف درهم . فقامت قيامة أبي عبد الله وقال : دم أخى فى رقبة ابن أسد فانى قتله طمعا فى المال . فمضى ولم يصل اليه ثم آمنه فظاهر وقام بحجته شفاها وذكرا ان له بقايا هذه السنة فى النواحي زيادة على أربعة آلاف ألف وله أصحاب منهم أبو الملاء صاعد بن ثابت وأبوه وأخوه وأبو على الانبارى وقد هرب فتوسط أمره القاضي أبو الحسين بن نصر^(١٤) وصح لابی عبد الله من جميع الوجود على أحوال قبيحة مع الالهي الآلف والخمسمائة الآلف الدرهم الموجودة عشرة آلاف ألف درهم وتاه الباقي وذهبت نفيس أبي يوسف

وفى قبض أبو العباس اشكورج الديلى وكان توزون قلده الشرطة

يغداد على ابن حمدي اللص^(١) وضرب وسطه فخفف مكروه اللصوص
عن الناس وانقطع شرهم بعد ان تحارس الناس بالليل بالبوقات وامتنع عنهم
النوم خوفا من كبساته .

وفيها ورد الخبر بدخول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه واسط وانحدر
من كان بها من أصحاب البريدي الى البصرة

وفيها صار محمد بن ينال الترجمان الى سيف الدولة وهو بالرتة فمات به
سيف الدولة على أشياء بلقته عنه وكان اتهم بأنه عقد الرئاسة لنفسه على المعجم
وواطأ المتقي لله على الايقاع بسيف الدولة فجحد محمد بن ينال ذلك فلما خرج
من حضرته بعد العتاب وثب به غلمان سيف الدولة بسيوفهم فقتلوه .

وفيها ورد الخبر بموت سليمان بن الحسن أبي طاهر القرمطي وانه جدير
ومات وصار الامر لاخوته بعده

﴿ ذكر الخبر عن الاصبهاني الذي احتال لقتل ﴾

﴿ القرامطة بايديهم حتى كاد يفتنهم ﴾

كان ابن سنبر يمادي المعروف بابي حفص الشريك فاحتال في حياة
أبي طاهر بان أحضر رجلاً^(١) من أهل اصبهان فكشف له أسراراً كان
أبو سعيد الجنابي كشفها له في حياته ولم يكشفها لغيره وعرفه . ووضح دقائمه
له لم يعلم بها غيره ولم يعلم أبو طاهر ان أباه أبا سعيد كشف ذلك لابن سنبر
فقال ابن سنبر لهذا الرجل الاصبهاني : امض الى أبي طاهر وعرفه انك
الرجل الذي كان أبوه وهو يدعوان اليه فاذا هو سألک عن العلامات

(١) وردت حكاية ناجر مع ابن حمدي هذا في كتاب الفرج بعد الشدة

٢: ١٠٨ وفيه يقال له « ابن حمدون » : وهذا هو غلط .

والدليل أظهرت له هذه الأسرار . وشرط ابن سنبر على هذا الأصهباني أن يكون إذا تمكن من الأمر قتل أبا حفص الشريك ، فضمن له الأصهباني ذلك فضى إلى أبي طاهر وأعطاه العلامات وحدثه بالأسرار فلم يشك في صحة تلك العلامات فوثب أبو طاهر وقام بين يديه وسلم الأمر إليه وقال لأصحابه : هذا هو الذي كنت أدعوكم إليه والأمر له . فتمكن الرجل من الأمر وثبت ووفى بما كان ضمنه لابن سنبر وقتل أبا حفص الشريك . ثم كان يأمر أبا طاهر وأخوته بقتل من يشاء ويقول « قد مرض » يعني أنه قد شك في الدين فيقتل وأخذ يقتل واحداً واحداً من رؤساء القوم وأهل البصائر منهم والنجدة وأمره بمقتل مطاع لا يخالف إلى أن أتى على عدد كثير منهم . وكان إذا أمر الرجل أن يقتل أخاه أو أباه أو ابنه لم يتوقف وبادر إلى امتثال أمره فخافه أبو طاهر ^(٩٦) وبلغه أنه عمل على قتله فقال لأخوته : قد وقع على غلط وشبهة في أمر هذا الرجل وليس هو صاحب الأمر الذي يعرف ضمائر القلوب ولا تخفي عليه الأسرار ويمكنه أن يُريء المريض ويعمل كل ما يريد . وجاءوا إلى الرجل فعرفوه أن والدتهم عليه وسلمألوه أن يدخل إليها ونوموا والدتهم على فراش وغطوها بازار فدخل إليها فلما رآها قال لهم : هذه علة لا يبرأ صاحبها فطهروها (معناه اقتلواها) . فلما قال لهم ذلك قالوا لا مهم : اجلسي . فجلست وقالوا : إنها لقي عافية وأنت كذاب . فقتلوه .

وكان لهم سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر وكان أبو طاهر له اخوان أبو القاسم سعيد بن الحسن وأبو العباس الفضل بن الحسن ولهم أخ آخر لا يدخل معهم في أمورهم يقال له أبو يعقوب اسحق مُقبل على الشرب

والقصف وأمر الثلاثة واحد وكلهم واحدة لا يخالفون فكانوا إذا أرادوا عقد أمراً أو ورد عليهم أمرٌ ركبوا أو أصبحوا وانفقوا على ما يملكون ولا يطعمون أحداً على أمرهم فإذا انصرفوا أمضوا ما اتفقوا عليه^(١)

(١) وأما أبو طاهر القرمطي فليراجع ما في تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٢ : هذا تمة أخبار أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ذكرها المصنف في غير موضعه وأمر ان تلحق هنا فالحق هنا حسب مرسومه قال : كان أبوه يحبه ويرجحه للامر بعده وأوصي « ان حدث بي موت فالامر الى أبي سعيد الى ان يكبر أبو طاهر فيعيد أبو سعيد اليه الامر » وكان أبو سعيد قد عا ومرد وأخاف العباد وهزم الجيوش . وكان قد أسر فيمن أسر خادما فحسنت منزلته عنده حتى صار على طعامة وشرا به وكان الخادم ينطوى على اسلام فلم ير أباً سعيد يصلي صلاة ولا صام شهر رمضان فأنضه وأضر قتله . فخلاه وقد دخل حماما في الدار ووثب عليه فذبحه ثم خرج ودعا بعض قواد أبي سعيد فقال له : كام أبا سعيد . فلما حصل ذبحه ثم استدعى آخر ففعل به كذلك حتى فعل ذلك بجماعة من الكبار وكان شجاعا قويا جدا . ثم استدعى في الآخر رجلا فدخل في أول الحمام فاذا الدماء تجري فادبر مسرعا وصاح فتجمع الناس . وقد مر ذلك في سنة ٣٠٨ وأخذ سعيد ذلك الخادم ففرض عليه بالمقاريض الى ان مات .

فلما كان في سنة ٣٠٥ سلم سعيد الامر الى أخيه أبي طاهر فاستجاب لابن طاهر خاقا واقتتوا به بسبب أنه دهم على كنوز كان والده أطعمه عليها وحده فوقع لهم أنه علم شيئا وتخبر موضعا من الصحراء وقال : أريد ان أحفر ههنا عينا . فقبل له : هنا لا ينبع ماء فخالقهم وحفر فنبع الماء فازدادت فتنتهم به ثم استباح البصرة وأخذ المسيحيين وفعل العظائم وأرعب الخلق وكثرت جموده ونزل له الخليفة . وزعم بعض أصحابه أنه إله ومنهم من زعم أنه المسيح ومنهم من قال « هو نبي » وقيل « هو المهدي » وقيل « هو المنهد للمهدي » وقد هزم جيوش الخليفة المقتدر غير مرة ثم أنه قصد بغداد ليأخذها فدفع الله شره وقد قتل بحرم الله تعالى مقتلة عظيمة لم يبق مثلها قط في الحرم وأخذ الحجر الأسود . ثم لم يمض به الله بعد ذلك فلما أشفى على الناف سلم مملكته الى أبي الفضل ابن زكريا المجوسي المعجبي .

قال محمد بن علي بن رزام الكوفي : قال لي ابن حمدان الطيب : أقت بالقطيف

وفي هذه السنة مات أبو عبد الله البريدي بحمد حادثة مكث فيها سبعة أيام فكان بين قتله أخاهُ أبا يوسف وبين موته ثمانية أشهر وثلاثة أيام فتبارك الله رب العالمين .^(٩٧) فتحدث أبو القاسم ابن أبي عبد الله البريدي بعد زوال أمره ومصيره الى بغداد ان أباه لما مات بالبصرة انتصب أخوه

أعاج مريضاً فقال لي رجل : أنظر ما يقول الناس يقولون ان ربهم قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون الى ان أتينا دار أبي طاهر سليمان القرمطي فاذا بعلام حسن الوجه درى اللون خفيف الارضين له نحو عشرين سنة وعليه عمامة صفراء تعميم المعجم وعليه ثوب أصفر وفي وسطه منديل وهو راكب فرسا شهباء اسمه أبو الفضل المجوسي والناس قيام وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله فصاح أبو طاهر بأعلا صوته : يا معشر الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أبو طاهر سليمان بن الحسن اعلّموا انا كنا واياكم حير وقد من الله علينا بهذا (وأشار الى الفلام) هذا ربى وربكم والهى والمهكم وكانا عباده والامر اية وهو يلبسنا كلها . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رؤسهم ثم قال أبو طاهر : اعلّموا يا معشر الناس ان الدين قد ظهر وهو دين أينما آدم وكل دين كنا عليه فهو باطل وجميع ما توصلت به الدعاة اليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد أمّا الدين دين آدم الاول وعوّلاه كلهم دجالون محتالون فالعنوهم . فلمنهم اناس وكان أبو الفضل المجوسى (يعنى الفلام الامرء) قد سن لهم اللواط ونكاح الاخوات وأمره بقتل الامرء الممتنع وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عرافة به ويقولون « الهنا عز وجل »

قال ابن حمدان الطيب : أدخلت على أبي الفضل فوجدت بين يديه أطباقاً عليها رؤس جماعة فسجدت له كما دتّم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر فقال لابی طاهر : ان الملوك لم نزل تعد الرؤس فى خزائنها فسلوم (وأشار الى) كيف الحيلة فى بقائها بغير تغيير . فسألني أبو طاهر فقلت : الهنا أعلم ويلم ان هذا الامر ما علمته ولكن أقول على التقدير ان جملة الانسان اذا مات يحتاج الى كذا وكذا صبر وكافور والرأس جزء من الانسان فيؤخذ بحسابه . فقال أبو الفضل : ما أحسن ما قال : قال ابن حمدان : وما زلت اسمع الناس تلك الايام يلعنون ابراهيم وموسى ومحمداً وعلياً وأولاده ورأيت المصنف يجمع به الغائط .

أبو الحسين مكانه . وكان لأبي عبد الله عسكر مقيم بنهر الأمير بازاء الأمير أبي الحسين أحمد بن بويه وعسكر آخر بمطارا وكان ديلم أبي عبد الله مضمومين الى يانس غلامه وكانوا يميلون اليه وكان بين يانس وبين أبي الحسين مباينة في الباطن وعداوة ولما تمكن أبو الحسين من الرئاسة أخذ

وقال أبو الفضل لكتابه ابن سنبر : آكتب كتابا الى الخليفة فصل لهم على محمد وكل لهم من جراب النورة . قال ابن سنبر والله ما تنبسط يدى لذلك . وكان لأبي طاهر أخت فاقضها أبو الفضل وذبح ابنها لها في حجزها وقتل زوجها ثم عزم على قتل أبي طاهر . فبلغ ذلك أبا طاهر فاجمع رأيه ورأى ابن سنبر ووالدة أبي طاهر على ان يمتحنوها ويقتلوه فأتاه فقال : يا لهذا ان فرجة أم أبي طاهر قد ماتت وتشتهى ان تمضر لشق جوفها ونحشوه جبرا . (وكان قد شرع لهم ذلك) ففضى معها فوجد فرجة مسجاة قامر بشق بطنها فقال أبو طاهر : يا الهى أشتهى ان تحيها لى . قال : ما تستحق فانها كافرة . فعادته صرارا فاستراب وأحسن بتغييرها عليه فقال : لا تمجلا على ودعاني أخدم دوايكما الى ان يأتى أبى فاني سرقت منه العلامة فيرى في رأيه . فقال له ابن سنبر : ويالك هتكت استارنا وحريننا وكشفت أمرنا ونحن نرتب هذه الدعوة في ستين سنة لا يعلم مانحن فيه فانت لو رأك أبوك على هذه الحالة لقتلك قم يا أبا طاهر فاقتله . قال : أخشى ان يمسخني . فقام اليه سعيد أخو أبي طاهر فقتله وأخرج كبده فأكانه أخت أبي طاهر . ثم جمع ابن سنبر الناس وذكر حقه فيهم لأنه كان شيخهم وقال لهم : ان هذا الغلام ورد بكذب سرقه من معدن حق وعلامة موه بها فاطمناه لذلك وانا وجدنا فوقه غلاما ينسجه فقتلته . وقد كنا نسمع أنه لابد للؤمنين من فتنة عظيمة يظهر بعدها الحق وهذه هي فارجموا عن نكاح المحرمات واطفؤا بيوت النيران واتركوا اتخاذ العلمان وعظموا الانبياء عليهم السلام . فضج الناس بالصياح وقالوا « كل يوم تقولون لنا قولا » فانفق أبو طاهر أموالا كان جمعها أبو الفضل في أعيان الناس فسكنوا .

قل ابن حمدان الطيب : وبعد قتل أبي الفضل انصلت بخدمة أبي طاهر فاخرج الى يوما الحجر الاسود وقال : هذا الذى كان المسلمون يعبدون . قلت : ما كانوا يعبدون . فقال : بلى . قتلت : أنت أعلم . وأخرجه الى يوما وهو ملفوف بتياب ديقى وقد طيه بالمسك فمرقنا انه معظم له . ثم انه جرت بين أبي طاهر وبين المسلمين حروب

في الاستطالة على الديلم والأتراك ويستخف بهم فنفرت قلوبهم منه . وأحسن يانس بذلك فمضى الى أبي القاسم مولاه وابن مولاه أبي عبد الله فقال له : ان كان عندك مالٌ أصلحت لك قلوب الرجال وعمدت لك الرئاسة . فاعترف له أبو القاسم ان عنده ثلاثمائة الف دينار فاصح له قلوب الديلم والرجال وواطأهم على الايقاع بابي الحسين وعقد الرئاسة لابي القاسم وضمن لهم عنه الاحسان . فسار الجيش الذي كان ينهر الامير الى مسماران وكان أبو الحسين بها فكبسوه وهونأثم فخرج من تحت الكيلة ومضى ماشيا متكررا الى الجعفرية وكاتب المجري يستجير بهم وقصدهم فقبلوه أحسن قبول وسألهم ان يعاونوه على الرجوع الى البصرة وردة الى أمره فضمنوا له ذلك وأقام عندهم^(٩٨) نحو الشهر وتقررت الرئاسة بالبصرة لابي القاسم ابن أبي عبد الله . ثم سار أبو الحسين من هجر ومعه من اخوة أبي طاهر اثنان وصاروا الى سور البصرة فوجدوا أبا القاسم قد حفظه بالرجال واحترس منه

وأور وضمف جانبه فقتل من أصحابه في تلك الوقعات خاق وقلوا فطلبوا من المسلمين الامان على أن يرد الحجر الاسود وان لا يترض للحجاج أبدا وان يأخذ على كل حاج دينارا ويخفرهم فطابت قلوب الناس وحججوا آمنين وحصل له أضاف ما كان ينتهبه من الحاج . وقد كان هذا الملعون بلاه عظيما على الاسام وأهله وطالت أيامه ومنهم من يقول انه هلك عقب اخذه الحجر الاسود والظاهر خلاف ذلك . فلما ضمف أمر الامة ووهت أركان الدولة العباسية وتغلبت القرامطة والمبندعه على الاقاليم قويت همة صاحب الاندلس الامير عبد الرحمن بن محمد الاموي المرواني فقال « أنا أولى الناس بالخلافة » وتسمى بامير المؤمنين وكان خليفا بذلك فانه صاحب غزو وجهاد وهيبة زائدة استولى على أكثر الاندلس ودانت له أقطار الجزيرة .

اتهى ما الحقه المؤلف بخطه من أخبار أبي طاهر القرمطي في غير موضعه فالحقته هنا . ولا قوة الا بالله في كتابه مثل هذا . ونسأل الله العفو والسلامة

فلم تسكن لهم حيلة في الوصول الى البلد وطال مقامهم فضجر الهجريون
وكاتبوا ابا القاسم وسفروا بينه وبين عمه في الصلح وسألوه ان يؤمنه ويأذن
له في الدخول الى البصرة واحتاط أبو القاسم في أمره الى أن تاهب واختار
الشخص الى بغداد فأذن له وأطلقه فخرج وصار الى مدينة السلام
ثم طمع يانس في الرئاسة وازالة أبي القاسم عنها فواطأ روستاباش فلما
انقعد الامر بينهما تحرك روستاباش والديلم واجتمعوا في دار روستاباش .
وآثر روستاباش الايقاع بيانس والتفرد بالرئاسة فلما خرج يانس من عنده
أتبعه بمن يُوقع به فتحرك يانس ورماه الديلمى بزوبين ووقع في ظهره
وهرب وصار الى خراب بقرب دار أبي القاسم ولم يعرف له أحدٌ خبراً وكان
ليلاً وسار روستاباش الى دار لشكرستان وكان نقيب الديلم والمدير ليانس .
وكان قد جزع أبو القاسم لما عرف الخبر وهم بالجلوس في طياره ^(١١)
والخروج عن داره فلما عرف لشكرستان ان روستاباش قد أوقع يانس
وعزم على التفرد بالرئاسة لم يطمسه وصاح الديلم وزبرهم فتفرقوا ومضى
بعضهم في الوقت معتذرا وهرب روستاباش بالليل عند تفرق الناس عنه
واستتر واصبح أبو القاسم وقد استقام أمره . وعرف خبر يانس لحمله الى
داره مكرماً ووجد روستاباش فنفاه الى حيدة وعولج يانس الى ان برأ وأبو
القاسم متهم له فلما كان بعد أيام قبض عليه وعلى اشكرستان وصادر يانساً على
مائة الف دينار ثم نفاه الى عُمان فلما حصل على الحديدى لينزل به خرج اليه
بعض غلمان أبي القاسم فقتله وقتل لشكرستان وتمكن أبو القاسم من الرئاسة .
وفيها عرض لتوزون يوما وهو جالس للسلام والناس وقوف بين يديه
صرخ فوثب ابن شيرزاد وموسى بن سليمان ومدّا في وجهه رداءً كان على

رأس موسى وحجزوا بينه وبين الناس لئلا يروه على تلك الصورة وصُرف
الناس وقيل لهم ان الامير قد نار المرار به من خمار لحة .

وفي هذه السنة خرج عسكر الامة المعروفة بالروس الى آذربيجان
وهددوا برذعة وملكوها وسبوا أهلها^(١)

﴿ شرح أخبار الروسية وما آل اليه أمرهم ﴾

هؤلاء أمة عظيمة لهم خاق عظام ولهم باس شديد لا يعرفون الهزيمة
ولا يولي الرجل منهم حتى يقتل أو يقتل . ومن عادة الواحد منهم أن يحمل
آلة السلاح ويعلق على نفسه أكثر آلات الصنّاع من الفاس والمنشار
والطرقة وما أشبهها ويقاتل بالحربة والترس ويتقلد السيف ويعلق عليه
عمودا وآلة كالدشني ويقاتلون رجالة لاسيما هؤلاء الواردين . وذلك انهم
ركبوا البحر الذي يلي بلادهم وقطعوه الى نهر عظيم يعرف بالكُرّ يحمل
من جبال آذربيجان وأرمينية ويصب الى البحر وهو نهر برذعة الذي
يشبهونه بدجلة . فلما وصلوا الى الكُرّ توجه اليهم صاحب المرزبان^(٢)

وخليفته على برذعة وكان معه ثلاثمائة رجل من الديلم ونحو من عددهم
صعاليق وأكراد واستنفر العامة فخرج معه من المطوعة نحو خمسة آلاف
رجل لجهاد هؤلاء وكانوا مغترين لا يعرفون شدتهم وحسبوا انهم يجرون
بحري الارمن والروم . فلما صافوهم الحرب لم تكن الا ساعة حتى همت
الروسية حملة منكرة فهزموا العسكر ووات المطوعة بأسرهم وسائر العسكر
الا الديلم فانهم ثبتوا ساعة فقتلوا كلهم^(٣) الا من كان بينهم فارسا واتبعوا
الفل الى البلد فهرب كل من كان له مركوب بجملته من الجنود والرعية

(١) وفي التسمية هو « المرزبان بن محمد » يعني ابن محمد بن مسافر

وتركوا البلد، فنزلته الروسية وملاكوه.

فحدثني أبو العباس ابن نُدَّار وجماعة من المحصلين ان القوم بادروا الى البلد ونادوا فيه وسكنوا الناس وقالوا لهم : لا منازعة بيننا وبينكم في الدين وانما نطلب الملكَ وعلينا ان نُحسن السيرة وعايكم حُسن الطاعة . ووافقهم العساكر من كل ناحية فكانوا يخرجون اليهم ويهزمونهم وكان أهل برذعة يخرجون معهم فاذا حملوا عليهم المسلمون كبروا ورجعوا بهم بالحجارة فكانت الروسية تتقدم اليهم بان يضبطوا أنفسهم ولا يدخلوا بين الساطان وبينهم فيقبل أهل السلاوة منهم خاصة فاما العامة ومُعظم الرعايا فكانوا لا يضبطون أنفسهم ويظهرون ما في نفوسهم ويتمرضون لهم اذا حمل عليهم أصحاب الساطان . فلما طال ذلك عليهم نادى مناديتهم بالا يُقيم في البلد أحد من أهله وأجلوهم ثلاثة أيام من يوم نداءهم فخرج كل من كان له ظاهر يحمله ويحمل حُرمةً وولدهُ وهم نفر يسير وجاء اليوم الرابع والاكثر مقيمون فوضعت الروسية فيهم سيوفهم فقتلوا خلقاً عظيماً لا يحصى عددهم وأسروا بعد القتل بضعة عشر الف رجل وغلام^(١٠٢) مع حرمهم ونسائهم وبناتهم وجعلوا النساء والصبيان في حصن داخل المدينة وهي شہرستان القوم وكانوا نزلوه وعسكروا به وتحصنوا فيه . ثم جمعوا الرجال الى المسجد الجامع ووكلوا بابوايه وقالوا لهم « اشترُوا أنفسكم »

﴿ ذكر تدبير صواب أشار به بعضهم فلم يقبلوا منه حتى ﴾

﴿ قتلوا باجمعهم واستبيحت أموالهم وذراريهم ﴾

كان بالبلد كاتب نصراني له رأى سديد يعرف بابن سعمون وكان يسمى في السفارة بينهم ووافق الروسية ان يُبتاع كل رجل منهم لعشرين

درهما فتأبمه على ذلك عقلاء المسلمين وخالفه الباقون وقالوا : انما يريد ابن سمعون ان ياجت المسلمون بالنصارى في أداء الجزية . فامسك ابن سمعون وتوقف الروسية عن قتل الرجال طمعاً في هذا القدر اليسير ان يحصل لهم من جهتهم فلما لم يحصل لهم شيء وضعوا فيهم السيوف فقتلوه عن آخرهم الا عدداً يسيراً أخرجوا في قناة ضيقة كانت تحمل الماء الى المسجد الجامع والا من افتنى نفسه بذخيرة كانت له . فربما وافق الواحد من المسلمين الروسي على مال يقتنى به نفسه فحضر معه الى منزله أو حانوته فاذا استخرج ذخيرته وكانت زائدة على مال موافقة لا يمكن صاحبها منها وان كانت (١٠٣) أضماً فامضاعفة عليه وعطف بالمطالبة حتى يجتاحه فاذا علم انه لم يبق له عين ولا ورق ولا جوهر ولا فرش ولا كسوة أفرج عنه وأعطاه طيناً مختوماً يأمن به من غيره فاجتمع لهم من البلد شيء عظيم يحل قدره ويمظم خطره وكانوا قد حازوا النساء والصبيان فقجروا بهن وبهم واستعبدوهم .

فلما عظمت المصيبة وتسامع المسلمون في البلدان بخبرهم تنادوا بالنفير وجمع المرزبان بن محمد عسكره واستنذر الناس وأتاه المطوعة من كل ناحية فسار في ثلاثين ألف رجل فلم يقاوم الروسية مع إجماع هذه العدة ولا أمكنه أن يؤثر فيهم أرا فكان يناديهم القتال ويرأوهم وينقلب عنهم مفصولاً واتصت الحرب بينهم على هذه الصورة أباناً كثيرة فكانت الدبرة أبداً على المسلمين . فلما أعيا المسلمين أمرهم ورأى المرزبان الصورة التجأ الى الحيلة والمكيدة واتفق له ان الروسية لما حصلوا بالمراغة تبسطوا في الناكهة وهناك أنواع كثيرة منها فرضوا ووقع فيهم الوباء لان بلادهم شديدة البرد ولا يثبت فيها شجر وانما يحمل اليهم الشيء اليسير من البلاد

الشاسعة عنهم . فلما تحقق عددهم وفكر المرزبان في الحيلة وقع له أن يكمن لهم ليلاً وواطأ عـكره^(١٠٤) أن يُبادروا الحرب فاذا حمل عليهم القوم انهزم هو وانهزموا معه وأطعمهم بذلك في العسكر والمسلمين فاذا تجاوزوا موضع الكمين عطف المرزبان ورجاله عليهم وصاحوا بالكمينين بشمار اتفقوا عليه فاذا حمل الروسية في الوسط تمكنوا منهم . فلما أصبحوا على هذه الكيدة تقدم المرزبان وأصحابه وبرز الروسية وأميرهم راكب حمار وخرج رجاله واصطفوا للحرب فجروا على عاداتهم وانهزم المرزبان والمسلمون واتهم الروسية حتى تجاوزوا موضع الكمين واستمر الناس على هزيمتهم . فحكى المرزبان بمد ذلك انه لما رأى الناس كذلك وصاح بهم واجتهد بهم ان يراجعوا الحرب فلم يفعلوا لما تمكن في قلوبهم من هيتهم علم انه ان استمر الناس على هزيمتهم عاد القوم فلم يخف عليهم موضع الكمين ويكون ذلك هلاكهم قال : فرجعت وحدي مع من تبعني من أخى وخاصتى وغلمانى ووضعيت في نفسى الشهادة فحينئذ استحيأ أكثر الديلم فرجعوا وكررنا عليهم وناديناهم « الكمين » فخرجوا من ورائهم فصدقناهم الحرب وقتلنا منهم سبعائة نفس فيهم أميرهم وحصل الباقون في الحصن الذي كانوا فيه من البلد وقد كانوا نقلوا اليه غلات كثيرة^(١٠٥) وميراً عظيمة وحصلوا فيه السبي والاموال . فبينما المرزبان في منازلهم وهو لا يتقدر لهم على حيلة سوى المصاهرة اذ ورد عليه الخبر بدخول أبي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان آذربيجان وانتهائه الى سلماش واجتماعه مع جعفر بن شـكـرويه الكردي في جماهير الهداينية^(١) واضطر الى أن خلف على حرب الروسية

(١) وفي الاصل (الهداينية) والصواب فيما بعد وهم صنف من الاكراد

أحمد بن قواد في خمسمائة من الديلم والاب وخمسمائة فارس من الاكراد
والذين من المطوعة وسار الى اوران ولقي ابا عبد الله فاقتل قتالا خفيفا
وسقطت ثلجة عظيمة واضطرب اصحاب ابي عبد الله لان معظمهم اعراب
وساروا عنه فسار بسيرهم الى بعض المدن الحصينة فلقية في طريقه كتاب
من ابن عمه ناصر الدولة يُعلمه فيه وفاة توزون بمدينة السلام واستثمان رجاله
اليه وانه قد عمل على الانحدار معهم الى بغداد ومحاربة مصر الدولة لانه كان
دخلها فاستولى عليها بعد اصابه توزون عنها ويأمره بالتخليه عن أعمال
آذربيجان والانكفاء اليه فعمل .

فلما نزل اصحاب المرزبان عن قتال الروسية وحصارهم الى ان ضجروا
واففق ان زاد الوباء عليهم فكان اذا مات الرجل منهم دفنوا معه سلاحه^(١٠٦)
وثيابه وآلته وزوجته أو غيرها من النساء وغلالمه ان كان يحبه على سنة لهم
فاستشار المسلمون بعد زوال أمرهم مقابرهم فاستخرجوا منها سيوفاً يتنافس
فيها الى اليوم لمضائها وجردتها . فلما قل عدددهم خرجوا ليلا من الحصن
الذي كانوا فيه وحملوا على ظهورهم كل ما أمكنهم من المال والجواهر
والثياب الفاخرة وأحرقوا الباقي وساقوا من النساء والصبيان والصبايا
ما شاؤوا ومضوا الى السكر وكانت السفن التي خرجوا فيها من بلادهم معدة
فيها مع ملاحهم وثلاثمائة رجل من الروسية كانوا يمدونهم باقساطهم من
غنائمهم فجلوا فيها ومضوا وكفى الله المسلمين أمرهم

فسمعت ممن شاهد هؤلاء الروسية حكايات عجيبة من شدتهم وقلة
مبالاتهم بمن يجتمع عليهم من المسلمين فمن ذلك خبر شاع في الناحية وسمعت
من غير واحد ان خمسة نفر من الروسية اجتمعوا في بستان برذعة وفيهم

غلام أمرد وضى الوجه من أولاد رؤسائهم وممهم نسوة من السبي وان
المسلمين لما عرفوا خبرهم أحاطوا بابستان واجتمع عدد كثير من الديلم
وغيرهم على حرب أولئك النفر الخمسة واجتهدوا في ان يحصل لهم أسير واحد
فلم يكن اليه سبيل لانه كان لا يستسلم أحد منهم ولم يمكن^(١٠٧) قتلهم حتى قتلوا
من المسلمين أضغاثا كثيرة لمدتهم وكان ذلك الامر آخر من بقي فلما علم
انه يؤخذ أسيرا صعد شجرة كانت بالقرب منه ولم يزل يجرح نفسه بخنجر
معه في مقاتله الى ان سقط ميتا .

وفي هذه السنة ظهر للمتقى من بنى حمدان ضجرت به وبغائه عندهم
وشهوة لفارقتهم فراسل توزون في الصالح فتلقى توزون ذلك بنهاية الرغبة
فيه والحرص عليه ووردت رسالة المتقى لله الى توزون مع الحسن بن هرون
وأبي عبد الله بن أبي موسى الهاشمي وتوثقا من توزون واستحفاه ايمانا
وكدة للمتقى وللوزير أبي الحسين ابن مقلة وأحضر توزون القضاة
والمدول والعباسيين والطلبين ومشايخ الكتاب حتى حلف بمحضرتهم
للمتقى لله وكتب بذلك كتاباً وأحكم ووقت فيه الشهادة من جميع من
حضر على توزون .

﴿ ودخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ﴾

ولما كان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وصل
الآخشيدي الى حضرة المتقى لله وهو بالرقعة ولقيه بها وأعظمه المتقى بنهاية
الاعظام ووقف الآخشيدي بين يديه وقوف العلمان وفي وسطه سلاح ثم
ركب المتقى وثى بين يديه الآخشيدي فأمره ان يركب فلم يفعل^(١٠٨) ولم يزل

على تلك الحال مختطاً بالغلمان الى ان نزل من ركوبه^(١) وحمل اليه هدايا ومالا وحمل الى أبي الحسين ابن مثلة عشرين الف دينار ولم يدع كاتباً ولا حاجباً الأبرء . واجتهد بالمتقى لله ان يسير معه الى مصر والشام فيكون بين يديه فلم يجبه الى ذلك وأشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل فلما امتنع عليه من الامرين عدل الى الوزير أبي الحسين وأشار عليه بان يسير معه الى مصر وضمن له إنفاذ أمره وترك الاعتراض عليه في شيء يدبره فخالقه . وكان أبو الحسين بعد ذلك يظهر التندم ويقول « نصحتني الاخشيدي فلم أقبل » وكانت دنائير الاخشيدي في صندوق أبي الحسين الى ان انتهت لما قبض على المتقى لله^(٢)

(١) وقال ابن العديم في تاريخه زبدة الحلب : وكتب الاخشيدي في هذه السفارة الى عبده كافور الخادم الى مصر وقال له : وما يجب ان تقف عليه أطال الله بقاءك ان لغيت أمير المؤمنين بشاطئ الفرات فاكرمني وكناني وقال : كيف أنت يا أبا بكر أعزك الله فرحاً بأنه كناه والخليفة لا يكنى أحداً (٢) وفي خلع المتقى لله قال صاحب كتاب العيون : قال أبو محمد الفرغاني . فحدثني ذكا مولى الرازي قال : فلما بلغ المتقى الى الرحبة أقام بها أياماً الى أن هل هلال صفر ثم انحدرنا الى عانة فاستقبلنا الحسين بن المرزبان وهو رجل كان من خزان بيت المال فلقى المتقى فسأله عن أخبار توزون والمعجم وما في نفوسهم وما ظهر له من عزمهم في أمره فذكر عنهم طاعة وموالة وسرورا بقدوم السلطان قال ذكا : وكان الحسين هذا أحد من اصطنعتهم فخلوت به وقلت : عرفني ما في اعتقاد القوم للسلطان . فذكر انه يدخل الى دار توزون ويفتش عن سرائرهم فلم يتبين منهم شيئاً يكرهه قال ذكا : وكان الامر كما ذكرته لم يظهر منهم ذلك ولا كان لهم عزم عليه الى ان قربنا فسمي في القمعة من أفسدها والسبب في ذلك ان حسن الشيرازية لما ابنة متروجة بابي أحمد الشيرازي وكانت حسن هذه وابنتها امرأتني سوء مشهورتين بشرب البئذ والفاحشة وكانت تدخل الى عبد الله بن المكتفي وتمضي الى جماعة من المعجم بحال قبيحة وكانت تستيخص رجلاً منهم يعرف بابن مالك الديلمي

ولما توثق المتقي لله من توزون انحدر من الرقة يريد بغداد في الفرات
ومعه غلامان من غلمان الاخشيدي ومحمد بن فيروز ونقط فلما وصل الى هيت

انظف الوجه وكان له عند توزون موضع ومحل وكان ابو عبدالله بن سليمان يكتب لذلك
الديلمي فكانت اذا جاءت اليه تطيل عنده وتكثر السرار معه فقال ابن سليمان للديلمي :
أراك تطيل سرار هذه المرأة فاكشف لي الحال فانك لن تجد مساعدة مثلي . فقال
الديلمي : هذه المرأة تزعم ان هاهنا رجلا يقال له عبد الله بن المكنتي يلتزم الخلافه
ويضمن انه يحمل الى توزون اذا قبض على المتقي سمانه ألف دينار على انه يعلم المتقي
وحاشيته وانه يضمن ان يجلبني حاجتي وسألني ان أكون سفيرا بينه وبين توزون . فقال
ابن سليمان : أنا أحكم لك هذه القصة واباغ من توزون كلما تحبه بعد ان تضمن
لي ان تستكتبني ولا تزياني أنت عن خدمتك . فضمن الديلمي لابن سليمان ما شرطه
واجتمع الديلمي وابن سليمان عند دكلا وكان دكلا متمكنا من توزون يقبل مشوره
ويأخذ برأيه وكشفا لدكلا الحال وسألاه ان يدخل معهم فاعتق القضية وأوصلهما الى
توزون وسألهما عليه أن يقبل قولهما فيما سميا له وان يقبض على المتقي عند وروده فلما
وقف ترزون على ذلك أكبره وقال : كيف يجوز ان أقبل هذا وقد عاقدنا وأشهدت على
نقبي سائر الناس واشهر هذا عني في البلدان ؟ فقال له : ياسيدنا هؤلاء بني العباس فيهم
قلة الوفاء وقد استوحش هذا الرجل وليس والله تأمن مكره فينبغي أن تعمل الحيلة عليه
قبل ان يحنان عليك وتقبل ما أشار به عبدالله بن المكنتي وتأخذ منه هذا المال الذي قد
بذله فهو أصلح لك من خدمة رجل لا تأمنه على نفسك (قال ذكا) : وكان توزون
حدث السن فلم يزالوا به حتى أفسدوا زيمته ثم شرطوا عليه ان لا يعرف كاتبه ابن شيرزاد
ما وافقوه عليه وقالوا : ما تأمن أن يشير عليك بضد ما قد أشرنا خبثا منه وليله الى المتقي
ولا تأمن أن ينفذ الى المتقي من يذره فيفلت من يدك . فسمع هذا توزون وكتبه عن
ابن شيرزاد .

وأراد توزون الاجتماع مع عبد الله بن المكنتي وكره ان يحضره اليه فيشيع خبره
فعمل على الاصعاد اليه الى دار ابن طاهر وأمر أن لا يظهر أحد في دجلة ولا في المدينة
بعد العشاء الاخرة لئلا يلقاه أحد فيقف على قصده وكان يصعد في زرب ومعه دكلا
وابن مالك وابن سليمان فيسيرون الى جزيرة بازاء دار ابن طاهر ويخرج عبد الله بن
المكنتي وينزل اليهم ويتحالفون ويسعدون الرأي والتدبير على المتقي ويضمن عبد الله بن

أقام بها وأنفذ القاضي الخرقى وابن شيرزاد حتى جددا على توزون الايمان واليهود والمواثيق وأكرم المتقى لله توزون وأقبله المظفر وعاد القاضي الى

المكتبة لتوزون المسال . وكان يبلغ ابن شيرزاد فيظن ان هذا كله تدبير عليه ولما وافى المتقى الى هيت أنفذ القاضي الخرقى وأبا القاسم سلامة أخا نوح الطولوني الى تورون ليشاهد حاله ويكشف عما في نفسه فوصلا الى بغداد ولما توزون فاطهر لهما سرورا بقرب السلطان وانحدر معهما الى دار فدخاها وأمر بتدبير موضع من القصر وأمر باصلاح ما تشعبت من الدار وانصرف الى داره ورد بها الى المتقى . وتقدم الى ابن شيرزاد بالخروج الى الانبار ليلقى المتقى وجرد قطعة من المعجم وخرج توزون فاقام على البقي على موضع بالسندية على ست فراسخ من بغداد . وأقام المتقى بهت ستة أيام الى ان وافاه رسوله بخلاهما وسألها عما شاهداه من توزون فوصفا عنه كل جميل وعرفاه انه يجتهد في عمارة الدار وكان يثق بالقاضي الخرقى ثقة تامة فسكن الى ذلك (قال ذكا) : فلما وقف على ذلك رسل من هيت ورحلنا معه فوافينا الانبار ولفيه بها ابن شيرزاد فترجل وقبل الارض بين يديه وأمره بالركوب فركب . وأخذ يمشي به عن اخبار توزون وهو يحسن له حسن طاعته وخالوص موالاه وشدة سروره وابتهاجه بقدوم مولاه (قال) وبتنا بالانبار ثم رحلنا من الغد نريد بغداد وأخذنا على الطريق الاوسط الى ان قربنا من السندية وقد كان قدم له مضربا الى السندية فضرب له بازاء مضرب توزون فلما قرب من السندية وأبطأ عن تلقيه توزون عجب من ذلك وانينا من عرفنا ان توزون أخذ على طريق الفرات وقد را ان السلطان يرافى على شط الفرات ولم يكن الامر كما حكاه وأما هو مضى ليخرج وراء المتقى فيتوكل به وبجميع أسبابه ولا يفوته منهم أحد . وقال ابن شيرزاد وقد كان مع المتقى : تأذن مولانا أمضى اليه فاعرفه ان مولانا قد أخذ هذا الطريق ليأحق به ؟ فقال له : افعل . فمضى وعاد الى جانيه رفيع في وسطه سدره فوقف تحت ظلها ووقفنا بين يديه نحو خمسين غلاما وسبق كل من كان مع السلطان الى المضرب ونزلوا فلم يزل المتقى واقفا ونحن معه حتى لاح لنا غيرة من ورائنا فعلمنا انها موكب توزون وأقبل يسير حتى دنا منا فقال لابنه أبي منصور : امض أنت ومعك الغلمان حتى تستقبله . فمضى (قال ذكا) وكنت معه فلما قربنا منه استقبلنا ابن خاقان ووجع منا حتى وصلنا اليه وهو سائر على تعبى بالسلاح والمدة فسلم على أبي منصور ابن الخليفة وهو راكب ولم يوفه حقبة كما يجب من الترحيل فانكرنا ما رأينا منه (قال ذكا)

هيت وعرف المتقي انه قد أحكم الامر مع توزون . وخرج توزون لليلة بقيت من صفر الى البثق الذي كان بالسندية ونزل الوزير أبو الحسين على

وسمت أنا عليه وكانت بيني وبينه أحوال وكيدة وكان اذا أراني بشر بي فساد على السلام ولارد على أحد وقد كان بلغنا انه عليل ففدونا انه اضعف ناله من العلة وسبقناه الى المتقي وجئت فوقفت بين يديه فلما وافى توزون سمعت المتقي يقول : اذا كان هؤلاء على هذه الصورة على غير حرب فكيف يكونون في الحرب ؟ ثم قال لا ، خاقان : اخرج حتى توصله الي راكبا . فخرج من الحائط وأوصله اليه بعد ان أوما ان ينزل خارج الحائط ودارت ديانة توزون حول الموضع الذي كان المتقي فيه واقفا وكذلك فرسانه وترجل هو وجماعة من القواد وتقدم الى المتقي قبل الارض ثم قبل يده ورجله وتبسم المتقي اليه وأظهر سرورا به ثم قال : الحمد لله الذي جمع بيننا يا أبا الوفاء وأزال ما كان في القلوب . فقال بالفارسية : الساعة تبصر مولاي أي خدمة أخدمه . ثم قال له المتقي : اركب يا أبا الوفاء فليس يحتمل الوقوف . فركب وسار المتقي وتأخر عو عنا وقام على تل ونحن لانعلم ما يريد وما يراد منا وقد كان المتقي آخر حرمة والخدم خلفه لئلا تقع عليهم عيون المعجم فوجه اليهم توزون بقرامطة كانوا معه فوكل بكل من كان وراءنا من الخدم والحرم وغيرهم وسار هو من ورائنا . فوجه اليه المتقي بعبد الواحد بن عثمان الشراي : قد ركبت عمارة وأنت عليل فبحياني الا ركب أنت أيضا عمارية . فقال للرسول : ما أقدر على ركوب العمارة أسأل الله أن يطيل بقاء مولانا . فلما قربنا من مضرب السلطان سمعنا صوت الدبادب على باب المضرب ووجه توزون جماعة من الديلم يتوكلون بالمتقي فداروا حوله وأخذوا ببنان البغل يقودونه ويسرون سيرا حثيثا . وقد كان قبل التوكل به وجه توزون بالحسين بن هرون يسأل المتقي ان ينزل في مضرب توزون فراسله : ان معنا حرما وليس يصلح ان ينزلوا الا في مضربنا . وانما أراد توزون ان يوكل به وجميع حاشيته فلا يفلت منهم أحد . ثم وجه باسكورج الديلمي الى المتقي فوكاه به فوافي اسكورج وفي يده حربة فسار قدام المتقي (قال ذلك) ونحن نقدر انما يعملون هذا خدمة له واكراما لحقه ثم لم يملك المتقي من أمره شيئا وأقذني الى ابن شيرزاد فتمعه توزون من ذلك وانهرني فرجعت اليه وقد أحاطت به الديلم وهم يستلون سجع الكنيسة ويكلمونه بما لا يفهمه الا انه شتم فقال : يا ذكاستعجل محمد بن يحيى (يعني ابن شيرزاد) وهو يقوم ويقعد في الكنيسة : فرجعت الى توزون فسألته ان يوجه بابي جعفر الى المتقي فصاح علي وعلى

شاطيء الفرات وبين توزون والمتقى^(١٠٩) نحو فرسخ فلما هم بالانحدار استقبله توزون وترجل له وقبل الارض بين يديه ووكل به وبالوزير وبالجماعة وأنزل بهم في مضرب نفسه مع حرم المتقى لله وارتجت الدنيا بسمله وحكى ثابت ان توزون سمله محضرة قهرمانة المستكشف بالله . وانحدر توزون من الغد وفي قبضه الجماعة فكانت مدة وزارة أبي الحسين ابن مقله سنة واحدة وخمسة أشهر واثني عشر يوما .

هو ذكر السبب في القبض على المتقى وخلافة المستكشف بالله
قال ثابت . . حدثني أبو المباس التميمي الرازي وكييله قال وكان

ابن شبرزاد ومنعه فميت ان يوقع بي اعظم ماشاهدت من أمره ثم رجعت الى المتقى وهو لا يملك أمره . وارتفعت غيرة عذيمة واشتغل كل واحد منا بنفسه وحرنا مضرب المتقى وانقطع عنا صوت الدباب ووقعنا بين خيم المعجم وتوجهت الى خيمة أبي عمران اصفهسار مستجيرا به فنزلت في خيمته وأغار المعجم على الناس فسلم كل من كان معنا حتى ما أفلت واحد بثوب ولا دابة وأدخل المتقى موكلا به الى مضرب توزون وقبض على خرمه وأسبابه وسلب المعجم بعضهم بعضا اعظم القصة

(قال ذكرا) ووافوا بابي الحسين ابن مقله الى الخيمة التي كنت فيها ثم وافوا بالماضي الخرفي فخرعت حزنا شديدا وخشيت من القتل ثم جاؤا بابي الحسن فحرر غلام الاخشيدي وعليه سيفه ومنطقته فاطمأنت نفسي قليلا وعلمت اننا اقمنا في الغلط وبقي فخر مستجبا لما نزل بالمتقى وقال : يا قوم كذا يجري على الخلفاء ! فقلت : لانعجب من هؤلاء الملامين فانهم لو قدروا على أكثر من هذا لفعلوا . ولما حصل المتقى في أيديهم بعد ان قبضوا على جميع من قدروا عليه من أسبابه وقبض على أمه ووزيره ابن مقله والخرفي ومشر ورانق الخادمين اعتقلوا في حجرة بازاء السندية

واجتمعوا على كعله فحضرت حسن الشيرازية وهما غلام لها سندى فزوت كعله يد غلامها السندى وذلك يوم السبت لثلاث ليال بقيت من صفر من السنة المفيد ذكرها ولم يزل المتقى باقيا الى أن توفي في خلافة المطيع في شعبان سنة ٣٥٠ وله ستون سنة

خصيصا بتوزون مستوليا عليه قال : كنت أنا السبب فيما جرى على المتقى
وذلك ان ابراهيم بن الربيع الديلمي لقيني يوماً وسألني ان اصير الى دعوته
فاستأذنت توزون في ذلك فأذن لي فيه ومضيت اليه وهو ينزل في دار
القراريطى على دجلة فوجدت داره مفروشة منضدة فسأله عن السبب في
ذلك وقلت : أحسبك قد تزوجت . فقال : اما احذثك عن امرى اعلم انى
خطبت الى قوم وتجمعت عندهم بان ادعيت انى محلاً من الامير واختصاصاً
به فقالت لي المرأة : اذا كنت بهذه المنزلة فهل لك ان تسفر في شىء يجمع
صلاح الامير وصلاحك وصلاح المسلمين ؟ فقلت لها : نعم . قالت : هذا^(١١٠)
الخليفة (يعنى المتقى لله) قد عاداكم وعاديتوه وكاشفكم وكاشفتوه وليس
يجوز ان تصفوا نيتهم لكم آخر الدهر وقد اجتهد في بواركم فلم يتم له فرقة
بينى حمدان ومرتة بينى بويه وهامنا رجل من ولد الخلافة من فهمه وعقله
ودينه ورجلته كيت وكيت تنصبونه فى الخلافة وتزيلون المتقى لله وهو يثير
لكم أموالاً جليسة لا يعرفها غيره ولا يقدر عليها سواه وتكونون انتم قد
استرحتم من عدو تريدون ان تحرسوه وتحرسون منه وتخافونه ويخافكم
وتقيمون رجلاً من قبلكم يرى انكم قد احسنتم اليه وان روحكم مقرونة
بروحه . وأطالت الكلام فى هذا المعنى فهو ستنى ودار كلامها فى نفسى
وعلمت ان محلى لا يبلغ الكلام فى مثله والسفارة فيه وكرهت ان اكذب
نفسى عندها لما ادعيت من المحل والمنزلة فاطمعت فى ذلك وعلمت ان هذا
الامر لا يتم الا بك ولا يقدر عليه غيرك وقد اطاعتك عليه فاني شىء عزمك
ان تعمل ؟ فقلت : أريد ان اسمع كلام المرأة

فجاءنى بامرأة تكلم بالعربية والفارسية من أهل شیراز جزلة شهمة

فهمة فخطبتي بنحو ما خاطبني به الرجل فقلت لها : لا بد من أن ألقى الرجل وأسمع كلامه . فقالت : أعود غداً الى هنا حتى أجمع بينك وبينه . فلما كان من غد عدتُ فوجدت الرجل قد أخرج^(١١١) من دار ابن طاهر في زي امرأة وحصل في دار ابن الربيد فلقيته وعرفني انه عبد الله بن المكتفي بالله . وخاطبني رجل حصيف فهم ووجدته مع هذا يتشيع ورأيت عارفاً بامر الدنيا وضمن لي ستمائة ألف دينار يستخرجها ويُمشي بها الامر ومائتي ألف دينار للامير توزون وقال : أنا رجل فقير وانما أعرف وجوه أموال لا يعرفها غيري وأعرف من ذخائر الخلافة في يد قوم لا يعرفهم غيري . وكرراً^(١١٢) ان وجوهها صحيحة لاشك فيها ولا يقدر غيره عليها فلما سمعت ذلك وعرفت صحته صرت الى توزون . وفكرت في ان الامر لا يتم بي وحدي فلتيت في طريقي وأنا أصعد الى توزون أبا عمران موسى بن سليمان في الحديدي الذي على باب توزون فاخذت بيده واعتزلنا . واستحلفته على كتمان ما أطامه عليه فحلف ثم حدثته به كله وسألته معاونتي على تسماه فقال : هذا أمر عظيم لا أدخل فيه . فلما أيسني من نفسه سأله أن يمسك ولا يمارضني فقال : افعل . فدخلت الى توزون وأدخلته الى حجرة وخلوت به واستحلفته بالمصحف وبإيمان مؤكدة ان يكتم ما أحدثه به فحلف فلما حلف حدثته الحديث من أوله الى آخره فوقع بقلبه وقال : صواب والسكني أريد ان أرى الرجل وأسمع كلامه . فقالت : على ذلك ولكن ان أردت^(١١٣) تمام هذا الامر فلا تطام عليه أبا جعفر ابن شيرزاد فانه يفتأ عزمك ويصرفك عنه . فقال : افعل . وبلغ

أبا جعفر خلوتى بالامير فاتهمنى انى سميتُ عليه ومضيت الى القوم ووعدتهم بحضور الامير ليرى الرجل ويكون الاجتماع فى منزل موسى بن سايمان .
(قال) وتشددنا فى الطوف بالليل فى دجلة فلما كان ليلة الاحد لاربعة عشرة خلت من صفر وافى عبد الله بن المستكنى بالله الى دار موسى بن سليمان ولقيه توزون هناك وخاطبه وبايع له فى تلك الليلة وكنمنا القصة . فلما وافى المتقى لله من الرقة ولقيه توزون وسلم عليه قلت اتوزون : عزمك على ما كننا اتقمنا عليه صحيح ؟ فقال : بلى . قلت : غافله الساعة فانه ان دخل داره بعد عليك مرامه (قال) فوكل به وجرى ماجرى . وكانت المرأة التي سافرت فى هذا الامر المروغه بحسن الشيرازية حماة ابي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي فلما تمت للمستكنى الخلافة غيرت اسمها وجعلته « علم » وصارت قهرمانة المستكنى واستوات على أمره كله^(١)

(١) وفي حسن الشيرازية قال صاحب كتاب العيون :

فلما تمت للمستكنى الخلافة غيرت اسمها وجعلته علما وصارت قهرمانة للمستكنى واستوات على أمره كله وبعث عن ذخائر المتقى هي وابن سليمان الكاتب ففازوا باكثرها وكان يحمل الى المستكنى من ذلك فوجه الى توزون سبعة جواهر فى قد واحد خاتمها ياقوت حمراء لم ير مثل ذلك الدر والحائمة وقومت السبعة بخمسين ألف دينار فاخذها توزون بالقيمة من ماضن المستكنى . وصارت حسن تمكيس منازل التجار والمستورين فتحوز ما يجده لنفسها وابسطت يدها حتى صارت تأخذ أموال الناس التي لا شبهة فيها (قال ذكا) : انحدر ابن شيرزاد الى دار توزون فاستغاث اليه خلق من تجار الكرخ وذكروا ان حسن القهرمانة كبت بعض التجار فأخذت منه متاعا كثيرا من بز وغيره ما قيمته ثلاثون ألف دينار فاحضرهم وسمع قولهم وقال : أنا أذكفكم هذا الامر . ودخل ابن شيرزاد الى توزون فقال له توزون : انحدر الى مولانا فتشكره عني فانه قد اهدى الى البارحة ثيابا كثيرة فى نحوت . فقال له ابن شيرزاد : ياسيدنا هذه ثياب التجار وأموالهم وعلى بابكم منهم خلق كثير يستغيثون ويدكرون انه أخذ من تاجر ما قيمته ثلاثون ألف

﴿ ذكر مصير الامير أبي الحسين الى ديالى ﴾

وقد كان قبل خلافة المستكنى صار الامير أبو الحسين أحمد بن بويه

ديناور . فواصلهم توزون الى حضرته وسمع كلامهم فلما تحقق عنده ما قالوا قال لابن شيرزاد : انمحر الى الخليفة من وقتك هذا وخذ هذه الثياب معك وقل له : اردد هذه الثياب على من أخذت منه فلا حاجة لي فيها وعرفه ان هذا قبيح واذا جرى على الناس مثله كان عظيما وقد كان ينبغي لمولانا لو جرى هذا من أحد منا ان يكون التكبر منه علينا واذا نظر غيره الى هذا الفعل يظهر من مولانا لم يعلم على ما يفعله . وقال : لا تزال من حضرته حتى يسلم الى التاجر ما أخذه منه . فانمحر ابن شيرزاد الى الدار وخطب المستكنى في أمر الثياب وردّها الى التاجر

قال ذكا : وكان قد اتف الى حسن قرر من كانوا معها على الاحوال القبيحة منهم المكنى بابي طلحة وسندي (كذا) وهو الذي كحل المتقي وقد ألبسهم سيوفا ومناطق وكانوا يدخلون الى المستكنى أى وقت أرادوا على الانفراد والحاجب ابن خاقان يستقل ولا يستخدم الا في وقت ينمحر توزون الى الدار وسائر الحجاب يتصرفون بين يدي حسن ولا يمتنون بالحاجب فكانت تنولى عرض الفلانة والحجاب والرجالة في قصر الخليفة في مجلس يقال له الحوادن لم يكن يصل اليه أحد الا وزير أو حاجب فانحرفت الهيئة بهذه المرأة وذهبت الرسوم التي كانت للخلافة وصارت الدار طريقا لكل من لم يرها وكان كل من وصل الى المستكنى أجلسه بين يديه

وقد المستكنى وزارته أبا الفرج السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله بن سليمان على ما كان شرطه له وخلع على توزون ووضع على رأسه تاجا مرصعا بالجواهر وطوق وسور وجلس بين يدي المستكنى وانصرف بالخالج والتاج وحمل على فرس بموكب ذهب مرصع بجواهر وخلع على ابن شيرزاد والقاضي ولما فعل ابن شيرزاد ما فعل من رد أموال التجار وثيابهم علم ان هذا يشد ويعظم على ابن سليمان ويسمى في افساد المستكنى فقال ابن شيرزاد لتوزون : ان هذا رجل سوء مزور محتال لا يصلح ان يكون كاتباً للخليفة . فصرقه عن خدمة المستكنى وقبض عليه وعلى أخيه وابنه ونقلهم الى الشام واستكتب المستكنى الشيرازي زوج أينة حسن

الى واسط وقت مصير توزون الى الموصل فلما صالح توزون ابن حمدان^(١١٣) وعاد الى الحضرة عمل على الانحذار لدفعه . فخرج في ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين وورد عليه خبر الامير أبي الحسين ابن بويه بانه نزل بسبب بني كرونا واقية جيش توزون وما زالت الحرب بينهما تسعة أيام في قباب حديد وهي في كل يوم على توزون يتأخر توزون الى خلف ويتقدم الامير أبو الحسين الى قدام الى ان بلغ توزون نهر ديبالي وعبره الى جانب بغداد وقطع الجسر الذي عايه وأقام . ووافاه أحمد بن بويه الى الجانب مقابله وبينهما الماء فلما كان يوم الاحد لاربع خيلون من ذي الحجة انصرف الامير أبو الحسين راجعا الى الاهواز

﴿ ذكر السبب في انصرافه مع استظهاره ﴾

﴿ وبمدا هزم توزون ﴾

كان مع الامير أبي الحسين سواد عظيم وكراع كثير وجمال وافرة فكان اذا سار جعل سواده بينه وبين دجلة وله خيمة تضرب على رسم لهم فما دامت الخيمة منصوبة فالقتال واقع ومتى قلمت كان ذلك علامة الهزيمة . فلما كان يوم مسيره الى ديبالي أخذ السواد يسير على طول ديبالي واجتهد ان يضبطه ويستوقفه فلم يمكن ذلك . وأراد أن يضرب الخيمة على الرسم فلما تباعد الديلم وصار بين السواد والديلم فرجة دخل أصحاب توزون وأعرابه^(١١٤) بين السواد والديلم وأوقعوا بالسواد ولم يكن عنه دافع فدفت الضرورة الى ان ينصرف وصارت هزيمة . واضطر الديلم الى ان يستأمنوا الى توزون لانهم رحالة فاستأمن أكثرهم الى توزون وأخذ الامير على طريق بادرايا وباكسايا الى الاهواز . وقد كانت الميرة أيضا

ضاقَت على الامير أبي الحسين حتى اضطر في الليلة التي انصرف فيها من غد الى ان ذبح خمسين جملا من جماله و فرق لحمها على أصحابه ورجاله وأخذ له بقر فذبحها ونهب في وقت هزيمته نهبا عظيما . واستؤسر من وجوه قواده سبعة عشر قائدا فيهم ابن الداعي العاوي^(١) وأسر أبو بكر ابن قرابة واستأمن من الديلم أكثر من ألف رجل . وأقام توزون وعاوده الصرع يوم هزيمة الامير أبي الحسين وشغل بنفسه عن الطلب فناد الى داره . ونعود الى تمام خبر المستكفي بالله . قلد وزارته أبا الفرج محمد بن علي السامري ولم يكن له من الوزارة الا اسمها والمدير للامور أبو جعفر ابن شيرزاد . وخلع على توزون وطوق ووضع على رأسه تاج مرصع بجوهر وجلس بين يدي المستكفي بالله على كرسي وانصرف بالخلم والتاج والطوق والسوار الى منزله . وطالب المستكفي بالله الفضل بن المقتدر طلبا شديدا فاستتر^(١١٥) وأمر بهدم داره^(٢) وكان الفضل حوّل أيام المستكفي بالله مستترا .

﴿ شرح قصة أبي الحسين البريدي ومصيره الى بغداد مستأمنا ﴾

(الى توزون وما آل اليه أمره من القتل)

كناذ كرنا حاله الى وقت خروجه الى بغداد ولما وصل الى بغداد ولقى توزون وأنزله أبو جعفر بالقرب من داره في دار طازاذ التي في قصر

(١) وابن الداعي هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم الزبيدي الحسني وقام بالاضر في سنة ٣٥٣ وبإيمه الزيدية وتسمى المهدي لدين الله وتوفي سنة ٣٦٠ ورويت ترجمته في كتاب عمدة الطالب (طبع بمبي ١٣١٨) ص ٦١ وفي نسبه الى عبيد الرحمن الشجري ليراجع ص ٦٩ . (٢) قال صاحب التكملة : فلما هدم داره قال علي بن عيسى : اليوم بايع له بولاية العهد

فرج على شاطئ دجلة . ثم شرع أبو الحسين في مسألة توزون ان يعاونه على فتح البصرة وضمن له اذا فتحها ان يحمل اليه مالا رغبة عن كثرة فكان يطعم في المال ويعلل بالمواعيد . وسأل ان يوصل الى المستكفي بالله فوصل اليه مع توزون وابن شيرزاد نخل المستكفي بالله عليه خلة الرضا وانصرف الى منزله . وبلغ الخبر ابن أخيه أبا القاسم وان عمه يسمي في أمر البصرة فوجه بمن أصلح أمره مع توزون وابن شيرزاد وحمل مالا فأقر على عمله وأتممت الخلع اليه . ووقف عمه أبو الحسين على ذلك ويأس مما كان شرع فيه ولم يقطع توزون اطاعه فيه

وذكر الخبر عن قتل أبي الحسين البريدي

لما يئس أبو الحسين البريدي من معاونة تلحقه في فتح البصرة سعى في أن يكتب لتوزون ويقبض على ابن شيرزاد وصح ذلك عند^(١١٦) ابن شيرزاد فاستوحش من أبي الحسين ومن توزون فجلس في منزله أياما وما زال توزون يرأسه ويترضا حتى كتب اليه وأخذ في التدير عليه . فلما كان يوم السبت لست خلون من ذي الحجة أنفذ أبو العباس وكيله وصافي حاجب توزون الى أبي الحسين البريدي فقبضا عليه وأحدراه الى دار صافي وضرب هناك ليلة الاحد ضربا عنيفا وقيد وأحدر الى دار السلطان وبسط ابن شيرزاد لسانه فيه أقبح بسط وذكر معاينه واذكر بذنوبه . وكان أبو عبد الله محمد ابن أبي موسى الهاشمي أخذ في أيام ناصر الدولة فتوي الفقهاء والقضاة بإحلال دمه فظهر ما في هذا الوقت فلما كان بعد اسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة وأحضر أبو الحسين البريدي وجمعوا بين يدي المستكفي بالله وأحضر السيف والنطع ووقف السياف بيده السيف وحضر

ابن أبي موسى الهاشمي. ووقف فقراً ما أفتى به واحد واحد من إباحة دمه على رؤس الأشهاد وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هي فتواه فيمتدح بها حتى أتى على جماعتهم وأبو الحسين البريدي يسمع ذلك كله ويراه ورأسه مشدود والسيف مسلول بأزائه في يد السياف فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفي^(١١٧) بالله بضرب عنقه فضربت من غير أن يحتاج لنفسه بشيء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف وأخذ رأسه وطيف به في جانبي بغداد ورد إلى دار السلطان وصابت به^(١١٨) حيث كان جديده مشدوداً فيه لما ظهر بدار السلطان فبقي مصلوباً هناك أياماً. ثم قرأت سكا على الجبهذ بثمان بوارى ونقط اشترت بتسعة دراهم لأحراق جثته فأحرقت للنصف من ذي الحجة^(١١٩)

وقبض على الوزير أبي الفرج السامري وضرد على ثلاثمائة ألف درهم فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه اثنتين وأربعين يوماً وفي هذه السنة طالب المستكفي بالله القاهرة بأن يخرج من دار السلطان ويرجع إلى دار ابن طاهر فامتنع فسأل فيه أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن وهو يومئذ يكتب للمستكفي بالله على خاص أسوره ورفق بالقاهر وضمن

(١) زاد صاحب التكملة في على باب الخاصة على دجلة. وقال أيضاً: فكان هذا خاتمة أمور الثلاثة وعني ما ارتكبوا من الظلم وأهله ومن البلاء كله. وقال أيضاً انه أطلق توزون أبا الحسين ابن مقله بعد ان صدره على ثلاثين ألف دينار

(٢) ليراجع مقال ابن سجدون في تذكرته في الباب السابع والأربعين في أنواع السير والأخبار وعجائبها: وجد في بعض الأوارجل السلطانية: وما حمل إلى أبي الفضل جعفر بن يحيى (يعني البرمكي) أعزه الله لهدية السرور من العين الطوى مائة ألف دينار. وفي آخر الحساب: وما أخرج لثمان النقط والواري والخطب لأحراق جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر درهما

أن ينزله عنده ولا يردّه الى دار ابن طاهر . قال أبو أحمد : فلما قلت له ذلك استجاب بعد أن سألتني عن منزلي في أي جانب هو فقلت « في الشرق ناحية سوق يحيى » فسكنت نفسه الى ذلك واستجاب حينئذ وأنزلات به الى طيارى بعد أن غيرت زبّه فاني وجدته ملتفا في قطن محشوّ جبة وفي رجله نعل خشب مربعة فلما حصل في الطيار عبّرت به ^(١١٨) من اداء دارى وأومأت الى الملاحين ايماء من غير أن أنطق بحرف فلما وضع صسر الطيار للعبور فطن وقال « هوذا يعبر بي الى دار ابن طاهر » وأراد أن يرى نفسه الى الماء فتقدمت الى غلاني بضبطه فضبطوه الى أن أصعدت به الى داره من دار ابن طاهر فاقام فيها مدة ثم خرج في يوم جمعة الى المسجد الجامع في مدينة المنصور واخذ في أن يتصدق فرآه ابو عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي فتممه من ذلك واعطاه خمسمائة درهم وردّه الى داره

وفي هذه السنة ورد الخبر بأن قوما يعرفون بالروس يكونون وراء بلدان الخزر خرجوا الى آذربيجان وملكوا برذعة . وهم قوم لا دين لهم وانما طلبوا الملك وليس يعرفون الهزيمة وسلاحهم وديهم تشبه سلاح الديلم وفيهم قوة شديدة ولهم ابدان عظام . ثم اوقع بهم المسلمون فلم يبق منهم كبير أحد . وكانت للمرزيان بن محمد بن مسافر في ذلك أثر كبير وعناء عظيم وقد ذكرناه في موضعه .

(ودخلت سنة اربع وثلاثين وثلثمائة)

وفي المحرم منها مات توزون في داره ببغداد فكانت مدة امارته سنتين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما ومدة كتابته ابن شيرزاد له سنتان وستة عشر يوما . وورد الخبر على ابن شيرزاد وهو بهيت ^(١١٩) وكان خرج اليها

لموافقة ابي المرجى ابن فيان على مال ضمانه وكان قد أخره وطمع في ناحيته بموت توزون^(١) واضطرب العسكر ثم اجتمعوا على عقد الرياسة لابن شيرزاد. وكان أبو جعفر قد تزم على عقد الامر لناصر الدولة فانحدر ابن شيرزاد فلما وصل الي باب حرب وذلك في مستهل صفر أقام هناك في معسكره وخرج اليه الاتراك والديلم واتخذ اليه المستكني بالله خلع ثياب ياض وحمل اليه طعاماً عدة أيام

فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر أجمع الجيش بأسره على عقد الرياسة له وحلقوا له وأخذ البيعة عليهم لنفسه وحبوه بالريحان على رسم المعجم. ووجه ابن شيرزاد الي المستكني بالله يسأله ان يحلف له يميناً بحضرة القضاة والمدول تسكن نفسه اليها ففعل المستكني ذلك ثم سأله اعادة اليمين بحضرة وجوه الاتراك والديلم فاشتد ذلك عليه ثم فعله. فدخل ابن

(١) قال صاحب التكملة : فصالحه ابو المرجا عمرو بن كلثوم مقدما على ثمانمائة الف وخمسين الف درهم يقسطوا على اهل البلد واقام (ابن شيرزاد) لاخذها . وقال ايضا في ترجمة السنة المتقدمة : واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بمال الضمان فدخل اليه ابو القاسم عيسى بن علي بن عيسى فقال له : اكتب عن والدك بالف دينار . فكذب ومضى الي ابيه فادى خمسمائة وركب الي ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكرياء السوسي وطازاذ معتذرين فقال علي بن عيسى : اني اريد ان اقاء ولا أخطبه في البقية . فمضيا وعادا اليه وقالاه انه يستحي من لقائك فانصرف علي بن عيسى كئيباً من العزلة اكثر من كآبته بالفهم وقال ايضا : خرج تكين الشيرزادي صاحب توزون الي جزيرة بني غبر وعاد الي جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الي واسط واجلس في بستان يشرب فأحاط به عسكر البريدي فأمره وحملوه الي البصرة . وفي رجب دخل ابو جعفر الصيمري واسط ودخلها معز الدولة ولما علم انحدر توزون اليه بكى بالله وانصرف عنها وراسل توزون البريدي فأطلق تكيئا وضمنه واسطاً واصعد المستكني وتوزون (الي) بغداد

شيرزاد من مُعسكره على الظهر بتعيينه الي دار السلطان ووصل الي الخليفة
وانصرف مُكرِّمًا

وزاد ابن شيرزاد الاتراك والديلم في ارزاقهم زيادات كثيرة فاشتدت
الاضاقة فأنفذ الي ناصر الدولة يطالبه بحمل المال . ويطلبه في رد الامارة
اليه فحمل اليه ^(١٢٠) دقيماً وسفاتيخ بخمسمائة الف درهم فلم يكن لها موقع
مع الاضاقة فنقض ما عزم عليه من عقد الامارة لناصر الدولة وأقام على أمره
وقلد أبا السائب القاضي مدينة المنصور وقلد جماعة القضاة في نواحي بغداد ^(١٢١)
وأخذ في المصادرات وقسط على الكتّاب والمُئال والتجار وسائر طبقات
الناس ببغداد مالا لا رزاق الجند . وكان القمازون يغمزون بمن عنده قوت
من خنطة أو عدة لِيُماله فكبسه واخذه وكان قد انتصب للغمز بذلك وغيره
وبمن يرمق بنعمة رجلان من السعاة يعرفان بهاروت وماروت فكانا يصلان
الي ابن شيرزاد في الاسحار والخلوات ويمضيان أيضا الي دار المستكفي بالله
فلحق الناس منهما أمر عظيم وكذلك من الضرائب فانها كثرت حتى تهارب
التجار من بغداد وعاد هذا الفعل بالخراب ^(١٢٢) وفساد الامر وزيادة الاضاقة

(١) زاد صاحب التكملة وقبض المستكفي علي القاضي ابن ابي الشوارب ونفاه الي
سر من رأى وقسم أعماله فولى الشرقية ابا طاهر محمد ابن احمد بن نصر وولى المدينة
ابا السائب عتبة بن عبيد الله وكان الي ابي عبد الله ابن ابي موسى الهاشمي القضاء بالجانب
الشرقي فدخل عليه المنصور في شهر ربيع الآخر فاخذوا امواله وقتلوه فولى
ابو السائب مكانه

(٢) زاد صاحب التكملة : وانقطع الجلب . وقال ايضا : وورد الخبر بوقوع الصلح
بين سيف الدولة والاخشيد وسلم اليه سيف الدولة حلبا والطاكية فتزوج ابنة اخيه
عبيد الله بن طفيج وتوسط ذلك الحسن بن طاهر العلوي . وورد الخبر بموت ابي عبد الله
الكوفي بحلب وقد قدمت اخباره .

فاحتجج الي مصادرة ابن عبد العزيز الهاشمي واخوته . وكثرت كبسات اللصوص فكان اذا ظفر السلطان بلص قتلته العامة قبل ان يصل الي الوالي .

وقلد أبو جعفر ابن شيرزاد ينال كوشه اعمال المعاون بواسطه والفتح الشكري اعمال المعاون بتكرت فاما الفتح الشكري فانه خرج الي عمله بتكرت فلما وصل اليها ' ' ' ' امتد الي ناصر الدولة بالموصل فقبله وأكرمه وقلده تكريت من قبله وردّه اليها . وأما ينال كوشه فكاتب الامير أبا الحسين ابن بويه

وأخرج ابن شيرزاد تكين الشيرزادي الي الجبل فهزمه أصحاب أبي علي ابن محتاج وانصرف الي بغداد

{ ذكر الخبر عن مسير أبي الحسين احمد بن بويه الي بغداد }

ورد الخبر بدخول ينال كوشه في طاعة الامير أبي الحسين احمد بن بويه وان الامير قد تحرك من الاهواز يريد الحضرة فاضطرب الاتراك والديلم ببغداد وأخرجوا مضاربهم الي المصلي وعسكروا هناك وأخرج أبو جعفر مضربه معهم . ثم ورد الخبر بزول الامير أبي الحسين أحمد بن بويه باجسري فزاد الاضطراب ببغداد واستتر ابن شيرزاد واستتر المستكفي بالله فكانت اماره ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما . فلما وقف الاتراك على استتارها عبروا الي الجانب الغربي وساروا الي الموصل فلما سار الاتراك ظهر المستكفي بالله وعاد الي دار الخلافة

وورد أبو محمد الحسن بن محمد المهدي^(١) صاحب الامير أبي الحسين

(١) وردت ترجمته في كتاب اوشاد الاديب ٣ : ١٨٠

احمد بن بويه ولقى ابن شيرزاد حيث هو مستتر وفاوضه ثم انحدر الى دار
السلطان ولقى^(١٢٢) المستكني بالله فظاهر المستكني بالله سروراً بموافاة الامير
أبي الحسين أحمد بن بويه وأعلمه أنه انما استتر من الأتراك لينحل أمرهم
فيحصل الأمر للامير أحمد بن بويه بلا كلفة . فلما كان يوم السبت لاجدى
عشرة ليلة نخلت من جمادى الآخرة نزل الامير ابو الحسن في معسكره بباب
الشماسية ووصل الى المستكني بالله ووقف بين يديه طويلاً وأخذت عليه البيعة
للمستكني بالله واستحلف له باعظ الأيمان وادخل في اليمين الصيانة لأبي
احمد الشيرازي كاتبه ولعلم قهرماته ولأبي عبد الله ابن ام موسى وللقاضى
أبي السائب ولأبي العباس أحمد بن خاقان الحاجب ووقعت الشهادة على
المستكني بالله وعلى الامير أبي الحسين فلما فرغ من اليمين سأل الامير
ابو الحسين المستكني بالله في أمر ابن شيرزاد واستأذنه في ان يستكتبه فأمنه
واذن له في ذلك . ثم لبس الامير الخلع وكنى ولقب بمعز الدولة ولقب أخوه
أبو الحسن على بن بويه بعماد الدولة وأخوه أبو على الحسن بن بويه بركن
الدولة وأمر ان تضرب القابهم وكناهم على الدنانير والدراهم وانصرف بالخلع
الى داره ونس^(١) ونزل الديلم والجبل والأتراك دور الناس فلقق الناس
من ذلك شدة عظيمة وصار رسماً عليهم الى اليوم^(١٢٣)

(ذكر كتابة ابن شيرزاد لمعز الدولة أبي الحسين)

ظهر أبو جعفر ابن شيرزاد من استتاره ولقى معز الدولة ودبر أمر الخراج
وجباية الاموال . وقبض الامير أبو الحسين على أبي عبد الله الحسين بن
على بن مقلة وذلك لوصول رقعة له اليه يطلب فيها مكان ابن شيرزاد

(١) زاد فيه صاحب التكملة : ومن جملة داد مونس المدرسة النظامية :

{ ذكر الخبر عن قبض معز الدولة على المستكفي بالله }

كان السبب الظاهر أن علماً قهرمانته دعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم فاتهمها الأمير معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفي بالله وأن ينقضوا رئاسة معز الدولة عليهم ويطيعوه دونه فساء ظنه لذلك ولما رأى من جسارتها واقدامها على قلب الدول . ثم قبض المستكفي بالله على الشافعي رئيس الشيعة من باب الطاق فشجع فيه اصفهري وستم فلم يشفعه فاحفظه ذلك وذهب الي معز الدولة وقال : راسني الخليفة في ان القاه متكرراً في خوف وازار . فنتج من ذلك وغيره مما لم يظهر خلعه من الخلافة فلما ان كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة انحدر الأمير معز الدولة الي دار السلطان وانحدر الناس على رسمهم فلما جلس المستكفي بالله على سريره ووقف الناس على مراتبهم دخل أبو جعفر الصيمري وأبو جعفر ابن شيرزاد^(١٢٥) فوفقا في مراتبهما ودخل الأمير معز الدولة فقبل الأرض على رسمه ثم قبل يد المستكفي بالله ووقف بين يديه يحدته ثم جلس على كرسي وأذن لرسول كان ورد من خراسان ورسول ورد من أبي القاسم البريدي فتقدم تسان من الديلم فدا أيديهما الي المستكفي بالله وعلا صوتهما فارسية فظن أنهما يريدان تقيل يد فحدها اليهما فجذباه بها وطرحاه الي الأرض ووضعاه عمامته في عنقه وجراه . فنهض حينئذ معز الدولة واضطرب الناس وارتفعت الرعقات وقبض الديلم على أبي أحمد الشيرازي وعلى ابن أبي موسى الهاشمي ودخلوا الي دار الحرم فقمضوا على علم القهرمانة وابتها وتبادر الناس الي الباب من

الروشن فجري أمر عظيم من الضغط والنهب^(١)
وساق الديلمان المستكني بالله ماشيا الى دار معز الدولة واعتقل فيها
ونهب دار السلطان حتى لم يبق فيها شيء وانقضت أيام خلافة المستكني بالله
وأحضر معز الدولة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله الى دار الخلافة
في يوم الخميس ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ وخطب بالخلافة
وبويع له ولقب المطيع لله^(٢)

﴿ ذكر خلافة المطيع لله وما جرى عليه من الامور^(١٢٤) ﴾

وقام له ابن شيرزاد في تدبير الامور والاعمال بمقام الوزراء من غير
تسمية بوزارة واستخلف على كتابته على خاص أمره أبا الحسن طازاذ بن
عيسى واستحجب المطيع لله أبا العباس ابن خاقان . وأقام له الامير معز الدولة
لنفقته كل يوم الف درهم وكتب بخبر تقلده الخلافة الى الآفاق

(١) وروى صاحب التكملة : قال ابن البهلول : كنا اذا كلمنا المستكني وجدنا كلامه
كلام العيارين وكان جلدا بعيد العذر والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ويرمي
بالبنق ويخرج الى البساتين للفرجة واللعب وكان لا ينفق عليه من الجوارى غير السودان
ولا يماشر غير الرجال وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيى الزيدى
العلوى فنهه الصيمري من ذلك وقال : اذا بايعته استقر عليك اهل خراسان وعوام البلدان
واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فك وبنيو العباس قوم منصورون تقتل دولتهم مرة
وتصبح مرارا وتعرض تارة وتستقل اطوارا لان اصلها ثابت وبنيتها راسخ . فعذل معز
الدولة عن تعويله . واما الزيدى العلوي فالراجح انه الناصر لدين الله ابو الحسن احمد بن
يحيى الهادى ولكن يروى انه توفي سنة ٣٢٥ وان مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة .

(٢) قال صاحب كتاب العيون : وأمه أم ولد صقلية واسمها مشغلة وتعرفت بالصفارة
(وكان العباس بن الحسن اهداها الى المقتدر) وتأخذ من ورق السوسن أو غيره الشيء
اليسير وتجعله في فمها وتصفريه صغيراً لم يسمع بمثله تحكى به كل طائر وغيره

وتم الصالح بين الامير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وتسلم ابن البريدي واسطاً وضمن البقايا بها بالف الف وستمائة الف درهم واستخلف بالحضرة أبا القاسم عيسى بن علي بن عيسى

وطالب الامير معز الدولة ابن شيرزاد برهينة لانه تبين منه تليحاً في أمر المال ولم يأمن ان يهرب واضطرب أبو جعفر وسأل الامير ان يقرضه ما يعشى به أمره فدفع اليه عدة من مراكب ذهب وفضة على ان يرد مكانها فتسلم أبو جعفر ذلك وسلم أخاه أبا الحسن زكريا رهينة .

وكان وصف للامير معز الدولة كفاية أبي الفرج ابن أبي هشام وشهامته فأوصله الى حضرة وأنس به ولطف محله ورد اليه أمر الضياع الخراب بالسواد وكلفه عمارتها . قال ثابت : وأخبرني أبو الفرج انه قال لمعز الدولة : لجمت أيها الامير في أمر أبي جعفر ابن شيرزاد ^(١٢٦) في أن يكتب لك وراجعت الخليفة المستكفي بالله دفعات حتى ^(١) أذن بأن نستكتبه لك ليس هذا لرغبة في صناعته فانه ما كان صانعا أمر كتاب الرسائل وأمر كتاب الخراج وانما ولي ديوان النفقات مرة وكتب لابن الخال وكان إمرأً متوسطاً وما عدّه كتاب الحضرة وأصحاب دواوينهم في الكفاة وأهل الصناعة (قال)

(١) قال فيه صاحب التكملة . ولما استولى ابن شيرزاد على الامور قال أبو الفرج ابن (أبي) هشام : بأي شيء تفق عليك ؟ وما يصلح لكتابة الانشاء ولا لجباية الخراج وانما تولى ديوان النفقات وكتب لابن الخال ذرة وقد سألك المستكفي عزله بعد ان سألك فيه فلم تجب . فقال : لما رأيت عظام لحيته الخ

وقال أيضا . وصرف ابن نصر عن القضاء بالجانب الغربي وأعاد ابن أبي الشوارب . وصادر ابن شيرزاد ابن أبي موسى وعلم القهرمانة على أربعين الف دينار وقطع لسانها وسلسا الي المطيع لله . ولم يمرض أبا أحمد الشيرازي لتقديم مودته

فقال : أنت صادق فاني ما سألتُ عنه أحداً فقال فيه الا مثل قولك ولما رأيت لحيتهُ قلت « هذا بأن يكون قطاناً أولى منه ان يكون كاتباً » ولكن وجدتهُ وقد تقلد الامارة ببغداد واستولى على الخلافة وصار لي نظيرا وللملوك الاطراف وتصوّره الرجال بصورةٍ من يصلح أن يرؤسهم ومن يعتقدون له على نفوسهم فاردت أن أحطه من هذه الحال الي ان اجعله كاتباً لعلام لي أو عاملاً على بلد .

وكان الامير معز الدولة قد أخرج موسى فياذه وينال كوشه في يوم الجمعة لتسع بقين من رجب الي عكبرا مقدّمة له الي الموصل فلما سارا أوقع ينال كوشه وابن البارد بموسى فياذه وأخذوا سواده ومضوا الي ناصر الدولة

وفي يوم الاثنين لتسع خلون من شعبان استتر أبو جعفر ابن شيرزاد وأسلم أخاهُ أبا الحسن زكرياء ^(١٢٧)

ونزل ناصر الدولة ومعه الاتراك بسر من رأى لا ربيع بقين من شعبان وابتدأت الحرب بينه وبين أصحاب معز الدولة بعكبرا وسار معز الدولة يوم الخميس لاربع خلون من شهر رمضان ومعه الخليفة المطيع لله الي عكبرا . وظهر أبو جعفر ابن شيرزاد ومضي فتلقى أبا العطف جبير بن عبدالله بن حمدان أخا ناصر الدولة فانه وافى بغداد ونزل باب قطربل فنزل معه أبو جعفر ابن شيرزاد ولؤؤؤ وجماعة من العجم . ولقيه أهل بغداد ودبر الامور أبو جعفر ابن شيرزاد من قبل ناصر الدولة والحرب متصلة بين معز الدولة وناصر الدولة بسر من رأى ونواحيها .

فلما كان يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان وافى ناصر الدولة الي بغداد

فنزل في الجانب الغربي أسفل قطربل بعد ان أحرق خزائن نفسه وأصحابه التي في الزواريق لظهور الديلم عليه وخلف أبا عبد الله الحسين بن حمدان في الحرب . ثم عبر أصحاب معز الدولة الديلم من الجانب الشرقي من سز من رأي الى الجانب الغربي من دجلة وساروا الى تكريت ونهبوها ثم صار بعضهم الي سز من رأي ونهبوها ثم عبر جميعهم مع معز الدولة الى الجانب الغربي من دجلة والخليفة معهم وساروا منحدريين الى بغداد وبازاتهم أبو عبد الله الحسين ابن سعيد والآراك في الجانب الشرقي . فلما حصل معز الدولة ^(١٢٨) في الجانب الغربي عبر ناصر الدولة الى الشرق ونزل في رقة الشماسية واجتمع مع الآراك وما خطب ناصر الدولة للمطيع لله ولا ذكر اسمه ولا كنيته في الخطب . وفي يوم الاحد لليتين بقيتا من شهر رمضان أوقع أبو عبد الله الحسين بن سعيد بمسكبر معز الدولة في الماء ففرق منهم وملك آلات الماء التي كانت معهم

ولما كان يوم الخميس لليتين خلنا من شوال وجه ناصر الدولة بمحمد بن رجلا من الديلم الذين كانوا في جلته الى الجانب الغربي من بغداد في جملة الجيش الذين عبر بهم لمحاربة معز الدولة . فلما صاروا على الخندق الذي في قطيمة أم جعفر وخاطبوا الديلم الذين مع معز الدولة أوهموا جيش ناصر الدولة الذين كانوا معهم ان جماعة من ديلة معز الدولة يريدون ان يعبروا الخندق ليستأمنوا الى ناصر الدولة فافرجوا لهم عن الخندق حتى عبروه وقلبوا تراسهم على جيش ناصر الدولة وحاربوه وأوقعوا به فانهزم أصحاب ناصر الدولة بأسره ^(١) . وحصل القرامطة من أصحاب ناصر الدولة وتكن

الشيرزاذي وغيره من قواده محدقين بمسكير معز الدولة في الجانب الغربي فلم يكن يتسدر معز الدولة على تناول شيء من علف ولا غيره فلحق أهل الجانب الغربي غلاء شديد وعدهوا^(١٢٩) الاقوات : وكان أبو جعفر الصيمري لتشاغله بأمر الحرب قد رد بخدمة معز الدولة والقيام بما يحتاج اليه هو ونحاشيته وأسبابه إلى أبي علي الحسن بن هرون فحدثني أبو علي هذا أنه اشترى للامير معز الدولة كراً دقيقاً حواري بعشرين ألف درهم^(١٣٠) وتعذر على الناس العبور من الجانب الغربي إلى الشرق ومن الشرق إلى الغربي لمنع ناصر الدولة من ذلك ولحق الناس في السواد من الجانبين ضرر عظيم يتسلط الجند على غلاتهم فانهم كانوا يحصدوننها ويدرسونها ويحملونها إلى معسكرهم

وكان السعر في الجانب الشرق خمسة أرطال خبز بدرهم لورود الزواريق من الموصل بالدقيق وبقي السعر في الجانب الغربي غالباً بعد إفراك الغلات لما ذكرنا فكان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع اذا وجد وذلك لمنع ناصر الدولة ما يرد من الموصل ان يصل إلى الجانب الغربي ولأن اعرابه منتشرون في الجانب الغربي يحولون بين أصحاب معز الدولة وبين الغلات . وضرب ناصر الدولة دنانير ودرهم بسكة سنة ٣٣١ باسم المتقي لله وناصر الدولة وسيف الدولة .

واستعان ابن شيرزاد بالعمامة والعيارين من بغداد^(١٣٠) على حرب معز الدولة والديلم وفرض قوما منهم^(١٣١) وكان يركب كل يوم في الماء ومعه

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : قلت الكر سبعة عشر قنطاراً بالدمشق لان الكر أربع وثلاثون كارة والكاراة خمسون رطلاً بالدمشق

(٢) قال صاحب التكملة : وكان ابن شيرزاد قد أثبت خيماً من العيارين ليحاربوا

عدة زبازب فيها أتراك فينحدر ويُصعد في دجلة ويرمي من على الشطوط في الجانب الغربي من الديلم بالنشاب وكان ناصر الدولة عبر بصافي التوزوي في الف رجل لكبس معز الدولة وعسكره فلقية اصفهدوست وأبو جعفر الصيمري فهزماه . فكان جعفر بن ورقاء يقول وكان معهما : كنت أسمع ان رجلا واحدا يني بالف رجل فلا أصدق حتى شاهدت اصفهدوست وحملةً وهزيمة صافي وزمرته فصدقت بذلك .

وكان معز الدولة بني زبازب في قطيعة أم جعفر وعددها نيف وخمسون فخرجت يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الى دجلة وكان غلمان معز الدولة يحاربون فيها من في زبازب ناصر الدولة من أصحابه وذ كر أبو جعفر الصيمري ان الجهد كان قد بلغ منهم والحيل قد أعيتهم وضاق بهم الامر حتى عزم معز الدولة على الرحيل الى الاهواز وحمل أثقاله وقال : ترون في طريقنا العبور فان أمكننا حيلة فيه والا جعلنا وجهنا الى الاهواز . وتبياً ان عبر الصيمري واصفهدوست وبهما تسعة نفر في سحر يوم السبت انسلاخ ذي الحجة الى الجزيرة ^(١٣١) التي بازاء الخرم وأرادوا العبور منها الى الجانب الشرقي فعارضهم ينال كوشه معارضة يسيرة وتبياً لهم العبور وتبعهم أصحابهم فعبروا

﴿ ذكر الحيلة التي تم بها عبورهم ﴾

كان معز الدولة رتب هذه المعابر في الصراة ثم حذرهما في الليل على شاطئ دجلة الى موضع التماين لانه أضيق موضع في دجلة ووافق وزيره

مع ناصر الدولة (نظائر) بكافور خادم معز الدولة فشهره . فظفر معز الدولة بابي الحسن ابن شيرزاد نعلبه حيا فاطاق أبو جعفر الخادم فحط معز الدولة أخاه .

الصيمري واصفهدوست وخواص ديلمه على العبور وأظهر هو أنه يعبر من أعلى قطر بل . قضى بالليل في وقت موافقتهم وضرب البوقات وسار بالمشاعل وحمل بعض تلك المعابر بالاهاق على الظهر . فلما رأى أعداءه ذلك ساروا أكثرهم بازائه لِممانته فتمكن الصيمري ومن معه من العبور وكان الصيمري أول من بذل نفسه لان أصحابه هيبوا العبور فلما سبقهم أنفوا وتبعوه . ثم عاد معز الدولة الى هذا الموضع وقد أحس القوم بحيلته فتكاثروا بالزبازب ومنعوه من العبور وغرقوا ركوتين واشتدت الحرب وانهزم الاتراك . وكان ينال كوشه قد شرب ليلته ولما حصل جماعة من الديلم في الجانب الشرقي زعموا ينال كوشه فانهزم وهضى أصحابه الى باب الشمسية .^(١٣٢) واضطرب عسكر ناصر الدولة فوجه ابن شيرزاد الى ناصر الدولة : ان الصواب ان تركب لتلقى من عبر من الديلم . فرد عليه في الجواب : ان العادة قد جرت بانى اذا ركبت انهزم الناس . وان الصواب ان يركب هو فركب أبو جعفر ورأى الناس قد ركب بعضهم بعضا وليس يلوى أحد على أحد ولا يقف فانهزم هو أيضا معهم وانهزم ناصر الدولة وملك الديلم الجانب الشرقي وأحرقوا ونهبوا وقتل من العامة جماعة ومات منهم عدد كثير من رجال ونساء وصبيان لان الخوف حملهم على الهرب لما كانوا قدوة الى الديلم من الشتم والحرب في أيام الفتنة فخرجوا خفاة في الحر الشديد ومشوا الى عكبرا فاتوا في الطريق^(١٣٣) وجرى معز الدولة على

(١) زاد صاحب التكملة : قال بعضهم : رأيت امرأة تقول : انا بنت ابن قرابة

ومعى حلى وجواهر تزيد على الف دينار فمن يأخذها ويسقيني شربة ماء ؟ فأتجابهـ
أحد وماتت وما قتلتها أحد لشغل كل السان بنفسه

عادته في الرأفة فامر برفع السيف والكف عن النهب وأمن الناس وملك الجانبين . ولما منعهم معز الدولة ونادى بالكف لم ينتهوا ولا كانت له قدرة على منعهم حتي ركب الصيغري فقتل جماعة وصاب بعض غلمان الديلم وواصل الطوف والحماية بنفسه حتى أمكنه تسكين الجند وجزر ما انتهب فكان مقداره عشرة آلاف ألف دينار وذاك ان القصد وقع على مواضع التحار وحيث الاموال والامتنعة .

ومضى ناصر الدولة وابن شيرزاد والأتراك^(١٣٣) التوزونية مصعدين الى عكبرا فلما استقروا بها راسل ناصر الدولة الامير معز الدولة يلتمس الصلح^(١) في آخر المحرم سنة ٣٣٥ وكان ناصر الدولة فعل ذلك بغير علم الأتراك فلما وقفوا على ذلك أرادوا الوبوب به وهموا به فبرق اليه الخبر وصبح عنده ما عزموا عليه فهرب منهم ومضى مخدًا مسرعًا نحو الموصل وتركهم . وكتب معز الدولة بالفتح عن المطيع لله كتابًا نفذ الى الامير عماد الدولة والى سائر الاطراف .

(حيلة غريبة يذبح ان يحتز من مثلها)

ومن اطراف الامور وأعجبها ان رجلا قصد مضرب ناصر الدولة وهو يباب الشماسية بازاء معسكر معز الدولة فدخله بالليل ودخل خيمته وهو نائم فيها ولم يشعر به الجراس ولا الحجاب ولا البوابون ولا الخدم ومضى حتى عرف موضعه وشاهده وهو نائم وعرف موضع رأسه من الخدة ورجع ليطلق السراج وشمعة كانت بقرنيه خارج الحمة فيعود فيضع السكين في موضع حلقته . فأتق ان اتلب ناصر الدولة في نومه ولما رجع

(١) قال صاحب النكلة : أتقذ باني بكر ابن قريابة

الرجل لاطفاء الشمعة من جنب الى جنب فاطفاً الرجل الشمعة وعاد وقد
أظلم الموضع فوضع سكينه في الموضع الذي كان فيه تقديره وما شك أن
السكين تقع في حلقة^(١٣٤) فبقي السكين مغرزاً في المخدة مكان رأس ناصر
الدولة وعند الرجل انه قد قتله وخرج من المضرب ولم يعلم به أحد
وانتبه ناصر الدولة ورأى السكين وطلب الرجل فلم يأتى وشاع الخبر
فصار الناس الى ناصر الدولة للهتة بالسلامة . ومنفى الرجل الى معز
الدولة ليشره بأنه قد قتله واستشرحه ما عمل فشرحه له فقال معز الدولة :
مثل هذا لا يؤمن . وسأله الى الصيمري ليجسه فقتله الصيمري

وفي هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس
الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة اذا راثت اجتمع على الروث
جماعة فقتشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شحير وأكلوه وكان يؤخذ بزر
قطونا ويضرب بالماء وييسط على طابق حديد ويجعل على النار حتى يقب
ويؤكل وخلق الناس من ذلك في أحشائهم أدرام ومات أكثرهم ومن
بقي كان في صورة الموتى . وكان الرجل والمرأة والصبي يتف على ظهر
الطريق وهو تالف ضراً فيصيح الجوع الجوع الى ان يسقط ويموت وكان
الانسان اذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه والآستاب منه ولكثرة
الموتى وانه لم يكن يلحق دفنهم كانت الكلاب تأكل لحومهم^(١٣٥) وخرج
الضنق الى البصرة خروجا مفرطاً متتابعين لا كل التمر فلبث أكثرهم في
الطريق ومن وصل مهم مات بعد مديدة . ووجدت امرأة هاشمية قد
سرت صبياً فيموته وهو حي في ثور فأكلت بعضه وظفر بها وهي
تأكل البض الباقي فضربت عنقها . وكانت الدثور والمقاربات تباع

برغفان ويأخذ الدلال بحق دلالة بعض ذلك الخبز . ووجدت امرأة أخرى تقتل الصبيان وتأكلهم ثم فشا ذلك فقتلت عدة منهم . ولما زالت الفتنة ودخلت الغلات الجديدة انحل السر

ولما استتر ابن شيرزاد نظر أبو جعفر فيما كان ينظر فيه ابن شيرزاد ثم قلد الأمير معز الدولة والصيمري الحسن بن علي بن مقلة ما كان أبو جعفر ينظر فيه من أعمال الخراج وجباية الأموال ^(١)

وفي هذه السنة شغب الديلم على معز الدولة شغبا قبيحا وكاشفوه بالإسراع وخرقوا عليه بالسفك الكثير فضمن إطلاق أموالهم في مدة ضربها لهم فاضطروا إلى خبط الناس واستخراج الأموال من غير وجوها . فاقطع قواده وخواصه وأراكه ضياع السلطان وضياع المستترين وضياع ابن شيرزاد وحق بيت المال في ضياع الرعية وصار أكثر السواد مغلقا وزالت أيدي العمال عنه ^(١٣٦) وبقي اليسير منه من المحلول فضمن واستغنى عن أكثر الدواوين فبطلت وبطلت أزمته واجتمعت الأعمال كلها في ديوان واحد .

(ذكر ما انتهى إليه هذا التدبير من سوء العاقبة وخراب)

(البلاد وفساد المساكر وسوء النظام)

ان التدبير اذا بُني على أصول خارجة عن الصواب وان خفي في

(١) زاد صاحب التكملة : فقبض (يعني ابن مقلة) على أبي زكرياء السوسي والحسن بن هرون قشتهما فقال الصيمري : لم يكن غرضك غير التشفّي منهما . وأطلق معز الدولة أبا زكرياء السوسي ولم يلزمه شيئا وألزم الحسن بن هرون خمسين ألف دينار وعزل ابن مقلة وأغرد الصيمري بالامر . وقال أيضا : وفي شعبان انبتق البحر ببق الخالص والنهروان .

الابتداء ظهر على طول الزمان . ومثل ذلك مثل من ينحرف عن جادة الطريق انحرافا يسيرا ولا يظهر انحرافه في المبدأ حتى اذا طال به المسير بعد عن السمت وكلاما ازداد امعانا في السير زاد بعده عن الجادة وظهر خطاه وتفاوت أمره . فمن ذلك انه أقطع أكثر أعمال السواد على مال خرابه ونقصان ارتفاعه وقبل عودته الى عمارته . ثم ساء الوزراء المقطعين وقبلوا منهم الرشى وأخذوا المصانعات في البعض وقبلوا الشفاعات في البعض فحصلت الاقطاعات لهم بغير متفاوتة . فلما أتت السنون وعمرت النواحي وزاد الارتفاع في بعضها بزيادة الغلات ونقص في بعضها بالانحطاط الاسعار (وذلك ان الوقت الذي أقطع فيه الجند الاقطاعات كان السعر مُفرط الغلاء للقط الذي ذكرناه) فتمسك الرابحون بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ولم يمكن الاستقصاء عليهم في العبرة . ورد الخاسرون اقطاعاتهم ^(١٣٧) فعوضوا عنها وتمت لهم نقائصها وأتسع الخرق حتى صار الرسم جاريا بان يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ويعتاضوا عنها من حيث يختارون ويتوصلون الى حصول الفضل والفوز بالربح . وقُلِّدت الاقطاعات المرتجعة من كان غرضه تناول ما يجده فيها ورفع الحساب ببعضه وترك الشروع في عمارتها ثم صار المقطعون يعودون الى تلك الاقطاعات وقد اختلط بعضها ببعض فيستقلمونها بالموجود بعد تناهيها في الاضمحلال والانحطاط . وكانت الاصول تذب على ممر السنين ودرست العبر القديمة وفسدت المشارب وبطلت المصالح وأتت الجوائح على التناهي ورفقت احوالهم فمن بين هارب جال وبين مظلوم صابر لا ينصف وبين مستريح الى تسليم ضيعته الى المقطع وبين شربة وبوافقه . فبطلت العمارات وأغلقت الدواوين وامحى أثر السكينة

والعماله ومات من كان يحسنها ونشأ قوم لا يعرفونها ومتى تولى أخذهم شيئا منها كان فيه دخيلا متجلفا . واقتصر المقطعون على تدير نواحيهم بقلمهم ووكلائهم فلا يضبطون ما يجري على أيديهم ولا يهتدون الى وجهه تشير ومصلحة ويقطعون أموالهم بضروب الافساد واعتاض اصحابهم^(١٣٨) مما يذهب من أموالهم بمصادراتهم وبالحيف على معاملهم . وانصرف عمال المصالح عنها لخروج الاعمال عن يد السلطان ووقع الاقتصار في عملها على ان يقدر ما يحتاج اليه لها ويقسط على المقطعين تقبيلات يتقاعدون بها وبأدائها وان ادوها وقت الحياة فيها فلم تنصرف الى وجوها . وقل حفل الناظرين بالحوادث تعويلا على أخذ ما صفا وترك ما كدر والرجوع على السلطان بالمطالبة ورد ما تخرب على أيديهم من الاقطاعات وفوض تدير كل ناحية الى بعض الوجوه من خواص الديلم فاتخذوه مسكنا وطعمة والتحف عليهم المتصرفون الخوة وصار غرض احدثهم الترجية والتمشية والدفع من سنة الى سنة . وعقدت النواحي الخارجة من الاقطاعات على طبقتين من الناس احدهما اكابر القواد والجند والاخري اصحاب الدرايع والمتصرفون فاما القواد فانهم حرصوا على جمع الاموال وحياسة الارباح ودعوي المظالم والتماس الخطايط فان استقصى عليهم صاروا اعداءهم . ولما كثرت أموالهم وانفتقت بهم الفتوق خرج منهم الخوارج وان سوجوا استشرى طمعهم ولم ينفوا منه عند غاية . وأما اصحاب الدرايع^(١٣٩) فكانوا اهدى من الجندى الى تغريم السلطان والحيلة عليه في كسب الاموال ونظر بعضهم الى بعض فيما تجرى عليه معاملاتهم وبدلوا المرافق واعتصموا بالوسائل ووجب ان يجمع الناس حكم واحد . وتوالت السنين عليهم فتزدوا بنواحيهم وخلوا

بماملينهم فمن مستضعف يصادر ويغير رسمه وتنقص معاملته على قدر حاله وماله ومن مانع جانبه فيخفف عنه الرسوم ويرتقى على ذلك منه بالاموال ويتخذ الضامن عضدا في شدائده وعند مناظرة سلطانه ويصطم المستضعفين . فبطل ان ترفع الى الدواوين جماعة او تعمل لعامل مؤامرة او يسمع لاحد ظلامة او يقبل من كاتب نصيحة واقتصر في محاسبة الضمائم على ذكر اصول العقد وماصح منه وبقي من غير تفتيش عما عومت به الرعية واجريت عليه احوالها من جور أو نصفة من غير اشراف على احتراش من الخراب او خراب يعاد الى العماره وجبايات تحدث على غير رسم ومصادرات ترفع على محض الظلم واضافات الى الارتقاع ليست بعبارة وحسابات في النفقات لا حقيقة لشيء منها ومتى تكلم كاتب من الكتاب في شيء من ذلك فكان ذالحال ضمن ونكب واجتيع وقتل وباعه السلطان بالتطيف .^(١٠) وان كان ذا فاقة وخلة ارضى باليسير فانقلب وصار عوناً للخصم ولم يكن بذلك بملوم لان سلطانه لا يحميه اذا خاف ولا ينصره اذا قال .

فهذه جملة الحال في ضياع الدخل فاما الخرج فان النفقات تضاعفت وسوق الدواوين ازيات والازمة بطالت الى غير ذلك من أمور يتسع فيها القول ويقتضى بعضها سياقة بعض فاقصرنا على الاشارة دون التطويل

ثم ركب معز الدولة الهوي في أمور غلمانه فتوسع في اقطاعاتهم وزياداتهم واسرف في تمويلهم وتخويلهم فتعذر عليه ان يذخر ذخيرة لنوائبه او ان يستفضل شيئا من ارتقاع ولم تزل مؤوته تزيد ومواده تنقص حتي حصل عليه عجز لم يكن واقفا على حد مته بل يتضاعف تضاعفا متفاقما وأدى ذلك على مر السنين الى الاختلال بالديلم فيما يستحقون من أموالهم وداخلتهم

المنافسة للآثرالك من اجل حسن احوالهم . وقادت الضرورة الى ارتباط الآثرالك وزيادة تقربهم والاستظهار بهم على الديلم وبحسب انصراف العناية الى هؤلاء ووقوع التقصير في أمور أولئك فسدت النيات وفسد الفريقان اما الآثرالك فبالطمع والضرارة^(١١١) وأما الديلم فبالضر والمسكنة واشترأبوا الى الفتن وصارت هذه المعاملة لقاحاً لها وسبباً لوقوع ما وقع فيها مما سندكر جلا منه في مواضعها بمشيئة الله

وفي هذه السنة سمات علم القهرمانه وقطع بعد ذلك لسانها وفيها ورد الخبر بان نوحاً صاحب خراسان قبض على اخوة ابي علي ابن محتاج وقتل بعضهم

(ذكر السبب في ذلك)

لما انهزم ابن محتاج من بين يدي ركن الدولة بعد ان كان ضمن لصاحب خراسان فتح الري أمده صاحبه بابن ملك وجماعة من نظرائه وقواده وبالع في تقويته فسار في عدة وعدة وافرة . فكتب ركن الدولة عماد الدولة وسأله المدد فامر به ان يخلى لهم الطريق ويصير اليه واعلمه أن له تدبيراً في ذلك ففعل ركن الدولة ذلك ودخل الخراسانية الري . فراسل عماد الدولة صاحب خراسان سراً يعرفه قلة جدوى الري عليه مع ما يلتزمه من النفقات على العساكر العظيمة وان الاستيحاء بينهم ما زائد مع ذلك ويسأله ان يزيل هذه الوحشة بان يضمنه اعمال الري عشرين بمثل ما تقرر عليه بينه وبين ابن محتاج وزيادة مائة الف دينار في كل سنة على ان يسلفه مال سنة^(١١٢) . وسأله انقاذ ثقة من ثقاته ليوقع المهد معه ويحمل المال على يده وأنه يعاونه بعد ذلك على ابن محتاج حتى يظفر به . فوردت هذه الرسالة على

نوح بن نصر ونيته فاسدة لابن محتاج وتطلعت نفسه الى تحصيل المال فشاور
ثقاته وكلهم اضداد واعداء لابن محتاج فاشاروا عليه بقبول ما بذله عماد الدولة
فانظر حينئذ ما كان في نفسه وقبض على اخوة ابي علي ابن محتاج واهله
واسبابه وقتل بعضهم . وانفذ الى عماد الدولة علي بن موسى المعروف بالزرار
وكان من قواده واكابر حاشيته فسار علي الجمازات واستقبله عماد الدولة
واكرمه وواصل اليه العطايا والتحف وماطله فيما ورد له . وراسل ابا علي
ابن محتاج يعلمه خبر هذا الرسول ويطلعه على ما ورد له وقرر في نفسه انه على
عهده محافظ على وده وحذره من غدر نوح وخوفه منه فحينئذ انفذ ابن
محتاج رسوله الى ابراهيم بن احمد وهو عم نوح وكان اذ ذاك بالموصل احد
قواد ناصر الدولة فعرفه انه قد عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على اصحابه
على ان يكون اليه خراسان ويمضي معه فيحاربان نوحا ويؤكد عليه ان يعجل
اليه . فرغب ابراهيم بن احمد في ذلك واستأذن ناصر الدولة ^(١٤٣) في المضي
فقال له : نحن على المصير الى بغداد فانتظر حتي ندخلها فاذا دخلناها قللك
الخليفة وخلص عليك من داره وعقد لك لواء فيكون أعز لك وأقوى لامرك .
وكان هذا في آخر أيام المستكفي بالله فعمل ابراهيم بن احمد على ذلك فلما طالت
المدة وحدث على المستكفي بالله الحادثة وانحدر ناصر الدولة الى بغداد تابعت
رسل أبي علي ابن محتاج الي ابراهيم فعبث تكريرت في سبعين غلاماً ومضى
الى دقوقا ومنها الى طريق خراسان . ثم وردت كتبه من الري على ناصر
الدولة بانه سائر الي نيسابور لمحاربة ابن أخيه نوح فانفذ اليه ناصر الدولة
خلفاً سلطانية ولواء عقده له بن الخليفة المطيع لله واهل اليه ذلك مع خججج
المسول فتطير الناس له من ذلك وقالوا انه لا يتم أمره . ولما بلغ أبا علي مسير

ابراهيم تلقاه الى همدان وعاهده علي السمع والطاعة والنصيحة وعاد معه الى الري. ثم نهضا جميعا الي خراسان وكتب كتابا الي زكن الدولة بانه سائر الي خراسان وأنه قد أفرج له عن الري فكتب عماد الدولة الي أخيه ركن الدولة بالمسير اليها فبادر الي ذلك واضطرب خراسان علي نوح بن نصر

(ذكر ما تم من الحيلة لعماد الدولة في تلك الحال)

لما فرغ عماد الدولة من التضريب بين ابن محتاج وبين صاحبه وتمت المكاشفة بالعداوة بينهما^(١٤٤) بادر برد الزرار رسول صاحب خراسان علي نوح برسالة يقول فيها : انه قد ظهر ما كان ينذره به من سوء نية ابن محتاج وسميه عليه وانه لما كاشفه بالحرب مع عمه ابراهيم أنفذ أخاه ركن الدولة الي عسكره حتى اذا سارت جيوش نوح بن نصر الي عمه والى ابن محتاج واحتاج الي أن يسير ركن الدولة من ورائهم مُعاوناً له عليهما فعمل ذلك . وأقبل نوح الي نيسابور في عساكره وجميع من معه من أصحاب جيوشه ورجاله فبرز له ابراهيم وابن محتاج فخارباهُ وكسراهُ وأسرا ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين وعددا كثيرا من قواده واستأمن أكثر جيشه وانصرف نوح مفلولا علي حال سيئة من الضعف والجيرة وآتبه ابراهيم وابن محتاج وخلا معهما ابراهيم بن سمجور ومنصور بن قراتكين أسيرين واستمرت بنوح الهزيمة الي سمرقند فدخل ابراهيم بن أحمد بخارى واشتمل علي الخزائن والذخائر وذلك في سنة ٣٣٥ . وكتب ابن محتاج الي عماد الدولة يبشره بما جرى ويسئله تجديد أمر السلطان لابراهيم ابن أحمد بالخلم والعقد له علي خراسان .

(ذكر ما انتهى اليه أمر ابراهيم وابن محتاج مع نوح بن)
 (نصر وما اتفق من الاسباب التي أعادت نوحا)
 (الى سريره ومقرّ عزه بخراسان ^(١٤٥))

كان سبب ذلك ان ابراهيم أصفى الى قوم حساد لابي علي ابن محتاج
 فكانوا يوهّمونه ان أبا علي انما استعان به ليجتمع له جيوش خراسان فاذا
 فرغ من نوح عطف عليه فعامّله بمثل ما عامل به نوحا وان الصواب له ان
 يحترز منه . فوقر ذلك في نفس ابراهيم وأطلق ابن سيجور وابن قراتكين
 وخلع عليهما من غير رأي أبي علي ابن محتاج فاستوحش ابن محتاج
 واتقبض عن ابراهيم وتمسك ابن سيجور وابن قراتكين من استمالة الجند
 وكاتبوا نوحا وترددت الرسائل بينهم سرا . ثم ان نوحا سار الى ثغور
 خراسان فجمع منها جيشا واستخرج أموالا وعاد الى بخارى فملكها وظهر
 عمه وحصل أسيرا في يده فعمله وسلم جماعة من أهل بيته

(ذكر الحيل التي تمت لنوح على عمه حتى تمكن منه ومن عسكره)

كان ابراهيم وابن محتاج خرجا الى ظاهر بخارى وعسكرا بموضع
 يقال له ريكستان فينما هم نزول اذ صاح صائح في الميدان الذي بجذاء دار
 الامارة بخارى « نوح يامنصور » واجتمع اليه طائفة من الحشم . ثم ان نوحا
 زحف الى عمه ابراهيم وكان يدبر أمره ابن أبي داود البلخي فاحتال على
 تقوية قلوب أصحابه بأن أعلمهم ان مددا كثيرا قد أقبل اليهم وهم يلحقون
 في ^(١٤٦) الليل وكانت الحرب قد وقعت في ذلك اليوم فكانت على نوح .
 فلما كان في الليل أنفذ طائفة من عسكره مع سراكبههم وأمرهم بالإنابة
 فاذا كان في الثالث الآخر من الليل ضربوا بطبولهم وبوقاتهم وبادبهم

ودخلوا العسكر في صورة المذد ففعلوا ذلك فلم يزالوا الى الصبح يدخلون العسكر على هذه الصورة فلما أصبحوا وتصافوا للحرب استأمن الديلم الذين كانوا مع ابراهيم وانهمزم قوم من أنصجابه وانهمزم أبو علي ابن محتاج وظفر نوح بابراهيم وعامله بما ذكرت وفي هذه السنة مات أبو بكر محمد بن طنج الاخشيد وتقلد مكانه ابنه أبو القاسم أوجور وغلّب كافور الخادم الاسود وكان خادما للاخشيد على الامر^(١) وفيها مات علي بن عيسى عن تسعين سنة^(٢)

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وكان ابن طنج جيانا شديد البتقظ في حروبه وكان جيشه يحتوي على أربعمائة رجل وكان له خمسة آلاف مملوك يحرسونه بالليل بالنوبة كل نوبة ألفا مملوك ويوكل بجانب خيمته الخدم ثم لا يبق بعد ذلك فيمضي الى خيم الفراشين فينام . قال التوخي : لقب الراضي أبا بكر محمد بن طنج أمير مصر بالاخشيد وسبب ذلك انه فرغاني وكل ملك فرغانة يدعى اخشيد كما تدعو الروم ملكهم بقيصر والفرس بكسرى وشاهانشاه والمسلمون بامير المؤمنين وملك أشروسنة الافشين وملك خوارزم خزارزم شاه وملك الترك خاقان وملك جرجان صول وملك آذربيجان اصبهيد وملك طبرستان يدعى سالار . وأبو بكر ابن الاخشيد على مذهب الجبائي كان جده يدعى بحضرة المنتضد الاخشيد ولقب على ابنه بذلك وهو من أولاد الملوك بفرغانة .

والجبائي هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي شيخ المعتزلة توفي سنة ٣٠٣ كذا في تاريخ الاسلام

(٢) قال صاحب التكملة : حكى هلال بن الحسن : قال أبو علي بن محفوظ : لما ورد معز الدولة وأبو جعفر الصيمري معه الى بغداد أراد أبو الحسن علي بن عيسى الركوب اليه وقضاء حقه : وأتفق أنه نزل الى داره ليجلس في سميرة وأبو جعفر محتاج في طياره وأنا وأخي وأبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هذا ؟ قلنا : الوزير أبو الحسن علي بن عيسى . فقال لابي الحسن بن طازاد : قدم بنا اليه فاسأله ان ينزل معنا في الطيار . فقدمنا منه وسلمنا عليه فقال له أبو الحسن طازاد : الى أين توجه سيدنا . فقل : أشركنا بلقاء الأمير الوارد وقضاء حقه فعملت على ذلك ، فقال له :

(ودخلت سنة خمس وثلاثين وثلثمائة)

لما اجتمع لمعز الدولة أمر بغداد في هذه السنة زاد في التوثق من أمير المؤمنين المطيع لله فاستعلمه يمين عزيمة الآ يتغيب عن معز الدولة ولا يغيه

فيتقل سيدنا الى الطيار فانه أولى . فامتنع . ولم يزل يراجعهم وكان معه ابنه أبو نصر خطابه حتى قفل وسهل عليه ذلك ونزل . وقام له أبو جعفر الصيمري عن موضعه وقد وصانا ان لا نعرفه اياه وكان أبو نصر عرفه وأراد ان يشمر أباه فلم تدعه طاعة لابي جعفر . وسرنا مصعدين ووصلنا الى معسكر معز الدولة ياب الشامية وقدم الطيار الى المشرقة فقال أبو جعفر لابي الحسن : تجلس يا سيدنا بمكانك حتى أصعد الى الامير وأعرفه خبرك وأؤذنه بحضورك . فقال له : لك أطال الله بقاءك عند الامير آرة وبه أنسية : قال : نعم . وصعد فلما صعد قال أبو نصر لايه : هذا الاستاذ أبو جعفر الصيمري . فارتاع وقال له : ألا أعلنتنا ذلك لاوفي لارجل حقه ؟ قال : منمى أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك كذا يفعل الناس ! فقال : والله يا سيدنا ما فعلت ما فعلته الا لان الاستاذ أمرنى به ولم تمكنني الخفاقة له . فقال . انا لله وانا اليه راجعون . ووجم وجما شديدا ثم قال : من هاذان أعزهما الله ؟ (وأشار الى والى أخى) فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستنبتة وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من الممال الظالمة .

ولما صعد الصيمري الى معز الدولة وجده على شراب فلم يقل له شيئا وعاد الى علي بن عيسى فهض له وأعظمه . وقال له : قد جننا على أصحابنا في كتمانى موضع الاستاذ حتى كان في تهصيرى في قضاء حقه ما لم أحتمله وأنا أعذر اليه أدام الله عزه من ذاك . فقال : فدل الله بك يا سيدنا وصنع وأى تهصير جرى ؟ فالتفت الى طازاد فقال : ألم أوصك بترك اعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولده أعلمه وقد حصلت بين العتب أنها الاستاذ منك ومنه . وقال له أبو جعفر : الامير على حال لا يجوز لهاء مثلك عليها وهو يمتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلف سيدنا العود في غداة عز لقيه ووقاه من الحلق ما يجب ان يوفيه اياه والطيار يا كرابه . وانصرف أبو الحسن وعاد أبو جعفر الى معز الدولة فقال له : واتي على بن عيسى للقاء بك وخدمتك فاعتفرت اليه عنك بانك على نبيذ ولم يجوز ان يراك عليه . فقال : من علي بن عيسى ؟

سوءاً ولا يُمالى له عدواً فلما حلف أزال عنه التوكيل وعاد الى دار الخلافة واعتزل أبو علي الحسن بن هرون النظر في الامور ليتجامل

فقال : وزير المقتدر بالله . فقال : ذلك العظيم ! قال : نعم . قال ما وجب ان ترده فاني كنت أقوم الى مجلس آخر واللقاء فيه . فقال : ما كان يحسن ان يشم منك رائحة شراب وفي غد يراك . فقال معز الدولة : وكيف آلمه وما الذي أقول له ؟ فقال له الصيمري : تنزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتطيه نخدة من مخادك وتقول له « ما زلت مشتاقا الى لقائك ومتشوقا للاجتماع معك وأريد ان تشير علي في تدبير الامور وعمارة البلد بما يكون الصواب فيه عندك »

وجاء أبو الحسن علي بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوقفه من الاجلال والاكرام أكثر مما وافقه عليه أبو جعفر وأعطاه نخدة من دسسته قبلها أبو الحسن وقال له ما يقال لئله فقال له معز الدولة : كما نسمع بك فيمظم عندنا أمرك ويكثر في نفوسنا ذكرك وقد شاهدت منك الآن ما كنت مؤثرا واليه متطلما والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فإشر على بما عندك في اصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النية منك أيها الأمير داعية الى الخير ومسهلة الى النجح وطريق السعادة ودرور المسادة واستقامة أمر الجند والرعية والعدل ، والذي أهلك الدنيا وأذهب الاموال وأخرج الممالك عن يد السلاطان خلافه وأتأتى الضلاح ويطرد الاغراض بالولة الموفين والاعوان المنصحين

وحدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا فلان (وذكر الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم) انه قال : اذا أراد الله بوال خيراً قيص له وزير صديق ان غفل أذكرك وان رفل أيقظه . وقد وفق الله الأمير من هذا الاستاذ (وأشار لابي جعفر) من تمت فيه أسباب السكينة وبانت فيه شواهد الخاصة ويوشك ان يجري الخير على يده ويتأتى المراد بحسن تدبيره . فتراجع أبو جعفر وتوقف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة وفطن معز الدولة ان توقفه لامر كرمه ذكرك فقال لابي سهل العارض : انظر ما يقول . ففسر له تفسيراً لم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتلجلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة أسماهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو الحسن : لا هؤلاء رجال قلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر الى الترجمة بينهما وقال أبو الحسن : ومن أولى ما انظر فيه الأمير وقدمه سد هذه البثوق هي أصل الفساد وخراب السواد . فقال :

الصيمري^(١١٧) عليه ومصادرة كاتبه فرد النظر في الاعمال الى أبي الحسين على بن محمد بن مقله من قبل أبي جعفر الصيمري ورعى له معز الدولة مكاتبته له أيام مقامه في الجانب الغربي فلما عبر معز الدولة ولقيه لزمه ثم ردد في هذا الوقت اليه النظر في الامور^(١١٨) وقائد كتبة الخليفة أبو أحمد الفضل

وقد نذرت لله عند حضوري في هذه الحضرة الا أقدم شيئاً على ذلك ولو نفقت فيه جميع ما أملك . قال : إذن يحسن الله عونك ويذل لك على صعب ويسهل كل مراد بين يديك . فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معز الدولة : أذكر حوائجك لا تقدم فيها بما أقضى به حقك . قل : الحاجة الحاضرة هي الى الله تعالى في ان يطيل بقاءك ويدوم علاك ومتى عرضت من بعد حاجة اليك كان المول فيها عليك . قل : لا بد من ان تذكر شيئاً . قال : حراسة منازلها فانها تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات وعجائز وأهل وأقارب وأتباع وأصحاب . قال : هذا أقل ما أمناه . ونهض أبو الحسن وشيخه أبو جعفر وهشي الفيلان بين يديه .

وتوفي أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمة ناصر الدولة يوم فضي أبو عمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمري اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع في تابوته فصرى عليه وقال لوسي : اخرج من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها . فقال لا اخرج . فقال لا أمكنك منها . فقال لا أقبل منك . قال اذا لم تقبل أكرهتك . وتنايذا بالقول تنايذا تولدت منه فتنة واجتمع الي موسى أصحابه والى أبي جعفر آخرون وعرف معز الدولة ذلك فبادر لاطفاء النائرة وقال للصيمري ليس هذا وقت ذلك . قال بلى أيها الأمير هذا وقته ومتى افتحننا أمرنا بسقوط هيئتنا استمر ذلك وبعد تلافيه وازداد الامر من بعد وهناً والطمع امتحكماً . فاحذ معز الدولة بيد موسى بن قتادة فاخرجه منه وقال له يكون نزولك في الدار التي أنزلها ولا تفتح أمراً بما يقبح من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم وأوطانهم . وبقيت دور أبي الحسن على ولده ودور (ابن) أخيه أبي على بن عبد الرحمن عليه في حياته بفعل أبي جعفر ما فعله .

(١) زاد صاحب التكملة . وكان ابن مقله يواصل معز الدولة في أيام الحصار بالمدايا والاخبار فلما عبر الى الجانب الشرقي سما داره بها واستخدمه . فاجتهد في المصادرات

ابن عبد الرحمن الشيرازي وسُلِّمت اليه ضياع الخدمة ارتفاع مائتي ألف دينار في السنة

وفيهما ورد الخبر في المحرّم بدخول الامير دكن الدولة الريّ وانه ملك الجبل بأسره .

وفيهما ورد أبو بكر ابن قرابة من عكبرا برسالة ناصر الدولة يلتمس فيها من معز الدولة الصلح وقد كان تردد قبل هذه الوقعة مرات فتقرّر أمر الصلح على ان يكون في يد ناصر الدولة من خد تكريت الى فوق ويضاف الى أعماله مصر والشام على أن لا يحمل عن الموصل وديار ريعة شيئاً مما كان يحمله من المال ويكون الذي يحمله عن مصر والشام ما كان يحمله الاخشيدي محمد بن طنجع عنهما وعلى أن يدرّ ناصر الدولة الميرة الى بغداد ولا تؤخذ لها ضريبة وحلف معز الدولة بحضرة الخليفة والقضاة على ذلك والوفاء به

وانفذ القضاة مع ابن قرابة الى معز الدولة لآتماس الصلح^(١١٨) بغير موافقة منه للآتراك ولا علم منهم فلما علموا بذلك وظهر أمر الصلح اجتمع الآتراك للايقاع به وأحس ناصر الدولة بذلك فخرج بالليل وعبر الى خيمة ملهم . وكان ملهم والقرامطة في الجانب الغربي والآتراك وناصر الدولة في الجانب الشرقي واستجاره فاجاره^(١) وسيّره في الجانب الغربي ومعه ابن

للتجار والشهود فصادف أحد العامة معز الدولة منصرفاً منفرداً نصف النهار فعرفه ما الناس فيه من الخوف فتقدم بصرف ابن مقلّة . واخترق دور ابن شيرزاد ودوز أسبابه وأخيه وصودر على مائة وثمانين ألف درهم . وقد معز الدولة الشرطة أبا العباس بن خاقان (١) قال صاحب التكملة فاستجار بأمر ملهم حتى أمرت ولدها بتسييره

شيرزاد وبقي الاتراك في الجانب الشرقى . فلما فاتهم ناصر الدولة اجتمعوا على تأمير تكين الشيرزادي وقبضوا على أبى بكر ابن قرابة بعد ان نزل به مكروه عظيم وقبضوا على كُتَّاب ناصر الدولة وأسبابه وساروا يطلبونه واستأمن ينال كوشه واؤلؤ الى معز الدولة واسرع ناصر الدولة في سيره فلم يلحقه الاتراك . ولما صار الى مرج جهينة قبض على ابن شيرزاد وسلمه وعلى طازاذ وعلى أبى سعيد وهب بن ابراهيم وجوهر خادم ابن شيرزاد وأنفذ جماعتهم الى القلعة . ولم يتلبث ناصر الدولة ومضى الى نصيبين ورحل تكين الشيرزادي والاتراك الى الموصل وغلبوا عليها ثم ساروا في طلبه فمضى الى سنجار فتبعوه وكتب الى معز الدولة يستصرخه فانفذ اليه معز الدولة جماعة من قواده ثم أنفذ أصفهدوست بعدهم ثم أخرج الصيمرى . ولما سار^(١٤٩) تكين الشيرزادى الى سنجار في طلب ناصر الدولة سار من سنجار الى الحديثة فتبعه تكين الى الحديثة فلما قرب منه سار ناصر الدولة الى السن وهناك لحق به جيش معز الدولة وأبو جعفر الصيمرى واصفهدوست فساروا بأسرهم الى الحديثة للقاء تكين الشيرزادي . ووقعت الواقعة بالحديثة وكانت شديدة فانهزم تكين وتقطع أصحابه واستؤسر منهم وجوه القواد وجماعة من الاصاغر وقتل منهم خلقٌ بعد ان كان استعلى واستظهر في الحرب

﴿ ذكر السبب في هزيمة تكين والظفر به بعد استعلائه ﴾

كانت العرب على كثرة عددهم في عسكر الصيمرى ينقضون صفوف الديلم ولا يصدقون اللقاء فقال لهم الصيمرى : اعتزلوا عنا ولا تدخلوا بيننا وانظروا فان انهزم واحد منهم فاتبعوه وان ثبت فدعونا واياه ما دام ثابتاً

واعلموا انكم اذا قربتم منا واجتلطتم بمصافنا بدأنا بكم قبل اعدائنا . ففعلوا واعتزلوا وصبر الفريقان وحمل الاتراك حملات شديدة ثبت لها الديلم ثم وثبوا في وجوه الاتراك فلما ولوا حمل عليهم العرب . ووضعوا الرماح بين ظهورهم ونكسوهم فأكثروا القتل والاسر . ثم استأسر^(١٠٠) جنود تكيين الشيرزادى فتقربوا به الى ناصر الدولة فسلمه للوقت وانفذته الى قلعة من قلاع وسار ناصر الدولة وأبو جعفر الصيمري الى الموصل فنزل الصيمري في الجانب الشرقي بازاء الموصل ودخل اليه ناصر الدولة وحصل عنده في خيمته وخرج من عنده وعبر الى الموصل ولم يعد اليه بعدها .

فحكى عن ناصر الدولة انه قال : لما حصلت مع أبي جعفر الصيمري في خيمته ندمت وعلمت اني قد أخطأت وغررت فبادرت الى الانصراف . وحكى عن الصيمري انه قال : لما خرج من عندي ناصر الدولة ندمت على تركي القبيض عليه وعلمت اني قد ضيعت الحزم وأخطأت بعد ان فاتني الصواب ثم تسلم أبو جعفر الصيمري طازاذ ووهباً وجوهراً والى ألف كر حنطة وشعيراً وانحدر بهم الى بغداد مع ابن لناصر الدولة رهينة يقال له هبة الله وأدخل ابن شيرزاد بعده بيوم الى بغداد . وكلا به^(١) وصادره معز الدولة

(٢) قال صاحب التكملة . وضمن لناصر الدولة طازاذ وأبو سعيد وهب النصراني الكتاب (وهو الكاتب الذي مدحه ابن تباتة) خمسين ألف دينار على ان يطلقه فلم يفعل فسلمه الى الصيمري وكان الصيمري مرعياً لطازاذ . وقال أيضاً وكتب أبو عبد الله ابن ثوابة (وترجمته في ارشاد الارب ٢ : ٨٠) عن المطيع لله كذاباً بالفتح الى عماد الدولة منه فلم يسفر المعجاج الا عن قتل مرسل أو غريق معجل أو جريح معطل أو أسير مكبل أو مستأمن محصل أو حنينة ملأها الله بلا تعب أو غنيمة أفاء الله بلا نصب . وفي هذه السنة صرف أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب عن القضاء بالجانب

على خمسمائة ألف درهم تم حمل بآصر الدولة تكين الشيرزادي مسمولا الى معز الدولة فأحسن اليه معز الدولة وأطلقه واقطعه اقطاعا .

وفيها خرج لشكروروز بن سهلان في جيش الى الاهواز ومعه عامل خراج وظهرت الوحشة بين الأمير معز الدولة وبين أبي القاسم البريدي وقبض معز الدولة على نبال كوشة^(١٠١) وكان استحيجه وعلى أرسلان كور وعلى فتح اللشكري وحملهم الى قلعة رامهرمز

وفي يوم الاحد ثمان خلون من شوال ضرب الصيغري ابن شيرزاد بحضرته بالمقارع وطلابه بمال المصادرة وانحدر الصيغري الى الاهواز وفيها جرت وقعة بين أصحاب البريدي وبين أصحاب معز الدولة فكانت على البريدي وأسر منهم نحو مائتي رجل من وجوه الديلم

التعري وضيف الى عمر القاضي أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي ويعرف بابن أم شيان . وفي النصف من شعبان خرجت العامة ازبارة قبر الحسين وعقدت القباب بباب الطاق . وورد الخبر ان سيف الدولة قبض على الفراريطي واستكتب بعده أبا عبد الله بن فهد الموصل . وفي هذه السنة انقلبت قنطرة دهما بأسرها . وفي تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة ولما مات الاخشيد بدمشق سار سيف الدولة من حلب فلك دمشق واستأن من اليه يأنس الموصلي ثم سار سيف الدولة ونزل الرملة . وجاء من مصر انوجور بن الاخشيد بالجيوش والقائم بأمره كافور الخادم فرد سيف الدولة الى دمشق . وسار وراءه المنصريون فانهمزم الى حلب فساروا خلفه فانهمزم الى الرقة ثم تصالحوا علي ان يعود سيف الدولة الى ما كان يسيده . قال المسبحي وكان بين سيف الدولة وبين أبي المظفر حسن بن طنج وهو أخو الاخشيد وقعة عظيمة بالمجون فانكسر ابن حمدان ووصل الى دمشق بعد شدة وتشت وكانت أمه بدمشق فنزل المرخ خائفا وأخرج خواصه وسار نحو حصص على طريق قارا وسار أخو الاخشيد وكافور الاخشيد الى دمشق ثم سار الى حلب في آخر السنة واستقر أمرهم . وكسرة المظفر لابن حمدان مذكورة في كتاب الولاة لابي عمر الكندي ص ٢٩٥

(ودخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة)

وفيها سار المطيع لله والامير معز الدولة الى البصرة وانتزعاها من يد أبي القاسم البريدي فسار من واسط في البرية على الطغوف فلما صاروا في البرية ورد على الامير معز الدولة رسول الهجريين القرامطة من هجر بكتاب منهم اليه بالانكار عليه في سلوك البرية من غير أمرهم اذ كانت لهم فلم يجب عن الكتاب وقال للرسول : قل لهم « ومن أنتم حتي تستأذنوا في سلوك البرية وكأني أنا أقصد البصرة انما قصدى بلكم واليكم بعد فتحي اياها وستعرفون خبركم » وكلام في هذا المعنى فانصرف الرسول . وانحدر أبو جعفر الصيمري وموسى فياذة في الماء فملك مسماران ودخل دار البريدي بها بعد حرب يسيرة ووصل الخليفة والامير معز الدولة الى الدرهمية فاستأمن اليه ^(١٥٢) جيش البريدي بأسره وهرب أبو القاسم البريدي الي هجر وملك معز الدولة البصرة فانحلت الاسعار كلها ببغداد انحلالا شديدا . وقبض معز الدولة على جميع قواد البريدي بالبصرة واستخرج أمواله وودائعهم وقبض خزائنه وأحرق كل ما وجد له من آلات النساء من الشذاآت والطيارات والزبازب واستدعى لؤاؤا من بغداد فقلده أعمال البصرة والحرب . ووصل معز الدولة من البصرة الى الأهواز ليلقي أخاه عماد الدولة وتأخر الخليفة والصيمري بالبصرة . وتأخر كوركير عن صحبة معز الدولة من غير موافقة وقيل انه في التدبير عليه وعقد الرياسة لنفسه فوجه اليه بابي جعفر الصيمري فامتنع عليه وحاربه في داره فظفر به أبو جعفر وقبض عليه وصار به الي معز الدولة فأنقذه الي القلعة برامهرمز

ولقي معز الدولة أخاه عماد الدولة فقبل الأرض بين يديه واجتهد به
 عماد الدولة أن يجلس بين يديه فلم يفعل وكان يتردد إليه كل يوم بالغداة والعشية
 فيقف ولا يجلس . وقيل للأمير معز الدولة ان عماد الدولة يريد أن يسأله
 في الافراج عن رامهرمز وعسكر مكرم فحكى أبو الحسن المافروخي^(١)
 انه كان مع معز الدولة وكان عماد الدولة ورد أرجان فالتقيا بها قال : فدعاني
 عماد الدولة وقال : بلغني انه حكى لآخي^(١٥٣) اني وافيت الى هذا الموضع
 لا تجمع منه بعض أعمال الامواز . وضرب يده الى لحيته وقال : سوءة لها
 ان انا تواضعت لهذه الحال امن لي حتى احتاج الى استكثار البلاد وادخار
 المال ؟ هذا وأخوه ابنای وانما أريد الدنيا لهما والله ما وافيت الا لاعتد
 ما بينهما من الرياسة حتى لا يجري خلاف ان حدثت بي حادثة فاني عليل
 كما ترى واسأله أن يقدم الكبير على نفسه كما جرت العادة وبارك الله له في
 بلاده ولو أراد بعض فارس لوهبته له ولقد أصبحت وأمسيت وما منای
 على الله الا العافية وسلامتهما وابقاؤهما فانهما أخوای بالنسب وابنای
 بالتربية وصنيتاي باولايات ومن لي غيرهما فيقدر ما يقدر . (قال) فعدت
 الى معز الدولة وحدثته بالحديث فبكى وحضر في آخر النهار عند عماد
 الدولة فامسرف في الشكر والدعاء وتذكر الكلام فبكى بحضرته حتى
 ضمه عماد الدولة الى نفسه .

ثم انصرف الى بغداد وامتد الى باب الشماسية وقدم الخليفة فنزل
 بالزيدية . وأظهر معز الدولة انه يريد الموصل وكتب عن المطيع لله كتابا
 الى ناصر الدولة وورد أبو بكر ابن قزاة الى هالك بجواب الرسالة وتردد

(١) هو محمد بن أحمد كذا في ارشاد الارب ٣ : ١٨١

مرات ثم حمل المال وتم الصلح ^(١)

﴿ ^(١٠١) ودخلت سنة سبع وثلاثين وتلثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر بوقعة للروم مع سيف الدولة انهزم فيها سيف الدولة
وأخذ الروم مرعش وأوقعوا باهل طرسوس ^(٢)
وفيهما قبض معز الدولة على اصفهدوست ونحمله الى قلعة رامهرمز ^(٣)

ذكر السبب في ذلك

كان اصفهدوست خال ولد معز الدولة وولد له من أخته الحبشى وكان
يكثر الدالة عليه ويقل الهيبة له وكان يزرى عليه في كثير من أفعاله وبلغ معز
الدولة عنه انه يرسل المطيع لله في الايقاع به وانه قد استجاب له الى ذلك

(١) قال صاحب التكملة . ولما ورد المطيع لله من البصرة وكان في صحبته أبو
السائب عقبة بن عبيد الله الهمداني فولاه قضاء القضاة وصرف ابن أم شيان ولم يرتزق
أبو السائب واستخلف أبا بشر عمر بن أكتم . وورد الخبر بأن ركن الدولة فتح
طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن زيار واستأسر من أصحابه مائة وثلاثة عشر قائدا
وفي ذي القعدة ضمن روزهان الديلمي السواد والضرائب بعشرة آلاف الف درهم
واستكتب على ذلك ابن سنجلا . وضمن الصيرى أعمال واسط واستكتب عليها أبا
الحسن طازاذ . وفي ذي الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذي كان
رهينة عنده وأبقذه مع ابن قرابة الى أبيه

(٢) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٣٦ . وفيها اغارت الروم منهم الله
على أطراف الشام فسبوا واسروا فساق وراهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة
واسترد ما أخذوا ثم أخذ حصن برزبة من الاكراد بعد ان نازلهم مدة ثم افتتحه في
سنة سبع

(٣) قال فيه صاحب التكملة . وقبض على اصفهدوست لانه اشار على معز الدولة
ببإيعة ابي عبد الله ابن الداعي فقال الصيرى انه قصد ان يولي الامارة اذا صار الامير
اليه فكان ذلك سببا لاعتقاله برامهرمز ومات بقلعتها معتقلا .

فلما كتب عليه ذلك قبض عليه

وفيها ورد الخبر بان ركن الدولة هزم الملوى الذي كان بجرجان وطبرستان
وفيها دخل أبو القاسم البريدي في الامان الى بغداد واتى معز الدولة
وقبض الارض بين يديه وأنزله وأقطعته بمائة وعشرين الف درهم ضياعاً^(١)
وفيها ورد الخبر بمسير السلار وهو المرزبان بن محمد الى الزى طامماً
فيها وفي دفع ركن الدولة عنها لخاربه ركن الدولة وأسرته مع ثلاثة عشر قائداً
من قواده وحمله الى القاعة بسميم وحبسه فيها وعاد الامير ركن الدولة
الى الري وقد شرحنا أمره على الاستقصاء فيما بعد

وفيها خرج الامير معز الدولة^(٢) الى الموصل ودخلها وجرت
مراسلات بين ناصر الدولة ومعز الدولة استقر آخرها على ان يحمل عن
الموصل وديار ريعة وديار بضر والرحبة والشام في كل سنة ثمانية آلاف
الف درهم ويقيم الخطبة لعهد الدولة ومعز الدولة وبختيار بن معز الدولة وأخذ
الفضل والحسين ابني ناصر الدولة رهينة وانصرف الى بغداد . ولم يكن
الصيمري أخذ خط ناصر الدولة بهذه المفاصلة وذلك لان ابن قراتكين
غلام صاحب خراسان قصد الري واضطرب معز الدولة فبادر الى بغداد
لينفذ منها جيشاً الى أخيه فعمى أبو جعفر عسفاً شديداً في فصل القصة .
فقال الصيمري تسكيناله : ارحل اذا شئت فقد أخذت الخط بثمانية آلاف
الف درهم . ونما بعض الخبر الى ناصر الدولة فامتنع على أبي جعفر من بذل
الخط وخاف أبو جعفر أن يخبر الامير معز الدولة بالصورة بعد الاعتراف

(١) زاد صاحب التكملة . واعاد عليه ضيعته المرونة بفروخباد من بادوريا
وانزله في الدار المعروفة بالوزة بمشرقة الساج محتاطاً عليه .

فلا يقله العثرة وانحدر الى بغداد

فقال أبو محمد المهلبى وكان يخاف الصيمرى : قلت لابي جعفر : بأى شىء تحتج على الامير اذا طالب بهذا الخط فلم تحضره اياه ؟ فقال : اطالب ابن قرابة حتى يكتب خطه عنه فانه لا يقدر على مخالفتى ثم ان أنكر ناصر الدولة قلت انه خايفته وما كتب عنه يلزمه . قلت : فان لم يكتب ابن قرابة خطه وهذا مما لا يجوز ان تسكره عليه ؟ قال : زور^(١٥٦) على خط ابن قرابة . (وكان بغداد من زور على الخطوط عجبا) قلت : فاذا صبح رأيك على هذا فلا تطالب ابن قرابة بكتب الخط فانه ان امتنع عليك بطل التزوير به ولكن زور . فزورنا والله على خط ابن قرابة ضمانا بثمانية آلاف ألف درهم وخرج الصيمرى لحرب عمران ثم حدثت الحادثة من موت عماد الدولة وشخص وكانت كرتة التى ما عاد بعدها . ووافى ابن قرابة وطالبته بالمال فابى وأرته الخط فجعله وحلف بالطلاق انه ما كتبه ثم قال : ما أشك انه خطى ولكن ما كتبه . ثم هذا يا هذا انا قد شككت فكيف غيرى ممن تشبهه عليه الخطوط ؟ وأنت تعلم يا با محمد ان ناصر الدولة امتنع من كتب الخط على ابي جعفر وان ابا جعفر خرج وما أخذه وقد أحاطت بى البلوى وليس هذا حقى عليك . فقلت : الاستاذ أبو جعفر غائب وكلامك فيه لا يقبل والامير ينصر وزيره ولا ينصرك ويشهد ونحن معه ان هذا خطك لئلا يبطل ماله ويصير محصواة مخاصمة وزيره ولكن الرأى ان تقول الامير : « لما حدث أمر ابن قرانكين وخرج الجيش الى الرى طمع ناصر الدولة وجهد الضمان والوجه مقاربته حتى يصبح من جهة بعض المال والا بطل الاصل ثم اذا زال هذا الشغل بعد سنة صار^(١٥٧) الكلام لسنة مستأنفة

ويمجل شيئاً يؤخذ منه فان هذه السنة أصلح ، فأعاد ذلك على الأمير معز الدولة ودعاني على خلوة وقال لي : أى شيء ترى ؟ فقلت : الوجه ان تقارب وتأخذ ومتى تمكنا من قصد الموصل فالضمان معنا ونحن نستوفي تمام الثمانية آلاف الالف درهم . قال : فافعل . وقررنا الامر على ثلاثة آلاف الف درهم سنة واستوفيناها . وكان الصيمرى لما انصرف من عند ناصر الدولة بأصلح صار ناصر الدولة الى الموصل وعسف الناس وطالبهم بمال التعجيل . وفي هذه السنة خرج سبكتكين الحاجب ومعه أكثر الجيش والقراطة الى الرى مددا لركن الدولة ثم أتبعه معز الدولة بـروزبهان وعايكان وجماعة من الديلم ولحقوا به

(ذكر السبب في ذلك)

كان السبب فيه أن جيش خراسان تحرك فورد الخبر على ركن الدولة وكان ابن عبد الرزاق من كبار أصحاب الجيوش بخراسان الا أنه كان مستوحشاً من صاحبه فبكتاب ركن الدولة بأنه صائر اليه في الجيش الذى معه فاستمد له ركن الدولة واعدت أصفاء الكرامات له . وكانت أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه معز الدولة وأخاه أبا الحسن على بن بويه عماد الدولة يحمل كل واحد منهما اليه شيئاً كثيراً من المال والدواب^(١٥٨) والثياب والالطاف فصرفها كلها اليه مع ما أضاف اليه من جهته وذلك بعد أن حضره ووطئ بساطه وردده الى الدامغان فوصل اليه شيء لاعهد له بمثله وانما رده الى الدامغان لئلا يتضايق الرى بالعساكر وقيل له : فرق من الاموال ما ترى على من ترى . ثم استقر الراى بين الامراء الثلاثة أعنى عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة على تقليد ركن الدولة خراسان والعقد له عليها ليكون

معلوته اياهم على الاصل والولاية . ثم وردت الاخبار بحركة المرزبان بن محمد بن . مسافر وهو السلالر وانه عازم على قصد الري لمحاربة وكن الدولة منتما ورود جيش خراسان وانه سيشغله ذلك عنه . فندب عند ذلك معز الدولة سبكتكين الحاجب السير الى ركن الدولة مددآله بعد أن عظم أمره ونغم شأنه وضم اليه جماهير عسكره وأنكأ قواده وفيهم بورریش وروزبهان ومن يجزي مجراهما وقطعة وافرة من الأتراك وثلاثة آلاف من شجعان العرب المعروفين فيهم ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد وعمار المجنون واحمد بن صالح السكلابي وطبقتهم وأطلق الأموال وأزاح العمل في الخيل والسلاح وغيرها . وكتب عهد ركن الدولة على خراسان وعقد لواءه وحملات الخلع اليه معه وخرج بذلك أحد حجاب^(١٠) السلطان مع سبكتكين الحاجب فسارت الجماعة معه على أتم أهبة . فلما وصل العسكر الى ظاهر الدينور خلع بورریش الطاعة وأنف من متابعة سبكتكين والمسير تحت رايته وجمع الى نفسه الديلم الذين في العسكر فاستجابوا له جميعاً وبكروا عليه في غداة غد وهو فيها غافل جالس في خيمة له فنافسوه ورماه بزويين اثنته في كتفه وولى من موضعه وخرج مجروحاً من تحت ذيل خيمته وركب جنيدية الزوبة فبرز الى الصحراء وتلاحق به غلانه وسائر الأتراك مع العرب وتمكن الديلم من رحله وسواده فنهبوه ونهب رحل حاجب السلطان الذي معه الخلع فذهبت في النهب . وتحيز الديلم كلهم مع بورریش الآروزبهان ونفراً قليلاً معه فانهم اختاروا طاعة سبكتكين على طاعة بورریش ومرت بورریش هائماً على وجهه ورجع عنه الديلم الى سبكتكين فقبلهم سبكتكين وبسط عندهم ولم يبق الى ما حذر منهم . وأمر للعرب بطلب بورریش فلم يكن بأسرع من

أن يوافي به ابراهيم بن المطوق المعروف بابن البارد أسيراً مسلوباً فأقيم بين يدي سبكتكين فخطبه مما يجري مجرى التشفي واسمعه القبيح ثم أمر بتقييده ورحل الى همدان واستأنف تجديد الخلع التي انتهت حتى^(١٦١) أقام العوض منها ثم تم المسير الى حضرة ركن الدولة فوجده نازلاً بباب الري فلم يورريش اليه فكان آخر العهد به . ولبس الخلع فبرز فيها للناس وقرى عهده على خراسان بمشهد من القضاة والقواد ووجوه الناس ووافاه المدد من شيراز واستدعى محمد بن عبد الرزاق من الدامغان لمناجزة المرزبان فانه كان أهم وأولى بالابتداء فلما واقمه ظفر به وأخذ أسيراً كما حكينا في أخباره

(ودخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة)

وفيهما انحدروا أبو جعفر الصيمري لمحاربة عمران بن شاهين وكان هذا الرجل من أهل الجامدة^(١) وجنى جناية فهرب الى البطيعة من سلطان الناحية فأقام بين القصب والالجام واقتصر على ما يصيده من السمك قوتاً ثم اضطر الى معارضة من يسلك البطيعة متلصصاً وعرف خبره جماعة من صيادي السمك فاجتمعوا اليه مع جماعة من المتلصصة هناك حتى حشي جانبه من الاساطان فلما اشفق من أن يقصد استأمن الى البريدي فقلده أبو القاسم الجامدة للحماية والانهواز التي في البطائح فما زال يجتمع الرجال الى أن كثر أصحابه وقرى فناب على تلك النواحي .

وفيهما ورد الخبر بان ابن قراتكين غلام صاحب خراسان^(١٦٢) انصرف الى نيسابور وتفرقت جموعه عنه وبقي وشمكير بطبرستان فسار اليه ركن

(١) زاد صاحب كتاب العيون . وهي قرية من اسافل واسط يزعم أنه عربي من بني سليم ولكنه سوادى المنغما واللغة وكان قد جنى الخ

الدولة يريدہ فلما قرب منه انصرف بغیر حرب وعارضه علی بن سرخاب
أحد قواد ركن الدولة فوقع بسواده واستأمن أكثر أصحاب وشمکیر الى
ركن الدولة ودخل ركن الدولة آمل

وفيها أوقع الصيمري بمران بن شاهين دفعة بعد دفعة واستأسر أهله
وعیاله وهرب عمران بن شاهين واستتر . ثم ورد الخبر بموت عماد الدولة
علی بن بويه فاضطرب الجيش هناك وكتب من الدولة الى الصيمري بالمبادرة
الى شیراز لاصلاح الامور بها فترك الصيمري ما كان فيه من طلب عمران
ابن شاهين وبادر الى شیراز . ووافی ركن الدولة الى شیراز واجتمعوا على
تقرر الامور وضبط البلد واصلاح أمر الجيش فلما استقام الامر وصالح البلد
سلماه الى الامير أبي شجاع ففأخسره بن ركن الدولة وانصرفا عنه
وكانت علة عماد الدولة التي مات فيها قرحة في كلاله طالت به ونهكت
جسمه ^(١) ولما مات نفذت كتب الخليفة بانه قد نصب أخاه الامير ركن
الدولة مكانه وجعله أمير الامراء .

وتغيرت نية الامير مع الدولة على أبي الحسن المافروخی وقبض على
أبي محمد علی بن عبد العزيز ابن عمه بالبصرة ثم على أبي الحسن بعده لما
عجزا عن ^(١٦٢) ضمان البصرة والاسافل فان أمرها كان مشتركا وكتب
الى أبي جعفر الصيمري وهو بشيراز بان يُنفذ اليه أبو الفضل العباس بن
فسانجس فانفذ وقلده الدواوين التي كانت الى أبي الحسن المافروخی
ويسألها منه قبل ان يستكتب الامير مع الدولة أبا محمد المهلبی بأسبوع
ثم حاول ان يَدْخِل يده في ديوان السواد ليَجري في ديوانه فمنعه أبو محمد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

المهلي واحتج عليه بان هذا الديوان كان يجري في ديوان الصيمري ثم حاول أن يدخل يده في ديوان النفقات وكان يتولاه أبو الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي وفي ديوان الجيش وكان الى سهل بن برديشت وفي حساب الخزانة الذي يتولاه أبو علي الحسن بن ابراهيم الشيرازي^(١) فتمعه معز الدولة من ذلك لخصوص هذه الطائفة به^(٢) وسكونه اليها

وفيها ورد الخبر بان كوركير وبنال كوشه قتلا الموكلين بقلعة رامهرمز وكسرا قيودهما وخرج بنال كوشه وهرب فلقبه الا كراد وما منهم فقتلوه ولم يخرج كوركير ولا فتح الاشكري ولا ارسلان كور ولا اصفهري دوست وكتب معز الدولة الى أبي جعفر الصيمري وهو بشيراز ان يبادر الى القلعة وحفظها فبادر وكان اصفهري دوست عليلا من قوايج فمات بها . ولما بعد الصيمري عن عمران^(١٦٣) وشغل بهذه الاسباب بعد ان لم يبق في أمره شيء تنفس وخرج من استناره وعاد الى أمره وجمع اليه من كان تفرق عنه من رجاله وقوى أمره .

وفي هذه السنة أحس علي بن بويه عماد الدولة بالموث لمخالفة الملل اياه وخاف ليعبد أخيه عنه وكثرة من في جملة من كبار الديلم ان يطمع في مملكته بعده فاستدعى فناخسره بن ركن الدولة من أبيه ليرشحه للامر بعده ويأمن به القواد والجيش ففعل ذلك وسار فناخسره بن ركن الدولة الى شيراز وضم عسكره اليه أبوه حاشيته الثقات ولما قرب من شيراز تلقاه عماد الدولة في جمع وأنجلسه في داره على السرير وأمر الناس بالسلام عليه ووقف بمحضرة لثلا يمتنع أحد فكان يوما عظيما مشهودا ثم عهد اليه بعد ذلك ومات

(١) هو « النصراني » في ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٢ (٢) ليس في الأصل

هو ذكر استعمال حزم واستظهار من عماد الدولة قبل موته
كان عماد الدولة ينهم جماعة من أكابر قواديه ويعرفهم بطلب الرياسة
لأنفسهم وكانوا يرون أنهم أكرم منه منصباً وأحق بالولاية فنظف
مسكره منهم وقبض على جماعة . فكان ممن قبض عليه شيرنجين بن جليس
فخوطب فيه وتشفع فيه ^(١٦٤) وجوه حاشيته وثقات أصحابه فقال لهم : اني
أحدثكم عنه بحديث فان رأيتم بعد استماعه ان أطاقه فملت . ثم ابتدأ
يحدثهم انه كان بخراسان في خدمة نصر بن أحمد قال : ونحن يومئذ في
خدمة من الديلم وكان يجلس نصر بن أحمد للسلام في كل أسبوع مرتين
يجلس ذات يوم وحواليه من مماليكه ومماليك أبيه بضمة عشر آلاف
غلام سوى سائر المسكر فرأيت شيرنجين هذا قد جرد دشنيا ^(١) واشتمل
عليه بكسائه فقلت له : ما هذا ؟ قال : أريد أن أصنع اليوم ما أذكرك به آخر
الدهر . قلت : وما هو ؟ قال : ادنو كاني متظلم أو طالب حاجة فاقبل
الأرض ولا أزال أدنو حتى اذا وثقت بالوصول الى هذا الغلام (بمعنى نصر
ابن أحمد) فتسكت به ثم لا أبالي ان أقتل بعده وقد أنفت من القيام بين
يدي صبي (وكان لنصر بن أحمد يومئذ عشرون سنة وقد خرجت لحيته)
فملت انه ان فعل لم يقتل وحده حتى يُقتل كلنا معه مباشرة الديلم فأخذت
بيده وقلت له : بني وبينك حديث . وجهت عليه الديلم وحدثهم بما عم به
وما يحى علينا كذا ان تم له ما يريد فتقبضوا على يده وأخذوا منه الدشني .
أفتريدون من بعد ان سمعتم رأيه في نصر بن أحمد ان أمكنه من الوقوف
بين يدي هذا الصبي ؟ ^(١٦٥) فامسكوا عنه وقالوا : الامير أعلم بجيشه . ولم

(١) المستعمل عند الفرس دشته أي خنجر

يزل عنبوسا حتى توفي في محبسه .

وفي هذه السنة قُلِّدَ أبو السائب عُتْبَةُ بن عبيد الله قضا القضاة ^(١)

(ودخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة)

وفيهما ورد الخبر بدخول ابن قراتكين غلام صاحب خراسان الى
الري وانصراف من كان بها من أصحاب ركن الدولة وكان ركن الدولة
بطبرستان واستولى أصحاب ابن قراتكين على الجبل كله .

وفيهما مات أبو جعفر محمد بن أحمد الصيمري في حُمى حادة بالبرزوني
من الجلمدة لما عاد لمحاربة عمران بن شامين ^(٢)

وفيهما استكتب معز الدولة أبا محمد الحسن بن محمد المهلبى ولما ورد

(١) وله قصة مع صاحب ابن عباد : ارشاد الارب ٢ : ٣٣٨

(٢) زاد صاحب التكملة : وكان الصيمري يحسد المهلبى على تخصيصه وأدبه فكان
إذا جلس معه على الطعام رأى كلامه وفصاحته يأمر الفراشين بعينه فيطرحون المرقعة
على ثيابه فكان المهلبى منفصلا به وكان يستصحب مع غلامه دائماً ثيابا يغير بها ماعليه .
وقال أيضا : ولما خرج الصيمري في هذا الوجه استخاف أبا محمد المهلبى فلما علم نفاقه
على معز الدولة أطلق لسانه فيه فكان أبو محمد قد تبين انه يهلك على يد الصيمري
فأنفذ الى معسكره طيورا وأوقف من يكتب عليها اخباره فأنه البراج بطبر قد أقبل بالمال
بكتاب لم يقف عليه فقال للصائبى (يمينى أبا اسحق ابراهيم بن هلال الذي ولى ديواز
الرسائل بعد أبى عبد الله بن نوبة في سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الارب ٢ : ٨٠) .
الطاف في قراءته . فقرأه بعد جهد فاذا فيه « هلك الصيمري » فدخل الى معز الدولة
وعزاه وجلس للعزاء به . وترشح للوزارة أبو على الطبرى وهو عامل الاهواز قال
التوخى . من أعظم المصادرات مصادرة معز الدولة لابى على الحسن بن محمد الطبرى
صادر على خمسة الف دينار فلما مات الصيمري طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما
قدم منه أول نوبة ثلاثمائة الف دينار فلما بين عليه خروجها فاخذها منه وقبله المهلبى .
وليراجع أيضا ارشاد الارب ٣ : ١٨١

الخبر بموت أبي جعفر الصيمري أرجف لجماعة بان الامير معز الدواة
يستكتبه فمنهم أبو علي الطبري ومنهم أبو علي الحسن بن هرون ومنهم أبو
محمد المهلب واجتمع أبو محمد المهلب وأبو علي الحسن بن هرون فتحالفا على ان
من صح له الامر منهما كان لصاحبه على مودة ومشاركة . وسمى أبو علي
الطبري وكان رجلا أميا في أول أمره نخاسا يبيع الرقيق فخطب كتيبة
الامير أبي الحسين مكان أبي جعفر الصيمري وبذل مالا فاطمعه معز الدواة
فيما قدر وتقدم اليه بحمل المال فحمل الى الخزانة مالا فلما صح المال عدل عنه
الى أبي محمد المهلب نقله كتابته وتدير أعمال الخراج وجباية الاموال
(١٦٦) وخلع عليه لذلك يوم الاثنين اثنان ثلاث بقين من جمادى الاولى . وزوج أبو
محمد المهلب ابنته من أبي علي الحسن بن محمد الانباري الكاتب واستغلفه
بالخضرة وانحدر الى الأهواز

﴿ ذكر السبب في اختيار معز الدواة أبا محمد المهلب ﴾

﴿ وإثاره إياه على وجوه الكتاب من الخضرة ﴾

﴿ وغيرهم مع وفور عدد الكفاة يومئذ ﴾

سبب ذلك انه وجدته جامعا لإدوات الرياسة وكان لا يجمعها غيره
وان كان فيهم من هو أرجح كتابة وأيضا فقد أنس به على طول الزمان
وانه خاف الصيمري على الوزارة فعرف غوامض الامور وأسرار المملكة
وكان الباقر لا يعرفون ذلك ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم فيها . وكان مع
ذلك حسن الانباء عن نفسه فصيحاً مهيباً متوصلاً الى انارة الاموال عارفاً
برسوم الوزارة القديمة سخيلاً شجاعاً أديباً يفصح بالتأريخية فتلافى أكثر
مادارس من رسوم الكتابة واستدرك كثيراً من العمارات وآثار وجوه

الاموال من مواضعها فحسنت آثاره . وتوفر مع ذلك على أهل الادب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ونوّه بهم وزغّب الناس بذلك في معاودة ما أهمل منها . ثم خرج الى الاهواز فجمع أموالا ^(١٦٧) كان قد طمع فيها العمال من بقاءا وزيادات زادها في العقود عليهم ومن مؤامرات ناظر عليها العمال والضمناه فالزمهم أموالها فانصلت حمولة وظهر فضله على من تقدّمه . ^(١٧) ثم انتقل من الاهواز الى البصرة فكان أثره فيها أوفر وإثارته للاموال منها أكثر كما سنذكر بعضه

وفي هذه السنة ورد الخبر بان سيف الدولة غزا وأوغل في بلاد الروم وفتح حصونا كثيرة من حصون الروم وسبي عددا فلما أراد الخروج من بلد الروم أخذ الروم عليه الدرب الذي أراد الخروج منه فتألف كل من كان معه من المسلمين أسرا وقتلا وارتجع السبي الذي كان سباه وأخذ سواده وكترائه وخزائنه وأمواله وسلاحه وغنم الروم منه غنيمة لم يروا مثلها

(١) زاد صاحب النكلة : وكان المهلبى قبل البدن ومشى في صحون الخليفة وقد أثقله ما عليه من اللباس فسقط بين يدي المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقم . وظن من معه انه يحصر بما جرى فتكلم وأحسن وأطال الشكر والقول وتمثل بايات فتعجب الناس من بديته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة . وداره هي الدار المعروفة بالمرشد ونزلها السلطان (طفرليك) ركن الدولة في سنة ٤٧٧ عند دخوله بغداد ونقضها موفق خادم القائم بأمر الله رضوان الله عليه في سنة ٤٥٥ وبنى بآثارها حجرة للطيور بباب النوبي وعمرها سعد الدولة الكوهراييني في سنة ٤٩٠ ولما قتل وقفها زوجته ونفذ ما كان بقي من النقض في الدور الشاطبية بباب الطاق وما امتدت يده من قصر بني المأمون رضي الله عنه ثم نزلها قوام الدولة كربغا في سنة ٤٩٣ ثم خلت بعد خروجه . وليراجع أيضا ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٢

وأفلت في عدد يسير^(١)

وفيهما خرج الحاجب سبكتكين الى همدان مدداً لركن الدولة فلما دخل قريسين أسير من كان بها من أصحاب ابن قراتكين .

وفيهما رد القرامطة الحجر الاسود الى موضعه من البيت الحرام بمكة وكان أخذه أبو طاهر سليمان بن الحسن الجناني من البيت الحرام وكان يحكم

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وفيها غزا سيف الدولة فسار في ربيع الاول ووافاه عسكر طرسوس في أربعة آلاف عليهم القاضي أبو حصين فسار الى قيسارية ثم الى القندق ووغل في بلاد الروم وفتح عدة حصون وسيى وقتل ثم سار الى سمندو ثم الى خرشنة يقتل وبسيى ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته فظهرت عليه فليجاً الى الحصن وخاف على نفسه ثم جمع والتقى سيف الدولة فهزمه الله أقبح هزيمة وأسرت بطارقه وكانت غزوة مشهورة وغنم المسلمون ما لا يوصف وبقوا في الغزو أشهراً . ثم ان الطرسوسيين قتلوا ورجع العربان ورجع سيف الدولة في مضيق صعب فاخذت الروم عليه الدروب وحالوا بينه وبين المقدمة فقاموا الشجر وسدوا به الطرق وهدموا الصخور في المضائق على الناس والروم وراء الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون ولا منفذ لسيف الدولة وكان معه أربعمائة أسير من وجوه الروم فضرب أعناقهم وعقر جماله وكثيراً من دوابه وحرق النمل وقتل قتال الموت ونجا في نفر يسير واستباح الدمستق أكثر الجيش وأسرا أمراء وقضاة ووصل سيف الدولة الى حلب ولم يكده . ثم مالت الروم فعاثوا وسبوا وتزلزل للناس ثم اطف الله تعالى وأرسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجب سيف الدولة وبعت يهوده ثم جهز جيشاً فدخلوا بلاد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا خلقاً وغزا أهل طرسوس أيضاً في البر والبحر ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد فحارب الروم وخرب الضياع وانصرف سالماً . وأما الروم فلنهم احتالوا على أخذ آمد وسعى لهم في ذلك نصراني على ان ينقب لهم نقبا من مسافة أربعة أميال حتى وصل الى سورها ففعل ذلك وكان نقبا واسداً فوصل الى البلد من تحت السور ثم عرف به أهلها فقتلوا النصراني وأحكموا ما نقيه وسدوه . ومعنى الدمستق نائب البلاد التي في شرقي قسطنطينية .

ينزل في ردة خمسين ألف دينار فلم يُردّ وقيل : أنا أخذناه بأمر وإذا ورد
الإمر برده رددناه . فلما كان في ذي القعدة ^(١٦٨) من هذه السنة كتب
اخوة أبي طاهر كتابا يذكر فيه أنهم ردوا الحجر بأمر من أخذوه بأمره
ليتم مناسك الناس وحجهم . وكان الذي جاء به أبو محمد ابن سنبر تم سار به
إلى مكة ورده إلى موضعه ^(١)

﴿ ذكر الآثار الجميلة التي أثرها الوزير أبو محمد المهلب ﴾

﴿ حتى عمرت الخراب وتوفر دخاها وانصل ﴾

﴿ الحمل منها بعد انقطاعه ﴾

قد كان ممز الدولة لما فتح البصرة ودخاها تظلم إليه الرعية من سوء
معاملات البريدين فعرف أكثرها وذلك أن أبا يوسف البريدي خاصة
تردد بالنظر في أعمال البصرة وجباية أموالها فرسم لأبي الحسن ابن أسد
الكتاب أن يطالب ملاك الأرضين التي يؤخذ منها حق العشر (وتعرف

(١) وفي تاريخ الإسلام : قال السبكي : وافي سنبر بن الحسن إلى مكة ومعه الحجر
الأسود وأمير مكة معه فلما صار يقف الأيت أظهر الحجر من سبط وعليه ضباب فضة قد
عملت من طوله وعرضه تضبط شقوا حدثت عليه بعد انقلاعه وأحضر له صائغا معه
جس يشبهه فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده وشده الصانع بالجس وقال لما
رده : أخذناه بقدرة الله ورددناه بمشيئة الله .

وفيه أيضا في ترجمة سنة ٣٤٠ : وفيها قلع حجابة الكعبة الحجر الذي نصبه سنبر
صاحب الجبابي وجعلوه في الكعبة وأحبوا أن يجعلوا له طوقا من فضة فيشده به كما كان
قد عا لما عمل عبد الله بن الزبير وأخذ في إصلاحه صائغان حاذقان فاحكام . قال أبو
الحسن محمد بن نافع الجزاعي . فدخلت الكعبة فيمن دخلها فتأملت الحجر فإذا السواد في
رأسه دون سائر وسائر أيضا وكان مقدار طوله فيما حذرت مقدار عظم الذراع . قال .
ويبلغ ما عليه من الفضة فيما قيل ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعة وتسعون درهما ونصف .

بصدقات أراضي العرب (بالبصرة عن كل جريب من الحنطة والشعير
عشرين درهما وانما فعل ذلك بسبب زيادة الاسعار بالبصرة وان السكر
بالمعدل من الحنطة بلغ بها مائتي دينار ولم يستعمل ذلك الا على تدريج . فلما
قتل أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف أقر ابن أسد على العمل وأجرى
الناس على ذلك الرسم . وكانت العمارة تنقص في كل سنة لاجل جور
البريدين وعمّالهم وهم يطالبون بالعمرة فنقص مال العمرة ^(١٦٩) عن جربان
العمارة فزاد ذلك ما يلزم كل جريب في السنة على ما كان يلزمه في السنة
التي قبلها . وكان قد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم فالزموا ان
يزرعوا تحت النخل حنطة وشعير فلما فملوا الزموا عن كل جريب أربعين
درهما فقصروا في العمارة فجعل ما كانت يرتفع عمرة عليهم واستوفي من
ملاك أرض المشرك فهارب الناس فزاد ذلك على من بقي . فلما تقلد أبو محمد
المهلب وزارة معز الدولة ودخل البصرة وتظلم اليه أهل البصرة من العبر
التي جُعّت عليهم في أراضي الحنطة والشعير فوعدهم بكل ما أنسوا به . ثم قرر
أمرهم على ان يردوا الى رسمهم القديم في أخذ العشر حبا بعينه من غير ترييع
ولا تسخير ونظر فيما بين ذلك وبين ما يؤخذ منهم على تقريب فأشار على
أرباب العشر ان يتناعوا فضل ما بين المعاملة على الظلم والمعاملة على الانصاف
بشمن يرغب فيه معز الدولة عاجلا فيسهل عليه ما ينحط من الارتفاع مع
ما يتعجل له من المال ثم يضاف الى ذلك ما يثمره العدل وموقعة من قلوب
الناس مع الرجاء في المستقبل لزيادة الارتفاع . فاستجابوا وتقرر الامر بينهم
على أنفي ألف درهم ^(١٧٠) ومائتي ألف درهم وكتب لهم بذلك وثيقة ثم
حط من الجميع عن الضمن مائتي ألف درهم وكتب الى معز الدولة بان في

ذلك حظا عاجلا وصلاحا ووفورا في ارتفاع الناحية في المستقبل فحسن موقع فعله من معز الدولة فامضاه . وحضر البصريون فاشهدوا على المطيع لله بالبيع وسجّأوا بالابتياح ونسب المبتاع الى فضل ما بين المعاملتين في العبر فعمر الناس وتضاعف الارتفاع للسلطان وزال عن البصرة تلك الرسوم وصار يرتفع عن المراكب ما يعدل ألفي الف درهم فكان هذا من الآثار الجميلة لابي محمد المهلبى .

وفي هذه السنة ورد الخبر بشغب جرى في عسكر الحاجب سبكتكين وان القرامطة انصرفوا عنه مع الاثراك بعد ان اوقع بهم ركن الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان الاجتهاد شديدا في استصلاحهم لانهم كانوا بازاء حرب فلما تعذر قال ركن الدولة : هؤلاء أعداء معنا في عسكرنا وهم أشد علينا من أعدائنا الذين بازائنا والوجه ان نحاربهم ونطردهم . فحاربهم وهزمهم فلما العرب فصاروا الى معز الدولة وأما الاثراك فمضوا الى الموصل ولما سار ركن الدولة الى همدان ارتحل ابن قراتكين من الري ^(١٧١) الى أصبهان وفي هذه السنة واقع أبو محمد المهلبى عمران بن شاهين ومع أبي محمد المهلبى روزبهان فسكانت على المهلبى وروزبهان واستؤسر أكثر قوادهما وقتل أبو الفتح ابن أبي طاهر بعد ان استظهر المهلبى واستولى

﴿ ذكر السبب في ذلك وفي هزيمة المهلبى بعد ﴾

﴿ الاستظهار على عمران ﴾

كان السبب في ذلك ان معز الدولة كان هول على روزبهان في محاربة

عمران فبنى آلات الماء وأثبت الرجال واحتشد فطاولة عمران وتمحصن في مكانه من البطائح فضجر روزبهان وأقدم عليه طلباً لمناجزته فاستظهر عليه عمران وهزمه وهزم أصحابه وغنم جميع آلاته وسلاحه فقوى بها . وتضاعف طمعه في السلطان وضرى أصحابه على جند السلطان واستخفوا بهم فكان بعد ذلك إذا اجتاز بهم الحجاب الكبار المحتشمون والقواد والامراء من الديلم والأتراك سفهوا عليهم وطالبوهم بحق المرصد والبذرة فان تأبى عليهم احسد تناولوه بالشتم القبيح والضرب المبرح وكان الجند لا يستغنون عن الاجتياز بهم لحاجتهم الى ضياعهم ومعاملاتهم بالبصرة^(١٧٢) والاهواز ثم انقطع طريق البصرة الاعلى الظهر . فشغل ذلك قلب معز الدولة وكثر بكاء الامراء والحجاب والقواد بين يديه بما يجري عليهم من الهوان في اجتيازاتهم فكتب الى الوزير المهلبى بالاصمعة الى واسط لتسليفي الحادثة والتجرد لطلب عمران ومعاودته الحرب وجرد اليه عسكريا جرارا فيه ابن أبي طاهر ووجوه قواده وغلمانه وحمل اليه سلاحا كثيرا واطلق يده في اتفاق الاموال فزحف الى عمران وسد عليه مداخله وانهى الى مضيق في البطيحة شعب لا يعرف مسالكها الا عمران واصحابه . فاحب روزبهان ان يلحق المهلبى مثل ما لحقه من الهزيمة ولا يستبد بالظفر فاشار عليه بالاعتحام والهجوم وتوثق المهلبى واراد سد تلك المضائق فاخذ روزبهان في التضريب عليه وعارضه في كل مآذره ومنعه من هذا الاستظهار وسد الشعب وكتب الى معز الدولة يستعجزه ويذكر أنه انما يحجم ويجنح الى المطاولة ليجتنب بالاموال في النفقات ولم يزل بذلك وشبهه ان وردت كتب معز الدولة بالاستبطاء فترك المهلبى الحزم وركب الخطا وعدل عما يدبره كله ودخل

بجميع عسكره^(١٧٣) هاجماً على عمران وتأخر روزبهان ليصير أول الخارجين عند الهزيمة . وقد كمن عمران كمناءه في تلك المعترضات وشحنها بالآلات الموافقة لتلك المضايق فخرجوا على العساكر وهم متزاحمون متضايقون في طريق الماء لا يعرفونها فوضعوا فيهم الحراب فقتلوا وأسروا وانصرف روزبهان موفوراً ونجا الوزير المهدي سباحة وحصل القواد والوجوه في الاسر . فاضطرت الحال الى مصالحة عمران فقوى واستفحل امره . واجيب الى كل ما اقترح

وقد كنا ذكرنا ورود الخبر بمسير السلاار المرزبان الى الري ووعداً هنالك باستقصاء خبره والان حين بدأ بذلك

﴿ ذكر الاسباب التي بعثت السلاار المرزبان على قصد الري ﴾

﴿ وما انعكس عليه من تدابير حتى أسر ﴾

(وحبس في القلعة بسميرم)

كان المرزبان انفذ رسولا الى معز الدولة في أمور حملة اياها فورد مدينة السلام وقد رحل عنها الى البصرة فافتتحها وأقام هذا الرسول منتظراً له الى أن عاد فأدي اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته ففعل وأسمع نهاية ما كره وانصرف على هذه الحال . فخكى للمرزبان ما جرى عليه فامتعض وأخذ^(١٧٤) في جمع الرجال والاستعداد ورأى أن يتدي بالري فراسل ناصر الدولة سراً يبذل له المعاونة بنفسه وأولاده ورجاله وماله وأشار عليه بأن يتدي بقصد بغداد فخالفه وأجابه بجميل واعلمه أنه يرى الصواب في الابتداء بالري فانتم له ما يريد طلب بعد ذلك بغداد وغيرها . وكان استأمن اليه من قواد الري على بن جويان قوله فعرفه نية القواد الذين

وراءه بالري وانهم على المصير اليه فزاده ذلك طمعا واستدعي اياه محمد بن مسافر واخاه ابا منصور وهسودان فلما وافاه ابوه تلقاه وقبل الارض بين يديه واجلسه في صدر الدست ووقف بحضرته وامتنع من الجلوس حتى حلف عليه ابوه دفعات كثيرة بخلس وامتنع وهسودان من الجلوس فلما جن الليل خلوا جميعا وتفاوضوا فلما عرف ابوه صحة عزمه في قصد الري فثأ عزمه وعرفه أحوالا توجب الامتناع من قصدها فأبى عليه وقال : قد وردت على كتب واكثر القواد هناك مستعدون للانحياز الى . فلما كان وقت الوداع بكى ابوه وقال : يا مرزبان اين اطلبك بعد يومى هذا . فقال عجيبا له : اما في دار الامارة بالري واما بين القتلى .

وقد كان ركن الدولة ^(١٧٥) حين عرف خبره كتب يستمد من اخويه عماد الدولة ومعر الدولة وخشى أن يعاجله المرزبان قبل ورود المدد فكتب اليه على سبيل المكر والخديعة يعظه ويستخذي له ويسئله أن ينصرف عنه على شريطة أن يفرج له عن ابهر وزنجان وقزوين . ولم تزل الرسائل تتردد بينهما الى ان ورد حضرة ركن الدولة بارس الحاجب في الفى رجل من جيش عماد الدولة وورد سبكتكين الحاجب في الفى رجل من جيش معز الدولة وكان قد صار اليه محمد بن عبد الرزاق مستأمنًا من عسكر خراسان ومحمد بن ما كان مددًا من جهة الحسن بن الفيروزان فلما تناسهى استظهاره قبض على جماعة من قواده الذين شك فيهم واتهمهم بمكاتبة المرزبان وسار الى قزوين في جميع هذه الجيوش . فعلم المرزبان أنه لا طاقة له به ولكنه أنف من الرجوع فعمل على محاربته وكان مع المرزبان يومئذ خمسة آلاف من الديلم والجيل والاكراد فحات . يمينه ركن الدولة وميسرته على يمينه

المرزبان وميسرته فلتهزمتا جميعا وثبت هو في القلب الى أن قتل بين يديه
 جهوه بلي وونداسفحان بن ميشكى وأسر على بن ميشكى المعروف ببليط ومحمد
 ابن ابراهيم وعدة من أ كابر قواده وأحاطت الرجال به فاسر وحمله ^(١٧٦)
 ركن الدواة الى الري ومنها الى أصبهان وحمل من أصبهان الى قلعة سميرم
 فلما انفصل من الري مع جماعة من قواد ركن الدواة وخواصه وكانوا
 مضمومين الى الاستاذ الرئيس حقا أعنى أبا الفضل ابن العميد رحمه الله
 وكان ^(١) هو المتولى حفظه والاستظهار عليه الى أن يحصل في القلعة
 ذكر تدير تم على المرزبان حتى حصل باصبهان بعد ان كان واطاً الديلم
 الذين أخرجوا معه على الفتك بابي الفضل ابن العميد والحرب به
 حدثني الاستاذ الرئيس أبو الفضل قال : لما كنا بين الري وأصبهان
 تحقق عندي مراسلة الديلم اياه واجتماعهم على أن يأخذوه قهراً ويحملوا قيوده
 ويفتكوا بي وظهر ذلك حتى كادت المكاشفة تقع . فلما خنت فوت التدبير
 سايرته وهو في عمارية وحادثته وهو ينتظر في ذلك اليوم أن يتم له ما يريد
 وجلمات أقاربه والين له فظهر التوجع والتألم مما حصل فيه فلما أطمعته في
 نفسه (وكان لا يطمع في ذلك من قبل) أمال الى رأسه وقال : أنت مقبل
 فان كنت صادقاً فابدأ بحل قيودي وعلى لك كيت وكيت . وضمن
 الضمانات التي تبذل في مثل ذلك الوقت (قال) فاولهته ان لا أعرف شيئاً
 من مواطاة الديلم له وقلت : اخشى ألا يساعدني من معنى على ذلك . فقال :
 غفر الله لك انت لا تعرف ^(١٧٧) الصورة جميع من معك قد عملوا على فك
 قيودي والفتك بك وأنا أريد ذلك الساعة ان شئت . فقلت : يكفيني ان

اتق بذلك ثم انا اول عبد خدمك وناعىحك وتابىك حتى يتم لك ما تريد .
وحدثته باشياء أنكرتها من صاحبي وحقود في قلبي عليه فاستدعى واحداً
بعد واحد من القواد الذين كانوا معي وأسر اليهم أني معه وموال له ووصل
حديثه معهم بان أدخلني معهم في التدبير فظهرت سروراً شديداً بذلك
وتواعدنا النزول في المنزل القريب واتمام التدبير . فلما نزلنا وضربت خيمتنا
وخرنا هاتنا وحصل في موضعه راساني وأخلاني بنفسه ثم قال لي : ابعت
الى فلان وفلان (يعني جماعة ممن يثق بهم) حتى يحضروا . فقلت : أيها
السلار ان هاهنا تدبيراً يجب أن تسمعه فان وقع بوفائك والا فمأمر به
ممثل . فقال : وما هو . فقلت : ان حرم ركن الدولة وأولاده وخزائنه
كلها باصبيهان وأنا وزيره وثقته والمتولى للجميع فلو امتدنا على صورتنا هذه
حتى لا نهم لتمكننا من القبض على الجميع وحصلنا في مدينة عامرة تمكن
فيها من التدبير ومع ذلك فان حرم جميع القواد باصبيهان وكذلك أولادهم
فاذا قبضنا عليهم لم يبق في واحد^(١٧٨) منهم فضل لمحاربتك واستسلم الجميع
لك وأنهد جانب ركن الدولة انه دأب لا انجبار له وتمكننا ايضاً من قلاءه
وذخائره وأخرجناها ولم يكن له بقية وان نحن عاجلنا الامر وخرجنا من
هذا المكان طلبنا الخيول وأحدثت بنا ولم نأمن مع ذلك تقرب بعض من
هو الآن معنا الى تلك الجنبه ونحن في عدة يسيرة وحوالينا اصحابه ورجاله
ولا نثق بالسلامة الى المأمن . (قال) فرأيتك قد تهمل وجهه ولم يملك نفسه
لما استخفه من السرور وقال : ليس الرأي الا ما رأيت . قلت : فاني منصرف
عنك فراسل انت كل من واطأك على رأيك الاول بما حدث لك من الرأي .
قال : نعم . وقت عنه وليس عنده شك في حصول الملك له يواطأني وآته

قد أقبل جده وتمت سمادته بتمام تديرى وشاع في أصحابه ومن كان واطاه
انا في تدير فسكنوا بعد أن كانوا هموا بما هموا به . رسرت آمنا حتى
حصات باصبران فلما تمكنت من الرجال والتدير بدأت بالقبض على اولئك
القواد واستظهرت علي المرزبان بثقاتي حتى حصاته في القلعة بقيوده
﴿ ذكر ما جري في أمر عسكر المرزبان في آذربيجان ﴾

﴿ بعد حصوله في الاسر ﴾

اجتمع من أفلت من عسكره وقواده وفيهم جستان بن ثيرمزن وعلى
ابن الفضل وشهفروز بن^(١٧١) كردويه وجماعة من الرؤساء مع ألفى رجل من
الفل إلى الشيخ محمد بن مسافر فعقدوا له الرياسة عليهم وصاروا إلى أردبيل
فلك آذربيجان وهرب ابنه وهسودان منه وتحصن في قلعة بالطرم لما كان
يعرفه من حقه وسوء رعايته . فلم تأت الايام على محمد بن مسافر حتى تجبر
وعاد إلى أسنوا أخلاقه مع الديلم فاجتمع الديلم على التوب به فشغبوا وهموا
بقتله فالتجأ بالضرورة إلى ابنه وهسودان وعنده انه يعصمه فقبض عليه
وحبسه في قلعة شيسجان التي كان فيها وضيق عليه فلم تنبسط له يد ولا نفذ له
أمر حتى توفي وكانت وفاته قبل خلاص ابنه المرزبان من قلعة سميرم . وقد
ركن الدولة محمد بن عبد الرزاق أعمال آذربيجان بعد أسر المرزبان وأنفذه إليه
قتحير وهسودان في أمره واضطر إلى اخراج ديسم بن ابراهيم من القلعة
إطاعة الاكراد اياه ولياسته القديمة على آذربيجان فاطلقة وخلم عليه
وقواده ومكنه ووافقه على جمع أكراد آذربيجان ومن يطيعه من غيرهم
ويقصد محمد بن عبد الرزاق . وكان الديلم بعد محمد بن مسافر اجتمعوا إلى على
ابن الفضل ورأسوه فتوسط وهسودان بينهما حتى أطاعه على بن الفضل

وتم^(١٨٠) أمره وسار ديسم الى أردبيل واستكتب أحمد بن عبد الله بن محمود
وورد ابن عبد الرزاق فأنحاز عنه الى ورتان من نواحى بردعة ليستخرج
الاموال وترد عليه عساكر الاكراد

﴿ ذكر خطأ ديسم فى ايماش وزيره حتى فارتبه وثلمه فهزموه عدوه ﴾
كان بنواحى خوى^١ ولما س كاتب نصرانى يعرف بابن الصقر من
جهة المازبان قبل أسره فلما بلغه خبر ديسم صار اليه وحمل اليه ما كان جباه
فحسن موقعه من ديسم فأكرمه وبالغ فى اكرامه حتى صار يخلو به ويشاوره
فاستوحش وزيره ابن محمود وانقاه . فلما استعد ديسم للقاء ابن عبد الرزاق
سلم الى ابن محمود خزائنه وثقله وأمره بالمصير الى جبال موقان للتحصن بها
استظهارا الى أن يتكشف الأمر فتسلم ابن محمود ذلك كله وعدل الى أردبيل
وأرسل ابن عبد الرزاق بانه صائر اليه وسأله ان يستقبله بطائفة من عسكره
فقبل ذلك ووقع ذلك من ابن عبد الرزاق أحسن موقع . وقت فى عضد
ديسم وبلغه ذلك يوم القتال فضعمت نفسه واضطرب رأيه وتبين ذلك منه
أصحابه فاضطربوا واستظهر عليه ابن عبد الرزاق فهزموه^(١٨١).

﴿ ودخلت سنة أربعين وثلاثمائة ﴾

وفىها لحق ركن الدولة بابن قراتكين غلام صاحب خراسان وواقعه
بروذار من خان النجان سبعة أيام متوالية فانهزم ابن قراتكين وذلك فى
الحرم من هذه السنة

قال الاستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه صاحب هذا الكتاب :
أكثر ما أحكيه بعد هذه السنة فهو عن مشاهدة وعيان أو خبر يحصل
يجرى عندي خبرة مجرى ما عاينته وذلك ان مثل الاستاذ الرئيس أبى الفضل

محمد بن الحسين بن العميد رضى الله عنه خبرنى عن هذه الواقعة وغيرها بما
دبره وما اتفق له فيها فلم يكن اخياره لى دون مشاهدتى فى الثقة به والسكون
الى صدقه ومثل أبى محمد المهلبى رحمه الله خبرنى بأكثر ما جرى فى أيامه
وذلك بطول الصحبة وكثرة المجالسة. وحدثنى كثير من المشايخ فى عصرهما
بما يستفاد منه تجربة وأنا أذكر جميع ما يحضرنى ذكره منه وما شاهدته
وجربته بنفسى فسأحكيه أيضا بمشيئة الله

فحدثنى الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الوقعة وأنا أحكى أولا السبب فى ورود ابن قراتكين^(١٨٢)

﴿ ذكر السبب فى ورود ابن قراتكين الرى ﴾

كان ركن الدولة عند وفاة أخيه عماد الدولة بنواحى جرجان وذلك أنه
قصد وشمكير وهزمه وتبعه الى حالوس فلما بلغه وفاة أخيه اضطرب وجزع
وعلم ان فارس ستضطرب على ابنه فسارع الى السير اليها لتوطئة الامور
وانصرف الى الرى فاستخلف بها على بن كامه وانسم خناق أعدائه يبعده
عن ممالكه وكل حدث نفسه بامر. وكتب ركن الدولة الى معز الدولة
بما عزم عليه وما كان من وفاة أخيهما فكتب معز الدولة الى وزيره أبى
جعفر الصيمرى وهو يومئذ متاثر ليمران بن شاهين بالبطائح بان يخل
ما هو بسبيله ويصير الى فارس لخدمة ركن الدولة فعمل وسبق وصوله
وصول ركن الدولة فحسن موقع ذلك من ركن الدولة. فلما وصل الى
شيراز ابتداء بزيارة قبر أخيه ياب اضطخر فشى حافيا حاسرا ومشى أهل
عسكره وعسكر فارس على تلك السبيل ولزم المصيبة ثلاثة أيام الى ان خاطبه
الرؤساء وسألوه ان يرجع الى المدينة فعمل وأقام ستة أشهر. وأخذ نصيبا

من تركة عماد الدولة الى أخيه معز الدولة وكان في جملة ما مائة وسبعون غلاما ومائة وقر من السلاح ثم ما يجري مجرى ذلك من الثياب والآلات واقتطع من أعمال^(١٨٣) فارس ارجان وهي كورة من كور فارس الى أعماله وخلف وزيره هناك واقلب الى الري . وحدت اطماع من ذكرت وامتدت الى الري والجل واصبهان وتسربت المساكر اليها فن ذلك . سير صاحب جيش خراسان الى الري ومعه محمد بن ما كان من جهة الحسن ابن الفيروزان وسار شيرج بن ليلي بن قبل وشمكير ثم جمهور عسكر خراسان وكان أبو الحسن علي بن كاهن قد انحاز الى أصبهان وتفرق قواد عسكر ابن قرائكين في ولايات أعمال الجبل وكان منهم بهمدان ينال قام وفي كل بلد من بلدان الجبل مثله . وكان ركن الدولة قد كاتب أخاه معز الدولة وهو بمد بفارس يستدعي من يدفع معرات هؤلاء فأمدته بسبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الأتراك والديلم وفيهم جماعة من الأتراك القدماء التوزونية وجماعة من العرب وكان مسيره من بغداد سنة ٣٣٩ فندبر سبكتكين تدييرا جيدا

﴿ ذكر تدير صواب تمكن به سبكتكين من ﴾

(أول عدو لقيه بقرميسين)

رأى سبكتكين ان يخلف عسكره وما ثقل من سواده وينتخب من الفرسان من يثق به ويسرى الى قرميسين وكان فيها قائد من قواد الأتراك الخراسانية يقال له بجكم الخمارتكني وكان^(١٨٤) ينال قام أنفذه الى همدان واليا عليها فكبسه سبكتكين وهو في الحمام وأخذته أسيرا وأوقع برجاله وأصحابه وأنفذه الى معز الدولة فاعتقله مدة طويلة ثم أطلقه . ولما بلغ ولادة

أعمال الجبل ما جرى على بحكم هذا فارتقوا سرا كرم واجتمعوا الى ينال قام
بهمدان فلما سار سبكتكين نحوهم ساروا من همدان باجمعهم فلم يحاربوا
وورد سبكتكين همدان وأقام بها منتظرا ركن الدولة وذلك ان كتب ركن
الدولة كانت ترد عليه انه يسير من فارس على طريق الجبل ثم تأخر انتظارا
لانحسار الثلوج ثم ورد همدان وتقدم الى سبكتكين بالمسير على مقدمه .
فشغب الصنف من الاثراك التوزونية وأظهروا التذجر بالمقام الطويل
فترسط الاستاذ الرئيس أبو الفضل رحمه الله بينهم وداراهم وسكنهم فسكنوا
في الوقت ثم عاودوا من الفد وطال ذلك منهم حتى أتاهم . فسمعت
أبا الفضل ابن العميد رحمه الله يقول : اني قلت للامير ركن الدولة : هؤلاء
أعداؤنا وقد كاشفونا فكيف نسير بهم الى أعدائنا ؟ فاتفق الرأي بيننا ان
نُسكنهم فان سكنوا والآن حاربناهم وفرغنا من العدو الاقرب فلما علمنا على ذلك
عداوا على الحرب فاوقعنا بهم ومضوا مفلولين .^(٢٨٥) وسبق خبرهم الى معز الدولة
فكتب الى ابن أبي الشوك الكردي وسار وجوه الاكراد المقيمين في
أعمال حلوان بطلبهم والايقاع بهم ففعلوا ذلك وطلبوهم وأسروا منهم وقتلوا
فاما الاسارى فانفذهم الى بغداد وأما القل فصاروا الى الموصل بحال سيئة
وأقام ركن الدولة بهمدان ليعرف خبر ابن قراتكين الى ان صح
عنده مسير ابن قراتكين من الري نحو همدان فبث جواسيسه وطلأته
ليعرف خبره . فأتاه الخبر بانه عدل عن سمت همدان وأخذ على طريق
يؤدي الى أصبهان فسار ركن الدولة في أثره ينفوه حتى انتهى الى
جرباذقان ووصل ابن قراتكين الى أصبهان فعاتبها عينا كثيرا مدة ما أقام
ثم عرف قرب ركن الدولة منه فسار الى طرف مغارة يقرب من أصبهان

فزل منها على زرین روذ ليكون وصول ركن الدولة اليه مع عسكره . وقد
قطعوا المفازة ومسّم التّعب والعطش ولا يصلون الى الماء فرأى ركن
الدولة ان يعدل الى خان النجان ليلزم ست قُرى زرین روذ ولا يعدم الماء
واتفضل ذلك بابن قراتكين فاتقاب عن موضعه معترضاً له ائلا يملك عليه
ظهره فالتقى في الموضع المعروف بالروذبار وبينهما زرین روذ ولكنّه يُخَيض
ولا يمنع الراجل ولا الفارس^(١٨٦) العبور وذلك ان الفصل كان ضيقاً .
فدامت الحرب بينهما سبعة أيام واشتدت في اليوم السادس خلاصة ثم انهزم
ابن قراتكين في اليوم السابع

وعاد الحديث الى حكاية ابى الفضل ابن العميد رضى الله عنه عن هذه
الوقعة . حكى انه لحقه وركن الدولة وسائر الجيش من الاضاقة وعوز الميرة
والعلوفات وتذر جميع الاقوات ما لم يلحقها مثله وذلك أن الاكراد أخذوا
بنا فلم يتمكن أحد من اطلاق رأسه عن المسكر وانقطعت عنا المواد
وكنا نصل الى اقواتنا مما نحمله الاكراد اليها ويبيعونها باوفر الاثمان وكذلك
العلوفات فكان يخيّننا السكردى بجراب أو مخلّاة أو وعاء فيه دقيق فيبيعناه
بحكمه فاذا أخذناه ونفصناه وجدنا قدر الدقيق فيه مقدار ما رأيناه في رأس
الوعاء وأسفله كله تراب ثم يختلط ذلك القدر اليسير بالتراب فلا ينتفع بشئ منه
وكذلك يفعل بالشعير والخنطة وكانت لهم حيل تجرى هذا المحرى كثيرة
قال : فكنا نجر الجمل أو الدابة فتوزع لهم بين عدد كبير وتبلغ به على
عادة الديلم وصبرهم على المجاعة والشدة في الحرب وكان أعداؤنا الاكراد
في مثل حالنا الا أنهم لا يصبرون كما نصبر ولا^(١٨٧) يقومون بما نفعم^(١)

(١) وفي الاصل : بما لا نفعم ولله سقط « به »

فاذا ذبحنا نحن جزورا ذبحوا أضغافا كثيرة ثم ان أصحابنا يعودون الى نشاطهم في الحرب ويتسخط اولئك ويشغبون على صاحبهم ولا يناصحونه في الحرب الى أن ملوا . وأصبحنا يوما وقد رحلوا من معسكرهم فتركوا خيمهم بازائنا وأثانا الخبر برحيلهم فما صدقنا به حتى عبر عنا جماعة وتلاحم العسكر أولا أولا واشفقنا أن يكون لهم كمين أو بكيدة فلم يكن الا هزيمة وذهبوا على وجوههم

﴿ ذكر خبر عجيب واتفاق غريب ﴾

حكى الاستاذ أبو الفضل ابن العميد نصر الله وجهه ان ركن الدولة دعاه في اليوم السابع وقد نفذ صبره وصبر أصحابه : وشكا الى شدة الامر وصعوبته عليه وكأنه يفكر في حيلة الانهزام وان كانت متعذرة عليه فقالت : أيها الأمير انك كنت منذ اسبوع مالك أكثر تلك سرير الخليفة فينفذ أمرك في أكثر بلاد الاسلام ومن لم يكن من الملوك في سائر الارض تحت أمرك وولايتك فهو ايضا تحت حكمك خشعة لك يقبل أمرك نجولا ويطيعك تهييا وقد أصبحت اليوم وانت لا تملك من الارض الا ما عليه مضربك وقد اجتمع عليك هؤلاء الاعداء ^(١٨٨) ليغصبوا عليه ويمسوك منه ولا مفرع لك الا الى الله عز وجل فاخاص نيتك له واعقد عزيتك على ما بيدك وبيته تعالى يطلع على صدقها ويعرف صحتها وانوار المسلمين خيرا وكافة الناس مثله وعامده على ما تعمله وتفي به من الاعمال الصالحة والاحسان فيما تلى الى من تلى عليه فان الحيل البشرية كلها انقطعت بنا ولم يبق انا الا هذا الذي نصحتك به . قال فتبسم وقال : يا أبا الفضل قد سبقتك الى ما اشرت به . وجرى في هذا الباب ما جرى مثله من الدور وصدق النية . وبنا تلك الليلة

على حالنا فلما كان في الثالث الاخير من الليل جاءني رسله متقاطرة فصرت اليه وهو مسرور قوي النفس بخلاف ما عهدته وقال : يا أبا الفضل انت تعرف مناماتي وصدقها وقد رأيت ما أرجو ان يكون تأويله قريبا غير بعيد . قلت : وما ذاك . قال : رأيت كافي على دابتي المعروف بفيروز وقد انهزم عدونا وانت تسير الى جانبي وتذكر لي نعمة الله علينا فيه وأن الفرج جاءنا من حيث لا نحسب فيدنا نحن في هذا الحديث وشبهه حتى مدت عيني بين غبرة الوكب الى الارض فرأيت خاتما يتلأل قد سقط الى الارض عن صاحبه بين التراب فقلت ^(١٨٩) لراكبي الذي بين يدي « يا غلام هات ذاك الخاتم » فتطأطأ ورفعته الى فاذا خاتم فيروزج فاخذته ونجماته في أصبعي السبابة وتبركت به وانتبهت وقد تقالت به وأيقنت بالظفر (وذلك ان الفيروزج معناه الظفر اذا عُرِب وكذلك لقب دابته الذي رآه فيروز) . قال ابو الفضل ابن الحميد رحمه الله : فوالله ما أضاء الصبح حتى جاءنا الخبر والبشرى بان العدو قد رحل فما صدقنا به ولا التفتنا اليه حتى تواترت الاخبار وعبر سرعان التحيل وعادوا الينا مستبشرين فقمنا حينئذ وركبنا متعجبين لا نعرف سبب هزيمته حتى عبرنا على حذر من كمين او مكيدة فيدنا نحن نسير وانا الى جانب ركن الدولة وقد تعمد ركوب دابته فيروز ليصدق رؤياه اذ صاح الامير بعلام بين يديه « يا غلام ناواني ذلك الخاتم » فتطأطأ وناوله من الارض خاتم فيروزج فاخذه وابسه في سبابه والتفت الى وقال : هذا بلا تأويل هو الخاتم الذي حدثك بحديثه منذ ساعة . فهذا من طرائف الاخبار ولولا صدق محذره وجلالة قدر من حكاه لي وبمده عن التزيد لما سطرته في كتابي هذا

وفيها تم الصلح بين معز الدولة وبين عمران بن شاهين وقتلده معز الدولة^(١١٠) البطائح وأطلق اخوته وعياله وأطلق عمران بن شاهين من أسأسر من القواد وغيرهم

فاما ابن قراتكين فانه عاود حرب الامير ركن الدولة وجرت بينهما وقائع عظيمة بناحية الري ومات ابن قراتكين فجأة وكان سبب وفاته انه كان شرب أياماً متوالية بلياليها فاصبح يوماً ميتاً وذلك في شهر ربيع الآخر من هذه السنة

وفيها انهزم صاحب عمان من باب البصرة من بين يدي أبي محمد المهلبى وأسر جماعة من أصحابه وأخذت عدة من سرا كبه ودخل أبو محمد المهلبى بغداد ومعه الراكب والاسارى

(ودخلت سنة احدى وأربعين وثلثمائة)

وفيها ملك الروم مدينة سروج وسبوا أهلها وأحرقوا مساجدها وفيها ضرب الامير معز الدولة أبا محمد المهلبى بحضرته بالمقارع وحمله الى داره وأقره على كتابته

(ذكر السبب في ذلك)

كان السبب في ذلك أن ابا محمد المهلبى لما خرج الى عمان وافق في ذلك الوجه ما اتفق ثم انهزم تنكر له معز الدولة وهم بالقبض عليه فلما حدث بالرى ما حدث من ورود جيش خرسان اليها شغله ذلك عما في نفسه منه . وكان ورد ابو العباس الخنات الى الحضرة برسالة ركن الدولة يطالب بما يحمل اليه قدفت الضرورة^(١١١) الى مكاتبة الوزير المهلبى وهو بواسط قد وافاها منبرها وأمر بالعدول الى الاهواز وتسليم الف الف درهم الى

بني العباس الحناط من القلعة ورد الدوش مما يستخرجه وأن يواصل الحمل إلى الحضرة ويسرب الجيوش إلى الأهواز على طريق أصبهان إلى الري فنفذ لذلك كله وفي نفس الأمير معز الدولة عليه ما فيها . فلما أصعد المهلبى إلى الحضرة اثر في أمر يوسف بن وجيه صاحب عمان اثراً كبيراً وذلك أنه كان قصد البصرة فسبقه أبو محمد المهلبى إليها وحاربه وهزمه وأسر أصحابه وأخذ مراكبه كما ذكرنا

(ذكر السبب في طمع ابن وجيه في البصرة ثم انهزامة منها)
 كنا ذكرنا ما كان من استيجاش القرامطة من معز الدولة ومن جوابه إياهم عن رسالتهم واستخفافه بهم فلما عرف ابن وجيه ذلك كاتبتهم وأطمعهم في البصرة وسألهم أن عمدوه من ناحية البر فأمدوه بأخيهم أبي يعقوب في سرية قوية فورد باب البصرة وأنهض ابن وجيه رجاله في مراكبه من ناحية البحر ونهض هو بنفسه . ووافق ذلك فراغ المهلبى من الأهواز فبادر إلى البصرة وأخرج معه من القواد والرجال والربازب والطيارات وآلات الماء كفايته وشعبها بالرجال وأزاح عنهم في الجيش والسلاح وأتقذ إليه معز الدولة ^(١٩٢) مدداً من بغداد . وكان المهلبى رتب على سور المدينة بالبصرة الزنجال يحمونه وجمع إلى نفسه وجوه القواد مثل لشكروورز بن سسلان وموسى فيلذد وموسى بن ماكان وأشباهم من وجوه الناس وطبقات الغلمان وحارب ابن وجيه إياهم ثم هزمه وظفر المهلبى بمراكبه ورجالها وأسر جماعة من وجوه أصحابه فغف بذلك بعض ما كان في قلب معز الدولة وانجلي هم كبير كان في نفسه

فلما قدم بغداد تلقاه معز الدولة وجامله مديدة ثم وقف على طاراذ

مال من ضمانه له قدر وكان سبب عليه للأتراك والمهمات فرد التسبيات
وطالب أصحاب المال باستحقاقاتهم وأضجر ذلك ممر الدولة فطالب أبا محمد
المهلبى وهز المهلبى طازاذ فاستسلم وأظلمت القصة . فدخل المهلبى الى ممر
الدولة فصدقة عن الصورة فانتاظ . من جريته فى الامر ، وأثار ما كان فى
نفسه منه فزبره وطرده من بين يديه وأمره الآ يعود اليه الا بعد ان
يستدعيه فانصرف كثيرا . وحرك بطازاذ فصيح له مالا ونهض الى الامير
مُعجبا له من طازاذ بغير استدعاء من الامير له فلما حصل بين يديه وأخبره
بالصورة بطش به وضربه مائة وخمسين مائة ترعة ترازح منها (ثم أمر) بان
يرفع عنه الضرب حتى ^{١٩٣} يوبخه ويبيكه بذنوبه منذ استخدامه ثم يعيد
عليه الضرب الى ان تفسخ وتقل وقيل له انه كالتالف وأراد ان يرمى به الى
دجلة ثم تماسك وردده الى منزله ووكل به . وفى اليوم الثانى استدعى طازاذ
أيضا وضربه وعمل على صرف المهلبى فلم يرتض خدمة أحد ممن كان
بحضرته فى الوقت فترجع رأيه وصعد وصوب فلم يقيم أحد مقام أبى محمد
وكان أبو محمد المهلبى شهما قوى النفس لا يتحرك لشيء من نواب الدهر
فعمل عملا يشتمل على ثلاثة عشر الف الف درهم باقية فى الممالك والأعمال
وأفذه اليه وذكر انه يقيم باستخراجه وانه ان تبادت الايام فى التوكيل به
تمزقت وطمع فيها فشاور ممر الدولة من حضره . وكان فيهم أبو محمد عبد
الله بن يحيى وقال : هل يجوز أن أستنيم الى هذا الرجل وقد لحقه منى هذا
المكروه العظيم ؟ فقال أبو محمد : قد ضرب مرداويج وزيره أبا سهل أعظم
من هذا الضرب ولحقه ما لحقك من سوء عنه ثم خلع عليه وردده الى
أمره وكان لا يطين المني لما حل به من الضرب فركب عمارية ونثر عليه

في الطريق مال ولا يمكنه ان يستقل بالجلوس وبقي كذلك مدة ثم عاود مرذاويج الانكار عليه فذكبه وأتى على نفسه ^(١١١) فعند ذلك راسله معز الدولة بالركوب اليه اذا استقل وأزال عنه التوكيل فتجالد المهلبى وركب بعد أيام يسيرة فخلع عليه وعاد الى أمره.

وكان معز الدولة حديداً سريع الغضب بذى اللسان يكثر سب وزراءه والمحتشمين من حشمه ويفترى عليهم فكان يلحق المهلبى رحمه الله من فحشه وشتمه عرضه مالا صبر لاحد عليه فيحتمل ذلك احتمال من لا يكثر له وينصرف الى منزله وكانت أنادمه في الوقت فلا أرى لما يسمعه فيه أثرا ويجلس لانسهِ نشيطا مسرورا حتى لقد سمعت أبا الملاء صاعداً بن ثابت وكان يخلفه ويأانس به يماثبه ويقول في عرض كلامه : ان الامير اذا اتصل به أنسك وقلة أكثر أنك لنعضبه وما يلحقك من شنيئته نسبك الى الاستهانة به فيزيد ذلك في ضرره عليك فان أظهرت الانخزال والاستكانة حتى يلغى تحرمك وانقباضك كان أخرى ان يصر ويندم ولا يشع بما

معك وغضبه منك . فقال له أبو محمد المهلبى : ما يذهب على ما تقول ولكن هذا امير خرق عجل لا يملك لسانه فان ذهبت أظير الاستيحاء من هذياناته وقع له انى قد تنسكرت له وانى لا أناصحه وانه يتهمنى بما لا يدور في فكري فيكون سببا لجائحة ونسكة وليس له غير التفاؤل والتبسم ^(١١٢) في وجهه اذا أمكن فان لم يمكن ذلك خوفا من غضبه فليس الا قلة الفكر فيه فسلان الامر على ذلك .

وحدثني أبو بكر ابن أبى سعيد رحمه الله ان معز الدولة وقت مقامه بالبصرة وهزيمته للبريدى اقترى على المهلبى وذكر جرمه وأخس عليه وكان

المافروخي حاضرا فلما انصرفنا من عنده قال لي المافروخي : قد ساءني أن أجري هذا الفخش القبيح بخضرتي على الوزير فكيف الطريق الى تسليته؟ (وانما أراد ألا يتهمة بالشبهة ولا يراه يمين من علم استهانة الامير به) فقلت : الامسالك في مثل هذا أولى من الكلام . فأمسك أيا ما لا يركب اليه الا مع الناس وقت الاذن ثم اتفق ان يدخل المافروخي وأنا معه لمريم فوجدناه واجاً . طرقا فقال المافروخي : أرى الوزير واجاً فهل تجدد أمره؟ فقال : ويحك اني أرى الامير منذ أيام قد أمسك عما كان يتماهدنا به من بره باسائه وأخاف أن يكون مشغول القلب بطارق تطرقه وأنا منكر في ذلك . قال أبو بكر ابن أبي سعيد : فلما خرجنا من عنده قال لي المافروخي : هل رأيت أدهى من هذا الرجل وأذكر منه؟ فقلت : لا

وفيهما خرج أبو مخلد وأبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو الشرابي حاجب الخليفة المطيع لله الى صاحب خراسان في الصالح بينه وبين أمراء بني بويه وكتب منهما كتاب عن الخليفة ^(١) ^(١١٦)

﴿ ودخات سنة اثنتين وأربعين وثمانية ﴾

وفيهما مات أبو الفضل العباس ابن فسانجس بالبصرة ^(٢) وقلد الديوان

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : فيها اطلع أبو محمد المهابي على قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم ان روح علي رضي الله عنه انتقلت اليه وفيهم امرأة تزعم ان روح فاطمة عليها السلام انتقلت اليها وفيهم آخر يدعي انه جبريل فضربوا فتمذروا بالانواء الى أهل البيت فامر مع الدولة باطلافهم ليله الى أهل البيت وهذا كان من أفعاله الملعونة . وليراجع ما قال فيه ابن الاثير في الكامل في سنة ٣٤٠ في العزاقرية يعني أصحاب محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن العزاقري (٢) زاد صاحب التكملة : وسنه سبع وسبعين سنة وحمل تابوته الى الكوفة

بعده أبو الفرج محمد ابنه وأجرى على رسم أبيه .
وفيها ليلة الجمعة للتاسع من جمادى الآخرة ولد الأمير أبو اسحق
إبراهيم بن معز الدولة بطالع السنبلة .

وفيها وافى أبو سالم ديسم بن إبراهيم الكردي . هزما من
آذربيجان هزمه السالار المرزبان وهو الذي حكينا ان ركن الدولة أسره
وحبسه في قلعة سُميرم فاحتال حتى فُكَّ قيده وقتل صاحب القلعة وخرج
منها وسنحى حياته هذه فيما بعد . وعاد الى آذربيجان واجتمع اليه من كان
مع ديسم من الديلم وانصرف ديسم عنها وصار الى الخضره مستجيرا بمعز
الدولة ومستنصرا فأكرمه معز الدولة جسدا ووقع منه وأنس به وهائمه
وحمل اليه مالا وثيابا وكان يسميه في كتبه « الاخ أبو سالم »

﴿ ذكر السبب في خروج ديسم عن آذربيجان بعد ﴾

﴿ تمسكه منها وانزاهه من بين يدي المرزبان ﴾

كنا ذكرنا خبر ابن عبد الرزاق وتمسكه من آذربيجان من قبل ركن
الدولة واتفق ان أوحش كاتبه له كان صحبه من خراسان واعتمد لوزارته ابن
محمود فخدمته اياه بالاموال قديما وخبرته بالبلدان فاستوحش الكاتب
وتركه الى ان أشخصه لجباية الاموال في نواحي ديسم وضم اليه جيشا فلما
وجد الفرصة كاتب ديسم وهرب اليه بذلك الجيش كله . فنفرت نفس ابن
عبد الرزاق ^(١١٧) من آذربيجان وعاد الى الري وأخذ معه ابن محمود وسار
ديسم الى أردبيل واستأذنه الكاتب الخراساني في العود الى بلده فأذن له
وأحسن اليه بالخلع والجوائز . ودير أمره أبو عبد الله النعماني وابن الصقر
النصراني وتوافق اليه الديلم والاكراد فملك آذربيجان وبلادها وحي

الاموال وأعطى البلاد له باليد فتعكن من نشوا ودبيل وكان عليهما الفضل ابن جعفر الحمداني وابراهيم بن الضابي على سبيل التغاب فصاحت حاله وانتظمت . واتفق ان مات ابن الصقر النصراني فوصل من تركته اليه مائة الف درهم سوى ما اغضى عنه وهو شيء كثير فتفرّد النعمي بوزارته . ولم يزل أمره منتظما الى ان شره الى مال النعمي وطمع فيه فقبض عليه ونصب في موضعه كتابا له يقال له علي بن عيسى فاحتال النعمي^(١) * * * الى بذل خطه بكل ما اقترحه عليه ولم يُعَالفهُ وسلك سبيل الإدارة ثم قال له : ان رددتني الى العمل وسلمت اليّ خليفتي علي بن عيسى صححت لك من جهته وجهتي سوى مال الموافقة الف الف درهم . فشرهت نفسه الى ذلك وردّه الى موضعه وقبض على علي بن عيسى وسلمه اليه .

وكان المرزبان بن محمد في تلك الايام قد ملك القلعة التي حبس فيها بسميرم وقتل المؤكل به وهو شيراسفار وكان أيضا قد أفلت على بن ميشكي المعروف بياسكا المأسور معه^(١٩٨) من حبس ركن الدولة وصار الى الجبل وجمع جمعا كثيرا وكاتب الديلم الذين كانوا مع ديسم واستمالهم وسار حتى قرب من هسودان أخى المرزبان فكأ جميعا يدبران على ديسم . ثم وصات كتب المرزبان اليهما بخلاصه من القلعة وكاتب سائر الديلم بأذريخان وليس عند ديسم من الخبر كله الا خبر على بن ميشكي وظن أنه وحده يقاتله . فالحق باردبيل ابن أخت له يقال له غاتم مضموما الى وزيره النعمي ومستوفيا عليه المال الذي ضمنه عن نفسه وعن علي بن عيسى خليفته وسار على اغترار بمن معه من الديلم فوجد النعمي الفرصة لما كان في نفسه وأفسد غائما على

خاله ديسم وقتل على بن عيسى بالمكروه العظيم واستأمن الى على بن ميشكى
واختلعه . وكل ما قدر عليه من المال . وبلغ الخبر ديسما فعاد الى أردبيل بعد
ان كان بلغ الى زنجان وشعب الديلم عليه فاخرج كل ذخيرة له من الصياغات
وغيرها وتوجه الى برذعة على سبيل النزهة والصيد وهو يظن ان خصمه
على بن ميشكى و ليس عنده خبر الرزبان . وكان انقذ الى أرمينية من يوطى
له نيات ملوكها من ابن الديرائى وابن جاجيق وأخيه حمزة وابن سباط وغيرهم
ليأبأ اليهم ان حزبه أمر وورد عليه خبر على بن ميشكى بتوجهه الى أردبيل
مع عدة يسيرة ثقة بان الديلم الذين مع ديسم سيستأمنون اليه فانكفأ ديسم
الى أردبيل ووقعت الحرب فلقب ^(١١١) الديلم ترأسهم في وجهه وانحازوا
الى ابن ميشكى سوى جستان بن شرمزن فانه أخلص مودة ديسم فقبض
الديلم عليه وانهزم ديسم في نفر من الاكراد الى بلد الارمن فحمل اليه ملوكها
ما تمسك به . وورد عليه خبر الرزبان هناك في مسيره عن قلعة سميرم
التي كان محبوسا فيها وحصوله بأردبيل وتسليمه القلاع والاموال وانفاذه على
ابن ميشكى في جيش لطلب ديسم فلم يتمكنه المقام فهرب الى الموصل ثم صار
الى بغداد وذلك في سنة ٣٤٢ فتلقاه معز الدولة وأكرمه ورتبه في أعلى
مرتبة وقضى حقه وواصل اليه المباراة والالطاف وبذل له خمسين ألف دينار
اقطاعاً في كل سنة على أن يقيم بحضرته فاقام مديدة في أطيب عيش وأرخى
بال فسكان يقول ذلك لكتابيه وأسبابه ويقول : أرغد عيش لي وأهنأه أيام
. بهامي ببغداد

ثم كانه أسبابه من آذريجان بما اغتربه ففرع الى الامرة والاستبداد
فرحل من بغداد وزوده معز الدولة مالا كثيراً وثياباً ودواباً ومراكب

فسار الى الشام زائراً سيف الدولة في طريقه ثم انقلب من عنده الى أرمينية وقصد ابن الديراني وابن جاجيق لثقته كانت به وأنه كان أودعه ذخيرة له وكتب المرزبان اليه يلزمه القبض [عليه]^(٢٠٠) فدافعه ثم اضطر الى أن أطاعه في القبض عليه وسأله الا يلزمه تسليمه اليه فأجابته المرزبان الى ذلك فأوقع ابن الديراني الحيلة على ديسم حتى قبض عليه وحصله عنده فلما فعل ذلك كتب اليه المرزبان يلزمه جملة الى حضرته ناقضا الشرط فدافعه مدة ثم اضطر الى تسليمه فحبسه عنده ثم سئل عنه فلما توفي المرزبان قتله بعض أسبابه خوفاً من نمائته

﴿ ذكر حيلة المرزبان على صاحب قلعة سميرم وما تم عليه حتى ﴾

﴿ أفلت من موضعه وعاد الى مملكته بأخريجان ﴾

لما حصل المرزبان في القلعة امتنع من الطعام والشراب خاصة اللحوم وما أشبهها واقتصر على القوت اليسير من الخنطة التي يستظهر منه أيضاً فبلغ خبره ركن الدولة فأمر أن يوصل اليه طبائخه الذي يثق به ليتولى له ما كان يتولاه من المأكل والمشرب فحصل الطبائخ في القلعة معه وأخذ المرزبان في تدبير الخلاص على يده . وكان الطبائخ خفيفاً أحق وظهر منه ما في نفسه وعرف خبره شيراسفار صاحب القلعة فرمى به من قلة القلعة فهلك وضيق علي المرزبان . وكانت والدته المرزبان خراسويه بنت جستان بن وهسودان الملك تبذل الاموال في تعرف أخباره وتحتال في خلاصه وكان ابراهيم المعروف بابن الضابي (وقد تقدم ذكره) في حبس ديسم فتخلص منه ولم يبعد مفزعا الا خراسويه فقصدها ولاذ بها^(٢٠١) وضمن لها أن يتوصل الي المرزبان فأطلقت له مالا وثقتة . وكانت المراغة بها رجل يعرف بتوبان

يصارع ويقامر ويدخل في كل منكر فطلبه أصحاب الشرط بها تخاف
وهرب من المراغة وقصد خراسويه وضمن لها السعى لها في أمر ابنها
فطمعت في جلادته وأطلقت له مالا وعرفته خبر ابن الضابي وأنه تقد قبله
فاجتمعا وابسا لباس التجار وأظهرا الستر والدين والورع ولزما فناء القلعة
وراسلا شيراسفار وعرفاه انهما تاجران وانهما كانا فيما مضى يعاملان
المرزبان وأنه أخذ بضائعهما وامتنعة التجار وسألاه أن يجمع بينهما وبين
المرزبان ليتجرا ككتبه وعلاماته بازاحة علمهما فيما يستحقانه وتستحقه التجار
عليه وواصل الدعاء له وعلى المرزبان وأكثر الله له وشمه وكانا يقولان :
الحمد لله الذي كفى الناس شر هذا الظالم الذي لا يعرف الله ولا يؤمن
بنبيه صلى الله عليه . وما أشبه هذا حتى رق شيراسفار لها وأوصل
واحدا واحدا منهما اليه . من غير اجتماع فقال المرزبان : لا أعرفهما .
فاغظاه وواجهاه بالقبيح وخوفاه بالله وسوء العاقبة وقال : انى لا أعرف
حسابهما ولاكنى أكتب باز يحاسبنا . وكثر^(٢٠٢) تردهما اليه فضمت
والدته اليهما وصيفا الديلمي للتنقب وكان في عسكر السلطان قديما ورجلا
آخر يعرف بابي الحسن ابن جنى وجماعة من أهل الطرم على هيئة التجار
وجملوا الاطاف الى شيراسفار وأسبابه والى بواب القلعة وكانوا يشترون
منهم الحوائج ويمدونهم الى أن يصلوا الى أموالهم وبضائعهم انهم ييذلون
لهم أموالا جلية وفي خلال ذلك يكون ويشكون ظلم المرزبان وعدوانه
وكانوا يصلون الى المرزبان فرادى ويوصلون الكتب ويتجزون الاجوبة
ويدسون اليه في خلال ذلك الدناير الكثيرة ليذلها وينفقها فيما يحتاج اليه .
وكان لشيراسفار الموكل بالقلعة غلام أسرد وضى . الوجه يحمل ترسه .

على مذهب الديلم فأظهر المرزبان عشقا له ومجبة مفرطة فكان يعطيه سرا
الشيء بعد الشيء ويمده ان هو تخلص بامور عظيمة وولايات كبار حتي
طمع الغلام وواطأه على كل ما أحب وأوصل اليه درعا في زنبيل فيه تراب
وعدة سكاكين وأوصل اليه شموعا فيها مبارد واجتمع معه على وجوه الخيل .
وأظهر أولئك القوم الذين كانوا في زى التجار النسك والتأله والخشوع
فصاروا يصلون الى باب القلعة ويوصلهم البواب واحدا واحدا الى ان تمت
الحيلة بموافقة هذا الغلام للأسير سرا^(٢٠٣) وكان اتفق معه على يوم بعينه اذا
دخل اليه شيراسفار يناوله الترس والزوبين الذي لصاحبه اذا استدعاه منه
ووافق بعض أولئك التجار ان يكونوا مع البواب ليفتكوا به اذا صاح بهم .
فلما كان في ذلك اليوم وصل اليه توبان وكان أجلاهم وجلس آخر مع
البواب ليفتك به اذا سمع الصوت وجلس الباقون قريبا من الباب ليدخلوا
عند التمكن فلما صار اليه شيراسفار على رسم كان له وكان المرزبان قد برد
سماق قيده على مر الايام وابس في ذلك اليوم درعه والتف بكسائه وكان
يخاطب شيراسفار قديما ويستأله ان يطلقه ويمده المواعيد المظلم فيمتنع عليه
شيراسفار ويقول : لا أخون ركن الدولة أبدا ولكن أساعدك على كل
ما يخفف عنك غير هذا الباب . فلما كان في ذلك اليوم عاد المرزبان في
مسئلته وكان توبان حاضرا فقال لهم توبان : بالله الا خلصتموني من الديون
عليكم ثم عودوا لشأنكم . فقال المرزبان لشيراسفار : قد أطلت عنائي .
ونمض من موضعه وقد أخرج رجله من القيد وبادر الى الباب فتسلم
الترس والزوبين من الغلام ونمض شيراسفار ليعلق به فوثب توبان
اليه وعاركه وصرعه ثم وجاهه بسكين كان معه حتى قتله وصاح المرزبان

اشتلم^(١) على عادة الديلم فوثب الرجل^(٢) الذي كان في الدهليز على البواب فقتله ودخل القوم الذين كانوا بالقرب فأخذوا بالمرزبان وكان منغمسا في دم شيراسفار . وكان الموكلون في القلعة على تفرق ولعب بالنرد فدخلهم الرعب واجتمعوا وطلبوا الأمان فجمعهم المرزبان في بيت وأخرج حرم المقتول شيراسفار وحرم الجماعة ثم طالب سلاح القوم الذين في البيت فملكه ثم أخرجهم من القلعة وتوافى إليه الرجال حتى خرج ولحق بأمنه

وفي هذه السنة تم الصلح بين ركن الدولة وابن محتاج بعد محروب كثيرة على باب الري ومنازلة ثلاثة أشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان
(ذكر السبب في ذلك)

كان استمد وشمكير على عادته صاحب خراسان فامسده بابي على ابن محتاج في جموع كثيرة وتوجهوا الى الري وظنوا أنه الاستيصال وأنه لا ثبات لركن الدولة ولا بقية له وجاء وشمكير على ثقة بذلك فعلم ركن الدولة أنه لا يقوم لهؤلاء الجمع الكثير الا بالمطاولة والتحصن بحيث يكون القتال من وجه واحد فجعل بلد الري خلفه وحارب في الموضع المعروف بطبرك فدامت الحرب وصبر الفريقان الى أن قرب الشتاء ومال الخراسانية فلم يصبروا وخافوا أيضا سقوط الثلج عليهم فآخذوا^(٣) في العتاب والتراسل ورق أمر الحرب . وكان الواسطة من قبل الخراسانية أبو جعفر الخازن وهو صاحب الكتاب المعروف بزيج الصفائح^(٤) وله تقدم في علوم الرياضة وسر بينهما كلام كثير انتهى الى المودعة والصلح

(١) كلمة فارسية معناها العنف

(٢) وردت ترجمته في تاريخ الحكماء لجمال الدين الفهري ص ٣٩٦

فاشير على ركن الدواة بان يجهز على الجرح ولا يتفلس عن خناق عدوه
فانه انما جنح للسلم عن ضرورة وقد تقد صبره وماله وشغب عليه جنده
« ووراءك بلدة مثل الرى وأنت وادع جام بها » ولم ير له احد من نصحاائه
ان يجيبهم الى الصلح وذاك ان النكول كان قد ظهر فيهم . فلم يقبل ركن
الدولة هذا الراى من احد على سداده ووضوحه ولو صدقهم بصدمة
يصد بهم بها لآتى عليهم والله اعلم بعواقب الامور فقبل الصلح وشق
ذلك على وشمكير وبلغ منه مبلغا عظيما وذلك انه كان لا ينتظر ولا يرجو ان
يجمع اكثر مما جمع ولا يحتشد اكثر من هذا الاحتشاد . فلما انصرف ابن
محتاج طالب ركن الدولة وشمكير فانهمزم من بين يديه ولم يقف فاتبعه حتى
اخرجه من طبرستان وجر جان وحصل باسفر ايين . وكتب الى نوح بن نصر
يعرفه ما جرى ويعريه بان محتاج فانتاظ نوح وتحرك منه ما كان في نفسه
على ابن محتاج ^(٢٠٦) فعزله من الجيش بيكر بن مالك وانقذه في جيوش
عظيمة فصار ذلك سببا قويا ضروريا لمكاتبة ابي على ابن محتاج ركن الدولة
وعدوله الى طاعته بعد ان اصابه في نفسه واسبابه واحواله مكاره عظيمة
ازالت ثقته بصاحبه وثقة صاحبه به ولم يبق بينهما حال يرجى معها الصلاح .
وكتب الخليفة في هذا الصلح كتابا نقد على يد ابن ابي عمرو الشرايى
حاجب الخليفة وابي محمد عبد الله بن يحيى صاحب معز الدولة واتفق موت
نوح قبل ان يؤدى الرسالة والكتاب وقعد مكانه عبد الملك بن نوح . ولما قدم
ابو محمد من خراسان عائدا ومعه ابوبكر عبد الواحد بن ابي عمرو الشرايى
اغترضهما ابن ابي الشوك الكردى من الشاذنجان وكان متفلا أعمال المعاون
يحلوان واليه الحماية والطريق وأظهر الخدمة وخرج معهما مبذرا قاهما ثم

غدر فنيهما وهرب القافلة التي كانت معهما وأسر أبا مخلد وأفلت أبو بكر عبد الواحد بن أبي عمرو والشرابي فطالب ابن أبي الشوك معز الدولة باطلاق رهائيه ووعده أنه ان أطلقوا أطلق أبا مخلد فضمن له ذلك وأطلقوا وأطلق أبا مخلد ثم خرج الحاجب سبكتكين الى حلوان للايقاع بالاكراذ فدخل حلوان وقرر أمر الاكراذ وابن أبي الشوك^(٢٠٧) وعاد

﴿ ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيها خرج أبو سالم ديسم من بغداد وذلك لما يأس من نصرة معز الدولة .

﴿ ذكر السبب في يأس ديسم من نصرة معز الدولة اياه ﴾

سبب ذلك ان ركن الدولة صالح المرزيان بن محمد السلار وصاهره وتمكن سلار من آذربيجان فانصرف ديسم من حضرة معز الدولة وودعه . ظان انه يجد عند ناصر الدولة عوناً فقصده وأقام عنده بالموصل مدة ثم مضى من عنده بعد اليأس منه الى سيف الدولة أخيه وأقام عنده أيضاً مدة وفي هذه السنة قصد أبو علي ابن محتاج ركن الدولة للضرورة التي ذكرناها وجاء على طريق جبل ونداز هُرمز فاستقبله ركن الدولة وبالغ في إكرامه وأضافه وجيعة من ماله وأقام لهم الانزال الواسعة والتمس ابن محتاج عهداً يكتب له من جهة الخليفة على خراسان فكتب معز الدولة في ذلك فتكفل به حتى فعل .

وفيها وصل رسول ابن محتاج الى بغداد ولقي معز الدولة فاحتشده له احتشاداً كثيراً وأوصله الى الخليفة حتى عمداً لابي علي على خراسان وقلده اياها مكان نوح بن نصر وسلم اليه العقد والخلع وضم^(٢٠٨) اليه أبا مخلد وأبا بكر بن أبي عمرو والشرابي وأنفذ معهم معز الدولة أبا منصور لشكروهم

نجدة لابي علي ابن محتاج ومعاونة له علي نوح فلما كان بعد مدة ورد كتاب
أبي علي ابن محتاج بانه قد خطب لامير المؤمنين المطيع لله بنيسابور ولم يكن
خطب له الى هذه الغاية في شيء من بلدان خراسان ^(١) وذكر في كتابه
صحة موت نوح . وورد الخبر بان نوحا لما حضرته الوفاة كان بحضرته ابن
مالك وهو أحد قواده الكبار فغلب علي الامر لعبد الملك بن
نوح في ولاية خراسان وتقلد هو رئاسة الجيش مكان أبي علي ابن محتاج .
وسار يطلب ابن محتاج واتصل عن ابن محتاج رجاله وعادوا الى صاحب
خراسان وبقي أبو علي في مائتي رجل من أصحابه سوى من ضم اليه من
الديلم فاضطر الى الهرب من بين يدي ابن مالك . وورد خبره من الدامغان
بانه صائر الى ركن الدولة مستجيرا به فقبله ركن الدولة أحسن قبول وأقام
عنده بالرى . ونزل ابن مالك بنيسابور وتتبع أسباب ابن محتاج

وفيهما صرف الابرأعجي عن الشرطة بفساد واعتقل وصودر علي
ثمانية ألف درهم وقلد الشرطة مكانه تكينك نقيب الأتراك وقد كان
طول قبل صرفه بأربعين ألف درهم علي ان يقرر ^(٢) في عمله من
الشرطة ووعد باقطاع فلم يفعل

(ذكر الرأي الخاطئ من الابرأعجي حتى استمرت عليه)

(النسبة وعظمت بعد ان كانت خفيفة)

كان الابرأعجي منقطعا الى أبي علي الخازن فاستشاره وكان أبو علي
يعتني به فأشار عليه ألا يلتزم شيئا ولا يدخل تحت شيء مما يُطالب به وقال

(١) زاد صاحب التكملة . وبلغ الخبر بموت موسى فبأذنه فأنحدر المهدي لحياسة

تركته وكانت عظيمة

له : هذا يطعم فيك ويسير رسماً عليك فان امتنعت انخس الطمع فيك وفيما بعده : فقبل رأيه فاداه ذلك الى النسكية وما أراد به أبو علي الا الخير ولكنه أخطأ الرأي كما يخطئ الانسان ولما أدى هذا المال وانصرف الى منزله قبض أيضاً عليه ونُسكب نكبة ثانية وسُلم الى تسكينك فجرى عليه مكروه عظيم وصودر على مائتين وخمسين ألفاً فاداهما .

وفيها دخل ركن الدولة الى جرجان ومعه أبو علي ابن محتاج بنير حرب وانصرف وشمكير عنه ودخل خراسان

وفيها خطب (بمكة والحجاز) لِركن الدولة وممّر الدولة وبختيار وبعدهم لابن طنج وذلك بعد حرب جرت بين أصحاب ممّر الدولة وبين المصريين وكان أبو علي ابن محمد بن عبيد الله صاحب الحاج من قبل السلطان بمكة وقاتل وقتل ابن له بين يديه

﴿ ودخلت سنة أربع وأربعين وثلثمائة ﴾^(٢١٠)

وفيها عقد ممّر الدولة لابنه أبي منصور بختيار الرئاسة وقلده أمة الامراء وذلك في المحرم من هذه السنة وكان سبب ذلك انه عرض لامر الدواة علة يقال له فريافسمى وهي علة الانماط الدائم ويكون معه وجمع شديد مع تواتر القضب وكان معر الدواة خوارجاً في أمراضه فاوصى وقلده ابنه كما حكينا أمة الامراء ..

وبلغ عمران بن شاهين ان ممّر الدواة قد مات واجتاز به مال يحمل الى ممّر الدولة من الاهواز ومعه كاركير فيه للتجار أمانة عظيمة وكان مقدار المال المحمول لِممّر الدواة مائة ألف دينار وما للتجار أضعاف ذلك . فد عمران يده الى المال والكار علي رسمه في مثل ذلك فأخذ الجميع وقبض

على المزعل ملاح معز الدولة الذي كان مع المال فصادره وضربه ضرباً عظيماً ودمقه الى أن أزمته ثم أنفذ اليه معز الدولة أبا الحسين الكوكبي^(١) نقيب الطالبين برسالة الى ان رد المال وذهبت أمانة التجار وانتقض الصلح وتآدى الامر الى الوحشة

وكان الحاجب سبكتكين أخرج الى شهرزور في جيش كثير ومعه عرادات ومنجنيقات فأقام مدة عليها ولم يمكنه فتحها^(٢) واتفق أن جيشا ورد من صاحب خراسان الى الري فاحتجج الى انقاذ سبكتكين الى ركن الدولة مددا له فانصرف من شهرزور ولم يصنع شيئا

وفيهما ورد ابن ما كان اصبهان وكان مسيره اليها على طريق المغازة من خراسان فهجم هجومًا واضطر أبو منصور بويه بن ركن الدولة وعيال ركن الدولة وجميع أصحابه أن يخرجوا على وجوههم الى خان النجان ومنها الى الرباط على أقبح صورة واستولى ابن ما كان على اصبهان . وكان الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد رفع الله درجته بارجان فبادر مع قطعة من العرب وتفر يسير من الديلم كانوا معه فوجد ابن ما كان قد تبع أبا منصور بويه بن ركن الدولة ومن معه من الحرم فلحق سواده وملك خزائنه وتخلص الأمير بويه والحرم على . وقد أشرف هو والحرم على الفضيحة والاسر

(١) هو أحمد بن علي بن أبي جعفر محمد الكوكبي من ولد محمد الارقط بن عبد الله الباهر بن علي زين العابدين وقال صاحب كتاب عمدة الطالب انه كان نقيب النقباء ببغداد في أيام معز الدولة : وفي كتاب الاقادة في تاريخ الاثمة السادة لابي غالب يحيى ابن الحسين البطحاني العلوي المتوفى سنة ٤٢٢ . كان فيه زعارة وعنف فشكا العلوية الى معز الدولة سوء معاملته اياهم مرة بعد أخرى . فقال لهم . قد عزلته عنكم فاخذتاروا لانفسكم من ترضونه . فاجتمع العلوية كاهم على الرضي بأبي عبد الله ابن الداعي .

فلحقه الاستاذ الرئيس فعارض ابن ما كان ودافعه بخان النجان فأوقع به واستأسره وبه ضربات وأسر جميع قواده وقتل أصحابه قتلا ذريما . وحمل الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن ما كان وقواده الى القلعة بالخان ثم صار الى اصبهان فأوقع بمن فيها من أصحاب ابن ما كان وورد الامير ^(٢١٢) أبا منصور بويه بن ركن الدولة مع الحرم الى اصبهان مصونين وتلافى ذلك الخطب العظيم أحسن تلاف .

وكان يحدثني رحمه الله بخبر هذه الواقعة مرات فيقول : لما التقينا بالخان انهزم عنى أصحابي واشتغل أصحاب ابن ما كان بالنهب والغارة وثبت آتفة فقط من غير رجاء منى في ظفر بل وقفت وقوف المستسلم للقتل والاسر . وذلك انى افكرت فى تلك الحالة وقلت « ان انصرفت بنفسى سالما ومثلت بين يدى صاحبي أى وجه يكون لى عنده وأى لسان يدور بعذرى لى بحضرته بعد ان أسلمت أعزته وأولاده وحُرّمه وبالجملّة ملكه ا » ونظرت فاذا القتل على فى حالتى تلك أهون من هذه الحال التى تصورتها فصرت لان أقتل كريما (قال) فسكنت واقفا وراء خيمة لى بعمودين وأنا أرى أطناهم تقطع وما فيها يخرج ومن يرانى لا يظن انى أثبت فى ذلك الموضع مع تلك الصورة فينما أنا كذلك وأصحاب ابن ما كان مشغولون عنى بالنهب اذ تاب الى ثلاثى روين وفلان وفلان وراءهم العرب فتاب منهم جماعة يسيرة فحملت بهم وصاح الناس السكرّة فقتلنا وأسّرنا ولم بقتل أحد ولما كان بعد ساعة من النهار لم يبق من جيش ابن ما كان عين تطرف ^(٢١٣) الا من أخذ أسيرا وحمل الى ابن ما كان وبه ضربة فى يده وقد تعلق منها اصبهان بجملدة رقبة ثمّدها حتى قطعها (قال) فهو على ذلك بين يدى حتى شق الرحمة اليه

مكاراً أو ركابي فصفه صفة طن بها الموضع وغاص فلحقني غيظ عظيم وأمرت بطلبه وهممت بالمثلثة به وقطع يده فما وقف له على أثر ولا عُرِف له خبر الى اليوم

وكان ابن ما كان مع عظم قدره في نفوس الديلم وشدة بأسه محرباً عظيم القوة ورأيت انا جوشنة وهو رزين جدا يعرض على فتیان الديلم واشدائهم أن يلبسه فيستغنى منه لثقله على اليد

وفي هذه السنة أنجد سيف الدولة ديباً وعاضده بمض الاكراد فقصد سلباس وملكها وخطب لسيف الدولة بها وكان السلباس غائباً بناحية باب الابواب مشغولاً بقوم خرجوا عليه هناك فلما عاد من باب الابواب وأصلح أمره هناك وظهر بمدوّه فقصد ديباً فاستأمن رجاله الى سلبار وهرب ديسم ومضى الى ابن الديراني صاحب أرمينية مستجيراً به فقبله ثم غدربه وقبض عليه وقيده وحمله الى السلبار . فيقال ان السلبار سملته ثم قتله وفيها مات أبو علي ابن محتاج وابنه بالري في وبأ حدث هناك وفيها تم الصلح^(٢١٤) بين ركن الدولة وصاحب خراسان .

وفيها ورد أبو الفضل القاشاني صاحب ركن الدولة مع ابن أخت ابن مالك برسالة عبد الملك بن نوح صاحب خراسان يلتمس أن ينفذ اليه خلعة ولواء على خراسان فمقد له الخليفة اللواء وسلمه مع الخلعة الى ابن أخته الوارد برسالته ورده مع أبي الفضل القاشاني وقاد أيضاً اليه فرسا وأضاف الى خلعة الولاية خلعة منادمة^(١)

(١) زاد صاحب التكملة . وفي هذه السنة سد معز الدولة فوهة نهر الرهيل وسد بئق النهر وانات وحفر للخلاص محوله وشرع في سد بئق الروبانية يادوريا . وقال أيضاً

﴿ ودخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما خطب أبو محمد المهلبى بالوزارة وأمر بذلك معز الدولة وخلع
عليه وزاد في اقطاعه

وفيهما خرج روزبهان بن ونداذ خرشيد الديلمى على معز الدولة وخرج
أخوه المسمى بلسكا بشيراز وكاشفا بالعصيان وفعل مثل ذلك أخوه الآخر
أسفار بالاهواز وجاء روزبهان الى الاهواز وكان بها الوزير المهلبى ليحاربه
فاستأمن رجاله الى روزبهان وانحاز الوزير عنه . وورد الخبر بذلك على معز
الدولة فلم يكن يصدق بذلك لشدة ثقته به فانه هو الذى اصطنعه ونوّه
باسمه فكان خاملا وعظم قدره وكان صغيرا قبل ذلك من رجال موسى فياذه
وصغار أصحابه . وأتقذ معز الدولة شيرزىل على مقدمته للحرب واضطرب
الديلم بأجمعهم على معز الدولة ^(٢١٥) اضطرابا شديدا وأظهروا أشياء كانت فى
نفوسهم عليه من العتب والاستبطاء وكاشفوه وواجهوه بكل ما كره
وأخذوا يستأمنون . فقلد معز الدولة الابزاعجى الشرطة بواسط وأتقذه اليها
وفى يوم الخميس لحس خلون من شعبان خرج معز الدولة من داره ببغداد متوجها
الى قتال روزبهان وزاد الامر فى استئمان الديلم الى روزبهان . وخرج الخليفة
المطيع لله منحدرا الى معز الدولة وذلك ان ناصر الدولة لما بلغه خبر روزبهان
وما عمله هو واخوته حدث نفسه ببغداد فوجه بابنه أبى المُرَجّى وآخر من
أولاده الى بغداد وبلغ ذلك معز الدولة فرد الحاجب بسبكتكين من واسط
لضبطها وكتب الى مسافر بن سهلان (وكان بنهاوند متقلدا لها) يأمره
وانحدر روزبهان فى شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلبى الى زاوطلا لمعاوته وترك
روزبهان معاربة عمران ومضى الى الاهواز عاصيا

بالتعجل الى بغداد لمضامة الحاجب سبكتكين ببغداد . فشغب الديلم المقيمون ببغداد لطلب أرزاقهم فبعث اليهم مسافر وسبكتكين ولشكر ورز ووعدهم بالمال فسكنوا وكان مسافر نزل في أعلى القطيعة وخرج سبكتكين الحاجب فنزل بباب التماسية وهم على قنوط من [معز] الدولة . ومنع معز الدولة جميع الديلم من العبور لقنطرة أربق معه لما رأي من استئناسهم الى روزبهان ووكل بالقنطرة من يمنعهم من عبورها قلة ثقة بهم^(٢١٦) وخوفا من أن يغدروا به ويشوشوا باقى عسكره لانه كان ينفق فيهم فاذا قبضوا النفقات صاروا الى روزبهان من فورهم فما عبر معه من الديلم الا ليلي بن موسى فياذه وشيرزىل ابن وهري والحسن بن فناخسره فقط

وكان اعتماد معز الدولة على غلمانه الاتراك خارب روزبهان يوم الاثنين انسلاخ شهر رمضان نهاره كاه الى ان سقط القوم^(١) ثم حمل بنفسه في غلمان داره وحضهم بأن قال : يا أولادى قد ربيتكم تربية الاولاد فأرونى غناءكم الساعة . فحملوا معه حملة الصبيان الاغمار فلم يردهم شىء وانهمزم روزبهان وأصحابه وأسر روزبهان وبه ضربات وأسر كوركير وفتح الشكري وأرسلان كور

﴿ شرح صورة هذه الحرب على سياقة من شاهدها ﴾

استوحش الديلم من منع معز الدولة اياهم من العبور فاجتمعوا عليه وقالوا له : ان كنا رجالك فاخرجنا نقال بين يديك فانا لا نصبر ان نجلس مع الصبيان لحفظ سوادك وبرى الاتراك يقاثلون عنك فمتى ظهرت بمدوك خرجنا من المحمدة ومتى ظهر مدوك فلحقنا العار والسبة . وكانهم سلكوا

في هذا الكلام مسلك الحيلة يُطابق لهم العبور فيتمكّنون من ^(٢١٧) كسر
عسكره والاستئمان إلى عدوّه فسألهم التوقّف وقال : انما أريد ان أشام
القوم ولا أناجزهم فيما فعلت بالأمس فاذا كان في غد باكر ناهم باجمعنا على
تعية واستعنا بالله وناجزناهم . وكان يدبر عليهم النفقات وبواصل المطايا
ويكثر المداراة فامسكوا عنه وعبر معز الدولة وعبيّ غلمانة كراديس تتناوب
في الحملات الى وقت غروب الشمس فهناك قشيل الاتراك وانقطعت خيامهم
وفنى نشابهم وشكروا الى معز الدولة وقالوا : ليس فينا فضل وقد أمسينا
فاستريح الليلة وتفرّق فينا النشاب وناكرهم الحرب . فلم معز الدولة
انه ان رجع عن هذه الحالة زحف روزبهان والديلم وتار من خاف وراءه
من أصحابه الديلم الذين كان يهملهم فلا يمكنه الهرب وكان الهلاك فبكي
بين أيدي غلمانة وكان سريع الدفعة ثم سألهم أن تجمع الكراديس
كلها ويحملوا وهو في أولهم فاما ان يظفروا واما ان يُقتل أول من يقتل
فطالبوه بالنشاب فقال : قد بقي مع الغلمان الاصاغر نشاب نخذوه وتوزعوه
وكانت عذّة من الغلمان الاصاغر تحتم الخيل الجياد العتاق وعليهم الجُنب
والتجافيف وكانوا سألوا معز الدولة ان يأذن لهم في الحملة نوبة في
الكراديس فلم يأذن لهم ^(٢١٨) وقال لهم : اذا كان الوقت الذي يصلح
لكم ما سأتم اذن في . فوجه اليهم بنقيب وأوماً بيده أن اقبلوا ما يقول
النقيب ليأخذ النشاب منهم فلم يشكوا انه انما أوماً اذن لهم فيما كانوا
يسألونه ووعدهم به فحملوا وهم مستريحون . كذلك خيلهم فصدموا صفوف
الديلم فسكسروا بمضهم فوق بعض وصادروا من ورائهم وحمل معز الدولة
فوضع فيهم التوت فكانت اياها وكتب بالظفر الى بغداد

فورد على الديلم المقيمين ببغداد ما أدهشهم ولم يصدقوا به وقدروا
انه أرجف بذلك ارجافا فسكانوا يستهزئون استهزاء ظاهراً ويقولون « نعم
كانوا دجاجاً وضع عليهم مكبة فما أفلت أحد » وكانت نفوسهم اشرابت
الى روزبهان فلما صبح عندهم الخبر ضمنت نفوسهم وانخذلوا . وأسرع معز
الدولة الانصراف ليلحق ببغداد قبل ورود أصحاب ناصر الدولة اليها فدخل
بغداد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة بقيت من شوال ودخل داره ثم سار في
يومه ذلك في المساء الى مسكر الحاجب بباب الشماسية في زبزب ومعه
روزبهان في زبزب آخر مكشوقاً اِپراه الناس وكور كير في زبزب آخر
واجتمع الناس على الشطوط فدعوا له وعلى روزبهان . وقد كانت العامة
محبين لايام^(٢١٩) معز الدولة وذلك لما كان منه في سد بثق نهر الرفيل
وسد بثق بادوريا فانه خرج بنفسه حتى سد هذا البثق وحمل التراب بنفسه
في بركة قبائه حتى فمل جميع المسكر مثل فعله وسد ذلك البثق ثم خرج
الى النهروانات فسد بثقها وكانت النهروانات قد بطأت وكذلك بادوريا
فلما سد بثوقها عمرت ببغداد وبيع الخبز النقي عشرين رطلاً بدينار فشالت
العامة الى ايام معز الدولة وأحبوه .

ومضى الامير معز الدولة ممتداً الى عسكره بقطر بل وكان أبو المُرَجَّى
وأخوه قد وصلوا الى عكبرا ووصلت خيولهما الى البركان فلما بلغهما قدوم معز
الدولة وما جرى على روزبهان انصرفا من عكبرا الى الموصل وتبعهما الحاجب
سبكتكين فلم يلحقهما لا غذاذهما السير .

وحبس روزبهان بالصراة في حصن كان هناك فكان الديلم يحدّثون
أنفسهم بكبس موضعه واخراجه وأشار أبو العباس مسافر على معز الدولة

بقتله فأبى وكره ذلك الى ان قال جماعة من ثقاته : انك ان لم تبادر الى قتله
أخذه الديلم غصبا وزالت الدولة وذهبت أرواحنا . فأخرج حينئذ بالليل
وغرق في سُميرية أسفل دار الخليفة وورد الخبر بعد ذلك بظفر الاستاذ^(٢٢٠)
ابن العميد يُلُكًا أخى روزبهان وردّه الملك على أبي شجاع فناخسره بن
ركن الدولة . فانطوى ذكر روزبهان واخويه بعد ان اشتعل اشتعال النار
وانحاز اليه والى أخيه يُلُكًا الديلم وظنوا انهم قد ثقلوا ملك بني بويه والله
الامر من قبل ومن بعد . ثم ان معز الدولة أسقط الديلم الروزبهانية وقبض
على جماعة من قواده وأعرض عن سائر الديلم وأقبل على الاتراك واصطنعهم
وكتب بالفتح الى الامصار

﴿ ودخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر بموت السلار المرزبان بأذربيجان في شهر رمضان
وكانت وفاته بفساد المزاج فلما يئس من نفسه أوصى الى أخيه وهسودان على
ان يكون الرياسة له ثم من بعده لابنه جستان وكان قد تقدم الى أصحاب
قلاعه الموكلين بحفظها ان حدث عليه حدث الموت الا يسلموها الا الى
جستان ابنه فان حدث به حدث الموت فالى ابنه ابراهيم فان مات فالى ابنه
ناصر . وكان له ولد رابع يقال له كيخسره^(١) فلم يذكره لصغره وقال « فان
لم يبق من هؤلاء أحد فسلموها الى أخى وهسودان » ولما وصى الى أخيه
وصيته هذه عرفه علاماته التى بينه وبين أصحاب قلاعه فانفذ وهسودان^(٢٢١)
بعلاماته وخاتمه الى المرتئين فى القلاع فى تسليمها اليه فأبوا عليه وأظهروا
وصيته المستورة . وكان ابراهيم بن المرزبان متزوجاً بابنة ولكن بن خرشيد

(١) وهو منذ كور مع صاحب ابن عباد فى ارشاد الارب ٢ : ٣٠٨

وهو من أكابر الديلم وكان ولكن هذا مجوسا من جهة المرزبان باردويل فلما مات المرزبان خاطبته زوجته في أبيها وجملة على ان يمضى بنفسه ويخرجه من محبسه فركب وأخرجه من غير استئذان عمه وهسودان فاستوحش وهسودان وفكر في مخاللة أخيه له في الوصية وفي اقدام ابن أخيه ابراهيم عليه وإخراجه ولكن من محبسه بغير اذنه فساء ظنه وخرج من أردويل كالهارب الى الطرم فاستولى جستان على ممالك أبيه وأطاعه أخواه ابراهيم وناصر وقلد وزارته أبا عبد الله النعمي وتوافق اليه قواد أبيه الا جستان بن شرمزن فانه تأخر عنه وفكر في التغلب على ناحية أرمينية وكان واليا بها . وأخذ وهسودان في التضريب بين أولاد أخيه وتفريق كلمتهم واطماع أعدائهم فيهم والتشفي بما عومل به حتى اضطرب عليهم عسكرهم وطلابوهم بما لا يتسمون له حتى تمكن منهم وقتل بعضهم وحرص على من لم يمكنه قتله حتى بلغ ما أراد واشتفى وزاد^(٢٢٢)

وفي هذه السنة كثر ببغداد أورام الخلق والماشرا وكثر الموت بهذين الضريبن^(١) وموت الفجأة وكل من اقتصد انصبت الى ذراعه مادة حادة عظيمة يتبعها حتى حادة فيحتاج الى بطي وما سلم أحد ممن اقتصد . وكانت شتوة هذه السنة دفيئة عادمة الامطار وحكى أهل البحر ان البحر نقص في هذه السنة ثمانين باعا وانه ظهر لهم جبال وجزائر لم يعرفوها ولا سمعوا بها قط وكانت زيادة دجلة في هذه السنة يسيرا نحو عشرة أذرع وكان بالرى ونواحيها زلازل عظام مات فيها من الناس ما يعظم مقداره ويكثر عدده^(٢)

(١) لعله « للمرضين » (٢) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة خرج أبو الحسين ابن مقله الى كربلاء لزيارة وبه فالج فسات في طريقه وأعيد الى داره ودفن في مربعة أبي

(ودخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة)

وفيهما كثرت الزلازل ببغداد وحلوان وبلدان الجبل وعظم أمرها
بالجبل خاصة فخرت الابنية وقتلت الخلق^(١)

وفيهما شغب الاتراك والديلم بالموصل على ناصر الدولة وزحفوا الى
داره وأرادوا الفتك به فحاربهم بغلمانة وبالعامة وظفر بهم وقتل بعضهم في
الوقعة وقبض على جماعة وهرب الباقون الى بغداد

وفيهما ورد الامير أبو منصور بويه بن ركن الدولة الى بغداد يخطب ابنة
معز الدولة ومعه أبو علي ابن أبي الفضل القاشاني وزيراً ومعه أبو القاسم
اسماعيل بن عباد يكتب له على سبيل^(٢٢٣) الترسل . فلما كان ليلة السبت
لليتين خلتا من جمادى الأولى زُفَّت بنت معز الدولة الى أبي منصور بويه
ثم حملاها الى إصبهان

وفيهما خرج معز الدولة نحو الموصل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من
جمادى الآخرة وعبر من باب الشماسية الى قطربل وضرب مضاربه هناك
وعزم على قصد الموصل لمحاربة ناصر الدولة وأولاده لما كان منهم في قصد

عبيد الله . وزاد صاحب تاريخ الاسلام . وله تسع وثلاثون سنة (١) زاد صاحب تاريخ
الاسلام : وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف بلد الطالقان في ذي الحجة ولم
يقتل من أهائها الا نحو ثلاثين رجلاً وخسف بخمسين ومائة قرية من قرى الري واتصل
الامر الى حلوان خسف بأكثرها وقد دفت الارض عظام الموتى وتفجرت منها المياه
وتقطع بالري جبال وعلفت قرية بين السماء والارض بمن فيها نصف نهار ثم خسف بها
وانخرقت الارض خروقا عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم هذا نقل ابن الجوزي
قاله أعلم . وقال أيضا . وفي سنة ٣٤٧ عادت الزلازل بحلوان وقم والجيل فأنلفت خلقت
عظما وهدمت الحصون وجاء جراد طبق الدنيا قاتى على جميع الغلات والاشجار .

ممالكه والطمع فيها بعد الصلح والموادعة وتردّدت الرسل فامر معز الدولة
ان تُكتب عنه توبيخات وتهجينات عنيفة شديدة وأمر ان تُقرأ
وتُستوفى أجوبتها

﴿ ذكر هذه التوبيخات ﴾

قال فيها : أنت ذاكر ماجرى عليك من تكين الشيرزادي فانه
أخرجك من نعمتك وكاد يأتي على مهجتك فاجأت الى بعد عداوة سبقت
امناك لي ومنازعة نازعتها عن بلاد لم يكن في يدك منها شيء فاطرحت
لاحقاد واعتفرت الذنوب وآثرتك على تكين وهو اذ ذاك يبذل لي
الخدمة والطاعة وحمل المال وإقامة الخطبة ولا يانمس مني الا ترك الدخول
بينك وبينه والانصراف عن النصرة لك عليه فأثرتك . وأتخذت كاتب
وعسكري باموال أنفقتها ومؤون تكلفتها^(٢٢١) حتى أخذت بناصيته وسلمته
اليك فشفيت صدرك منه وعدت الى وطنك . ثم حصلت في يد وزير
الميمري حصول المستجير الدليل فوفي لك ولو شاء لأسرك واشتمل على
بلادك وقلاعك . وظننت انك تعرف الى حق هذه النعمة وتطالب نفسك
عليها بالمجازاة فاييت الا غدرآبي وتقييحا في معاملي . وليتك لما لم تعمل
عمل الاصدقاء الاوفياء عملت عمل الاعداء الخزماء فكاتبتي تعرض نفسك
على في النائة العظيمة التي نابتنى في أوثق الناس عندي وتبذل لي معاوتتك
فكنت تنفذ عسكرك الى تكريت على انه مدد لي فان لاح لك استظهار
مني تحمّدت على وتودّدت اليّ وان لاح لك استظهار على أظهرت ما في
نفسك حيث تكون فيه أعذر وأقل ملامة . ثم اتبع هذا القول بالتوعد
والتهديد بالمسير الى أعماله واستيصاله .

﴿ الجواب عن هذه الرسالة ﴾

انك قد صدقت في جميع ما عددت واني معترف به ووالله ما كان عن رأي ولا أمرت به ولسكني شيخ لي أولاد أحداث يخالفونني في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن لا يطاع . وتمت الموافقة بينه وبينه على تعجيل ألف درهم فجعلها له ^(٢٢٥) والتزم مثلها في كل سنة فظهر معز الدولة الرضاء ضرورة لانه كان غير واثق برجاله ولان أعماله اختلفت بتلك الفتنة فعاد الى داره . ثم أخر ناصر الدولة المال الثاني لان الاول كان في سنة ست فخرج معز الدولة اليه وسار ناصر الدولة الى نصيبين ودخل معز الدولة الموصل وسار الى نصيبين وخاف سبكتكين بالموصل . وأتخذ سرية الى سنجار لانه بلغه ان أبا المرجي وهبة الله ابني ناصر الدولة بها وبلغهما خبر السرية فانصرفا وقد كان أعجلهما الامر فتركا خيمهما وجميع معسكرهما بحاله ولم يمكنهما حمل شيء فاسرع الديلم الذين كانوا في السرية الى الفارة والنهب

﴿ ذكر عجلة واضاعة حزم ﴾

ان الديلم نزلوا في خيم أبي المرجي وأخيه فعادا وكبسا العسكر واستأسرا جماعة وقتلا جماعة وكان ممن قتل ابن ملك الديلمي المعروف بسياحشم قتله هبة الله ووقع في الاسر شيرزاد وشيرمردي وعدد كثير

﴿ ذكر السبب في هذه النكبة وضعف ﴾

﴿ معز الدولة بعد الاستعلاء ﴾

كان من عادة ناصر الدولة اذا تسجي من بين يدي معز الدولة الا يترك في البلد لا كاتباً ^(٢٢٦) ولا دليلاً ولا أحداً ممن يعرف تقع السلطان وضره ويخشعهم

الى قلاعه مع حساباته ودواوينه ثم يأمر الصماليك والعرب أن يتطرقوا
 البلد وينعموا العسلافة ومن يخرج لطلب العلف والطعام الا أن يكون معهم
 عسكر قوى فاذا رأوا عسكراً قويا لم يظهروا ولم يتعرضوا وكان غرضه في
 ذلك أن يضيق الميسر والعلوفات فينصرف عنه معز الدولة ففعل ذلك في هذا
 الوقت . وبلغ معز الدولة كثرة الغسلات بنصيبين وكانت للسلطان فقصدها
 وخلف حاجبه سيكتكين بالموصل فلما صار ببرقعيد بلغه أن أبا المارجي وهبة الله
 ابني ناصر الدولة مقيمان بسنجار فعمل على كبسهما وندب لذلك جماعة من
 القواد الكبار وجعل الرئيس عليهم تكين الجامدار وكان غلاماً أمرد وضىء
 الوجه منهمكا في الشرب لا يعرف الصحو ولا تقدمت له حنكة فإشار الوزير
 المهلي الأيخرجه في مثل هذا الوجه وان يعدل الى أحد مشايخ القواد فلم يقبل
 منه وأنفذه في خمسمائة رجل فأشرفوا على أبي المارجي وهبة الله فارهقوهما عن
 تقويض الخيم واستصحاب شيء من رجالهما وافتلأ على ظهور دوابهما وتركوا
 جميع ما لهم^(٢٢٧) فأنهبه العسكر . ثم تعجل اصحاب معز الدولة الى الخيم وتركوا
 الحزم فنزلوها واستقروا فحطف عليهم أولئك وصارت الكيسة لهم فقتلوا
 وأسروا وغنموا ما شاؤا . وبقي معز الدولة في عدد يسير ببرقعيد في طريقه
 الى نصيبين فكتب الى بغداد يستدعي العساكر فتعجلوا وتلاحقوا اليه فلما
 قويت عدته سار من برقعيد الى نصيبين وسار ناصر الدولة من نصيبين الى
 ميسافارقين وفض جيشه عنه بأسره وصرفهم فصار جميعهم الى معز الدولة في
 الأمان واستأمن أبو زهير اخو ناصر الدولة الى معز الدولة ورحل ناصر
 الدولة من ميسافارقين الى حلب مستجيراً بأخيه سيف الدولة فلتقاه أخوه
 باجل تلق وقبلة احسن قبول وخدمه بنفسه حتي تولى نزع خفيه بيده . وكان

حامد بن النمس توجه من قبل معز الدولة الى الرحبة فهزم من كان بها من جيش ناصر الدولة

وكان طريف الخادم وهزارمرد وهما غلاما ناصر الدولة يتطرقان الموصل في الجانب الشرق منها كل يوم ويلتقطان عمال معز الدولة ويأخذان العلافة من عسكر الحاجب ويمنعان ورود^(٢٢٨) شيء الى الموصل حتى صارت محاصرة واخذوا من الثنار من عمال معز الدولة رجلا يعرف بعلي بن الصقر وحمله الى القلعة ثم كبسا الحديثة وكان فيها محرز حاجب الوزير ابي محمد المهلبى وأبو السلاء ابن شاذان يتقلد عمالتها فقبضا عليهما ثم اطلقا محرزاً وحملأ أبا السلاء الى القلعة

وكان معز الدولة راسل كافور الخادم بمصر يأمره بحمل مال الى الحضرة فحبس كافور الرسول حبسا جميلا وطاوله وبث جواسيسه لتعرف الاخبار فلما عرف انصراف معز الدولة عن ذلك الوجه الى بغداد رد الرسول خائبا . وورد عمرو النقيب من قبل ناصر الدولة الى نصيبين وسفر في الصلح وطال الخطب بينه وبين معز الدولة فلم يتم الصلح فلما رأى عمرو الصورة استأمن الى معز الدولة وأقام بحضرته ولم يعد الى ناصر الدولة . ثم ترددت رسائل بين معز الدولة وبين سيف الدولة وتوسط بين أخيه وبينه حتى تقرر ما بينهما ورجع معز الدولة من نصيبين قاصداً الموصل
(ذكر اتفاق صعب غير محتسب)

لما صار معز الدولة بين المويسية وآذرمة في اليوم الخامس عشر من شباط^(١) هبت ريح باردة^(٢٢٩) مغربية ووقع دمع قتاف في ساعات يسيرة

(١) زاد صاحب التكملة : وهو ذاك ذى الحجة

من النهار عدد عظيم من عسكره ولحق معر الدولة غشية وكاد يتلف من كثرة ما عليه من الوب والحر . فقلع أهل المسكر سفوف آدرمه وأنواها وأوقدوها فاطلق معر الدولة لاهلها ثلاثة آلاف درهم ليتاعوا بها مكان ما أخذ من ابتقاضها

﴿ ذكر تدبير سيء ورأى ظاهر الفساد رآه معز الدولة ﴾
 ﴿ بعد فراغه من روزهان ادى الى تخريب المملكة ﴾
 (وسوء عاقبة الاولاد والرعية)

دبر معز الدولة عند فراغه من حرب روزهان ان يطرد الديلم الروزبهانية عسك من لم يفارقه منهم وان كانوا متهمين عنده وكان وعدم للعشرة ثلاثة في اصول اموالهم وظن انه ان وفي للكل لم يتسع له مع ان الفتح للاتراك وكان ماثلاً اليهم بالهوى قبل الاستحقاق فكيف بعد هذا الاثر العظيم ! فابتدأ يجازى الاتراك بالاحسان ففقد منهم جماعة واستحجب جماعة ونقب جماعة ورفع كل طبقة الى ما هو اعلى منها ونقى الديلم الروزبهانية ليتوفر عليهم ما لهم ويصير ذلك بازاء ما يلزمه لاصحابه الديلم من الزيادات . فاخرجهم الى الاهواز وكتب الى وزيره المهلبى بجميعهم^(٢٣٠) من جميع النواحي والاعمال والتوكيل بهم والمسير معهم الى آخر الحدود ليتفرقوا حيث شاءوا . فدفع الوزير من ذلك الى خطة صعبة وحال مخاطرة عظيمة لان القوم كانوا ذوي عدد وعدة الا انه تلطف واحسن التدبير حتى اخرجهم زمرة بعد زمرة . ثم حمل معز الدولة الاتراك على التحجب على الديلم وتعييرهم بشق العصا وخلع الطاعة وتقريعهم بهذا ونحوه وان عدد الاتراك مع قائم وفوا بهم حتى قهروهم واذلهم . ثم رسم للاتراك رسوما صار سببا لضراوتهم وطلب الاموال

والتغلب على الاعمال والتسحب على العمال وذاك انه أمر بتسبيب ما يستحقونه على واسط والبصرة والاهواز واخرجهم طبقة بعد طبقة على النوبة لاستيفاء أموالهم ولمن وراءهم من رفقاتهم المقيمين وان يقام لهم نزل ياخذونه راتبا في كل يوم الي ان يستوفي ماله ومبلغه عشرة دراهم لكل غلام في كل يوم وعشرون درهما لمن كان نقيبا وأراد ان ينفعهم عاجلا لا مؤبداً . وافتتح عليه من ذلك باب من الفساد كان اضرع عليه من زيادة أوزارها في أصول استحقاقاتهم وذلك انهم اثروا أن تتأخر أموالهم المسببة لتكثر أيام مقامهم^(٢٣١) وصيروا اصول أموالهم بضائع يتجرون فيها واذا راج لهم من مال تسبيلاتهم لم ينسبوا شيئا منه الى الاصل وقد بقي لهم درهم واحد ويستروح العمال الى اطلاق الشيء بعد الشيء لئلا يرهقوا بالمال جملة فربما أقاموا سنتين وثلاثة . وحدثت التجارات في سدورهم وإجازة ما يحصل لهم في الطريق بغير ضريبة ولا مؤونة ثم تجاوزوه الى الدخول في التلاجيء فملكوا البلاد واستطالوا على العمال وحاموا على التجار ومن اعتصم بهم فضعفت أيدي العمال واستعبدوا الناس واستمر ذلك وازداد الى اليوم

(ودخلت سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

وفيها وافي أبو محمد الفياضى كاتب سيف الدولة الى الموصل في المحرم وتقرر الامر على أن عقدت الموصل وديار ربيعة والرحبة على سيف الدولة بالفي الف درهم وتسعمائة الف في السنة وذلك لان معز الدولة لم يستجب الى عقدها على ناصر الدولة وعلى أن يقدم من ذلك الف الف درهم ويطلق الاساري الذين أسروا بسنجار. فلما تقرر هذا انحدر معز الدولة وتأخر الوزير المهلبى والحاجب سيكتكين بالموصل والجيش بأسره معهما^(٢٣٢) الى أن يحمل

مال التعجيل ثم وردا مع الجيش ومع أبي محمد الفياضى كاتب سيف الدولة
 ﴿ ذكر انحذار معز الدولة والسبب فيه بعد ﴾
 (تمكنه من دينار ربيعة ومضر)

كان السبب في اصعاده الاضاقة الشديدة التي لحقت به بعد الامور التي
 ذكرناها وتأخر أموال الجول عنه فلم ناصر الدولة بذلك فانهزم من بين يديه
 وقال لاصحابه : اذهبوا حيث شئتم فاني لأقف للحرب . فاستأمن اصحابه الى
 معز الدولة كما كتبنا فيما تقدم فازدادت اضاقة معز الدولة ولم يمكنه ضبط
 النواحي ولا الحماية وتقاعد الناس باداء الخراج احتجاجا بأنهم لا يصلون الى
 غلاتهم وطلبوا الحماية واضطر معز الدولة الى الانحذار ولكنه أنف وأقام
 على كره ومشقة فلما ورد عليه رسالة سيف الدولة استراح اليها وأجابه بالشكر
 الجميل وشكا اليه أخاه وقلة وفائه والغدر به مرة بعد مرة وقال له : ان
 ضمنت أنت أجبت . فضمنه وانحدر معز الدولة

﴿ وفي هذه السنة انقطعت الجول من واسط الى البصرة والاهواز ﴾

(ذكر السبب في ذلك)

السبب في ذلك ما كنا ذكرناه من استيلاء الاتراك واستنصاتهم العمال
 ومضايقتهم ايام حتى اضطروهم الى بذل المرافق^(٢٣٣) الكثيرة لهم فاقتنوا
 الاملاك وحاموا على قوم على سبيل التلاجي ، فتغلبوا على حقوق بيت المال
 وصار العمال يعولون على الغلمان الاتراك في أخذ حقوقهم على التناء فيتنجزونها
 كما يتنجزون تسيبائهم وتشبه بهم الديلم واصطلاح الفريقان على هذا السبيل
 فكسروا على السلطان حقوقه . واجتمع العمال بذلك فكسروا أصول العقود
 وسألوا إزالة ما دهمهم فلم يمكن ذلك وصارا بمنزلة الداء الذي لا يرجى حسمه

لان الديلم كانوا مستوحشين ومتفرقين والأتراك متطاولين مدلين فلو قموا
لصارت كلمتهم مع الديلم واحدة . فجرى الرسم بأن ينقل ما رفعه العمال من
فاضل ما عليهم الى السنة التي بعدها وحصل الوزير وكل من دبر فيه تدبيراً
معرضاً لسفك دمه وذهاب نفسه الا ان هذا الفساد كان في أيام معز الدولة
كالطفل الناشيء لهيبته وبقية حشمته ثم ظهر الافراط بعد علي أولاده ولما
أتي عليه الزمان بعد وفاته

وفيهما خلع السلطان على الأمير أبي منصور بختيار بن معز الدولة وعقد
له لواء وقلده إمرة الأمراء ولقبه عز الدولة^(١)

وفيهما أُنقذ لواء وعهد الي أبي علي^(٢) [محمد] بن الياس وكان السفير في
ذلك كله القاضي أبو بكر أحمد بن سيار الصيمري وفيها مات أبو الحسن محمد
ابن أحمد المافروخي وكان يكتب لمعز الدولة وكتب له بعده أبو محمد علي بن
عبد العزيز المافروخي مدة شهر ثم استعفى وانصرف وتقلد مكانه أبو بكر
ابن أبي سعيد

وفيهما كانت وقعة بين علي بن كامه ابن أخت ركن الدولة وبين يستون
ابن وشمكير فكانت علي يستون

وفيهما غرق الحاج الواردون من الموصل وكانوا في بضعة عشر زورقا

(١) زاد فيه صاحب كتاب العيون : واستكتب له ابا الحسن المافروخي الاصبهاني
وزوجه بابنة أبي منصور لشكروورز بن سهلان فمات بعد الاجتماع والانتقال وقد كان
زوجه بابنة روزبهان فاقطعت بمصيان أيها العلاقة بينه وبينها ثم خطب له ابنة أبي علي محمد
ابن الياس صاحب كرمان وانقذ في ذلك أحمد بن سيار الصيمري القاضي فتمت الوصلة ولم
تقع النقلة . وقال أيضا : وفي هذه السنة توفي لشكروورز بن سهلان بهمة القولنج وتبعته
وفاته وفاة أخيه مسافر بن سهلان بنهاوند في هذه السنة وكان بين وفاتها وأمد قريب

كباراً فيها من الرجال والنساء نحو الف نسمة
وفيهما غزا الروم الساميين فأسروا وقتلوا وسبوا^(١) وانصرفوا وذلك
في طرسوس والرها

(ودخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة)

وفيهما ورد الخبر بأن صاحب خراسان قتل رجلاً من قواده يسمى
بمختكين [وكان] من وجوه قواد الأتراك فاضطربت خراسان لأجله
وفيهما ورد الخبر بأن ابناً لعيسى بن المكتفى بالله ظهر بناحية أرمينية
وتلقب بالمستجير بالله يدعو إلى المرتضى من آل محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولبس الصوف وأمر بالمعروف [ونهى عن المنكر] . وكان هذا
الرجل مضى إلى بلد الجبل فاستنصر بمجاعة من الديلم المعروفة^(٢٣٥) والسودة
والمتسعين إلى مذهب السنة من مذاهب المسلمين فخرجوا معه وصاروا إلى
آذربيجان فغلب على عدة بلدان منها ما كان في يد سلار الديلمي . ثم ورد
الكتاب في شهر رمضان من جهة ابن سلار بأنه أوقع بهذا الرجل المتلقب
بالمستجير بالله فأسره وقتله

(ذكر السبب في خروجه وسرعة هلاكه)

كان السبب فيه أن جستان بن المرزبان ترك طريقة أبيه في سياسة
الجيش وتوفر على النساء واللعب ثم أدخلهن في التدبير . وكان جستان بن
شرمزن تحصن بسور أرمينية وكان وهسودان بالطرم ويضرب بين أولاد

(١) قال صاحب التكملة : أسروا (الروم) محمد بن ناصر الدولة من نواحي
حلب وأسروا أبا الهيثم ابن القاضي أبي حصين ابن عبد الملك بن بكر بن الهيثم وغلماؤه
من سواذ خران

المرزبان كما حكينا فيما تقدم . وكان جستان بن المرزبان قبض على وزيره النعيمي واتفق بين النعيمي وبين كاتب جستان بن شرمزن وهو أبو الحسن عبيد الله ابن محمد بن حمدويه مصاهرة فلما قبض جستان بن المرزبان على النعيمي استوحش صهره أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وحمل صاحبه على مكاتبة أخيه جستان وكان يؤمئذ بأرمية وأطمعه في أموال عظيمة ووعدته أن يقوم بين يديه وينصره بجيشه الذين جمعهم ويقم مقام أخيه فعمل ابراهيم على ذلك وأشار عليه نصحاؤه بالآ فعل^(٢٣٦) فخالقهم وركب هواه وسار الى أرمية واجتمع مع جستان بن شرمزن وكاتبه أبو الحسن عبيد الله بن حمدويه ووعدهما بكل ما سكنا اليه فصاروا الى المراغة واستولوا عليها . وقد كان جستان ابن المرزبان صار الى بردعة فلما عرف خبر أخيه ابراهيم وانحيازه الى جستان ابن شرمزن عاد الى أردبيل فراسل ابن شرمزن وكاتبهما ومناهما ووعدهما باطلاق النعيمي وبذل لهما كل ما اقترحاه فعاد الي موالاته وترك ابراهيم وانصرفا عنه الى أرمية واخلفاه في كل ما كانا بذلاه فلما رأى ابراهيم ذلك عاد الى أرمية وبقي جستان بن شرمزن وكاتبه يطمعان كل واحد من الاخوين أغنى ابراهيم وجستان ابني المرزبان أهما معه حتى استكملا بناء سور أرمية وقلمة في داخلها منيعة واستكثرا من جمع الاقوات والآلات . وظهر للاخوين مما نية ابن شرمزن في النفاق والعداوة فتراسلا وتصالحا وعملا على أن يجتمعا ويقصداه . واتفق ان هرب أبو عبدالله النعيمي من حبس جستان بن المرزبان وصار الى موقان وكاتب ابن عيسى بن المكتفي بالله المتلقب بالمستجير بالله وأطمعه في الخلافة وأن يجمع له من الرجال من يستولي بهم على آذربيجان فاذا قوي بالمال والرجال^(٢٣٧) قصد العراق . فسار المستجير بالله في نحو

ثلاثمائة رجل من المسودة ولم يكن بعد تمكن ولا اجتمع له من الرجال ما اراد فلما اطعمه النعمي صار اليه واجتمع معه وصار أيضا اليه جستان بن شرمزن في عسكره فقوى به وقلده أمر عسكره وبابه الناس . وسار اليه جستان و ابراهيم ابنا الرزيان في جموعهما فلما عي جستان عسكره تقدم اليهم بان يلزموا مصافهم ويحفظوا نظامهم ولا يحملوا حتى يأذن لهم وكان معهم الفضل بن أحمد الكردي القحطاني وهم صنف من الاكراد ومع جستان الصنف الآخر من الاكراد الذين يعرفون بالهدايارية وتلقاهم الهدايارية وابتدأوا بالحرب فانتقض على جستان بن شرمزن صفوفه فخرج من موضعه الذي كان فيه مع الديلم لينكر على الفضل مخالفته اياه ويرده الى موضعه فوجده قد أبعد فاتبعه فهاشك أصحابه في انهزامة فافتقوا اثره وصحت الهزيمة . وركب الهدايارية وأصحاب جستان و ابراهيم اكثافهم واضطر جستان بن شرمزن الى الانصراف الى ارمية وظفر باسحق بن عيسى بن المكتفي بالله ولم يدر ما فعل به الا اني سمعت بقتله وسمعت بموته حتف أنفه في الحبس

وتم لو هسودان تفريق كلمة بني أخيه وذلك ^(٢٣٨) انه استزار ابراهيم فلما صار اليه أكرمه ووصله بجوائز كثيرة وحمله على دواب وكاتب ناصرا واستغواه حتي صار الى موقان مفارقا لآخيه ووجد الجند سبيلا الى اقامة سوقهم والمطالبة بالاموال فقارق أكثرهم جستان وصاروا الى ناصر فقوى وسار الى أردبيل فملكها والجلأ أخاه جستان الى القلعة المعروفة بالنسير . ثم اجتمع الديلم والاكراد على ناصر يطالبونه بما لا يفي به وقعد به عمه وهسودان فعلم حينئذ ان وهسودان عمه كان يغويه وعرفا جميعا مغزاه فتراسلا وتصالحا وسلم ناصر الامر الى أخيه جستان فنزل من قلعة وصارا جميعا الى أردبيل

على اضافة شديدة لنفاد الاموال وكثرة المتغلبين على الاطراف فاضطرا الى الخروج الي عمهما وهسودان مع والدة جستان بعد أن توثقوا منه بالايمان الغليظة والعهود فلما حصلوا تحت قبضته حبسهم ونكث واستولى على العسكر وعقد الامارة لابنه اسمعيل بن وهسودان وسلم اليه أكبر قلاعه شميران وأخرج الاموال وأرضى الجند وجعل ابا القاسم شرمزن بن ميشكي صاحب جيشه وأخرجه الى أردبيل . وكان ابراهيم قد صار الى أرمينية فتأهب^(٢٣٩) لمنازعة اسمعيل ومحاربتة ولاستنفاد أخويه جستان وناصر من محبس عمهما وهسودان وكان وهسودان قد ضيق عليهما وأساء كل الاساءة اليهما فلما عرف وهسودان اجتماع ابراهيم على حرب اسمعيل واجتماع خلق من الديلم معه بادر بقتل جستان وناصر وأمهما وأتى على كل من يقرب منهم ويخاف ناحيتهم وكاتب جستان بن شرمزن والحسين بن محمد بن الرواد بقصد ابراهيم وأنفذ اليهما مدداً من جهته فاستجابا له وزحفا اليه وزحف اسمعيل فهرب ابراهيم الى أرمينية وكان جستان بن شرمزن قريباً منه فاستولى على عسكره وملك المرافعة وأضافها الى أرمية

وفيهما غزا سيف الدولة في جمع كثير فآثر في بلدان الروم آثاراً عظيمة وأحرق وفتح حصونا وحصل في يده سبي كثير وأسارى وانتهى في غزوه الى خرشنة فلما أراد الخروج أخذ الروم عليه المضايق فمات بها له ان يتخلص الا بمجهود عظيم هو ونحو ثلاثمائة غلام وهلاك باقي أصحابه أسرا وقتلا وارتجع منه السبي كله والأسارى والغنيمة وأخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعه وقتل من الوجوه الذين [كانوا] معه حامد بن النمس وموسى بن سيا كان والقاضي أبو حصين^(٢٤٠) وكان معه من المسلمين ثلاثون ألفاً وخارج أهل طرسوس

من طريق آخر فسلموا

﴿ ذكر السبب في سلامتهم ومصاب سيف الدولة ﴾
كان هذا الرجل أعنى سيف الدولة ممجبا يحب أن يستبد برأيه والا
تحدث نفسان انه عمل برأى غيره وكان أشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج
مهم لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه
وشحنوه بالرجال فلم يقبل منهم ولج فأصيب المسلمون بأرواحهم وأصيب
هو بماله وسواده وغلمانه

وفيها استأمن أبو الفتح المعروف بابي العريان أخو عمران بن شاهين
وصار الى واسط بحرمه وعياله وولده لانه خاف أخاه ودخل بغداد في
ذي القعدة ولقي معز الدولة

وفيها أملك أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي ^(١) بائنة الوزير
أبي محمد المهلبى

وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن البريدي ^(٢)

وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتى الف خركاه

وفيها أنصرف حاج مصر بعد ان قضوا حجهم فنزلوا في واد بمكة فلما
كان بالليل حملهم الوادى وهم لا يشعرون ففرق اهل مصر وكانوا عددا

(١) قال صاحب التسكية: وفي هذه السنة أنحدر أبو أحمد الشيرازى كاتب المستكفي
بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة واقطع ابنه أبا الفضل مائة الف درهم وحصن به

(٢) وقال فيه صاحب كتاب العيون: وأزله معز الدولة دار خسنة على دجلة
وأطلق له ضياعه القديمة التى كانت لآبيه فى السواد وأقطعه أقطاعا بعشرة الاف دينار
ورسمه بمئادمتيه ولم يزل مصونا مكرما مجتمع الشمل مع اخوته وولده متمما بملاذه
متمما بملاذه وأوطاره الى أن توفي

كثيرا جدا وكبسهم الماء مع امتعتهم الى البحر^(٢٤١)

﴿ ودخلت سنة خمسين وثلثمائة ﴾

فيها اشتدت علة معز الدولة وامتتع عليه البول فاشتد جزعه وقلقه واستدعى الوزير ابا محمد المهلبى فى الليل والحاجب سبكتكين فاصلح بينهما عن وحشة قديمة وبكى وندب على نفسه على عادة الديلم فلما كان آخر الليل بال دما بشدة ثم تبعه رمل وخف ألمه فلما كان من الغد وهو يوم الخميس لحسن خلون من المحرم سلم داره وكراعه وغلما نه الى ابنه عز الدولة وفوض اليه الامور وجمع المهلبى الوزير والحاجب سبكتكين على الوصاية به وخرج فى عدة يسيرة من غلما نه وخاصته ليمضى الى الاهواز

﴿ ذكر سبب هذه الحركة والخروج بعد ظهور ﴾

﴿ الصلاح والبرء من المرض ﴾

كان سبب ذلك استشهاده ان بغداد هى التى أحدثت له الاسقام وهى التى افسدت عليه صحته وتذكر ايام مقامه بالاهواز وهى ايام شبابه ووفور قوته وظن أن الاهواز هى التى كانت تجلب له الصحة وانها توافقه فوصى الحاجب سبكتكين والوزير المهلبى بابنه عز الدولة وبالجيش وغيره بما كان فى نفسه واتحدر الى كلواذى . فلما صار بها أشار المهلبى بان يقيم ويتأمل أمره ويفكر فيه ولا يعجل فأقام بـكلواذى وأخذ^(٢٤٢) فى تقدير بناء قصر ثم انتقل الى الشفيعي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لانها أعلى بغداد والهواء والماء هناك اصفى واعذب وعمل على ان يبنى من حد قطربل الى باب حرب قصرانم صاحب من علقته وابو محمد المهلبى فى كل ذلك يطله ويصرف رأيه لعله بكثرة المؤن والنفقات التى تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم

من اوطانهم ومألفهم ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها فلم يزل به حتى صرف رأيه . ولما علم انه لم يكن من البناء بد [فيجب] ان يكون متصلا ببغداد من اعاليها ليكون هواؤه وماؤه اصح وانظف انزله في البستان المعروف بالصيمري وهو في اعلى بغداد من الجانب الشرقى بقصر فرج واخذ في هدم ما يليه من العقارات وابتاعها من اهلها الى حدود ربيعة الدور وكلف ابا القاسم ابن مكرم و ابا القاسم ابن بجستان العدلين ابتياع العقارات المجاورة له . واصلاح ميدانا على طول دجلة وبني الاصطبلات على نهر مهدي وقلع الابواب الحديد التي على المدينة (مدينة ابي جعفر المنصور) والتي بالرصافة وعلى شارع نهر الملى ونقلها الى داره ونقض قصور الخلافة بسر من رأي وسور الحبس المعروف بالحديد وبني به داره وبالأجر الذي استعمله وطبخه في الاتنين ووثق البناء واختيرت له الآلات^(٢٤٣) والجص والنورة وبالغ في الاحكام وجلب له البناءون الحذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار من الاهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها . ونزل [سفلا في الارض] لبعض الاساسات ستا وثلاثين ذراعا ورفعها الى وجه الارض بالنورة والاجر الى ان ارتفع فوق الارض باذرع . ولزمه على هذا البناء الى ان مات ثلاثة عشر الف الف درهم صادر فيها أسبابه سوي ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها والتي لم نذكرها . وكان مقبلا طول المدة في بستان الصيمري ثم انتقل الى الدار التي بناها في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة سنة ٣٥٠ قبل أن يستم بناؤها^(١)

(١) وفي تاريخ الاسلام : فقد درست هذه الدار من قبل سنة ٦٠٠ ولم يبق لها أثر وبقي مكانها دحلة يأوي اليها الوحوش وشيء من الاساس يعتبر به من براء

وفيه مات أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي رحمه الله ومنه سمعت كتاب التاريخ لأبي جعفر الطبري وكان صاحب أبي جعفر قد سمع منه شيئاً كثيراً ولكني ما سمعت منه عن أبي جعفر غير هذا الكتاب بعضه قراءة عليه وبعضه إجازة لي وكان ينزل في شارع عبد الصمد ولي معه اجتماع كثير. وفيها مات قاضي القضاة أبو السائب عتبة بن عبيد الله^(١) وقُبضت أملاكه وصودر محمد الحاجب غلامه وضربه الوزير أبو محمد المهلب بحضرتي ضرب التلف لما كان ببلقه [عنه] من التخرم والتهتك في أيام^(٢) أبي السائب ولم يكن به إلا التشفي منه فنثر كعابه ضرباً. وكان هذا الرجل عاهراً يتعرض لحرم الناس وكان مرسوماً بحجبة قاضي القضاة فكان لا يمتنع عليه من لها خصوصية أو حاجة عند قاضي القضاة وكان جميلاً مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بنواحش منع صاحبه

وفيه مات أبو نصر إبراهيم بن علي بن عيسى كاتب الخليفة بخاء وتقلد كتبة الخليفة عن خاص أمره أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجار وفيها قبض معز الدولة على أبي علي الخازن^(٣) وأبي محمد وأبي الفرج

(١) قال صاحب تاريخ الإسلام في ترجمته . عتبة بن عبيد الله بن موسى بن عبيد الله الحمداني القاضي أبو السائب كان أبوه تاجراً يؤم بمسجد همدان فاشتغل هو بالعلم وغلب عليه في الابتداء التصوف والرقدة وسافر فلقى الجليل والعلماء وعني بفهم القرآن وكتب الحديث وتفقه للشافعي ثم دخل مراغة واتصل بابي القاسم ابن أبي الساج وتولى قضاء مراغة ثم تقلد قضاء أذربيجان كلها ثم تقلد قضاء همدان ثم سكن بغداد واتصل بالدولة وعظم شأنه إلى أن ولي قضاء القضاة بالعراق سنة ٣٨٠ وتوفي في ربيع الأول وله ست وثمانون سنة وقد سمع في الكوفة وحدث عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وهو أول من ولي قضاء القضاة بالعراق من الشافعية (٢) هو الحسن بن إبراهيم النصراني .
إبراهيم ارشاد الأريب ٣ : ١٨٢

محمد بن العباس صاحب الديوان وعلى أبي الفضل العباس بن الحسين
الشيرازي وأبي سهل ديزويه صاحب ديوان الجيش وحملهم الى دار الوزير
المهلي وسلمهم اليه

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

احتيج الى النفقة على البناء وكان الوزير المهلي رحمه الله يقصد أبا علي
الخازن لشيء كان بلغه عنه قديما وكذلك أبا محمد وأبا الترج فذكر لمعز
الدولة انه يلزم مالا ويلزم كل واحد من هؤلاء مما ادخره واحتجته ولا
يحتاج اليه مالا يتم به أمر البناء وكان معز الدولة شديد الثقة بأبي علي الخازن
وكان أبو علي كثير التورع متناقرا يظهر من الفقر والاقتصاد أكثر مما
يحتمل مثله فقال معز الدولة للوزير أبي محمد : ما تريد من هذا البائس (٢٤٥)
الذي قد قنع منا بالقوت اليسير ؟ فقال له الوزير : أنا أستخرج منه وحده
ما يحتاج اليه البناء . وتكلم على غيره بقريب من ذلك فسلم الجميع اليه
فحضرت مناظرة الوزير أبي محمد للجماعة .

أما أبو محمد فانه لما خوطب والتمس منه مال قال : اني خدمت الامير
معز الدولة ولا أملك الاطنفسة وكساء ودواة وأنا اليوم نظير أكبر ملك
من ملوك الاطراف مالا وضياعا وأنا وأغلمانا روقة وفرشا فالي ان أعود الي
رأس مالي فانا على الربح . قالوه الوزير خمسمائة الف وجزاه الخير وصرفه
الى منزله بمد ان أخذ خطه بها فلما خرج التفت الوزير اليها وقال : هذا رجل
مقبيل كنت أظنه يمان ويخاطبني بحسب دالته وموضعه من الامير فقد
أتقاني بما قال وحمى نفسه وعرضه وماله وهكذا يصنع الاقبال بصاحبه .
وخاطب أبا علي الخازن فسلك سبيله المعروف وزعم انه لا يستيت ولم

يستجيب الى شيء بته فتُحي من بين يدي الوزير ووُكِّل به في ناحية من الدار.
وأما أبو سهل ديزويه فتمارض وشد رأسه بخارقة فأحضر كراً اذا
ووضعه عند رأسه وقال : أنا غريب . فاضحك الناس من نفسه وأعرض
الوزير عنه ذلك اليوم

وأما أبو الفضل فلحقته عناية الوزير لما بينهما من الوصلة ^(٢٤٦) فأخذ
خطه بثلاثمائة ألف درهم وصرفه الى منزله وكذلك فعل بابي القرج صاحب
الدويان أجراه مجرى أبي الفضل وأخذ خطه بثلاثمائة ألف فلما كان بعد
أيام راسله ديزويه وسأله أن يعفو عنه ويُجْريه مجرى أبي الفضل ففعل ذلك به .
وبقي أبو علي الخازن على لجأجه لا يلتزم شيئاً ثم أنتم بعد التهديد بشيء
وراسل أخت معز الدولة يستقرض منها ما يشتري به نفسه من مكروه
الوزير وظن انه ذلك يبلغ الأمير فيكون سبب اطلاقه فخاطب معز الدولة
الوزير فيه وقال : ألم أقل لك انه لا يملك شيئاً . فقال : أيها الأمير لا تلتفت
الى مخاريقه وخدائمه ودعني أستخرج منه مالا عظيماً . فسكت عنه وراسل
أبو علي الخازن كل من عرفه فلستقرض منه حتى شاع خبره في الدولة بالفقر
وان الوزير يقصده فلما كان في بعض الليالي لسعه في ظهره شيء أدماه وتألم
منه وكلن موضعه الذي وُكِّل به فيه من دار الوزير موضع غنم فيما تقدم فظنه
الناس لسع طبوع . وقالوا : ليس شيء من الهوام يُخرج بلسعته الدم الا هذا
الحيوان أو الافعى . فاتفق ان مات أبو علي الخازن بعد أيام قلائل في اعتقاله
وقلمت على الوزير أبي محمد المهلب القيامة وخاف ان يتهم به ومع ^(٢٤٧) ذلك فلم
يكن ارتفع من جهته الا شيء نزر قليل ثم عرف انه قد وصل اليه من القروض
ضمافاً ما أداه في مصادرته فتعجب من جلادته وتوقع عتب الأمير .

الدولة في بابه ووطن نفسه علي [كل] مكروه . ثم رأى ان يتسدى معز الدولة ويستأذنه في البحث والتفتير عن أسبابه وأظهر انه على ثقة من تلك الاموال التي وعده بها من جهة حتى سكن من معز الدولة وأخذ أذنه في ذلك (ولم يكن يثق بشيء مما ضمنه من جهة ولكنه برّد عن نفسه في الحال) . ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالاً كثيرة بعضها جرى بحضرتي فكان من ذلك ان قبض على غلمان وأسابيه وخلا بواحد واحد منهم فارهبه وأرغبه وسأله هل يتهم موضعاً من داره بدين أو يتهم محاملاً له بوديعة فقال له : ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئاً مما تطلبه وتبحث عنه بحضرة أحد . ولست أتهم أحداً الا أنه طرد غلاماً له مزيناً من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخلوة أياماً . فمبر الوزير بنفسه الى دار أبي علي الخازن والتمس حجرة المزين وكان غلاماً حبشياً أونوبياً جلس فيها خفي مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه ^(١) وكان في جملة المدفون آلة شبيهة بميزان أعني بيت الميزان من خشب الساج له طلق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترايبه شبيهاً بمحوض وعليه طبقة مهندما عليه وهو خال لا شيء فيه فمجب منه ثم قلب ذلك الطبق ووجد عليه كتابة تحمل تلك الآلة الى منزله وحمل المال الى خزانة معز الدولة .

فمهدى به يقلب تلك الآلة ويتأمل تلك الكتابة وكانت بخطه خط رديء فاذا هي أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء وكانت تلك الاسماء

(١) وردت هذه الحكاية في ارشاد الاربيب ٣ : ١٨٣ ويقال فيه ان الوزير

استخرج عدة قسائم فيها نيف وتسعون ألف دينار

مفردة لا يقترن بها شيء يستدل به على صاحبه . فباشك الوزير ان تلك
الاسماء أسماء قوم مودعين وان تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال فاستعمل
دهاءه فيه وقال : أجد هذا الاسم وهو « على » مكررا فان استخرجناه
أخرج لنا باقى الاسماء . فقل له : كم من رجل اسمه على كان يواصل هذا
الرجل . فقال : لا تفعلوا فان الماملين الذين هذا اسم لهم قليلون فمن كان
منهم يصلح للوديعة أقل منهم . ثم تجاوز ذلك الى اسم أظنه « أحمد » فقال :
هذا اسم صير في دار أبي على (وهو في درب عوف) فاحضرونيه .
فأحضر وقال له الوزير : قد وجدنا ثبنا باسمك وبخط أبي على بمبلغ ما عندك
فانفذ الساعة صاحبك ليحضره . فاضطرب الرجل وأنكر ان يكون ^(٢٤٩)
له عنده مال فبطش به ولحقه أذى ومكروه ثم أمر به فحبسه وقيدته بقيد ثقيل
فيه ثلاثون يوما فتفسخ فيه الرجل ودخل اليه المستخرج وهدده فاعترف .
وكان باسمه سبعة أبوكي ولم يكن فينا أحد يعرف معنى « أبوكي » فقال
الوزير : فطالبوه بسبع بدر دنائير استظهارا . ففعل ذلك فوافق تخمينه صحة
الامر وأدى خمسين الف دينار . ثم لم يزل يتتبع تلك الاسماء وقد صحت له
الرموز فاستخرج نحو مائتي الف دينار من هذه الوجوه سوى دفائنه .
وقامت حرمة الوزير أبي محمد عند معز الدولة وانسط لسانه وجاهه وصار
مقبول القول عنده بمسدا ان ظن ان الذي فاته من خازنه شيء لا عوض له
منه امانة وثقة ودينار . وتقدم مكان أبي على الخازن أبو محمد على بن العباس بن
فسانجس للنصف من شعبان واقطع اقطاع أبي على

وفيها تقلد القاضي أبو العباس عيسى الله بن الحسن بن أبي الشوارب
القضاء في جاني بغداد ومدينة أبي جعفر المنصور وقضاء القضاة وخلع عليه

من دار السلطان من حيث امتنع الخليفة من ان يصل اليه وركب بالخلع من دار معز الدولة ^(١) وبين يديه الدبادب والدرك والبوقات وفي موكبه النلمان الاتراك والجيش. ^(٢) وكان توصل الى تقلد ذلك بان خدم ارسالان الجامدار فتى معز الدولة ووافقه على ان يحمل الى خزانة الامير في كل سنة مائتي الف درهم وكتب عليه بها كتاب وجعات على نجوم معروفة ولم يأذن الخليفة ان يصل اليه هذا القاضي في يوم موكب ولا غيره . وكان فعل القاضي ما فعله من سماجته وقبح ذكره سبباً لان ضمنت الحسبة ببغداد وضمت الشرطة بعشرين ألف درهم في كل شهر من شهور الالهة وهذا القاضي مع قبح فعله قبيح الصورة مشوهاً .

وفيها وافي أبو القاسم أخو عمران مستأمناً .

وفيها ورد الخبر بان عبيد الملك بن نوح صاحب خراسان تقطر ^(٣) به فرسه فمات وافتتحت خراسان ونُصِب مكانه أخ له يسمى منصوراً وفيها حُمِل الى ابراهيم السار من دار السلطان خلع وعقد له على آذريجان . ^(٤)

﴿ ودخلت سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيها نقل الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهدي سنة خمسين الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ^(٥)

(١) وفي الاصل : الخليفة . والصواب في تاريخ الاسلام (٢) انه « تقطر » كما في تاريخ الاسلام (٣) وقال صاحب النكلة : وفي شعبان ابتدئ ببناء المغيض بنهر الرقيل نولي البناء أبو بكر ابن الحلبي (٤) قال صاحب تاريخ الاسلام : فقلت السنة من حيث الفلات وكتب الصابي (وهو أبو اسحق ولي ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ كذا في ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) كتاباً عن المطيع في المعنى فنه : ان السنة الشمسية

وفيها دخل الامير ركن الدولة سارية من بلد طبرستان وانصرف عنها
وشمكير الى جرجان واستأن من أصحابه الى ركن الدولة ثلاثة آلاف رجل
وفيها ورد الروم عين زربة [في مائة وستين ألفا وهي] في سنج جبل
(٢٠١) والجبل مطل عليها فلما جاءه الدمستق في هذا الجمع العظيم أنفذ تيمارة من
جيشه الى الجبل ونزل هو على بابها فملك جيشه الجبل فلما رأى أهل عين
زربة ان الجبل قد ملك عليهم وان جيشا آخر قد ورد الى باب المدينة وان
مع الدمستق دبابات كثيرة وانه قد أخذ في ثقب السور طلبوا منه الامان
فأمّنهم وفتحوا له باب المدينة فدخلها . فوجد خيله الذين في الجبل قد نزلوا
الى المدينة فندم على اعطائهم الامان فنادى في البلد من أول الليل بان يخرج
جميع أهله الى المسجد الجامع وان من تأخر في منزله قُتل فخرج من أمكنه
الخروج فلما أصبح أنفذ رجاله في المدينة وكانوا ستين ألف رجل وكل من
وجدوه في منزله قتلوه فقتلوا عابسا من الرجال والنساء والعبيد والاطفال
وأمر بجمع ما في البلد من السلاح فجمع منه أمر عظيم وكان في جملة أربعون
الف ربح وقُطع ما في البلد من النخل فقطع نحو خمسين ألف نخلة . ونادى

تلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع بالتقريب وان الهلاية ثلاثمائة وأربعة وخمسون
يوما وكسر وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على اختلاف مذاهبهم وفي
كتاب الله شهادة بذلك قال الله تعالى « ولبنوا في كمهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا »
فكانت هذه الزيادة بزاء ذلك قما الفرس فلهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي
شهورها اثني عشر شهرا وأيامها ثلاثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور اثني عشر لقباً
وسموا الايام باسمي وأوردوا الايام الحمة الزائدة وسموا المشرقة وكبسوا الربيع في كل
مائة وعشرين شهرا فلما انقضت ملكهم بطل ذلك وذكر كلاما طويلا حاصله
تمجيل الخراج وحساب أيام الكيوس .

فيمن حصل في المسجد الجامع من الناس بان يخرجوا عن البلد الى حيث
شاؤا وان من أمسى ولم يخرج قتل نخرج الناس مبادرين وتزاحوا في
الابواب فمات بالضبط جماعة من الرجال والنساء والصبيان وروا على
وجوههم^(٢٥٢) حفاة عراة لا يدرون الى أين يتوجهون فماتوا في الطرقات
ومن وجد في المدينة آخر النهار قتل وأخذ كل ما خلفه الناس من أمتعتهم
وأموالهم وهدم السوران اللذان على المدينة وهدمت المنازل . وبقي الدمستق
مقيما في بلدان الاسلام أحد وعشرون يوما وفتح حول عين زربة أربعة
ونمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالامان

فكان في بعض الحصون التي فتحت بالامان حصن أمر أهله
بالخروج منه فخرجوا فتمرض بعض الارمن للنساء اللواتي خرجن منه
فلحق رجالهن غيرة عليهن فخردوا سيوفهم فاشتاط الدمستق منهم وأمر بقتل
الجميع وكانوا أربعمائة رجل وقتل النساء والصبيان ولم يترك الا جارية حديثة
أو من يصلح ان يسترق

فلما أدركه الصوم انصرف على ان يعود بعد الفطر وزعم انه يخلف
جيشه بقيسارية . وكان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في أربعة آلاف
رجل من الطرسوسيين فواقع به الدمستق وقتل جميع من كان معه وقتل
أخاه وكان ابن الزيات قد قطع الخطبة لسيف الدواة وأتقذ اليه رسلا فلما
وقف ابن الزيات على ذلك لبس سلاجه واعتم^(٢٥٣) وخرج الى روشن داره
وكانت داره على شاطئ^(٢٥٣) نهر فرمى بنفسه من داره الى النهر فغرق فيها

وفيهما دخل ركن الدواة جرجان وذلك في المحرم
وفيهما ورد الخبر بان صاحب خراسان أتقذ جيشا كئينا الى غلام له

شدّ عنه يقال له الفتيكين وان الفتيكين أوقع بالجيش وهزموه واستأسر وجوه القوّاد وفيهم خال صاحب خراسان وفيها لقب الخليفة الامير أباشجاع فناخسره بن ركن الدولة عضد الدولة وكتب به كتاب .

وفيها أسر الروم أبا فراس ابن أبي العلاء ابن حمدان من منبج وكان متقلدا لها

وفيها ورد الخبر بان الدمستق ورد الى حلب وملكها وكان الدمستق وانماها وممه ابن أخت الملك ولم يعلم سيف الدولة ولا أحد بخبره لانها كانت كذبة فلما علم سيف الدولة به أعجله الامر فخرج نحوه وحاربه قليلا فقتل أكثر من مئة وقتل جميع ولد داود بن حمدان وابن الحسين بن حمدان فانهزم سيف الدولة في قر يسير وظفر الدمستق بداره وهي خارج مدينة حلب فوجد لسيف الدولة من الورق ثمانية وتسعون بكرة فأخذها ووجد له الف وأربعمائة بزل فتسلمها ووجد له من خزائن السلاح مالا يحصى كثرة فقبض جميعها وأحرق الدار وملك الربيض . وقتله أهل حلب من وراء السور فقتل من الروم جماعة بالحجارة وسقطت ثلثة^(٢٥٤) من السور على قوم من أهل حلب فقتلهم وطمع الروم في تلك الثلثة فأكبوا عليها ودفنهم أهل البلد عنها فلما جنّهم الليل اجتمع المسلمون عليها فبنوها وأصبحوا وقد فرغوا وعلوا عليها وكبروا وبمد الروم قليلا الى جبل هناك يعرف بجبل جوشن . وذهب رجالة الشرطة بحلب الى منازل الناس وخانات التجار يهينونها وقيل للناس « الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت » فنزلوا عن السور وأخلوه وعضوا الى منازلهم مبادرين ليدفعوا عنها فلما رأى الروم السور خاليا وطالت المدة

وتجاسر الروم صعدوا وأشرفوا على البلد ورأوا الفتنة فيه والنهب فزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا فوضوا السيف في الناس فقتلوا كل من لقيهم ولم يرفعوا السيف الى ان كلوا وضجروا . وكان في البلد من أسارى الروم الف ومائتا رجل فتخاصوا وحملوا السلاح على المسلمين وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل لينفادي بهم فأخذهم الدمستق وسيبي من البلد من المسلمين والمسلمات بضعة عشر الف صبي وصبية وأخذ من خزائن سيف الدولة وأمتعة التجار ما لا يحصى ولا يوصف كثرة فلما لم يبق معه شيء يحمل عليه أحرق الباقي بالنار وعمد^(٢٥٥) الى الحباب التي يحرز فيها الزيت فصب فيها الماء حتى فاض الزيت على وجه الارض وأخرب المساجد وأقام فيها تسعة أيام .

وكان بذل لاهل الباد قبل أن يفتحه الامان على أن يسلموا اليه ثلاثة آلاف صبي وصبية ويحملوا اليه مالا وأمتعة حذتها وينصرف عنهم فلم يستجيبوا له الى ذاك . وذكر ان عدة رجاله كانت مائتي الف رجل وازعدة أصحاب الجواشن فيهم ثلاثون الف رجل وفيهم ثلاثون الف صانع للهدم ولتطريق الناجح أربعة آلاف رجل عليها حساك الحديد يطرحه حول عسكره^(٢٥٦) بالليل وخركاهاات عليها ابود مغربية فمن صعد قلعة حلب تخلص بحشاشته فلما كان بدمتسعة أيام أراد الدمستق ان ينصرف بما فاز به وحصل في يده فقتال له ابن أخت الملك : هذا بلد قد حصل في أيدينا وليس بازائنا من يدفعنا عنه ومن كان فيه من الملوية وبنى هاشم والوزراء والكتاب ومن لهم أموال مقيمون في القلعة فباي سبب تنصرف عنه قبل فتح القلعة ؟ فقال له الدمستق : قد وصلنا الى

(١) وفي النسخة : يمتدقون به على عسكرهم

مالم نتمكن من قدره ولا يقدرها الملك وقتلنا وسبينا وأسرونا وأحرقنا وهدمنا
وخلصنا أسراونا وأخذنا من أردنا أن نقادى به بلا فدية وغنمنا غنيمه ماسمع
بظلمها^(٢٥٦) ومن حصل في القلعة فهم عراة واذا نزلوا هلكوا لانهم لا يجدون
قوتا والرأي ان تصرف عنهم فان طلب النهايات والنايات ردى . فأقام ابن
أخت الملك على أمره وليح وقال : لا أنصرف أو افتح القلعة . فلما لحق قال له
الدمستق : فانزل عليها وحاصرها فان الصورة والضرورة تنود من فيها الى
فتحها . فقال : لا أفتحها الا بالسيف . فقال له : شأنك وما تريد فاني أنا مقيم
في عسكري على باب المدينة . فلما كان من غد ترجل وأخذ سيفاً ودرقة
وصعد راجلاً والمسلك الى باب القلعة ضيق لا يحمل أن يسلكه أكثر من
واحد فصعد وتبعه أصحابه واحداً واحداً . وقد كان حصل في القلعة الجماعة
من الديلم فتركوه حتى اذا قرب فتحوا الباب وأرسلوا عليه خجراً فوقع عليه
وانقلب ثم وثب وهو مدوخ فرماه واحد من الديلم بخشب فانفذ صدره
وركب رأسه فأخذه أصحابه وانصرفوا الى الدمستق فلما رآه مقتولاً أحضر
من كان أسير من المسلمين فضرب أعناقهم باجمعهم . وسار الى بلد الروم بما
معه ولم يعرض لسواد حلب والقرى التي حولها وقال لاهلها : هذا البلد قد
جبار لنا فلا تقصروا في العمارة فلما بعد قليل نمود اليكم^{(٢٥٧) (١)}

(١) وفي تاريخ الاسلام : واقعة حلب من تاريخ على بن محمد الشمشاطي (وترجمته
في ارشاد الأريب ٥ : ٣٧٥) قال : في ذي القعدة أقبات الروم فخرجوا من الدروب
فخرج سيف الدولة من حلب متقدماً الى عزاز في أربعة آلاف فارس وراجل ثم تبين
أن لا طاقة له بقاء الروم اكثرهم فرد الى حلب وخيم بظاهرها ليكون المصاف هناك
ثم جاء الخبر بان الروم مالوا نحو العمق فجوز قتالهم في ثلاثة آلاف لقصدتهم ثم
لم يصبر سيف الدولة فسار بعد الظهور بنفسه . ونادى في الرعية : من لحق بالامير فله

﴿ ودخلت سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيها ورد الخبر بان قوما من رجالة الارمن صاروا الى الرها فاستاقروا

دينار . فلما سار فرسخا ليه بهض العرب فاخبره ان الروم لم يبرحوا من جبرين وانهم على ان يصبحوا حلب فرد الى حلب ونزل على نهر قويق ثم تحول من الغد فنزل على باب اليهود وبذل خزائن السلاح للرعية . وأشرف العدو في ثلاثين الف فارس فوقع القتال في أماكن شتى فلما كان المصبر وافى ساقه العدو في أربعين الف راجل بالرمح وفيهم ابن الشمسقيق وامتد الجيوش على النهر وأحاطوا بسيف الدولة فحمل عليهم فلما سارهم لوي رأس فرسه وقصد ناحية بالس . وساق وراءه ابن الشمسقيق في عشرين الفا فأنكس في أصحابه وانهمزمت الرعية الذين كانوا على النهر عند ما انصرف سلطانهم وأطامهم السيف وازدحموا في الابواب وتلقى طائفة من السور بالحبال فقتل منهم فوق الثلاثة وقتل من الكبار أبو طالب بن داود بن حمدان وابنه وداود بن علي وأسر كاتب سيف الدولة الفياض وأبو نصر الي ابن حسين بن حمدان وكان عسكر الملائين ثمانين الف فارس والسواد فلا يحصي .

ثم تقدم من الغد متصرا حاجب الدمستق الى السور فقال : اخرجوا الينا شيخين تعتمدون عليهم . فخرج شيخان الى الدمستق ففرهما وقال : اني أحيت ان أحقق دماءكم فتخبروا اما ان نستروا البلد أو تخرجوا عنه باهلكم . وأما كان ذلك حيلة منه فاستأذناه في مشاورة الناس فلما كان من الغد أتى الحاجب فقال : اخرج الينا عشرة منكم لتعرف ما عمل عليه أهل البلد . وكان رأي أهل البلد على الخروج بالامان فخرج العشرة وطلبوا الامان وتدخل الروم فقال الدمستق : صبح ما بلغت عنكم . قالوا . وما هو ؟ قال : بلغني انكم قد أنتم مقاتلتكم في الازقة مخنفين فادأ خرج الحرم والصبيان ودخل أصحابي للذهب اغتالوهم . فقالوا : ليس في البلد من يقاتل . قال : فاحلفوا . فحلفوا له وأما أراد أن يعرف صورة البلد فينشد تقدم بجيوسه الى قبالة السور ولجأ الناس الى القلعة . وانصبت الروم سلاط على باب أربعين وعند باب اليهود وصدوا فلم يروا . فقاتلوا فنزلوا البلد ووضعوا السيف وفتحوا الابواب وقضي الامر وعم القتل والسبي والحريق طول النهار ومن الغد واتي السيف يحمل بها ستة أيام الي يوم الاحد لثلاث بقين من ذي القعدة . فزحف الدمستق وابن الشمسقيق على القلعة ودام القتال الى الظهر فقتل ابن الشمسقيق من عظاماتهم ونحو مائة وخمسين من الروم وانصرف الدمستق الى مخيمه ونودي : من

خمسة آلاف رأس من الغنم وخمسمائة رأس من البقر والدواب واستأسروا
نقرا من المسلمين وانصرفوا موفورين

وفيها قلد القاضي أبو بشر عمر بن أكنم القضاء بمدينة السلام على أن
يتولى ذلك بلا رزق وأعفى مما كان بحمله أبو العباس ابن أبي الشوارب^(١)
وخلع عليه وأمر بالامتناع شيثا من أحكام وسجلات ابن أبي الشوارب ثم
قلد قضاء القضاء .

ومنها خرج الوزير أبو محمد المهلب ومعه الجيش لفتح عمان وذلك يوم
الاربعاء لست خلون من جمادي الآخرة فأنحدر وبلغ الى هاتى^(٢) من قم
البحر واعتل فسكنت أسمع من طيبيه فيروز بانه مسموم لا محالة وكنت
أسأله عن سمة فلا يصرح باسمه الى ان كانت بعد ذلك بمدة وانقضت
تلك الايام فذاكرته بذلك فقال : كان خرج معه فرج الخادم وكان أستاذ

كان معه أسير فليقتله . فقتلوا خلفا كثيرا ثم عاد الى القلعة فاذا طلائع قد أقبلت نحو
قصرين وكانت نجدة لهم فتوهم الامستق انها نجدة لسيف الدولة فتدخل خائفا .
وفيه أيضا ان في هذه السنة وقع بالعراق بارض الجامدة برد ووزن البمض منه رطل
ونصف بالعراق

وقال صاحب التكملة : وفيه خلع معز الدولة على أبي الفرج محمد بن العباس (وهو
ابن فسانجيس) وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الدواوين

(١) هو عبد الله ابن الحسن وقال فيه صاحب التكملة . وفي رجب عزل ابن أبي
الشوارب عن القضاء وقد ذكر انه ضربه فكان النظار يحيلون عليه بمشاهدة الساسة والنفاطين
وكانوا يجيئون به ويشدون نملهم على بابه ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن المأخوذ .
فأتى أبو عبد الله ابن الداعي العلوي معز الدولة وقال له : رأيت في المنام جدي عليا
رضي الله عنه وهو يقول لك « أحب أن تقطعني ما على القضاء » وتأمر بإزالته . قال :
قد فعلت . وهكذا رواية ابن الصايغ في كتاب القضاء لابي عمر الكندي ص ٥٤٥

(٢) وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ٤ . ٩٧٩ : هاتى .

داره والمستولى على خاص أمره ومعه جماعة من الخدم يطيعونه وكان قد
فارق نعمة ضخمة وخرج من خيش وثلبج وتنعم الى حر شديد وشقاء كثير
وتوجه الى عمان فواطأ الخدم على سمه وقتله والراحة من ذلك السفر وظنوا
أنهم يسلمون ويعودون^(٢٥٨) الى نعمهم . وكان فيروز الطيب لما أحس بذلك
استأذن في العود الي بغداد وزعم انه لا يركب البحر فأرغب في مال كثير
فامتنع ثم أرهب بالحبس فصبر وقال : لا أخرج البتة . فأذن له وانصرف .
فلما كان في النصف من شعبان ثقل ورد الى الابله زائل العقل مسبوئاً فيأس
منه وعمات له آلة شبه المحفة يحمله أربعون رجلاً يتناوبون عليه وينام فيها
ورد على طريق البر فلما كان يوم السبت لثلاث بقين من شعبان وقت العصر
مات رحمه الله بزاوطا .

وكان معز الدولة لما سمع بخبر عاهة أنفذ أبا علي حمولى اليه لتعرف خبره
وتقدم اليه أن وصل اليه وقد توفي ان يحتاط على تركته واسبابه ففعل ذلك
وقبض على كتابه وأسبابه وحمل جميعه الى الحضرة . وورد تابوته مدينة
السلام يوم الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان^(١) وقبض على عياله وولده

(١) قال صاحب التكملة انه دفن بالتونجية بمناير قریش . وروى أيضا عن أبي
على التوخى الحكاية التي وردت في ارشاد الارب ٣ : ١٩٣ وقال أيضا : وكان
المهلب قد اصطنع أبا العلاء عيسى بن الحسن بن أبرونا النصراني الكاتب واستكتبه
على خاصه وأطلعته على أموال وذخائر دفتها فأخذ أبو العلاء في جملة المأخوذین
وعرف أشد عقوبة وضرب أرح ضرب وهو لا يقر بشيء ولا يعترف بذخيرة . فعدل
أبو الفضل (وهو العباس بن الحسين الشيرازي) وأبو الفرج (وهو محمد بن العباس بن
الحسين بن فسانجس) الى تجني (وهى أم أبي الغنائم الفضل بن الوزير المهلب) وأمر
بضرب ابنها أبي الغنائم بين يديها فبكي من عرفها من الذي يتم عليها . وقالت لهم : ان
مولاي المهلب نمل هذا بي حين استدعي الآت العقوبة لزوجة أبي على الطاهري لما

ومن دخل يوما اليه ، مثلاً وصوروا حتى المسكارين والملاحين الذين كانوا
يخدمون نحاشيته وجرى من ذلك ما لا جرى مثله الا على عدو مكاشف
واستفظم الناس ذلك واستعجبوه لمعز الدولة . وكانت مدة وزارته ثلاث
عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات بموته عن السكتاب الكرم والفضل رحمه
الله .^(٢٥٩) ولما مات الوزير أبو محمد المهدي رحمه الله نظر أبو الفضل وأوالفرج في
الامور من غير تسمية لواحد منهما بالوزارة .

وفيهما ورد الخبر بأن الطرسوسي غزوا ودخلوا من درب من دروب
الروم الى بلاد الروم ودخل نجما غلام سيف الدولة من درب آخر فغنم أهل

قبض عليها بعد وفاته . ثم قالت : أحضروني أبا العلاء ابن أرونا . فاحضروه وحمل في
سبانية ابن أربع فراسين فطرح بين يديها فجعلت تسأله عن شيء شيء وهو يخبرها بمكانه
حتى كان في جملة ذلك ثلاثون ألف دينار فقال له من حضر : ويلك ألت من
الأميين ! تقتل هذا القتل ويفضي حالك الى التلف وأنت لا تعترف ! فقال : يا سيدي
الله أكون ابن أرونا الطبيب القصاد على الطريق ، دائق ونصف دائق يأخذني الوزير
أبو محمد ويصطنعني ويحلمني كاتب سره وأعرف بخدمته واطلع الناس على ذخيرة دخرها
لولده ! والله ما كنت لأفعل هذا ولو هلك . فاستحسن فعله وكان ذلك سبباً لاطلاقه
وتقدم بذلك عند أبي الفضل وأبي الفرج وابن بقية وتوفي سنة ٣٦٩ في أيام عضد
الدولة . وروى أيضاً عن التوخي : قال المهدي : لما عزم معز الدولة على إقناذني الى
عمان طرقتني أمر عظيم فبت بليلة مابت في عمري مثلها لاني فقري ولا في صغر حالي
وما زلت أطلب شيئاً يسلي به عما ذهمني فلم أجده الا آني ذكرت اني كنت حصلت في أيام
صبائي بسيراف لما خرجت اليها ربا فمرفت هناك قوما أولوني جيلاً وحصلت لهم على
أياد فقكرت وقلت « لعلني إذا قصدت تلك البلدان أجدهم أو بعضهم أو أعفاهم فأكفيهم
على تلك الأيادي » فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل على ووطنت
نفسي عليه .

وفي سبب خروج الوزير الى عمان ليراجع ما رواه ياقوت في كتاب إرشاد الأريب

طرسوس غنيمة يسيرة وأقام سيف الدولة على درب آخر ولم يدخل لانه كان عايلا من فالج لحقه قبل ذلك بستين فلما خرج نجما والطرسوسيون عاد سيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن منها انه قد تلف . وجاء أبو الحسين ابن دنجا الى هبة الله ابن ناصر الدولة ايسلم عليه ويهنئه بعيد القطر وكان هبة الله راكبا فاستجر أبا الحسين ابن دنجا الحديث الى ازاء صخر ثم رماه بخشب كان في يده فوقع في لفته ومضي يركض يريد الهرب فلحقه هبة الله وانما فعل ذلك انهيرة لحقته من تعرض ابن دنجا لعلام من غلامه . وبلغ هبة الله أن عمه لم يمت وأنه أفاق من غشيته فخافه واستوحش مما قاله بابن دنجا فجند في السير الى حران .

وابن دنجا هذا هو الذي كان استأمن الى معز الدولة ثم انصرف عنه الى سيف الدولة لانه لم يصل^(٢٦٠) ينداد الى ما كان يرجوه وما جسر أن يعود الى ناصر الدولة فساقه الحين الى ما ذكر . فتبع نجما غلام سيف الدولة هبة الله فلم يلحقه ولحق سواده فأخذه وانصرف به الى سيف الدولة ودخل هبة الله حران وأوهم أهله أن عمه قد مات فانه قد كتب الى أبيه ناصر الدولة يستجده لينجده بالرجال ويقيم بجران ويدفع كل من نازعه عليها وطالب أهل حران بأن يخلقوا له أن يكونوا معه حربا لمن حاربه وسلاما لمن سلمه وظن أهل حران أن الذي خبرهم به صحيح فخلقوا له على ما أراد واستثنوا في بينهم الا أن يكون الذي يحاربه عمه سيف الدولة فانهم لا يحاربونه ورضى بذلك منهم . فلما كان بعد أيام وافى نجما أخو نجما غلام سيف الدولة فاعاق هبة الله وأهل حران ابواب حران في وجوههم وعلم نجما انه لا يمكنه فيهم خيلة فظهر انه لم يرد (ابواب) حران وانما اراد قصد ارزن ومياغارقين

فانصرف عن حران اليها وكتب الى أخيه نجا (يعرفه ما جرى ويفريه بأهل
حران فسار نجا الى حران فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه واسلم أهل
حران فنزل نجا) خارج حران وخرج اليه وجوه أهلها واشرافها وهم سبعة
شيخا يسلموا عليه فوكل بهم وتهددهم بالقتل وطالبهم عن البلد بالف الف
درهم ارش ما عملوه من غلق الابواب في وجهه اخيه ولم يسمع لهم عذرا
وجرت ^(٢٦١) لهم معه خطوب الى ان تنع منهم بثلاثمائة الف درهم وعشرين
الف درهم ووجه معهم بالفرسان والرجال والزعماء الاجمال الثقيلة ورسم ان
يستخرج له المال في يوم واحد وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام
وتسقط المال على أهل البلد وأدخل فيه المني والذبي والسوقة والنساء الارامل
وغيرهم ووضع عليهم المني والضرب في دورهم بمخضرة حرهم وعيالهم
فاخرجوا أمتهم وباعوا ما يساوي ديناراً بدرهم ولم يجدوا من يشتري لأن
أهل البلد كلهم كانوا يديعون فاشترى اصحاب نجا الامتة والخلي بمحكمهم وبما
أرادوا . ولزم أهل البلد من الاجمال امر عظيم وخرب بذلك البلد واقتصر
أهله وانصرف عنهم نجا الى ميافارقين بعد ان استوفى جميع المال وترك البلد
شائراً بلا سلطان فسلط عليهم الميارون . وأظير نجا الخلاف على مولاه
سيف الدولة والخروج عن طاعته ولم يزرع في هذه السنة أحد بديار بختار
كثير شيء لاجور الذي كانوا فيه . ^(١)

(١) وزاد صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة هذه السنة : يوم عاشورا قال ثابت (بن سنان)
أزم مع الدولة الاس بنلق الاسواق ومنع المراسين والطباخين من الطبخ وصبوا القباب
في الاسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا نساء منشرات الشعوب ومضجات ياطمن في
الشوارع ويقمن المسائم على الحسين عليه السلام وهذا أول يوم ذبح عليه بفداء
وقال أيضا : وفي ثامن عشر ذي الحجة عمل عيد غدير خم وضربت الدباب

﴿ ودخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ﴾ .

وفيهما ورد الخبر من حران بأنه اجتاز بهم الغازي الوارد من خراسان في نحو خمسة^(٢٦٣) آلاف رجل ماضين الى حلب الى سيف الدولة وهذا الرجل وافى من خراسان على طريق اذربيجان ثم الى ارمينية ثم الى ميافارقين ثم الى حران ثم الى حلب ثم ورد بان هذا الغازي اجتمع مع نجاشي غلام سيف الدولة . وكان يبلد ارمينية وملازجرد رجل يعرف بابي الورد قد استولى عليها فطعم نجاشيه ولم ياتمت الى حديث الغزو ولا الى الخراساني وقصد

وأصبح الناس الى مقابر قريش لصلاة هناك والى مشهد الشيعة

. واستنصرت الروم على الاسلام بكائنة حلب فضمت أمر سيف الدولة بعد تلك الملاحم الكبار التي طير فيها ابعدو ومزقهم فله الامر وما شاء الله كان . ففهم عبرت الروم الفرات لقصد الجزيرة وأغلق أهل الموصل الاسواق واجتمعوا في المسجد الجامع لذلك ومضوا الى ناصر الدولة فضمن لهم الغزو . ووردت الكتب من بغداد أن الرعية أغلقت الاسواق وذهبوا الى باب الخلافة ومعهم كتاب يشرح مصيبة حلب وضجوا فخرج اليهم الحاجب وأوصل الكتاب الى الخليفة فقرأه ثم خرج اليهم فمرفهم أن الخليفة بكى وأنه يقول : قد غمى ما جرى وأنتم تعلمون أن سبق مع الدولة وأنا أرسله في هذا . فقالوا : لا تمنعنا من خروجك أنت وإن تكتب الى سائر الافاق وتجمع الجيوش والافانزل لئولي غيرك . فأنظله كلامهم ثم وجه الى دار مع الدولة فركب و معه الاتراك فصرغهم صرنا قبيحا ثم انقلب الله وجات الاخبار بموت طائفة الروم وإن الخلف واقع بينهم في من يملكونه . فبما مع عسكر طرسوس ودخرا أرض الروم في عدة وافرة وأوقعوا بالروم ونصروا عليهم وعادوا بغنائم لم ير من دهر مثا فلما ردوا الى الدرب اذاهم ابن الملايني على الدرب فاقبلوا لحول النهار ونهر النساءون . وبلغ سيف الدولة أيضا اختلاف الروم فبادر ودوخ الاعمال وأحرق وحصل من السبي أكثر من الفين ومن المواشي مائة ألف رأس وفرح المؤمنون بالنصر والاستظهار على العدو . ثم بعد شهر أو شهرين توجه سيف الدولة غازيا فسار على حران وعطفت على ملطية فلما يديه سييا وغنائم ثم خرج الى آمد

أبا الورد^(١) فأوقع به وملك قلاعه وبلده وحصل في يده من أمواله ما يكثر قدره فاقام في القلعة وحصل في يده من بلدان أرمينية وملازجرد وخلاط وموش . ومضى الغازي الخراساني الى سيف الدولة فلما اجتمع معه قرر الى المصيصة وورد الخبر^(٢) ينزل مالروم على المصيصة في جيش ضخم وفيه الدهستق وانه اقام عليها سبعة أيام ونقب في سورها نيفا ونستين نقبا ولم يصل اليها ودفعه أهاليها عنها ثم انصرف لما ضاقت به المير وغلا السعر وبمد ان اقام في بلاد الاسلام خمسة عشر يوماً . وأحرق رستاق المصيصة وأذنة وطرسوس وذلك لما وثقهم أهل مصيصة فظفر بهم الروم وقتل منهم خمسة آلاف رجل وقتل أهل أذنة من الروم عددا قليلا وكذلك أهل طرسوس . ولما مضى سيف الدولة^(٣) والخراسانية الى المصيصة وجد جيش الروم قد انصرف عنها وتفرقت جموع الخراساني لشدة الغلاء في الثغور وبجلب ورجع أكثرهم الى بغداد وعادوا منها الى خراسان . وقبل انصراف الدهستق عن المصيصة^(٤)

(١) وقال الفارقي في تاريخ ميفارقين : وصل الخبر بان أبا الورد صاحب اخلاط وما يليها وقع من السور وهلك وملك البلاد جميعها نجاة غلام سيف الدولة وقتاه . وقال أيضا في هذه السنة حضر نجاة ميفارقين ليا أخذها وإسماها الي معز الدولة وأمدته بالمساكر فلما جد في ذلك وصله الخبر ان سيبا لابي الورد وثب على ملازجرد وأخذها فاتفصل عن ميفارقين فطلب اخلاط وتلك الولاية فخرج أهل ميفارقين فنهبت عسكره .

(٢) زاد صاحب تاريخ الاسلام : أن الروم خرجوا يريدون أذنة والمصيصة فاستجد أهل أذنة بأهل طرسوس فجهادهم في خمسة عشر ألف فارس وراجل فالتقوا واشتد القتال وركب المسلمون أفضية الروم وأتبعوهم فخرج للروم كمين أقطع أربعة آلاف راجل فماتوا عن أنفسهم وتميزوا الى تل فقاتلوهم يومين ثم كثر عليهم جموع الروم فاستأصلوهم ثم نزلوا المصيصة الخ . وفيها ملك المسلمون حصن الهمانية بحيلة وهو على ثلاث فراسخ من آمد . (٣) وفي الأصل : الضيعة .

وجه الى أهلها باني . تنصرف عنكم لا ليجز عنكم وعن فتح مدينتكم ولكن لضيق العلوقة وانا عائد اليكم بعد هذا الوقت فن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعي فلينتقل ومن وجدته بعد عودي قتلته .

وفيهما اجتمع الاكراد على قافلة الحاج الصادرة الى خراسان فملكوها واجتاحوها فوق حلوان ورجع الحاج الى حلوان

وورد الخبر بان الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور حتى لم يقدر احد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء فان الدمستق قد جمع الجموع للخروج الى بلدان الاسلام وان السلطان بجران مقيم بعد الذي جري على أهلها من نجا على ظلمهم وطرح الامتعة عليهم والجور في معاملتهم وان الغلاء بها وبالرقة شديد جدا .

وفيهما استهدى المهجريون من سيف الدولة^(٢٦١) حديدا فقلع سيف الدولة أبواب الرقة وهي من حديد وسد مكنها وأخذ حديدا بديار مصر حتى أخذ سنجات الباعة والبقالين ثم كتبوا اليه : انا قد استغينا عن الحديد . فآخذ القاضي أبو حصين الابواب فكسرها وعمل منها أبوابا لداره . ثم كتب المهجريون يلتمسون الحديد فأخذ الابواب التي عملها أبو حصين وسائر ما قدر عليه من الحديد وحمله في القرايات الى هيت ثم منها اليهم في البرية .

وفيهما ورد أبو الحسين الباهلي برسالة ناصر الدولة ليقرر ما يئنه وبين معز الدولة فقرر على أن يحمل ناصر الدولة عن سنة ٣٥٢ الف الف درهم يقدم منها ثلثمائة الف درهم وعن سنتي ثلاث وأربع الف درهم يتقدم منها مائتي الف درهم والباقي في نجوم . ولما تقرر الامر بذلك ناصر الدولة

زيادة عشرة آلاف دينار على أن يعقد لابنه أبي تغلب فضل الله الفضنفر فلم يستجب معز الدولة الى ذلك فلما كان مستهل جمادى الآخرة وردت الخمسمائة الالف درهم التي وقع الاتفاق عليها مع الباهلي وقبضت وصحت في الخزنة . وأظهر معز الدولة الاصدءاد الى الموصل وأخذ يستمد له فسأله الباهلي التوقف^(٢٦٥) عن المسير الى أن يمضى برسالة الى ناصر الدولة ويعود فقبل له : تمضى وتتمس رد ما لزم من النفقة على التأهب للسفر . فمضى وأخرج معز الدولة مضاربته الى باب الشماسية وخرج الحاجب سبكتكين وجماعة من القواد على المقدمة الى الموصل وتبعه معز الدولة . ومسد الجسر الذي ببغداد الى السن وعقد هناك وعبر عليه مع الجيش الى الجانب الغربي وسار على الظهر الى الموصل

وكان الباهلي قد عاد بجواب الرسالة و بذلك ان يحمل ثلاثمائة الف درهم عوضا عما لزمه من النفقة على السفر فلم يقبل منه وانصرف الباهلي من تكريت وتعم معز الدولة المسير . ولما بلغ ناصر الدولة أن معز الدولة قد قرب من الموصل ولم يكن له عزم على إقامته رحل من الموصل الى نصيبين ورحل معز الدولة من الموصل الى بلد في آخر النهار وخاف بالموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت ليحمل الفلوات ويستخرج الاموال وخلف بكتوزون وسبكتكين المعجمي ووهري وجماعة من الأتراك والديلم لضبط البلد . ولما بلغ ناصر الدولة مسير معز الدولة نحوه سار من نصيبين الى ميفارقين (يوم السبت لانهصف من شعبان وسار خلفه الحاجب الكبير فلما قرب من ميفارقين) رحل ناصر الدولة عنها ورجع الحاجب الى نصيبين وعرف معز الدولة أن العدو قد رحل لما قرب منه^(٢٦٦) وأنه لا يدري اين قصد فرحل معز الدولة

لوقت من نصيبين يريد الموصل خوفا من مخالفة ناصر الدولة اليها وخلف
الحاجب وجماعة من القواد بنصيبين . وكان صار أبو تلب ابن ناصر الدولة
واخوته الى الموصل ووقع بينهم وبين من خلفهم معز الدولة بها حرب شديدة
وكانت على أولاد ناصر الدولة وانصرفوا الى الموصل وأحرقوا زبازب من
الدولة التي كانت ببلد وزواريق العسكر التي كانت بالموصل وبلغ ذلك
معز الدولة فسكنت نفسه الى ظهور أصحابه بالموصل على بني حمدان . فلما
كان بعد ذلك اجتمع ناصر الدولة مع أولاده وقصدوا الموصل فأوقفوا
بيكتوزون وسبكتكين العجمي وعسكر معز الدولة الذي كان خلفه بالموصل
واستأمن الديلم الى ناصر الدولة فأخذ ترأسهم وأحرقها ووثب لكل واحد
منهم عشرة دراهم وصرفهم وأسر بيكتوزون وسبكتكين وسائر الأتراك
ووهرى وصاعداً واحمد الطويل غلام موسي فيأذه وكان قد أصعد من
الاهواز ليتظلم الى معز الدولة من وضيعة لحقته في ضمان كان في يده^(١) وأخذ
بنو حمدان ما كان لمعز الدولة بالموصل من كراع وسلاح وثياب خز ومائتي
الف درهم كانت (حملت اليه من بغداد ومائتي الف درهم كانت) للحاجب
وحمل جميع ذلك مع الاسارى^(٢٦٧) الى القلعة . وبلغ ناصر الدولة وأولاده
مسير معز الدولة من نصيبين فلم يقيموا ومضوا الى سنجار وصار معز الدولة
الى برقيمد ولم يكن عنده ما جرى على أصحابه بالموصل وبلغه ببرقيمد ان
ناصر الدولة قد صار بالجزيرة فمدل من برقيمد الى الجزيرة . فبلغه اقبال
حمدان بن ناصر الدولة اليه فوقف له فاذا هو مستأمن اليه مع علوان القشيري
وسار معز الدولة الى الجزيرة فلم يجد بها ناصر الدولة فسار الى الموصل

(١) وفي التكملة : وكان قد ضمن الاهواز واصعد منها ليفسخ ضمانه

وبلغه في طريقه ماجرى على أصحابه بالموصل فكتب الى الحاجب وهو
 نصيبين أن يصير الى بلد وعبر هو الى بلد واتخذ سواده الى تكريت .
 ووافاه الحاجب وأبو الهيجاء حرب بن أبي العلاء ابن حمدان مستأمنًا وسار
 يريد نصيبين ووافاه أبو جعفر العلوي النصيبيني برسالة ناصر الدولة ياتمس
 الصالح فلم يجبه . وكان أبو تغلب قد صار الى الموصل ونزل في الدير الاعلى
 ولم يرجع في ايام مقامه أسباب معز الدولة ولا عرض لهم واظهر جميلا
 ومضى حمدان الى الرحبة وكان بها الفتيكين خاربه هناك وأقبل معز الدولة
 الى الموصل فرحل أبو تغلب من الدير الاعلى وجاء معز الدولة فنزل مكانه
 واستأمن^(٢٦٨) اليه هزارمرء الصنير من غلمان أبي تغلب وجاء المسيب
 والمهيا بكشمرء أسيرا فخلع على المسيب والمهيا وأبو قفا وسورا . وراسل
 أبو تغلب معز الدولة بصاحبه أبي الحسن علي بن عمرو بن ميمون ووجرت
 له خطوط استقرت على ان ضمن أبو تغلب ما كان في يد أبيه ناصر الدولة
 من الموصل وديار ربيعة والرحبة على ان يحمل عن بقايا سنة ٣٥٣ ستمائة الف
 درهم وعن أربع سنين مستأنفة آخرها سنة ٥٧ لكل سنة ستة آلاف الف
 ومائتي الف درهم وان يعجل حمل الستمائة الاف مع الاسارى الذين في
 يده الى الحديثة اذا حصل الامير معز الدولة بها وضمن ان يرد من جملة
 ما حصل في أيديهم من المال والامتنعة التي أخذت في وقت الايقاع
 يكتوزون ما حصل في يده بقسطه ووعده بطلب الباقي وحمله وتقرر ذلك
 وأشهد معز الدولة على نفسه القواد والمدول وقاضي البلد بامضاء ذلك
 وكتب الى الفتيكين بالانصراف من الرحبة وكتب على بن عمرو خطه
 بضمان ما تقرر عليه الامر ورهن نفسه على امضاء أبي تغلب ذلك وسار معز

الدولة الى الحديثه وورد صاحب أبي تغلب بالمال ثم وافاه بكتوزون^(٢٦٦)
وسبكتكين المعجمي وسار الي بغداد .

وفيهما ورد الخبر بالوصول بان أبا عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن
الداعي الحسيني^(١) خرج من بغداد سراً الى بلد الديلم وخلف والدته وابنه
وعياله في داره ببغداد ظاهرين

(١) ووالده الحسن بن القاسم هو امام الزيدية الذي قام بالرى وقتل سنة ٣١٦
(صلة عريب ص ١٣٧) وأما أبو عبيد الله فقال صاحب التكملة له كان لزم الكرخى
والحنبلى وقرأ عليه الفقه وقرأ الكلام على أبي عبد الله البصرى ومنشاه بطبرستان وكان
يجيب في الفتاوى أحسن جواب والزعم معز الدولة النظر في نقابة الطائيين ببغداد سنة
تسع وأربعين فعمل بخيرا وعمر وقوفهم . وسأله معز الدولة عن طاحنة والزير فقال : هما
من أهل الجنة لان النبي صلعم بشرهما بالجنة . وكان المهلبى يخافه فوضع عليه موضوعات
منها أنه كان يأخذ البيعة على الديلم وبلغ من اجلال معز الدولة له أنه دخل عليه وهو
مريض فقبل يده استشفاه بها . ولما غاب معز الدولة في هذه السقرة الى انصيين تخلف
ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي خطبه بمضى أصحاب عز الدولة في معنى علوى
خطابا أومأ عليه فامتعض أبو عبد الله من ذلك وخرج مغضبا وكان ينزل بدار على دجلة
بباب الشعير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقى وأظهر أنه مريض وخرج محتفيا . ومعه ابنه
الاكبر وخلف أولاده وعياله وزوجته ببغداد ونمته وكما تحويه داره ولم يستصحب
غير جبة صوف بيضاء وسيفا ومصحفنا وسلك طريق شهرزور ومضى الى هوسم . وسبه
علوى هناك قام بعده وكانت وفاته سنة ٣٥٩ . وفي الاصل هو أبو عبد الله محمد بن الحسين
وكذا في السكامل لابن الاثير والصواب انه ابن الحسن .

وأما الكرخى فهو أبو الحسن شيخ الحنفية بالعراق اسمه عبيد الله بن الحسين بن
دلال . وعن الخطيب : انه لما أصاب أبا الحسن الكرخى الفالج في آخر عمره حضرته
وحضر اصحابه أبو بكر الدامغانى وأبو على الشاشى وأبو عبد الله البصرى وقالوا : هذا
مرض يحتاج الى تفتة وعلاج والشيخ مقل ولا ينبغي ان نبذله للناس . فكتبوا الى
سيف الدولة ابن حمدان فأحسن أبو الحسن بما هم فيه فيكى وقال : اللهم لا تجعل رزقي
الا من حيث عودتي . فمات قبل ان يحمل اليه شيء ثم ورد من سيف الدولة عشرة

وضار سيف الدولة الى ميافارقين واحتال أصحابه على القلعة التي كانت حصلت له من أبي الورد وهرب نجا فحصل لسيف الدولة القلاع وأسارى [الروم] وأخ لنجا .

وأقام المستيق على المصيصة وهادى سيف الدولة بينال ودواب وثياب ديباج رومية وصياغات ذهب وقبالة سيف الدولة بهدايا فصار سبباً لمقام المستيق في بلدان الاسلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحد ولا يمكنه فتح المصيصة وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ووقع في أصحابه الربا فاضطر الى الانصراف بعد ان حمل اليه مال من المصيصة

وفيهما ظهر بالكوفة رجل ذكر انه عاوي وكان مبرقما فوقعت بينه وبين أبي الحسن محمد بن عمر العاوي وقائع فلما دخل معز الدولة بغداد هرب المبرقع .

وورد الخبير بان نجا صار الى مولا سيف الدولة فأعاده الى مرتبته^(٢٧٠)

آلاف درهم تصدق بها . توفي سنة ٣٤٠

وأما أبو عبد الله البصري فهو محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم صاحب أبي الحسن الاشعري وهو بصرى قدم بغداد ودرس بها علم الكلام وصنف التصانيف وتليه درس القاضي أبو بكر ابن الطيب الباقلاني هذا الفن (وفي ترجمة الباقلاني انه أخذ عنه علم النظر) وقال الخطيب : ذكر لنا غير واحد انه كان تخين الستر حسن الدين توفي في حدود سنة ٣٧٠ - ٣٦٠ كذا في تاريخ الاسلام .

وأما أبو علي الشافعي فقيه أيضا انه الحسن بن صاحب بن حميد وانه طواف جوال أرتخه الخطيب وانه بالحفظ الخليلي وتوفي سنة ٣١٤ وهو مذكور في كتاب الانساب للسمعاني ص ٣٢٥

وفيه أيضا (ص ٢١٩) ان أبا بكر الدامغاني هو أحمد بن منصور الانصاري أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرأي فدرس بغداد على أبي الحسن الكرخي ولما فجع الكرخي حمل الفتوى اليه دون أصحابه فأقام بغداد دهرا طويلا .

وودخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

وفيها فتك غلمان سيف الدولة بحضرته على نجا بالسيوف فقتلوه^(١) ولحق سيف الدولة في الوقت غشية مكث فيها نحو الساعة فامرت زوجته وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ان يُجر برجل نجا فعمل ذلك الى ان اخرج من قصرها وفيه كان جرى على نجا ما جرى وطُرح في مجرى ماء ينصب اليه المياه والافذار وبقي فيه الى الغد وقت العصر ثم اخرج وكفن ودُفن وفيها وصل أبو أحمد خلف بن أبي جعفر ابن بانو الى الخليفة أوصله معز الدولة فقلده سجستان وخلع عليه وعقد له لواء .

وورد الخبر بان الاتراك نزلوا على بلد الخزر واستنصروا أهل خوارزم فامتنعوا من نصرتهم وقالوا : أنتم يهود فان أحببتم ان نعاونكم فاسلموا . فاسلموا الا ملكهم

وورد الخبر بان أبا عبد الله ابن الداعي لما وصل الى بلد الديلم اجتمع اليه منهم عشرة آلاف رجل وان ابن الناصر العلوي هرب من بين يديه . ثم أوقع بمائد كبير من قواد وشمكير وانه تلقب بالمهدي لدين الله^(٢)

(١) وقال صاحب تاريخ ميفارقين . حضر نجا في مجلس سيف الدولة وعنده جماعة على الشراب فكلم سيف الدولة في شيء وحاجة وخرج عليه بكلام قبيح فوثب عليه غلام لسيف الدولة يسمى نجاحا فضربه على رأسه بسيف فقتله فحمل الى ميفارقين ودُفن بها وقدم سيف الدولة على قتله وسار وملك اخلاط وتلك الولاية بأسرها .

(٢) الناصر لدين الله هو أبو الحسن أحمد بن الهادي الى الحق يحيى امام الزيدية استعان به وجوه خولان على أخيه المرتضى (أبي القاسم محمد بن يحيى) في سنة ٣٠١ وقام الناصر فيهم وتوفي سنة ٣٢٥ وله أولاد منهم الحسن وجعفر ويحيى كذا في كتاب الحقائق الوردية . وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئي ص ١٥٧) ان ابنه الحسن قام بالامر بعد أبيه وكان يلقب المنتجب لدين الله ونازعه أخوه يحيى على الامامية ويقاب

وورد الخبر بان تقفور ملك الروم بنى بقدسارية مدينة^(٢٧١) وهي تقرب من [بلاد] الاسلام فاقام بها ونقل اليها عياله ليقرّب عليه ما يريد من بلدان الاسلام^(١) وان أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه أن يقبل منهم إناوة يؤدونها اليه على ان ينفذ اليهم صاحبها ليعقيم فيهم فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جداً وأنه لا ناصر لهم ولا دافع له عنها وأنه لم تبق أقوات وأنه قد آل الامر بأهل طرسوس الى أكل الكلاب [و] الميتة وأنه يخرج منها في كل يوم ثلثمائة جنازة فانصرف رأيهم عما كان عمل عليه وأحضر رسولهم وضرب له مثلاً وقال « مثلكم مثل الحية في الشتاء اذا لحقها البرد وذبلت وضعفت حتى يقدر من رآها انها قد ماتت فان أخذها انسان وأحسن اليها وأدفاها انتعشت ولدغته وأنتم انما بختتم بالطاعة لما ضعفتم وان تركتكم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم . وأخذ الكتاب الذي أوردته فاحرقه على رأسه فاحترقت لحيته وقال : امض اليهم وعرفهم انه ليس عندي الا السيف . فانصرف وجمع الملك جيوشه وعمل على ان ينفذ^(٢٧٢) جيشاً الى

بالمصور كان فيه خير أنفذ رجلاً الى بغداد أيام كان أبو عبد الله ابن الداعي بها وذلك في أيام معز الدولة وقال له : اختر حاله فان رأيته أفضل مني وأولى مني بالامامة فاكتب الي بذلك لابياعه له وأدعوا اليه . وفي الحقائق انه لما قام ابن الداعي في سنة ٣٥٣ حاربه أبو محمد الحسن بن محمد بن الناصر المعروف باميركا وأنه أنفذ اليه من جرجان نصر ابن محمد الاستدار لمحاربه فالتقوا بشالوس ثم وقع تخايط عسكر ابن الداعي بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة عليه فلم يتمكن من الامتداد الى طبرستان وعاد الى هوسم فاقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الديلم بالجيل وكان ينادي بتلوّنهم وثقافتهم وقلة وقائهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد وتوفي سنة ٣٦٠ (١) وفي تاريخ الاسلام : وسكنها لغير كل وقت وترك أباه بالقسطنطينية

الشام وجيشاً الى الثغور وجيشاً الى ميفارقين وكان سيف الدولة بـميفارقين
[قد] تخصّص البطارقة الذين في يد نجبا وكان بميفارقين نحو الف كُـرّ حنطة
فمزقها وفرقها لثلاثا تأخذها الروم

ثم ان ملك الروم أتقذ الى المصيصة قائداً من قواده فأقام عليها يحارب
أهلها ثم جاء الملك بنفسه فأقام عليها وفتحها عنوة بالسيف ووضع السيف في
أهلها فقتل منهم مئة مئة عظيمة ثم رفع السيف وأمر أن يساق من بقي في
المدينة من الرجال والنساء والصبيان الى بلاد الروم وكانوا نحو مائتي الف
انسان ثم سار عنها الى طرسوس فحاصرها فاذعن أهلها بالطاعة فأعطاهم الملك
الامان وفتحوا له أبوابها فدخلها ولقي أهلها بالجميل ودعا رؤساءهم الى طعامه
فأكلوا معه وأمرهم بالانتقال عنها وان يحمل كل واحد من ماله وسلاحه
ما أطاق حمله ويخلف الباقي ففعلوا وساروا وسير معهم ثلاثة نفر من
البطارقة يحمونهم فعرض لهم قوم من الارمن فاوقع الملك بهم وعاقبهم وقطع
انافهم لمخائلتهم أمره . ولم يزل طاول طريقهم يتعرف أخبارهم بكتبه ورساله
الى ان عرف سلامتهم وحصولهم بانطاكية وحمل بعضهم في البحر في
شلنديات له الى حيث ارادوا .

ثم جعل الملك المسجد الجامع بطرسوس اصطبلًا لدوابه ونقل ما كان
فيه من قناديل الى بلده وأحرق المنبر وقتل البلد بطريقاً من بطارقتة في خمسة
آلاف رجل وقتل المصيصة بطريقاً آخر وتقدم بعمارة طرسوس وتحصينها
وجلب الميرة اليها من كل جهة فعمرت ورخص السعر بها حتى صار الخبز
بهارطين بدانق فتراجع أهلها اليها ودخلوا في طاعة الملك وتنصر بعضهم
وعمل الملك على ان يجعلها حصناً ومقلاً له لخصائنها وليقرب عليه ما يريد

من بلدان الاسلام .^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وقيل رجع جماعة من أهل المصيصة إليها وتصوروا وكان السبب في فتح المصيصة أنهم هدموا سورها بالقوب فأشار عليهم رجل بمحيط أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم الملك نفقور فأخرجوهم فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطعموه في فتحها فزحف عليها ولقد قاتل أهلها في الشوارع حتى أبادوا من الروم أربعة الاف ثم غلبوهم بالكثرة وقتلوهم وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا رقابهم بازاء طرسوس فأخرج أهل طرسوس من عندهم من الاسرى فضربوا أعناقهم على باب البلد وكانوا ثلاثة الاف . وقال أيضا . ان في هذه السنة اشتد الحصار على مدينة طرسوس وتكاثر عليهم جموع الروم وضمت عزاءهم بأخذ المصيصة وبما هم فيه من الفلة والغلاء . وعجز سيف الدولة عن نجدهم وانقطعت المواد عنهم وطال الحصار وخذلوا فراسلوا نفقور ملك الروم في أن يسلموا اليه البلد بالامان على أنفسهم وأموالهم واستوثقوا منه بإيمان وشرائط . ودخل طائفة من وكلاء الروم فاشتروا منهم من البز الفاخر والاواني المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحماهم لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها وخرجوا بحريتهم وسلاحهم وأموالهم .

فوافى تبسح التملى من مصر في البحر في مراكب فاقبل بلك الروم خبره فقال لأهل طرسوس . غدرتم . فقالوا : لا والله ولوجأت جيوش الاسلام كلها . فبعث الى التملى : يا هذا لا تقصد على القوم أمرهم فانصرف . ثم عمل نفقور دعوة لكبار أهل البلد وخاع عليهم وأعطاهم جملة وخفرهم بجيش حتى حصلوا بغير اس وحصل منهم خمسة الاف بانطاكية فأكرمهم أهلها . ثم دخل الروم مدينة طرسوس فأحرقوا المنبر وجعلوا المسجد اصطبلًا

وأما سيف الدولة فانه سار الى أرزن وأرمينية وحاصر بدليس وخلط وبها أخو نجا غلامه عصيا عليه فتملك الموضع ورد الى مياقارقين . وعمد أهل انطاكية فطردوا نائب سيف الدولة عنهم وقالوا . ندارى بيت المال ملك الروم أو نبرح عن انطاكية فلا مقام لنا بعد طرسوس . ثم أنهم أمروا عابهم وشيخا النسيبي الذي كان على طرسوس فكاتب ملك الروم على حمل الخراج اليه عن انطاكية فتقرر الامر على حمل أربع مائة ألف درهم في السنة وجعل على كل رأس من المسلمين والنصارى ثلاثين درهما والامر لله . وفي هذه السنة ورد الخبر بإجابة نفقور الى ما طلبه منه سيف الدولة من الهدنة

وكان معز الدولة قد أنفذ كردك النقيب الى عمان فلقى أميرها نافما ووافقه على الدخول في طاعة الامير معز الدولة واقامة الخطبة له وكتب اسمه على الدنانير والدرهم واستجاب نافع الى ذلك وكتب اسم معز الدولة على الدرهم والدنانير . فلما انصرف كردك عنه وقف أهل البلد على ماعمله نافع من ذلك فوثبوا به وأخرجوه من البلد وأدخلوا أصحاب الهجريين القرامطة وسلموا البلد اليهم فهم يقيمون فيه^(٢٧٤) نهارهم ويروحون الى معسكرهم في آخر النهار وكتبوا الى أصحابهم بهجر يعرفونهم الخبر ليرد عليهم الامر بما يعملون به .

وورد الخبر بان تقفور ملك الروم عاد الى قسطنطينية وان الدمستق وهو ابن الشمسستق كتب اليه يستأذنه في قصد سيف الدولة الى ميفارقين فكتب اليه بالوقوف الى أن يلحق به بقسطنطينية فمضى اليه وكان سيف الدولة

والفداء على أن يخرج بدل أبي الفوارس محمد بن ناصر الدولة ومن معه من بني عمه جماعة من البطارقة وان يفادي بغلمان سيف الدولة عدة من الروم وان يتناع ما يفضل من الاسرى ببلد الروم كل واحد بثمانين ديناراً فأحضر سيف الدولة أعان النقي راس وذلك مائة وستون ألف دينار فعاينها الرسول وجاءت كتب الطرسوسيين الى سيف الدولة ليأخذ منهم الاسارى فانهم عجزوا عن أقواتهم للفداء . ثم جاء من بلد الروم كتاب أبي فراس ابن حمدان من الاسر بتصحيح أمر الفداء وتقذ شرائط ملك الروم وفيه خط ملك الروم بالاحمر وخطوط بطارقه على ان يأخذوا عندهم ستة من بني حمدان ويأخذ سيف الدولة عنده ستة من البطارقة

ووردت الاخبار أن ملك الروم أرسل الى أهل طرسوس يهادنهم على أن يخرجوا سور المدينة وان يبنوا بعة كانت لهم تخربت فلم يجيبوا فسار حتى نزل عليهم وحاصرهم وبذلوا له ثلاثمائة ألف دينار واطلاق ما عندهم من الاسارى فأبى إلا أن يخرجوا بالامان بما قدروا على حمله أو ان يكونوا في طاعته ويخرجوا سورهم فامتنعوا وأخذت الروم تفر المصيبة فقتلوا كل الرجال فلم يقات منهم الا سبعة نفر فما شاء الله كان

قلد رشيقا النسيمي وهو من وجوه أهل طرسوس فلما حصل سيف الدولة
 بديار بكر وسلم رشيق هذا طرسوس في جملة من سلمها الي ملك الروم خرج
 الى انطاكية . فالتصق به انسان صغير القدر يعرف بابن الالهوازي كان يتضمن
 الارجاء بانطاكية وكان قد اجتمع عنده مال فاغوى رشيقا وسلم اليه ما اجتمع
 عنده من المال وأطعمه في أن سيف الدولة لا يعود الى الشام وخرج معه الى
 حلب . وجرت بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وصعد قرغويه الى قلعة حلب
 فتحصن فيها قاتل سيف الدولة خادما له أسود ويعرف بإشارة ليكون مع
 قرغويه في القلعة فنزل هذا الخادم في بعض الأيام وانضم اليه قطعة من
 الاعراب كانوا قد وافوه وجماعة من الجند والغلمان فلما^(٢٧٥) أحس بهم رشيق
 انهزم وسقط عن دابته فنزل اليه رجل من الاعراب من بني معاوية عرفه
 فحز رأسه وصار به الى قرغويه وبشارة وانهزم أصحاب رشيق وتركوا كل
 ما لهم في ظاهر حلب وهرب ابن الالهوازي الى أنطاكية وكان أخوه
 مقما بها . فنصب رجلا من الديلم اسمه دزبر وسماه الامير واعتضد برجل
 علوي أفطسي ووعدته العلوي ان تم له الامر ان يجعله الرئيس والمدبر وتسمى
 بالاستاذ فظلم الناس بانطاكية وجمع الاموال وقصده قرغويه الى انطاكية
 وجرت بينهما وقعة فكانت على الالهوازي أكثر الليل وقطعة من النهار
 ثم صارت له على قرغويه لان أهل البلد عاونوه

وقد كان سيف الدولة كتب الى قرغويه الا يخرج الى أنطاكية
 فانهزم قرغويه وعاد الى حلب وانصرف سيف الدولة من القداء ودخل
 حلب وأقام بها ليلة وخرج من غد فواقع دزبر وأسر دزبر وابن الالهوازي
 في ضيعة في طريق بالس يعرف بتسمين فانهزم أصحاب دزبر وأسر دزبر

ومضى ابن الاهوازي فطرح نفسه في بيوت بني كلاب فوجه اليهم سيف الدولة يطالبهم به ووهب لهم ثلاثين الف درهم فساموه اليه^(٢٧٦) وقتل دزبر واعتقل ابن الاهوازي مدة . ثم خرج ملك الروم الى الشام واشتغل بسيف الدولة به وأمر باحضار ابن الاهوازي^(١) فقتل بحضرته .

وفي هذه السنة أنفذ أبو تغلب ابن ناصر الدولة الى الامير معز الدولة شيئا كثيرا من المال والثياب التي كانت أخذت بالموصل وقت القبض على بكتوزون فاما المال فانه قبله وأما الثياب فانه ردها عليهم وقال : لعل فيها شيئا استحسنتموها وقد وهبتها لكم . وكانت لها قيمة عظيمة ولكنه ترفع عن ارتجاعها

﴿ ودخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

وفيهما ورد الخبر بأن بني سليم قطعوا الطريق على قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة الى مكة في سنة ٣٥٤ وكانت قافلة عظيمة وكانت فيها من الحاج والتجار والمنتقلين من الشام الى العراق هربا من الروم ومن الامتعة التي لهم نحو عشرين الف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن أمتعة العرب اثني عشر الف حمل وكان في الاعدال الامتعة من العين والورق ما يكثر مقداره جدا . وكان فيها لرجل يعرف بالخواص قاضي طرسوس مائة وعشرون الف دينار عينا وان بني سليم أخذوا الجمال مع الامتعة فبقى الناس رجالة^(٢) .^(٢٧٧) منقطا بهم كما أصاب الناس في الهير سنة القرمطى^(٣) فمن الناس من عاد الى مصر ومنهم وهم الاكثر تلف .

(١) وفي تاريخ الاسلام هو محمد بن احمد بن الاهوازي (٢) وفي الاصل : وجالهم

(٣) قد ذكر فيما تقدم ١ : ١٢٠

وورد الخبر بأن أبا عبد الله العلوي ابن الداعي لبس الصوف وأظهر
النسك والصوم وتقلد المصحف وواقع ابن وشمكير فهزمه وأسرجاعة من
أصحابه وقواده وعمل على المسير إلى طبرستان وكتب إلى العراق كتابا يدعوهم
فيه إلى الجهاد

وفيها لقب الحبشي بن ممر الدواة بسند الدواة وكتب به كتاب عن الخليفة

﴿ ذكر ما جرى في عمان ﴾

كنا حكمينا من أمر عمان ماجرى في أمرها إلى وقت دخول القرامطة
إليها باختيار أهلها وكان مع القرامطة كاتب يعرف بهلى بن أحمد وكان هو
الذي ينظر في أمر البلد والجيش . وكان قاضي البلد رجلا له عشيرة وعز
منيع فرأى مع وجوه البلد بعد نفى نافع من البلد أن ينصبوا في الإمارة رجلا
يعرف بابن طغان وكان من ضغائر القواد بعمان وأدناهم مرتبة فخاف من القواد
الذين فوقه في الرتبة والمحل أن يغابوه على أمره فقبض على ثمانين قائدا منهم
وقتل بعضهم وغرق بعضهم . وقدم إلى البلد ابنا أخت لرجل ممن غرق وسألا
عن حاله فعرفا أنه غرق فامسكا وأقاما مدة فلما^(٢٧٨) كان يوم من أيام السلام
دخلوا في جملة المسلمين على ابن طغان فلما تقوض المجاس فشكابه وقتلاه . فاجمع
رأى الناس على عتد الأمر لعبد الوهاب بن أحمد بن مروان قرابة القاضي
فوجهوا يلتمسونه فاستتر فألزموا القاضي إحضاره والزامه تقلد إمارة البلد
ففعل القاضي ذلك وراسله فظهر وتقلد الأمر وبويع له واستكتب له على بن
أحمد الكاتب الذي كان وافي مع المهجريين ووافق على بن أحمد الجيش على
أن يطلق لهم رزقين صلة فأخرجت الأموال وأبدأ على بن أحمد يثق في الناس

رزقتين فلما انتهى الى الزنج وهم ستة آلاف رجل لهم بأس وقوة وقال^(١) لهم : ان الامير عبد الوهاب امرني أن أطلق لكم أنتم رزقة واحدة فقط . واضطربوا من هذا فقال لهم : امضوا اليه وخاطبوه . فمضوا فلما بعدوا منه قليلا استردهم الى مجلسه وقال لهم : انكم اذا مضيتم لم يوصلكم اليه ولم يزدكم على رزقة واحدة فهل لكم أن تبايعوني وأطلق لكم رزقتين وتكون الامارة لي ؟ فقالوا : نعم . فاطلق لهم رزقتين فاضطرب البيضان من ذلك ووقع بينهم وبين الزنج مناوشة فقتل من البيضان جماعة فسكنوا وصارت كلمتهم وكلمة الزنج واحدة وبايعوا على بن أحمد^(٢٧٩) ثم راسلوا عبد الوهاب بن احمد ابن مروان : بانا قد عقدنا الامر لميرك فخرج عن البلد . فخرج وحصل الامر لعلي بن احمد .

وفيهما خرج الامير مع الدولة الى واسط لمحاربة عمران بن شاهين وأخذ جيشا الى عمان وكان خروجه من بغداد يوم الثلاثاء الحادي عشر من رجب ورحل الى واسط وهو محموم فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقيتا من رجب وافى نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستأمنا اليه فقبله . ونظر مع الدولة فيما يحتاج اليه من أمر عمان مما سذكروه وانحدر من واسط الى الابلّة ونزل في شاطئها في شاطئ عمان في دار البريدين وأخذ في الاستعداد لانقاذ جيش الى عمان وبني الشذات والمراكب قبل ذلك وطالب الديلم بالخروج الى عمان فاستجابوا الا قوما وهم بضعة عشر رجلا فانهم امتنعوا فامر بطردهم فانقاد الديلم والأتراك الى ما أراد وندب أبا الفرج محمد بن العباس للخروج مع الجيش الى عمان لرياستهم وتدير الحرب

وولاية البلد اذا فتحه

فلما كان يوم الخميس للنصف من شوال نفذ الجيش في المراكب والشذات وهي مائة قطعة ومعهم المعروف بابي عبيد الله جبّ ونافع الاسود فلما صاروا بسيراف^(٢٨٠) انضم اليه جيش عضد الدولة في مراكب وشذات وكان أعدهم هناك نجدة لعمه فلما وصل أبو الفرج الى عمان مع الجيش دخلها ومالكها وقتل بها مقتلة عظيمة وأحرق مراكب أهل عمان وهي تسعة وسبعون مركبا . فلما عمران بن شاهين فانه أنفذ معز الدولة اليه أبا الفضل العباس بن الحسين الشيرازي مع جيش فابتدأ أبو الفضل يسد الانهار عن البطائح وأصعد معز الدولة الى واسط ومنها الى بغداد وخلف بواسط عسكره وغلمانه والحاجب الكبير على ان يعود الى واسط بعد عشرين يوما فيستتم ما شرع فيه من أمر عمران فلما وصل الي بغداد مات فدفت الضرورة الى مصالحة عمران كما سنشرحه من أخباره في سنة ٣٥٦ وفي هذه السنة انهزم ابراهيم السلار من بين يدي أبي القاسم ابن ميشكى بأذربيجان وورد حضرة ركن الدولة بدابته وسوطه ولم يغلب معه أحد فأكرم ركن الدولة لالوصلة التي كان عقدها المرزبان وكان ركن الدولة قد رزق من أخت ابراهيم ابنه أبا العباس وبالغ ركن الدولة في اعظام ابراهيم وأجزل له العطاء وحمل اليه من كل صنف يكون عند الملوك وفي خزائهم . وكنت حاضرا بالرى فرأيت^(٢٨١) للنظر الى الهدايا المحمولة الى ابراهيم فوقفت مع جماعة النظارة قريبا من دار الامارة وابتدأت الهدايا تحمل من نخوت الثياب والرزم والاسفاط من جميع أصناف الثياب فكانت مع مائة رجل يحملونها على رؤوسهم ثم ابتدأت هدايا الطيب [وكانت على

صواني فضة وآلاتها من الادراج وغيرها وكانت على أيدي ثلاثين رجلا ثم ابتدأت بدر الاموال [فكانت على صدور الرجال مع صرار الذهب أما كياس الدراهم فكانت مع خمسين رجلا وأما صرر الدنانير فكانت من حرير أحمر مع عشرين رجلا ليفرق بينهما وكانت أ كياس الورق بيضاء ثم ابتدأت خزائن الفرش على البغال فلم أحصها وتبعها جنائب الدواب بمراكب ذهب وفضة وجلال ثم تبعها الجمال مزينة موقرة بالآلات الفرش الثقيل والخيم والحراكات والشرع والسرادات فكانت كثيرة حسنة لم أر مثلها هدية في وقت واحد يسمح بها

﴿ ذكر السبب في هزيمة ابراهيم من آذربيجان على تلك الصورة ﴾

﴿ القبيحة ووروده الى حضرة ركن الدولة ﴾

لما انهزم ابراهيم من بين يدي اسماعيل بن وهسودان وأبي القاسم ابن ميشكى الى أرمينية ابتداء في أهبة أخرى واستعداد آخر فبالغ واجتهد وكاتب ملوك أطرافه من الارمن وغيرهم وجمع الاكراد واستصاح ناحية جستان بن شرمزن ورغب الناس^(٢٨٢) في الولايات والاقطاعات وبذل خطه لهم بها . واتفق ان توفي اسماعيل بن وهسودان فسار ابراهيم الى أردبيل وملكها وانصرف ابن ميشكى مع جماعة الى طاعة وهسودان فزحف ابراهيم الى الطرم منازعا عمه وطالبا بثار اخويه جستان وناصر فاحجم وهسودان عن اقامته والثبات له وشجبه أبو القاسم ابن ميشكى فابى عليه ورأى أن يسير الى بلاد الديلم فسار معه أبو القاسم بن ميشكى ودخل ابراهيم الى أعماله فحبط أبوابه ودوخ دياره وبحث عن أمواله وبالع في الاضرار به مدة ثم عاد الى آذربيجان . وجمع وهسودان وابن

ميشكى الرجال من سائر بلدان الديلم فاحتفلا واحتشدا ورجعا الى الطرم
وبسار أبو القاسم ابن ميشكى الى آذربيجان وقد قواه وهسودان بالمال
والرجال فنزل اليهم ابراهيم وجرت بينهما حروب كانت على ابراهيم فانهزم
على تلك الحال وتبعه الطلب من قبل عمه وهسودان فتقطع الناس عنه حتى
بلغ الري الى حضرة ركن الدولة على حاله لا اذابه .

وفي هذه السنة تم الفداء بين سيف الدولة والروم وتسلم سيف
الدولة أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأبا الهيثم ابن القاضي
أبي حصين^(١)

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم أبو الفوارس محمد بن ناصر
الدولة من الاسر الى ميافارقين أخذته أخت الملك لفادي به أخاها فجاء ستة آلاف فنفذ
سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة الى حصن المناخ فلما شاهد بعضهم ببعض سرح المسلمون
أسيرهم في خمسة فوارس وسرح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة فالتقى في وسط
الطريق وتقاتلا ثم صار كل واحد الى أصحابه فترجلوا له وقلوا الارض ثم احتفل سيف
الدولة لابن أخيه وحمل له الخيل والممالك والعدد الثامنة فمن ذلك مائة مملوك بمناطهم
وسيوفهم وخيولهم . وطال مقام سيف الدولة بميافارقين فانفق في سنة وثلاثة أشهر نيفا
وعشرين ألف درهم ومائتين وستين ألف دينار وتم الفداء في رجب فخلص من
الاسر من ابن أمير الى راجل ثلاثة آلاف ومائتان وسبعون نفسا وتقدر أمر أربعة أعوام .
وأرسل أبا القاسم الحسين بن علي المغربي لتقدير ذلك ومعه هدية بعشرة آلاف دينار منها
ثلاثمائة مثقال مسك وانفق سيف الدولة على الفداء ثلاثمائة ألف دينار

وقال ايضا : وفيها سار طاغية الروم بجيوشه الى بلد الشام فمات وافسد واقام به نحو
خمسین يوما فبعث سيف الدولة يستجد اخاه ناصر الدولة يقول : ان تقفون قد عسكر
بالدرب ومنع رسولنا ابن المغربي أن يكتب بشيء . فقال : لا اجيب سيف الدولة
الا من انطاكية ليذهب من الشام فانه لنا ويمضي الى بلده ويمادن عنه . وان اهل
انطاكية راسلوا تقفون وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالا وانه التمس منهم يد مجي بن
زكريا عليهما السلام والكروسي وان يدخل بيعة انطاكية ليصلى فيها ويسير الى بيت المقدس

وفيها لقب الخليفة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بمؤيد الدولة
وكتب^(٢٨٣) بذلك الى الامصار

وكان الذي جر خروجه واحتقه احراق بيعة القدس في هذا العام وكان البترك كتب الى
كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة فسكتب متولى القدس
بالشد على يده فجاءه من الناس مالم يطق دفعه فقتلوا البترك وحرقوا البيعة وأخذوا زينتها
فراسل كافور طاغية الروم بان يرد البيعة الى أفضل ما كانت فقال : بل انا ابنها بالسيف
واما ناصر الدولة فكتب الى اخيه : ان احب سيرة اليه سار وان احب حفظه ديار بكر
سار اليها . وبث سراياه واصعد سيف الدولة والناس الى قلعة حلب وشحنها وأنجفل الناس
وعظم الخطب واخذت نصيبين . ثم نزل عظيم الروم بجيوشه على منبج وأحرق الرض
وخرج اليه أهلها فاقروهم ولم يوذهم ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخرا
الى قسرين ورجاله والاعراب قد ضيقوا الخناق على الروم فلا يتركون لهم علوفة فخرج
الا أوقعوا بها . وأخذت الروم أربع ضياع بما حوت فراسل سيف الدولة ملك
الروم وبذل له مالا يعطيه اياه في ثلاثة أقساط فقال : لا أجيبه الا أن يمطيني نصف الشام
فان طريقى الى ناحية الموصل على الشام . فقال سيف الدولة : لا أعطيه ولا حجرا واحدا .
ثم جالت الروم بأعمال حلب وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر وانكت العربان في
الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف ونزل عظيم الروم على انطاكية يحاصرها ثمانية أيام ليلا
ونهارا وبذل الامان لأهلها فابوا فقال : أنتم كاتبتهموني ووعدتوني بالطاعة . فاجابوا : انما
كاتبتنا الملك حيث كان سيف الدولة بارمينة بعيدا عنا وظننا أنه لا حاجة له في البلد وكان
السيف بين أظهرنا فلما عاد سيف الدولة لم يوبه على ضبط أدياننا وبلدنا شيئا . فناجزهم
الحرب من جوانبها فخاربوه أشد حرب وكان عسكره معوزا من العلوفة ثم بعث نائب
أنطاكية محمد بن موسى الى قرغويه متولى نيابة حلب بتفاصيل الامور وبثبات الناس على
القتال « وأنا ايلي ونهاري في الحرب لا أستقر ساعة وان الامين قد ترحل عنا ونزل الجسر »
وفيها أوقع تقي السيفي بسرية الروم فاصطلموها ثم خرج الطاغية من الدروب وذهب
ثم جاء الخبر بأن نائب أنطاكية محمد بن موسى الصلحي أخذ الاموال التي في خزائن
أنطاكية معدة وخرج بها كأنه متوجه الى سيف الدولة فدخل بلد الروم مرتدا فقبل
انه كان عزم على تسليم أنطاكية للملك فلم يمكنه لاجتماع أهل البلد على ضبطه فخشي أن
ينم خبره الى سيف الدولة فهرب بالاموال

وفيهما ورد جيش من خراسان عظيم

(ذكر خبر الغزاة الواردين من خراسان وما دبروه بالري)

(على الديلم وما انعكس عليهم من الامر بعد استعلائهم)

ورد الخبر على ركن الدولة بالري بخروج قوم من خراسان يحزرون عشرين الفا ويظهرون انهم غزاة واستراب بهم صاحب الحد وهو اسفوزن بن ابراهيم وذلك انهم عاثوا لما دخلوا الحد وخاطبهم وراسل رؤسائهم فلم يجد عندهم نكيرا ولم ير سيرتهم سيرة الغزاة ولم يكن لهم رئيس واحد بل كان لاهل كل بلد من بلادهم رئيس منهم فلما ورد كتاب اسفوزن بصورتهم أشار الاستاذ الرئيس حقا على ركن الدولة الا يأذن لهم في دخولهم مجتمعين وان يرأسهم في أن تصير منهم عدة في نحو الف رجل الى الري فاذا خرجت هذه العدة منها ورد ثلثها حتى يتابعوا على ذلك فلا تكون منهم معرفة ولا يحدثوا أنفسهم بسوء أدب فامتنع ركن الدولة من قبول رأيه « ولا يتحدث الملوك اني احترزت من لقيف خراسان وخشيت نائرتهم » فقال له وزيره أعني الاستاذ الرئيس حقا : فان لم تفعل هذا فسكاتب عساكرك فانهم متفرقون عنك بالجليل واصبهان وغيرها حتى تتوافي اليك فان معك بالري عدة يسيرة وأنت غير مستظهر بالرجال ولا آمن أن يكون لهؤلاء القوم مواطاة مع صاحب خراسان وعددهم كثير وهم مستعدون بعملة الغزو ونحن على غير أهبة ولا استعداد . فابى عليه في هذا الرأي ولم يفعل بالقوم وكاتب صاحب الحد بان يأذن لهم ويخرج عن وجوههم ولا يصير لاشربمبدأ .

فسار القوم باجمعهم ومعهم فيل عظيم من بين الفيلة حتى نزلوا بالري

واجتمع رؤساؤهم الى مجلس الاستاذ الرئيس يخاطبونه في مسألة الامير ركن الدولة أن يطلق لهم مالا يستعينون به علي أمرهم فوعدهم بذلك وظن ان القليل يسهم على رسم النزاة فاذا هم يطعمون في شيء كثير وقالوا : نحتاج الى مال خراج هذه البلدان كلها التي في أيديكم فانكم انما جيتموها لبيت مال المسلمين لنايبة ان نابتهم ولا نائبة اعظم من طمع الروم والارمن فينا واستيلائهم على ثغورتنا وضعف المسلمين عن مقاومتهم . وسألوا مع ذلك أن يخرج معهم جيش ينضمون اليهم وأخذوا في هذا النجوم والكلام وتبسطوا في الاقتراح ورفع الاصوات وكان معهم فقهاء خراسان وشيوخها مثل المعروف بالقفال^(١) وغيره . فتبين الاستاذ الرئيس^(٢٨٥) خبث سرائرهم وتيقن ما كان ظنه بهم من الشر وطلب الفتنة ولكنه كان يداريهم ويرفق بهم . فلما لم يجدوا سبيلا من طريق القول اليه والشغب به عدلوا الى مشافهة الديلم فكانوا يكفرونهم ويأمنونهم وكان ذلك في شهر رمضان وكانوا يخرجون ليلا ومعهم آلاتهم من السيوف والحراب والقسي والسهام ويزعمون انهم يأمررون بالمروءة فيسلبون العامة مناديلهم وعماطهم واذا تمكنوا من تفتيشه وأخذ جميع ما معه لم يقصروا فيه والناس مع ذلك يدارونهم . فاتفق ان وقعت بينهم وبين بعض اصحاب ابراهيم بن بابي خصومة لم يحتملها منهم فتأدى الى القتال فقتل ذلك الرجل الديلمي واجتمع رفقاه للقتال فاجتمع من النزاة نحو الف رجل على باب

(١) هو محمد بن علي بن اسمعيل الامام أبو بكر الشاشي الفقيه الشافعي توفي سنة ٣٦٥ وقيل انه ولد سنة ١٩١ وهو الذي أجاب عن الخليفة المطيع لله للتصيدة التي وردت من تقفوز عظيم الروم على المسلمين ساءتهم وشقت عليهم لما كان فيها من التشريب وضروب الوعيد والتهديد ونسخة القصيدة موحودة في كتابخانه

ابراهيم بن بابي فخرج اليهم محامياً على اصحابه وقاومهم مدة الى أن راسله ركن الدولة بالسكف وراسلهم بمثل ذلك فابوا فتسرع الديلم ومن كان قريبا لنصرة الديلم فاشتبكت الحرب وحجز بينهم الليل ورجع الخراسانية الى معسكرهم يضربون بطبولهم الليل كله ويتواعدون للقتال . فلما أصبحوا باكروا الحرب ودخلوا المدينة من ناحية اجران وفيها دار الاستاذ^(٢٨٦) الرئيس (وبرز للقائهم وبين يديه حاجبه روين وكان شهما شجاعا فحمل عليهم في غلمان دار الاستاذ الرئيس) فحاربهم وكسرهم حتى رجعوا الى الدرب الذي دخلوا منه ثم كثروا عليه ولم يول عنهم حتى طعنه بعضهم بحربة دخت في كعب درعه وافضت الى ساعده فخرقته وكثر الناس عليه وحامى عليه الاتراك الذين هم حتى رد الى منزله وقد نزفه الدم وضمف وانكسر الاستاذ الرئيس ومضي كل من معه وثبت بنفسه على عادته . فتعاق به السالار وكان حاضرا معه وقال له : ايها الاستاذ ارجع الى الامير ولا تفجعه بنفسك فانه لم يبق حواليك أحد . وأخذ بلجامه ورده وسمعه يقول : عصّ بها بي وانت بريئة من عارها . فرجما الى دار الامارة واشتغل الخراسانية بنهب داره واصطبلاته وخزائنه وكانت موفورة جامعة الى أن أتى الليل وانصرفوا وكان الى خزانة كتبه فسالت من بين خزائنه ولم يتعرض لها . فلما انصرف الى منزله ليلا لم يجد فيه ما يجلس عليه ولا كوزا واحدا يشرب فيه ماء فانفذ اليه ابن حمزة العلوي فرشاً وآلة . واشتغل قلبه بدفاره ولم يكن شيء اعزّ عليه منها وكانت كثيرة فيها كل علم وكل نوع من انواع الحكم والآداب يحمل على مائة وقر . وزيادة فلما رآني سأني عنها فقالت : هي بحالها لم تمسها يد . فسرّني عنه وقال : اشهد^(٢٨٧) انك ميمون النقية أما سائر الخزائن فيوجد منها عوض وهذه

الخزانة هي التي لا عوض منها . ورايته قد اسفر وجهه وقال : يا كر بها في غد الى الموضع القلاني . ففعلت وسلمت باجمعها من بين جميع ماله واجتمع الخراسانية من غد ذلك اليوم وكانوا قد كسروا ركن الدواة في آخر نهار امسه وقويت نفوسهم وكانوا قصدوا باب روين الحاجب لينتهبوا داره وكان طريقها فيها غير مستقل فامر غلمان به بطرح الحطب المعد للشتاء خلف الباب واشعاله بالنار ففعل ذلك فلم يصلوا الى الدار من نحو الباب وراموا أن يتسوروا سورها فرماهم الغلمان بالسهم فتراجموا عنها . وعملوا على مباكرتها من الغد فلما أصبحوا راساهم ركن الدولة وداراهم وعرض على أن ينقلعوا من مملكته فلم تكن فيهم حيلة وكان الامر قد ابرم معهم بخراسان وكانوا ينتظرون مددا يلحقهم . وأشار على ركن الدولة نصحاءه بالمسير الى اصبهان مع أولاده وحرمة ويترك هؤلاء والرى حتي يجتمع اليه عساكره ويقصدهم بعديد وعباد فابى عليهم وخاطر بنفسه ودولته فانه كان في خمسمائة من قواده وخواصه ونحو ثلثمائة من الغلمان وباقي^(٢٨٨) عساكره كما ذكرنا متفرقون في ولاياتهم فلما كان من غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء لانه نصف من شهر رمضان تفرق الخراسانية^(١) على أبواب المدينة وهجموا من كل وجه فامتلات منهم الشوارع والمحال ونادوا في البلد بما يسكن الناس والزعية وقصدوا دار الامارة وفيها الامير وأولاده وخزائنه . وكان الاستاذ الرئيس أمر بتحميل ما أمكن والمبادرة بالحرم وصغار الاولاد الى طريق اصبهان لينتظروا ما يكون من أمر الحرب وهم على ظهور الدواب مستعدين للتوجه الى حيث شاءوا فاغتص الميسدان الذي في الدار بالبغال التي عليها صناديق

الخزائن والعماريات فلم يكن للامير ركن الدولة مخلص من بينها وكان قد ركب في غلمان داره والاستاذ الرئيس معه وجماعة من قواده وحاشيته فلم يجدوا طريقا الى الخروج اتزاحم من ذكرت فوضع بينهم الدبابيس وكسرت عدة من الصناديق والبغال حتى أفرج للفرسان على ضغط شديد وزحمة منكرة فخلصوا الى الطريق وكنت مع القوم . وكان الخراسانية قد دنوا من الباب ومعهم السلايم وعندما ان ركن الدولة يتحصن في داره فخرج ركن الدولة من نحو الميدان وخرج حجابيه من الابواب الأخر وصدمو القوم^(٢٨٩) وصدقهم الديلم في المضايق حتى ردوهم الى الصحراء من الناحية المعروفة بالشجرة بعد أن أشرفنا على ذهاب النفس وزوال الدولة فلما حصلوا في السعة صافوا رجالهم للحرب

{ ذكر مكيدة لركن الدولة في الوقت نفذت له }

كان ديلم ركن الدولة ضعفت نفوسهم لما رأوا كثرة الرجال من أعدائهم وقلة عددهم وأقبلوا يقولون : أتينا من ورائنا . فاشفق ركن الدولة إشفاقا شديدا وقال لأصحابه : طيبوا نفساً فإن الذين وراءنا هم أصحابنا . وبشرهم بورود علي بن كامه وتقدم الى الركابية والمجرين أن يبادروا الي نحو طريق علي بن كامه الذي يقبل منه وأمرهم أن يركضوا هناك ويشيروا النسيبة ما استطاعوا ففعل القوم ذلك وارتفع الرهيج وكبر الناس وقالوا : هذا علي بن كامه . ونشط الناس ركن الدولة وقال لهم : احموا حملة قبل ورودده . فحمل الديلم بنشاط واستبشار بورود المدد فكانت اياها وركب الخراسانية بعضهم بعضا قدس ركن الدولة الى بعض رؤساء الخراسانية بالانحياز اليه فأمنه وبذل له ففعل وتحطم ذلك العسكر وقتلوا كل مقتلة وطلبوا الامان فامنهم

على أن يتخلى لهم الطريق فأجابهم الى ذلك . وكان قد حصل منهم عدد^(٢٩٠) كثير بالبلد يذبحون كل من وجدوه على زى الديلم فاذا ذبحوه كبروا كما يفعل في بلد الكفر بالكفار فيبينما هم كذلك اذ انكفأ اليهم الديلم ظافرين فهموا بهم وقتلوا بعضهم حتى نادى فيهم ركن الدولة بالامان وأمر الديلم بالكف فلما كان بالليل تحمّلوا وانصرفوا على سمت قزوين هائمين على وجوههم لا يلاوى بعضهم على بعض

ثم وردت بعدهم خيل أخرى نحو القى رجل بالعدة والسلاح ولم ياحقوا أصحابهم الا مفلولين هاربين فراسلهم ركن الدولة بأن يتوقفوا ولا يرحلوا وأشفق أن يكون لهم بقزوين أوفى بعض الممالك عبت واجتماع آخر فلم يفعلوا وتعجلوا بالرحيل في اثر أصحابهم فاسرع في طلبهم وركض خلفهم حتى أدركهم فصافوا الحرب فقتل منهم عددا كثيرا ورد الباقين الى الرى بعد أن طلبوا الامان . ثم أذن لهم في الخروج واطلاق أسرارهم وأمر لهم بنفقات فخرجوا . وقد ذهبت حشمتهم وزالت هيبتهم عن صدور الناس ولو أنهم خرجوا بالماء الذى كان لهم لبلغوا من الروم كل مبلغ ولكثر غزاة المسلمين معهم ولله أمر هو بالغه .

فسمعت الاستاذ الرئيس رحمه الله بعد ذلك يقول : لم أر قوما أشد من هؤلاء وما فرق جمعهم الا كثرة رؤسائهم^(٢٩١) وتحاسدهم وقد كانت لهم فرص لو اتهموا بعضها تم لهم أمرهم . منها يومهم الذي دخلوا فيه الرى فانهم اجتازوا باجمعهم وفي مواكبهم على باب الامير وهو غار وليس بابه كبير أحد فلو هجموا عليه ما حال بينهم وبينه أحد . ومنها ليلة دخلوا البلد لو أقاموا وقصدوا دار الامارة ما تحرك في وجوههم أحد وكانت ليلة مقمرة

وهي ليلة النصف وهي كنهار غدها اشراقا واضاءة ولكن القوم عملوا على دخول البلد يوم عيد الفطر والناس مشغولون (بالصلاة) بمصلاهم غارون وأتظروا أيضا المدد الذي وعدوا به وكانت الاخبار والرسل تأتيهم بقرينهم منهم فعملوا على ذلك . وأبت المقادير الا صنع الله لركن الدولة وذلك بحسن نيته ودعاء رعيته له ونظر الله تعالى للناس^(١) .

وكان لابراهيم السلار في هذه الايام مواقف حسنة وآثار جميلة وأصابته بطنه حربة لم تصل الى أحشائه لكثرة شحمه لانه كان سميناً

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي هذه السنة قدم الغزاة الخراسانية مياقارون فقام أبوالمعالى ابن سيف الدولة وبائع في إكرامهم بالاطعمة والعلوفات ورئيسهم أبو بكر محمد بن عيسى . وقال أيضا في ترجمة سنة ٣٥٦ أن فيها دخلت الخراسانية فغزوا بلد ابن مسلمة وخرجوا بالسلامة والغنائم . وفيها رجع غزاة خراسانية الى بلادهم ودخل سيف الدولة حاب ومعه قوم من الخراسانية ومعهم فيل فمات الفيل بعد أيام فاتهموا أن النصارى ستمه . وغزت الخراسانية مع لؤلؤ الجراحى من انطاكية الى ناحية المصبصة فالتقاهم ثلاثة الاف فارس من الروم فنصر الله وقتلوا الفا من الروم وأسروا خلقا وردا بالغنائم الى انطاكية ثم عادوا غزوانا . ودخل النعمان محمد بن عيسى رئيس الخراسانية ومعه ابن شاكر الطرسوسى فظفروا وغنموا وردوا بالغنائم وتأخروا في الساقية محمد بن عيسى وابن شاكر في نحو ثمانمائة فارس فدهمهم جموع الروم فقال ابن عيسى : ما استحل أن أوليهم الدبر بعد أن قربوا . وسار ابن شاكر يكتشفهم فاذاهم فيما يقال في ثلاثين الفا فرجع وقال : لا طاقة لك بهؤلاء . فلم يقبل والتفاهم وقتلوا أشد قتال وأنكروا في الروم نكابة عظيمة واستشهد عامة المسلمين وبقي محمد بن عيسى في مائة وخمسين فارسا فقال له ابن شاكر : لا تاتى بيدك الى التهلكة . فقال له فقيه معه : إن وليت الدبر لحقوك وقتلوك وأنت فار . فقاتل حتى قتل أكثر أصحابه ثم أسر محمد بن عيسى وابن شاكر . ثم ورد الخبر بأن ابن عيسى اشترى نفسه بمائة الف درهم وبمائة وعشرين عليجا كانوا بانطاكية ووطل نصوص فيروزج وأنه بعد ذلك غزا العدو وظهر رحمه الله تعالى وغفر له .

بطينا ولسكنها صارت فتقا فكان يشدها بمصابب ورفائد الى أن توفي بعد ذلك بسنين .

وفي هذه السنة اخرج ركن الدولة الاستاذ الرئيس مع ابراهيم السلار مدداله في نخب الرجال من الديلم والعرب^(٢٩٢) واصناف العسكر حتى فتح بلاد آذربيجان وأصلح الاستاذ الرئيس له قلوب أصحاب الاطراف وطوائف الاكراد وقاد جستان بن شرمزن الى طاعته فلما فرغ من جميع ذلك ووطأ له النواحي ومكنه منها خرج عائداً الى حضرة ركن الدولة (بالرى)
{ ذكر تدبير جيد ورأى صواب رآه الاستاذ الرئيس ابن العميد }
(ولم يقبل وعاقبة ذلك)

لما صار الاستاذ الرئيس حقا الى آذربيجان رأى زكاه أرضها وكثرة ريعها وسعة مياهها واحتمالها للعمارة وحسب ما يرجى من ارتقاءها فوجده مالا عظيما مثل ارتفاع ممالك ركن الدولة أو قريبا منه ونظر الى ما تحصل لابراهيم السلار منه فوجده شيئا نزرأ قليلا جدا وذلك لسوء تدبير ابراهيم واهماله الامور واشتغاله باللعب والنساء والسكر الدائم وطمع ضروب المعاملين فيه ولا سيما الاكراد الذين قد استأكلوا تلك النواحي . ثم قد عرف بالتزيد وقلة الوفاء فليس يوثق بيمينه ولا عهوده فلم يستاذ الرئيس أنه اذا فارق الناحية عادت الصورة مع ابراهيم الى ما كانت ولم يلبث ان يطمع فيه ويخرج من المدينة ثم من الناحية كلها أو يقتل فيضيع سمي^(٢٩٣)
ركن الدولة وسميه . فكتب الى ركن الدولة بصورة الناحية وصورة ابراهيم فيها وعرفه بمقدار ما يصل اليه منها وأشار عليه أن يدبر الناحية لنفسه ليرفع له (منها خمسون الف الف درهم ويوض ابراهيم مما يحصل له وكان مقدار ما

يرتفع له) من هذه الجملة بمسد ما يخرج في أقطاعات الديلم والا كراد وبعد ما يستولى عليه قوم متمززون لا يتمكن من استيفاء الحقوق عليهم وبعد ما يضيع بالاهمال وترك العمارة أقل من النفي الف درهم فرأى أن يعوض ابراهيم من ارتفاع الرى أو اصبهان أو همذان هذا المقدار ويجلس آمنا فارغ البال ويشتمل بما يورثه من صحبة المغنين والمساخر ويتسلم الاستاذ الرئيس اذ ييجان فيرفع منها لركن الدولة ما ذكرت مبالغه وكان يرجوا أكثر منه ولكنه استظهر عليه . فابى عليه ركن الدولة وفكر في شيء يفكر فيه مثله من أصحاب الهمم الكبار وقال : يتحدث الناس انى افتتحت البلاد لرجل لجأ الى ثم طمعت فيه ! وأمر الاستاذ الرئيس بالانصراف اليه مع عسكره وتسليم البلاد الى ابراهيم

فاذكر يوما كنت جالسا فيه بين يدي الاستاذ الرئيس وهو يحدثني بالشدة التى قاساها هو وعسكره في سفرته وقلة جدواها وثمرتها وانها لو أنمرت نعمة باقية عند ابراهيم اسكان محتملا لها وراغبا فيما ينشر^(٢٩٤) من الاحدوثة الجميلة عنه بعدها ثم قال : ولكننى سأضرب لك مثلا لما نحن فيه وتأمله الآن لتذكره فيما بعد . اما شهدت من يغزل الابريس ويفتله بالمغازل الكثيرة المعلقة بالصنارات على شبيه الصوالجة من الزجاج . قلت : بلى . قال : اما تعلم أن الصانع انما يتعب حتى ينصب هذه الالة وينظمها ثم يكفيه بعد ذلك أن يتبع أذئاب تلك المغازل ويتماهدا بالقتل ؟ فنحن قد أحكمنا الالة والمغازل دائرة والابريس ممدود والقتل مستمر به فاذا فارقتنا الموضع ابتدأت القوة التى فى الدوران تضعف وليس لها من يمددها بحركة فيتبدى فى الاسترخاء وتضعف سرعة دوران المغازل ثم يتبدى فى

الانتكات وتقلب راجعة بعكس ما كانت تدور ثم لا تجد أيضا من يتماهدهما
فيتساقط أولا أولا حتى لا يبقى منها شيء . فكان هذا المثل كان وحيا فانه
ما أخطأ شيئا من صورة ابراهيم بعد خروجهما وانتهى أمره بعد ذلك الظم
الذي نظم له الى أن طمع في ملكه حتى انسلخ منه شيئا بعد شيء الى أن أسر
وحبس في بعض تلك القلاع كما سنحكيه فيما بعد ان شاء الله ^(٢٦٥)

﴿ ودخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة ﴾

وفيهما قصد معز الدولة عمران بن شاهين صاحب البطائح وكان قد
صمم على مناجزته وأبى أن يقبل منه صلحا ومالا أو يرضى منه إلا بحضور
بساطه . فاتفق ان اعتل من ذرب لحقه وأحس بالضعف فعاد الى واسط
وخلف على عسكره سبكتكين الحاجب وظن انه يتماثل فيماود واشتدت به
العملة وكان لا يثبت في معدته طعام وأحس بالموت ورجع الى بغداد . وعهد
الى ابنه بختيار عز الدولة وأظهر التوبة وأحضر وجوه المتكلمين والفقهاء
وسألهم عن حقيقة التوبة وهل تصح له فافتوه بصحتها ولقنوه ما يجب ان
يقول ويفعل ^(١) وتصدق باكثر ماله وأعتق ممالিকে ورد شيئا كثيرا من
المظالم ^(٢) وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٦ ^(٣) وكانت له أخبار

(١) قال صاحب التكملة : وأحضر أبا عبد الله البصري وتاب على يده وكان مع
أبي عبد الله صاحبه أبو الفاسم الواسطي فكانا اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار
وصليا في مسجد على بابها فمألهما عن السبب في خروجهما فقال أبو عبد الله : الصلاة
في الدار المنصوبة عنها لا تصح . وسأله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن الصحابة
رضوان الله عنهم فذكر أبو عبد الله سابقتهم وان عليا زوج عمر ابنته أم كلثوم رضي الله
عنهم فاستعظم ذلك وقال : ما سمعت هذا قط . (٢) وفي الاصل : الممالك
(٣) قال صاحب التكملة : ومولد معز الدولة سنة ٣٠٣

وأحوال منها انفاذه جيش الماء والديلم الى عمان حتى فُتحت له ولم يكن فيها ما يستفاد منه تجربة فطويناهما

وكان اتفق عند موته اتفاق حسن لعز الدولة فرأينا اثباته ليكون معدودا في جملة أمثالها من الاتفاقات المعجبية

﴿ ذكر اتفاق حسن ^(٢٩٦) ﴾

لما مات معز الدولة أُلح المطر ببغداد ثلاثة أيام بلياليها الحاحا شديدا منع الناس من الحركة ولم يتمكن الديلم من اطلاع رؤسهم ومنع سائر الناس من البروز وتردد النقباء الى رؤسائهم فارضى كل احد بما سكن اليه وانجأت السماء عن سكون الجند ورضاء السكافة . فكاتب عز الدولة سبكتكين وسائر العسكر بمصالحة عمران بن شاهين والانصراف عنه الى بغداد قفعل ونقيس خناق عمران . ووصل صاحب الموصل واستقرت الامور بيده

وفيهما وردت الاخبار باقبال جيش قوى من خراسان مع ابن سمجور ليجتمع مع وشمكير

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

لما اعتل أبو علي [محمد] بن الياس وقُدِج بكرمان وخالفه أولاده وقصده عضد الدولة رحل الى خراسان واتي صاحب خراسان وبرى بمض البرء وصار نديما له يماشره ويؤانسه فسوّل له قصد ممالك الديلم وأطامه فيها وزعم ان أصحاب جيوشه ليس يناصحونه ويقبلون الهدايا والرشي . فوافق ذلك ما كان يشكوه اليه وشمكير حالا بعد حال فاتصلت المكاتبه بين وشمكير [وبين] صاحب خراسان وكذلك الحسن بن

الفيروزان الى ان وقعت المعاضدة والموافقة على^(٢٩٧) ان يدبر جميع الجيوش وشمكير . وأتخذ صاحب خراسان الى وشمكير والى الحسن بن الفيروزان هدايا كثيرة من دواب وغللمان وآلات وسرب اليهما امداد الجيوش مع صاحب جيشه محمد بن ابراهيم بن سمجور وعلى ان يكون الرئيس على الجميع وشمكير . فورد من ذلك على ركن الدولة ما لم يكن في الحساب وعلم ان الامر قد بلغ الغاية وليس الا القيصل فكاتب عضد الدولة يستمدّه الرجال والمعونة وكاتب عز الدولة بمثل ذلك . فاما عضد الدولة فامدّه بخيل عليها أبو جعفر ابن روزمان وشخص بنفسه الى اصطخر ليسيّر الى خراسان وسير أحمد حجابّه في جيش المقدّمة الى طريث وأظهر في عسكريه ان جيش خراسان قد ساروا باجمعهم مع لقيف البلدان وغزاتهم الى الري وخراسان خالية وليس دون ملكها شيء واتصل ذلك بالقوم فاحجموا قليلا . واتفق سقوط وشمكير بضربة الخنزير وموته فانتقض ذلك الامر كله .

﴿ ذكر هذا الاتفاق العجيب ﴾

اتفق ان استعرض وشمكير خيله وما ليسد اليه من جهة صاحب خراسان فكان في جملها فرس أدهم حسن الصورة فاعجبه وأمر بإسراجه وعزم على ركوبه والتصيّد في ذلك اليوم . فدخل اليه منجّمه فهاه عن الركوب نخالقه فلما أصبح عارضه خنزير قد أفلت من أصحابه وقد رُمي بحربة^(٢٩٨) فثبتت فيه فحمل الخنزير على وشمكير وهو كالغافل فضربه وفرسه فشبّ الفرس وسقط وشمكير على دماغه فخرج من أنفه وأذنيه دم وحمل ميتاً وذلك يوم السبت في أول يوم المحرم سنة ٣٥٧ .

وقد كان بمختيار عز الدولة اجتهاد في اخراج سبكتسين مع جيش
كثيف على الرسم فامتنع سبكتسين عليه فاوحشه بذلك واضطرب بمختيار
لانه لم يجد من يطيعه في الخروج الى ان اتدب الفتيان وقد كان يلو
سبكتسين في المرتبة وأحب أن يظهر في تلك الحالة فضلا وحسن طاعة
للمنافسة التي كانت بينه وبين سبكتسين فضم اليه جيشا وورد الري وقد
استغنى عنه فعاد

﴿ ذكر سوء تدبير بمختيار لما يمكنه ولنفسه حتى فسد جنده ﴾
﴿ وطعموا فيه ثم طمع أعداؤه أيضا فيه ﴾
(وأفضى أمره الى الهلاك)

كان أبوه معز الدولة حين أيقن بالتلف وصاه بطاعة ركن الدولة
واستشارته في كل ما يعرض له من مهم وكذلك بطاعته لابن عمه عضد
الدولة لانه أسن منه وأقوم بالسياسة . ووصاه باقرار كاتبيه أبي الفضل
العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس فانهما أ كفي من غيرهما
وأعرف بوجوه الخدمة . ووصاه بمداواة الديلم وإزاحة عيالهم عند أوقات
استحقاقهم لئلا يخرقوا هيئته بالشغب وطلب الفتن . ووصاه بالاحسان
الى الأتراك فانهم جرة عسكره واذا ^(٢١١) رابه من الديلم ريب أمكنه ان
يقوم به . ووصاه بعد الاحسان الى الأتراك بكبار الحاشية وصغارهم
وان يجريهم على عادتهم ورسومهم . فخالف هذه الوصايا كلها واشتغل باللهو
واللعب ومماخرة الساخر والمغنين والنساء وأوحش كاتبيه وضرب بينهم
حتى استوحشا جميعا منه وطمع في اقطاعات كبار حاشيته وفي سبكتسين
خاصة وهو صاحب جيشه وكان معز الدولة وصاه بالآ يقطع أسرا دونه

وكان ذا ارب وسمياسة وله رئاسة في العسكر قديمة متمكنة يهابه الجميع
ويطيعونه واحتجب عن عسكره بما ذكرته من الشغل باللعب والعسكر
الدائم . وابتدأ ببناءوة عضد الدولة وذلك انه منع صاحبه المقيم ببغداد من
شري الدواب وآلات خدمته التي كان يستدعيها وجرت عادته بالتمكن منها
وترك استشارة عمه ركن الدولة في كل ما عرض له . فكان من عاقبة ذلك
ان سبكتكين صاحب جيشه لما أحس بطمعه فيه وفي نعمته انقبض عنه
فصار لا يركب اليه ولا يثق به واقتصر على التراسل على أيدي التوسطين
وكان لسبكتكين أصحاب أخبار في العسكر وفي دار بختيار خاصة وله عيون
وجواسيس من خاصة حاشيته وبطائنه فكان لا يخفى عليه شيء من حركاته
(٢٠٠) فضلا عن تدابيرهم . فاما كتاباه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو
الفرج محمد بن العباس فانهما لماسعا عرفا قصيدة في افساد نية بعضهما لبعض
(فقد كان بينهما قبل ذلك منافسة في المرتبة وتحاسد في النعمة) أخذا
جميعا أهبة التحرز منه وأخذ هو في الحيلة عليهما حتى أزال باحدهما نعمة
الآخر . ثم قبض عليه بأصاغر الحاشية وأدانى الحشم ومكن منهما الاوغاد
والسفلة فاضطربت أحوال المملكة واضطرت الى الاستمانة بمن رفعه من
السُّقَّاط ومن لا يكمل للنظر في قرية ولا يصاح للتوسط بين نفسيين فضلا
عن العسكر المضطرب فاحتلت أصول أمره وفروعها

وأما كبار الديلم ووجههم فانه نفاهم عن مملكته ظمما في اقطاعهم
وأموالهم وأموال المتصاين بهم فتبسط أصاغرهم واستلنوا جانبهم وتحالفوا
عليه وطالبوه بزيادة في رسومهم واضطروا الى النزول على حكمهم ثم عجز عن
ارضائهم . وأما الأتراك فانهم نظروا الى ما تم للديلم من التحكم فعملوا مثل

علمهم من الاشتطاط والتسحب والمواجهة بالمخاطبة الغليظة واضطر الى
التدبير عليهم والراحة منهم . وابتدأ بسبكتكين وكان متحرزاً متيقظاً
فما تم له عليه شيء من تدبيراته فتحزب الاتراك وصاروا يداً واحدة .
وتحركت الاحقاد والحفاظ^(٣٠١) التي كانت في نفوس الديلم على معز الدولة
فبرزوا الى الصحراء مع الاسلحة والجن وساموه ان يثبت من أسقطه
معز الدولة وان يعطيهم أرزاقهم ويعجل لهم رزقه منسوبة الى البيعة غير
محسوبة . فجمع مختار الاتراك الى داره مع أسلحتهم ليعتصم بهم وترك الديلم
في الصحراء ثلاثة أيام فغاضهم ذلك وازدادوا تباعداً في الاشتطاط عليه
وفي الاشتداد بالمطالبة الى ان نزل على بعض حكمهم وأعطاهم ثلث رزقه
غير محتسب به

وخير أصحاب الاقطاعات بين الإقامة في أيديهم والتمسك بنواحيهم
وبين تعريضهم منها وأثبت من الديلم الساقطين كل من كان صريحاً في
الديلم أو صريحاً في الجبل دون من اختلط بهم ممن ليس منهم . فلما تم لهم
ودخلوا البلاد اجتمع الاتراك أيضاً على الشغب فخرجوا الى الصحراء
واستدعوا الاصاغر من غلمان الحجر في دار بمختيار حتى برزوا معهم وتحالفوا
وتعهدوا ان تكون كلمتهم متفقة وان ينصر كبيرهم صغيرهم وقويهم
ضعيفهم وقد كانت اجتمعت لهم أموال مسببة من تلك الزيادات المضافة الى
الاصول التي زادها معز الدولة فطالبوا بتوفيتهم ذلك كله وان يسلك فيهم
سبيل أيه في الاستحجاب والتقويد والتقييد والزيادة^(٣٠٢) في المنازل
والمراتب . ثم اتفق الديلم والاتراك على الأيمارض كل فريق منهم صاحبه
في طلب الحظ لنفسه وتعهدهوا على ذلك فقادته الضرورة الى ان ضمن لهم

جميع ما التمسوه وازاحه العلل فيه ولم يتسع لذلك ولا لبعضه فاضطر الى مناظرة وزرائه على الاحتيال لهذا السال والنظر في جمعه من أين كان وكيف كان

وكان أبو الفضل العباس أشد جسارة واقداما من أبي الفرج فضمن ذلك لهم واستعان بكاتب الفارسية شيرزاد بن سُرخاب وكان متبكنا من مختيار قريبا منه بسمع كلامه ويتدبر برأيه وضمن له مرفقا على ذلك ومالا بحمله اليه في كل سنة فسمى له شيرزاد في الوزارة ووعد بها وقيل له « اذا ظهرت كفايتك فيما ضمنته من ارضاء الجند وغيره كانت الوزارة مقصورة عليك » فاخذ في مصادرة الخاشية وألزمهم أموالا علم أنهم يفون بها ولا يُجحف بهم وافتتح الخراج واجتهد حتى وفي الديلم ما ضمن لهم وفرة الاتراك في النواحي لتنجز تسبباتهم فتم لهم أيضا ما التمسوه وذلك للجسام الامر وانه كان مبدأ فوجد أموال الخاشية جامة والنواحي في بقايا العمارة ففشي أمره في هذه السنة .

واتصل خبره بابي الفرج محمد بن العباس وهو يومئذ بعمان وكان خرج اليها في حياة^(٣٠٣) معز الدولة وكانت له بها وقائع بين العمانيين حتى استوسموا له فلما عرف وفاة معز الدولة وطمع أبي الفضل في الوزارة وسمى شيرزاد له فيها لم يلبث ان سأم الناحية الى رجل من أهل عمان يعرف بابن نهان وأظهر ان الامر ورد عليه بالافراج عن البلد وتسليمه الى صاحب عند الدولة وأقبل مسرعا الى العراق فلما قرب منها استقبله أصحاب أخيه أبي محمد علي بن العباس الخازن وكتابه وكتبه يشيرون عليه بالمبادرة وتركه التأخر عن الحضرة قبل ان يتم لابن الفضل العباس بن الحسين تقلد الوزارة

فورد وصار الداس حزين وطلب كل واحد منهما عثرات صاحبه وخطب الوزارة لنفسه . ثم تمكن أبو الفضل بمعاونة شيرزاد الى ان تمت له الوزارة (ذكر رأى صواب لبني حمدان رآه ناصر الدولة فخولف)

لما سمع أولاد ناصر الدولة بأضطرار بختيار وسوء سياسته وشغله عن تدبير الملك باللعب والسكر الدائم وشغب جنده وانخراق هيئته هموا باخراج الاموال والانحدار الى بغداد ومقارعه بختيار عن سرير الملك فقال لهم أبوهم ناصر الدولة : لا تعجلوا فان معز الدولة قد خلف لابنه خيرة من المال يسيرة وسيفرّقها على جنده هؤلاء وسيجذب أيضا كتابه وعماله أيضا من نواحيه ومن مصادرات أسبابه ما أمكنهم ولستم بمستظيرين عليه ولا (٣٠٤) متمكنين من دولته الا بعد ان تنفي حياله وتخلو يده فاذا كان ذلك الوقت فانددوا اليه وكأروه بالمال وافسدوا عليه قلوب الرجال فانكم تملكونه لا محالة . وكان الرأي ما قال فان معز الدولة كان أتلف ماله على البناء الذي أحدثه وعلى الاتراك الذين اصطنعهم وكان مقدار ما خلفه أربعمائة ألف دينار فأخرجها بختيار شيئا بعد شيء عند الضرورات وعند اجتداد المطالبات . وكان كتابه يستقرضون منه لهذه المهمات على ان يردوا العوض عنه ثم لا يتمكنون من الوفاء حتى استفرقت الخزقات والنواب جميع ذلك بعد مديدة يسيرة .

واختلفت كلمة بني حمدان فشغلوا عن مشورة أبيهم وكان مبدأ الشر بينهم ان أبا تناب قبض على أبيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء الخلق والتفكير على أولاده وعلى حاشيته فلما قبض عليه أصدده الى قلعه ووكّل به من يخدمه ويزيج علقته في حاجاته . فامتنع بعض اخوته

وانتشر النظام الذي كان يجمعهم فشمهم حفظ ما في أيديهم عن طلب ما ليس لهم . واحتاج أبو تغلب الى مداراة السلطان وتجديد عهد الضمان والتماس الخلع والعهد والعقد ليحتج بذلك على الجند ويستظهر به على اخوته^(٢٠٥) المخالفين والموافقين فانفسد كاتبه أبا الحسن على بن عمرو بن ميمون حتي أخذ له من السلطان ذلك وبذل لبختيار الف الف ومائتي ألف درهم في كل سنة على الرسم وانصرف الى صاحبه بقضاء حاجاته قرير العين بما تم على يده غير مفكر في شيء مما كان بهم به .

وفي هذه السنة تلاحق مشايخ الملوك بالموت وتتابعوا وكان مدخل القران التاسع فملك معز الدولة أحمد بن بويه وقبض أبو تغلب على أبيه ناصر الدولة وملك سيف الدولة^(١) وملك نقفور ملك الروم وملك كافور صاحب مصر^(٢) وملك وشمكير بن زيار وملك الحسن بن الفيرزان وملك

(١) زاد صاحب التكملة : وحكى ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب فرسه ويده رمح ويدين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها فتيان قد دخل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وخدموه . ثم استدعى عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا في الرقعة « الف دينار » على بعض الصيارف فتهجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال والوقت فمالوه عن الرجل فقال : ذلك سيف الدولة بن حمدان . (٢) وزاد فيه أيضا : قال أبو جعفر مسلم بن طاهر العلوي : ما رأيت أكرم من كافور كنت أسأله يوما وهو في سوكن خفيف مؤيد منزعها ويدين يديه غلمانا وعدة جنائب بمراكب ذهب ومراكب فضة وخلفه بهال الاوكب والفرس كما تكون الملوك فمقطت مفرغته من يده ولم ترها ركابته فنزلت من دابتي وأخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال : يا أبا جعفر أعوذ بالله من بلوغ الغاية ما ظننت ان الزمان يبلغني الى ان تقبل هذا . ثم ودعني فلما مرت اثنت

أبو علي محمد بن الياس وجماعة أمثالهم وبقي ركن الدولة من بينهم وعُمير إلى أن استوفى أجله^(١).

﴿ ودخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ﴾

ذكر ما دبر كل واحد من الكاتين في خطبة الوزارة

وسمي كل واحد منهما على صاحبه

قد ذكرنا ما كان من أبي الفضل العباس بن الحسين من تمشيته للأمور في السنة التي مد يده فيها إلى الحاشية وما وجدته في النواحي وما تأول به على العمال حتى أَرْضَى الجند . فاستطال على بِخْتِيار وانطلق لسانه وزعم أنه قد أظهر الكفاية التي وعده بها وذكر أن دخل المملكة يعجز عن خرجها وأنه إن قلد الوزارة جبر هذا المعجز وقام بالامر كما قام به^(٢٠٦) في تلك السنة وضمن لشيرزاد إذا تم له الوزارة مالا . وشخص إلى الكوفة لتقرير أمور المقطمين بسقي الفرات فاجتهد له شيرزاد في الوزارة حتى أنهم له وبلغ أبا الفرج ذلك فشمر عن ساقه في فسخ نية بِخْتِيار وزعم أن الذي ذكره أبو الفضل^(٢) من عجز الدخل عن المخرج لاحقيقة له وأن الأموال التي استخرجها ومشى بها الأمور إنما كانت من مصادرات الناس ومن بهايا في النواحي وأنه لم

فإذا خافي البغال كلها والجانب قلت : ما هذا ؟ فقالوا : أمر الاستاذ أن يحمل هذا البك فاصخته داري . وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر ألف دينار (١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان هذه السنة خلع على القاضي أبي محمد ابن معروف ، وولى القضاء بالجانب الغربي وخالع على ابن سيّار وقيل القضاء بالجانب الشرقي . وقد أيضا في ترجمة سنة ٣٥٩ : وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي أبو بكر ابن سيّار عن القضاء في حرم دار الخلافة وتولاه أبو محمد ابن معروف . وفي رجب سنة ٣٦٠ قلد ابن معروف قضاء القضاء . وكان وفاة ابن سيّار سنة ٣٦٨ (٢) في الاصل أبا الفرج

يؤثر أثرا ولافتح فتحا ولا أستحق من الراتب ما لا يستحق مثله واتصل
ذلك بأبي الفضل فوافى من السكوفة ركضا وجرت بينهما مناظرات استقرت
على أن يعمل كل واحد منهما عملا لاصول الارتفاعات وما ينضاف اليها
وعملا لاصول النفقات الراتبية وما ينضاف اليها من الحوادث لتعرف الصورة
فيما اختلفا فيه ولازما الديوان مع كتابهما حتى ارتفعت هذه الاعمال .
فاما أبو الفرج محمد بن العباس فانه أورد في عمله اصول العقود على غيرها
وأبوابا ينكسر بعضها ثم خفف النفقات الحادثة وحذف الاستظهار لها حتى لم
يظهر العجز وقام الدخل بالخرج . وأما أبو الفضل فانه وضع من الاصول ما
نسبه الى المنكسر وما ينظر به للضمنا واعتد بالزاجى دون التاوى^(٢٠٧)
واستظهر في تقدير النفقات الحادثة وزاد في مبالغه حتى أوجب في عمله عجزا
في الدخل عن الخرج . ثم حكى في عمله انه يقيم وجوها لهذا العجز وانه
ان بقيت منه بقية نقلا في كل سنة الى التى تليها على الرسم الجارى في ذلك .
وتقابلا على حسابهما وتناظرا على الخلاف بينهما ووقف الكلام بين المتوسطين
وفيهما شيرزاد على ابطال الوزارة والتراضى بالاشتراك في الكتابة . ثم جد
شيرزاد سرا في أوقات خلواته بختيار فى السعى لآبى الفضل وبذل عنه لختيار
مالا على سبيل الهدية وأعلمه أن فيه اقدا ما وبسالة يحتاج اليهما فى الوقت
وانه ذو مال ويسار يزيد على مال أبى الفرج اضما فا وانه ذو حيلة وتأول
وبطش وأبوالفرج صاحب تقشف وتوقف وتعتقد وأن الامر بمثله لا يمشى
فلم يزل بهذا واشباهه حتى أمضى بختيار العزيمة

وقلد أبا الفضل الوزارة وخلع عليه القباء والسيف والمنطقة المحلين بالذهب
وحمله على فرس بمركب ذهب وأقطعه اقطعا بخمسين الف دينار على رسم

الوزراء وضم اليه عددا كثيرا من الديلم على رسوم الوزراء . فصار اليه أبو الفرج مسلما وأظهر الامتناع من العمل وكرهه^(٣٠٨) أبو الفضل ذلك لانه أحب أن يجري على رسمه في تقلد الديوان ليشمله عن تقبمه والطمع عليه وأيضا ليراه بعين من يمدو ويروح اليه وينحط عن رتبة المساواة التي كان فيها الى رتبة الاتباع . وكره أبو الفرج جميع ذلك فخطب فيه وأعلم أنه (ان) لم يصبر على هذه الحال والقناعة بها انقطعت العلائق بينه وبين صاحبه بختيار وانصب للديوان غيره ثم يكون مطرحا بعرض النكبة وربما تأدى الامر الى أكثر من ذلك من تسلط أعدائه عليه وانبساط أيديهم فيه وفي أعزته فاستجاب الى عمل الديوان واستوقف بتقليده اياه وخلع عليه الدراعة على رسم الكتابة . وكان مما وفره أبو الفضل في وزارته أقطاعات استرجعها من قوم مثل أبي الفتح أخى عمران بن شاهين ومثل أبي عبد الله الايسر المعروف بالجب ثم تجرد للاهواز ومحاسبة آذرويه وكتابه

واتفق في وزارته ان أظهر الحبشى بن معز الدولة عصيان أخيه وطمع في البصرة والتفرد بها

{ ذكر السبب في عصيان الحبشى وتمكن أبي الفضل منه }

(وحصول أمواله و ذخائره وأسبابه له)

لما توفي معز الدولة احتوي على الحبشى ابنه بالبصرة جماعة من حاشيته وجند البلد وأطعموه في البصرة وأقاموا في نفسه أن المال الذى يرتفع من البصرة ينصرف معظمه الى الجيش^(٣٠٩) المقيمين بها وباقيه مصروف الى تفقائه وايسر يبقى بعد ذلك الا ما لا يستكثر أن يجعل حظه من ميراث أبيه وينفى عنه . ثم أوهموه مع ذلك ان أخاه بختيارا لا يتمكن من الوصول

اليه مع حصاتها لوهم بذلك فابتدأ يستبد بالاموال والامور ويستولى على
العمال ويتعسفهم . وكان مغيظا على عامل البصرة الحسين بن الحسن المسكنى أبا
طاهر فعمل على القبض عليه والتشفي منه وازالة الحشمة فيه ونفى الخبر الى
العامل فهرب الى الحضره . وكتب الحبشي في أثره الى بختيار يذمه ويظعن
عليه وينسبه الى الخرق والجهل وانه لم يخف شيئا أنكره ولكن قصد التشنيع
وذكر في الكتاب أنه قد تقدم بحفظ الاعمال والاموال الى أن يعود فيجري
على رسمه في التدبير لها . ثم سأل في هذا الكتاب أن تسلم اليه المدينة ويخلى
بينه وبين تديره وأن يوافق على ارتقاعه ويحتسب له بنفقته التي تخصه
وباموال الجند المقيمين بحضرته وان بقيت بقية سبب عليه ليزيح العلة فيها
فاجابه بختيار بالتصديق لقوله ووعدده أن يعمل بمحبته . ثم زاد تبسط الحبشي
حتى كان يشرق الامر ويظهر الخلاف وكتب اليه بختيار بالتأنيس والاستمالة
والمعاطبة اللطيفة^(٣١٠) وأعلمه أن وزيره العباس بن الحسين شاخص الى الاهواز
وانه سيراسله منها ويبلغ محابه في الامور التي التمسها . وندب وزيره العباس
للشخص وأمره بالحيلة عليه حتى ينزع البصرة من يده اما مكرآ وخديعة
واما حربا ومكاشفة فاستخاف أبا العلاء صاعد بن ثابت النهراني بالحضره
وانحدر وأخذ معه أبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان وأبا سهل
ديزويه العارض وجرد معه عسكريا وأزاح علة في السلاح والجن والآلات
مرآ . فلما وصل الى واسط أقام بها شهرا ونظر في أمورها ومصالح أعمالها
ومظالم أهلها وأظهر أنه راحل الى الاهواز وكتب الى ليلى بن موسى
فياذه وكان بالاهواز يأمره بالاستعداد لقصد البصرة والمسير الى بيان وقدم
جديدياته وسفنه على أن فيها أثقاله وكانت مملوءة بالسلاح وأمر أصحابه

المنحدرين فيها بأن يتجاوزوا الابلّة ولا يدخلوها ويقصدوا بيسان ويظهروا أنهم يحملون ما معهم الى الاهواز على طريق حصن مهدي وحدر الطيارات والزابزب تفاريق . وكتب الى أحمد بن محمد المعروف بالطويل بأن يصير الى بيان وكان يتقلد حصن مهدي وأن يحفظ هذه الآلات واطلمه على التدبير . وكتب الى الحبشي بن معز الدولة ^(٣١١) من واسط بأنه يفعل كل ما يؤثره ويهواه ويتعهد عليه بأن مصيره عاجلا الى الاهواز ليستدعي كاتبه اليها ويوافقته على ارتفاع البصرة ويسلمها اليه وأوماً في آخر الكتاب الى التماس صلح ^(١) منه على ذلك ويقول في جملة تعريضاته « أنه قد التزم عن الوزارة غرما ثقيلا » ويستلّه معونة بما يحمله اليه فسكن الحبشي الى قوله ووعدته وحمل اليه عاجلا مائتي الف درهم ولم يشك أنه قد اشترى بها منه البصرة فلما وصلت اليه ألقاها الى بختيار . ورحل كانه يريد الاهواز الى الخويزة ونهر العباس ثم عدل عنها الى نهر البصرة وكان للحبشي رسل قد ألقاهم باطيار ايكاتبوه بخبره فأرسلت الاطيار اليه بخبره فثار الحبشي وهاج ولم يملك نفسه وأظهر المنابذة والخلاف . واستوحش من كان بالبصرة مقبلا من الغلمان الا تراك في تسبيبتهم فهربوا الى بيان فصادفوا بها عسكريا قويا مع ايلي بن موسى فياذه وأحمد الطويل فانضموا اليهما وكانت قد حصلت الزبابزب عندهم والملاحوز والجن والالآت والسلاح . وأخرج الحبشي عسكريه الى الابلّة ورتب غلمانه وأثبت من عشائر العرب قوما رتبهم على أفواه الانهار وقلد حاجبها تركيا يقال له بكتيجور ^(٣١٢) رياسة عسكري الماء وجعل اسنفهسلار الديلم في عسكر الظهر صملوك بن باطاهر ^(٢) أحد وجوه قواد

(١) يعني مرفق كذا في التكملة وفي النسخة التي في إكسفر د (٢) كذا في الأصل

البصريين . فلما ورد الوزير أبو الفضل عسكر أبي جعفر وجه الى ليلى بن موسى فياذه والى أحمد الطويل ومن معهما يأمرهم ان يشحنوا تلك الزبازب والطيارات بالرجال والسلاح ويصعد اليه على تمبية من جانب دجلة الشرقى المعروف بالفرات ولا يعبروا في طريقهم الى الابله ولا يقاتلوا أصحاب الحبشى ولا يهيجوهم الى أن يصلوا اليه فيضيف اليهم من معه من الخواص والغلمان وقد كانوا مستقلين بنفوسهم ومن حصل عندهم من الاثر الكاذب هربوا اليهم من البصرة وأقام ليلته ينتظرهم وتمذرت الميرة عليه وانقطعت المادة عن عسكره وتخير في أمره حتى لو تأخر الفتح يوما لما أمكنه المقام ولاحتاج الى الرحيل فتكون هزيمة عليه . فلما كان الفد أصعد ليلى بن موسى والجماعة على أهبة وتعبية وعملوا على امثال الامر وترك التعرض لمن في طريقهم من أصحاب الحبشى فلما جازوا الابله خرج أولئك نحوهم وبدأوهم بالحرب فعدل حينئذ ليلى بن موسى ومن معهم اليهم وواقعوهم وغرقوا عدة من زبازبهم واستأمنت عدة أخرى وهرب بكتيجور صاحب الحبشى ناجيا^(٣١٣) بحشاشته واشتملوا على بقية عسكر الماء . ثم طعموا في الظاهر فتقدموا الى الديلم هناك وقتلواهم ساعة ثم تهباً لطائفة انصعدوا الى شاطئ الابله وصاروا في ظهورهم فاضطربوا وانهزموا وقتل منهم نفر وانهزم قوم واستأمن آخرون وملك الابله .

وأنفذ ليلى غلاما له في بعض الزبازب الى الوزير أبي الفضل مبشرا بالفتح فالتمس السفن والزبازب وعبر الى قرية فوق الابله وعسكر بها وكتب الى الحبشى يشير عليه بالخروج الى الاهواز فالتمس منه الامان والتوثيق فأمنه على النفس والولد والحرم وتوقف عن ذكر المال والحال فتنبه الخياشي

على ذلك وترددت فيه الرسل فلم يسكن ولم يخرج . فبعي الوزير أبو الفضل
عسكره وزبازبه وزحف الى البصرة وملك منها الموضع المعروف بالسيالجة^(١)
ولم يزل ينقل اليه رسولا بعد رسول من شجعان الاتراك والديلم وبأمرهم
أن يقيموا عنده ويتوكلوا به ولا ينصرفوا بالجواب الى أن أحاط به منهم
بضعة عشر رجلا بالسلاح ثم ألقوا بأسلحتهم ديزويه المارض في طائفة وافرة
من العسكر فدخلوا اليه وأخرجوه اخراجا بين الجميل والقيح وحمل معه
أهله وولده وما خف من ماله وجواهر كانت له فلم يوصله الوزير^(٢) اليه
وامر بأن يسلم الى أحمد الطويل ليصير به الى حصن مهدي ففعل ذلك وأقام
هناك . متقلا أياما ثم حمل الى الاهواز وبقي مدة أخرى ثم الى رامهرمز
واعقل بها اعتقلا جميلا ثم أزيل التوكيل عنه وحمل الى عمه ركن الدولة
بمحدث يطول ولا فائدة في ذكره ثم حصل عند عضد الدولة فأقطعه اقطاعا
يسعه ومن معه وأمره أن يحصل بسابور وهي كورة من كور فارس نزهة
كثيرة العيون والاشجار والصيد فأقام بها الى أن توفي في آخر سنة ٣٦٩

وملك الوزير أبو الفضل البصرة عنوة وألقا اليه بختيار خلعا جليلا
فلبسها وركب فيها ونصبت له القباب فانبسطت يده وقوى سلطانه وصادر
أصحاب الحبشي وكتابه وحاشيته ومعاويه وارتجع منه ما كان حمله معه من المال
والجواهر واستخرج من الاموال شيئا كثيرا وظفر بخزائنه كلها فكان في
جماتها خزانة كتبه وفيها خمسة عشر الف مجلد سوى الاجزاء والمشرس^(٣) غير

(١) في نسخة ا كسفر « بالساجية » (٢) كذا في الاصل وعند ابن الاثير .

وفي القاموس المهرس قال صاحب تاج العروس يقال مصحف مشرذ ومهرس المشرذ
المشرد بعضه الى بعض المضموم طرفاه فان لم يضم طرفاه فهو مهرس إسبنين

المجلد ووجد له من خزائن الاسلحة والفرش والثياب الفاخرة والآلات شيئا يستكثر لمثله فحمل ذلك كله الى بختيار وقتل بختيار ابنه المرزبان البصرة وسنة ثمان سنين^(٣١٥) واستكتب له أبا الفناهم المفضل بن أبي محمد المهدي وهو خال ولد الوزير أبي الفضل .

وفي هذه السنة ظهرت دعوة بين الخاص والعام يدعى فيها الى محمد بن عبدالله القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انه الرجل الذي ورد بذكره الخبر وانه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجهاد أعداء المسلمين ويجدد ما عفا من رسوم الدين فطلعت اليه نفوس العامة وجعل دعائه يأخذون البيعة على الرجل بعد الرجل فمن كان من أهل السنة قيل له انه عباسي ومن كان من أهل التشيع قيل له انه علوي وكتبت عنه رسالة على عدة نسخ وطرحت في المساجد والمحافل يدعو فيها الى مثل ما حكيناه عنه فحصلت نسخة منها عند الوزير أبي الفضل في أول وزارته فتقدم باذكاء العيون على الطائفة الخائضة في هذا الباب والقبض على من يوجد منها ثم انحدروا قبل ان يظفر بأحد منهم وتقدم الى خليفته أبي العلاء صاعد بن ثابت بالجند في طلبهم . فلما نظر في ذلك وجد جماعة من وجوه الكتاب وأماثل الناس قد دخلوا في هذا الامر وبايعوا الدعوة اليه وكذلك وجدوا خلقا كثيرا من الديلم والأتراك والعرب^(٣١٦) قد بايعوه وكان فيهم سبكتكين المعجمي أحد اكبر القواد قواد معز الدولة ممن قاد الجيوش وتقلد الاعمال وكان شجاعا مطاعا جوادا نازلا عند الأتراك بمنزلة من لا يخالف في الرضاء والسخط وكان يتشيع وقيل له ان الرجل علوي وانه يقدك أمرة الامراء فاستجاب واستفحل أمر القوم

(ذكر السبب في اضمحلال أمره حتى ظفر به وبأسبابه)
(ودعائه وجميع من دخل معه في بيعته)

كان هذا الرجل محمد بن المستكني طراً الى مصر فتقبله كافور الاخشيدي الخادم واحسن اليه واجري عليه رزقا سنيا فكاتب جماعة من أصحابه بالدعاء اليه بخرى أمره كما حكيناه ^(١) فلما كثر المستجيبون له وهم لا يعرفونه وتقوا بإمكان سبكتكين العجمي كاتبوه بالحضور وكتب اليه سبكتكين : اني أقوم لك بالامر . فورد هيت وهو لا يشك ان الامر مستقر له ومستتب على ارادته . وخرج سبكتكين العجمي وكان يتقلد حماية طريق الفرات الى الانبار وأظهر للسلطان انه ينظر في مصالح عمله فتلقاء وترجل له وأكرمه ثم أدخله البلد مستترا وانتد الى فرشا فاخرا وثيابا نفيسة وطعاما كثيرا وشرايا . وعمل على ايقاع حريق وقتنة في ليلة النيزوز المعتضدي لتشاغل الناس بذلك ويهجم على بختيار ويوقع ^(٢١٧) به وواطاه على ذلك خاق من الجند فظهر له قبل النيزوز انه عباسي وليس بعلموي فتغيرت نيته وتصوره بصورة المحتال وواجه بمض أولئك الدعاة بذلك وأعلمه انه كذاب مموه وتماقل عن نصرته وأظهر الندم . وخاف محمد بن المستكني أن يقبض عليه وأحس أصحابه ودعائه بذلك فاستوحشوا وتفرقوا فبعضهم هرب الى ناحية السواد وبعضهم أمعن في الهرب وعرف السلطان خبرهم فكاتب العمال بالتيقظ

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : فلاذ به جماعة وأطعموه في الامر فقالوا : ان رسول الله صلعم قال « المهدي من يمدى يواعي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي » وان أنت قدمت بغداد بآييك الديلم . ومن بايعوه أبوا الفاسم اسمعيل بن محمد المعروف بزنجي وترتب له وزيراً .

في طالبهم واذكاء العيون عليهم فظفر ببعضهم فامر بتقريره بالسوط فاقر على جماعة أخذوا ولم يزل التتبع يقع حتى حصل محمد بن المستكنى وأخوه فاوصله بختيار اليه واستشرحه الامر فشرحه بعد أن آمنه على نفسه . فالتمس المطيع لله من بختيار أن يسلمه اليه مع أخيه فأبي عليه ودافع عنه وقال : قد آمنه . فبذل المطيع لله لهما الايمان على النفس فلما حصل الجميع في يده تقدم بجذع أنف محمد بن المستكنى وقطع أنف أخيه وحبسهما مدة ثم هربا وبخفي خبرهما ووقع الاستتصاء على كل من دخل في بيته فصوروا وأدبوا ضروب التأديب^(١) ولم يقع الاقدام على سبكتكين المعجمي ولا على أحد من وجوه الجملة وانما خوطب سبكتكين خطابا خفيفا فجنح في الجواب الى الانكار وأغضى عنه وعن الجند^(٣١٨)

وفي هذه السنة صفت كرمان لمضد الدولة وملكها وفتح قلعة بردسير وهي خزانة أبي علي ابن الياس التي جمع فيها ذخائره على مر السنين من الاموال والجواهر والامثلة الفاخرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان أبو علي ابن الياس لما عاود كرمان بعد ابراهيم بن كاسك جرى مجرى بعض المتصليكين وآمن ناحية عماد الدولة على بن بويه لما ذكرناه فيما تقدم فشارك الاصوص وصعاليك الققص والبلوص فحصل عنده على طول السنين

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : ثم جدد أنفه وقنع شفته العليا وشحمة أذنيه وسجن بدار الخلافة وكان معه أخوه على وأنها هربا من الدار في يوم عيد واختاطا بالناس ومضيا الى ما وراء النهر وروى بهراة شيئا عن المتنبي من شعره وله شعر وادب ومات بخراسان خاملا بعد .

من جهتهم مال عظيم في القلعة التي وصفناها . ولما مات علي بن بويه عماد الدولة وترعرع عضد الدولة فناخسره كان في نفسه من هذه القلعة مالا يظهره فلما استوحش اليسع بن محمد بن الياس من أبيه صار الى عضد الدولة وأقام عنده حتى أصالح له نية أبيه وعاد اليه فوعده بولاية المهدي ورياسة المسكر . ولما كان في هذه السنة وقع القفص على قافلة عظيمة وغنموا أموالا عظيمة للتجار فخرج اليهم محمد بن الياس يطلب نصيبه من غنيمتهم فأصابه في الطريق علة الفالج وردّ الى منزله واستمرت به العلة فجمع أكابر أولاده وهم ثلاثة اليسع وسليمان والياس فخاطبهم بما ظن انه يجمع كلمتهم واعتذر^(٣١٩) الى اليسع من النبوة التي سبقت منه حتى فارقه ثم جمع اليه تدير عسكره وولاية عهده ومن بعده الياس فاما سليمان فانه أشار عليه بان يرجع الى بلده وهو الصغد وأظهر له تذكرة فيها ثبت دفائنه وودائمه هناك وأراد بذلك إبعاده عن اليسع لعداوة كانت بينهم فأظهرت الجماعة قبول أمره والانهاء الى رأيه . وشخص سليمان نحو الصغد بما قسمه له فلما صار بظاهر المدينة عدل عن ذلك السمت وقصد القفص وطلب منهم ذلك القسم الذي كان أبوه شخص اتساعها فتم له الوصول اليه وأخذ منهم مالا جليلا واستضم الى نفسه جماعة منهم ليقوى بهم ثم عاد الى السيرجان وكان يتولاها من جهة أبيه . فلما بلغ أباه ما صنع غضب من مخالفته إياه واعتاظ منه فامر اليسع بطلبه وقواه بالرجال وقد كان المسكر مطيعين له وأمره أن يضطره الى الخروج الى الصغد أو معاودة حضرته ليقبض عليه ووصاه ان يخرج نحو الصغد أن يخلى له الطريق ولا يتبعه . فخرج اليسع الى السيرجان وتحصن سليمان منه واقتلا أياما ثم استظهر اليسع فحمل سليمان جميع ما كان حصل له وخرج من باب من أبواب المدينة فاصدا

(٣٢٠) خراسان فتركه اليسع امتثالاً لأمر أبيه وعاقب جماعة من أهلها الذين كانوا عاونوا سليمان عليه ثم صفح عنهم

﴿ ذكر اضطراب أمر اليسع مع أبيه حتى استبدل به وما آل ﴾
(إليه امره حتى أخرج أباه إلى خراسان مكرها)

كان في جملة محمد بن الياس رجل يعرف بعبد الله بن مهدي ويلقب ببسويه شديد الغلبة عليه والتمكن منه وبينه وبين اليسع وحشة متأكدة. نخافه على نفسه فاجتمع مع اسراييل المتطبب وكان أيضا مكينا عنده ومهندس. فكان معه يقال له الرزبان على إفساد نية أبي علي ابن الياس على ابنه اليسع وشككوه فيه وحركوا ما كان في نفسه قديما منه وأشاروا عليه بأن ينقض ما عقده له من تدبير جيشه ويجعله لحاجب من حجابيه يقال له ترمش ليكون الأمر غير خارج عن يده ما دام حيا وليكن غلامه صاحب جيشه فيتصرف معهم على رأيه فقبل منهم هذا الرأي وكتب إلى اليسع بأن ينكفي إليه واستدعاه إلى القلعة وكان لا يصعداها الا وحده دون كل أحد على رسم القلاع. فلما حصل عنده وليس فيها الا هو وهؤلاء الثلاثة ونفر من ثقات أصحابه وجماعة حرمة وجواريه قبض عليه وقيده وفوض أمر الجيش إلى ترمش الحاحب فلم يجتمعوا عليه ولا رضوا به. فمشت والدته (٣٢١) اليسع إلى والدته الياس وقالت لها : ان صاحبنا كان عمدا لولدينا عقدا هو الصواب لكنه قد اختل عقله وعزب رأيه بهذه العلة وغلب عليه هؤلاء الثلاثة وتم لهم على ابني ما سيتم مثله على ابنك وحينئذ نخرج هذه المملكة عن آل الياس وتنقل اليهم والي من نصبوه (يعني ترمش الحاحب) والصواب أن تساعدني على

تخليص ولدى ليكون الامر جاريا مجراه الاول فساعدتها وقبلت رأيها .
 وكان ابن الياس ربما أغمى عليه في علته فاتفقت المرأتان على أن جمعتا
 الجوارى وكان عددهن كثيراً وقصدن عبد الله بن مهدي بسوية ليوقعن به
 فاتفق له أن أفلت وهرب واستنقذن اليسع وعالجن قيده فلم يكملن لكسره
 وخشين فوت الامر فاتخذت له أمه حبلاً متينة من ثياب ديباج حتى تدلي
 من القلعة الي الارض لانها لم تتمكن من اخراجه من باب القلعة فلما حصل
 في الارض رآه بعض الجند فكسروا قيده وأعطاه دابته فركب وتوسط العسكر
 فاستبشروا به وعادوا الى طاعته وخدمته . وهرب ترمش الحاجب وجمع
 اليسع الجيش ليسير بهم الي تحت القلعة ويحاصرها ويتغلب عليها وكان الشيخ
 في جميع ذلك ^(٣٢٢) مغنى عليه لا يعقل شيئاً مما جرى فلما أفاق بن غمرته
 وعرف الصورة راسل اليسع واطلع عليه وسأله أن يكف عنه ويؤمنه على
 نفسه وحرمة ومن معه حتي يسلم اليه القلعة مع جميع أعمال كرمان ويرحل
 الي خراسان ويكون عوناً له هناك متى احتاج اليه . فأجابته ابنه الي ذلك ومكنه
 من جميع ما أراد فاحتمل مائة وقر من المال والثياب والجوهر وفاخر المتاع
 واستصحب ثلاثمائة غلام من غلمانه وما احتاج اليه من الآلات والكرام
 وشعث القلعة وأحرق بقية ما كان فيه من الآلات والكسوة ورحل فلم
 يؤاخذه اليسع بما فعل بل احتمله ووفي له بالامان الذي بذله له وتركه حتى نفذ
 الي مقصده . وتسلم اليسع القلعة وظفر بأولئك نفر الثلاثة وسامهم الي كاتبه
 ومدبر أمره أبي نصر محمد بن اسمعيل البمي وأمره بمطالبتهم فاستخرج
 منهم مالا عظيماً . وتلف اسرائيل الطيب ثم وجهه للمعروف يسويه كتاباً
 كتبه الي خراسان فيه الاغراء به والذم له وكان قد غفا عنه فأعاده الي العقوبة

حتى هلك فيها

وابتداً فناخسره عضد الدولة في نخيب رجال ابن الياس فاستأمن اليه أكثر الديلم والأتراك وكان حينئذ أبو علي ابن الياس بخراسان يطمع صاحبها في مملكة^(٢٢٢) الديلم فكان من عاقبته ما شرحناه من موت وشمكير وغير ذلك . وتفرغ عضد الدولة لقصد كرمان ودس الي كل من له رأي أو نجدة من خبيته وأصلح قلبه له ثم توجه اليها فافتتحها ودخلها في شهر رمضان سنة ٣٥٧ واستولى على جميع أعمالها وملك قلعة بردسير وهي عظيمة فيها عدة قلاع متصلة بعضها ببعض وانهمزم اليهم الي خراسان وصادف وصول اليهم الي خراسان موت والده فاحتوى صاحب خراسان على ما سلم معه من بقية ماله وكراعه . ولما تم عضد الدولة فتح كرمان واتصل خبره بصاحب سجستان كاتبه وترددت بينهما الرسل حتى صالحه وخطب له وهو أبو أحمد خلف بن أبي جعفر المعروف بابن بانويه . وأتقذ الي عضد الدولة من الحضرة ببغداد عهد الخليفة وخيامه من الطوق والسوارين والمقد على أعمال كرمان كلها ففقد عضد الدولة هذه الاعمال أكبر أولاده أبا الفوارس شيرزيل واستخاف له عليها كوركير بن جستان وكان وجه قوادء كره وانصرف الي شيراز^(١)

(١) وزاد في ترجمة هذه السنة صاحب تاريخ الاسلام : وفي ذى القعدة أقبل عظيم الروم نفور بجيوش الي الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية فلم يلبثوا اليه فهددهم وقال : ارحل وأخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل . ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين فأخذها وغدر بهم وأسروا منهم أربعة آلاف ومائتي نسمة ثم نزل على معرة النعمان فأحرق جامعها وكان الناس قد هربوا في كل وجه الي الحصون والبراري والحيال المنيعه ثم سار الي كفر طاب وعسيزر ثم الي حماة وحاص فخرج من يقي بها

﴿ ودخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ^(٣٢٤) ﴾

وفيها استأمن حمدان بن ناصر الدولة الى بختيار ودخل الى مدينة السلام

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ناصر الدولة قلد حمدان ابنه الرحبة وسوغه ارتفاعها وكان أبو

فأمنهم ودخلها فصلى في البيعة وأخذ من رأس يحيى بن زكريا وأحرق الجامع ثم سار الى عرقة فافتتحها ثم سار الى طرابلس فاخذ ريفها وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع فارضاه أهل انطاكية بمال عظيم . وقال أيضا : ووصل ملك الروم لعنه الله الى حمص وملاها بالامان وخافهم صاحب حلب أبو المعالي ابن سيف الدولة فناخر عن حلب الى بلس وأقام بها الامير قرعويه ثم ذهب أبو المعالي الى ميفارقين لما تفرق عنه جنده وصاروا الى ابن عمه صاحب الموصل أبي تغلب فبالغ في اكرامهم ثم رد أبو المعالي الى حلب فلم يمكن من دخولها واستضعفوه وتشاغل بحب جارية فرد الى مروج فلم يفتحوها له ثم الى حران فلم يفتحوها له أيضا واستنصر بابن عمه أبي تغلب فكتب اليه بمرض عليه المقام بنصيبين ثم صار الى ميفارقين في ثلثمائة فارس . قتل ما يده ووافت الروم الى ناحية ميفارقين وارزن يميثون ويقتلون وأقاموا يلد الاسلام خمسة عشر يوما ورجعوا بما لا يحصى .

وكان الحج في هذا العام ضعيفا الى الغاية لما لحقهم من العطش والقتل مات من حجاج خراسان فوق الخمسة آلاف وقيل بل ثلاثة آلاف بالعطش فلما حصلوا بمكة خرج عليهم الطالحيون والبكربون فوضعوا في الحجيج السيف وأخذوا الركب بما حوى ولم يخرج من مصر ولا الشام أحد . وكان حجاج المغرب خائفا فرجع . ثم خلق من التجار فأخذوا فيقال انه أخذ لتجار فيها متاع بنحو مائتي الف دينار قانا لله وانا اليه راجعون .

وفي آخر العام جاءت الفرامطة من البرية وتوئبوا على دمشق فملكوها وساروا الى الرملة فالتفاهم الحسن بن عبيد الله الاخشيدى فهزمهم ثم قاتلوا أهل الرملة أشد قتال واستباحها بعد يومين ثم ان أهلها دافعوا عن نفوسهم بمائة الف وعشرين الف دينار وسبوا من أعمال الرملة عشرة آلاف نسمة وعزموا على قصد مصر لملكوها فجاء العبيديون فاخذوها وقامت دولة الرض في الاقاليم المغرب ومصر والعراق وغير ذلك

تغلب وأخوه أبو البركات وأختهما المسماة جميلة بني زوجته فاطمة بنت أحمد
الكردي وكانت مالكة أمر أبيهم فاستولي أبو تغلب على مالها وأموال
ناصر الدولة وقلاعها وكانت هي مدبرة جميع ذلك وتطابقت الجماعة على
الشيخ وغلّبوه على جميع ذلك ولم يكن له بهم طاقة لتناهيه في الكبر
والضعف فابتدأ يدبر القبض عليهم وكاتب ابنه حمدان ليستظهر به ويعتمده
فيما هم به فظفروا بكتابه هذا ولم ينفذوه وزاد ما بينهم شروقا وانفراجا حتى
خافوه ودخل معهم في الخوف كاتبه وأكابر غلمانه الذين تابعوا أبا تغلب
فاجتمعوا وقبضوا عليه ليلا وحملوه الى القلعة . واتصل ذلك بحمدان فامتعض
لابيه وكان عدواً مبايناً لآخوته هؤلاء . وهو أشجع أولاد ناصر الدولة
وأفرسهم وكان قد سار عند وفاة عمه سيف الدولة من الرحبة الى الرقة فملكها
ثم سار من الرقة الى نصيبين . واستفز على أبي تغلب من أطاعه ^(٣٢٥) من
أهله وأخوته وجندهم وطالبهم بالافراج عن أبيه وردّه الى منزله وأمره
فتوجه اليه أبو تغلب فانهزم حمدان من بين يديه قبل اللقاء وتمحصن بالرقة
ومنها في الرافقة ونازله أبو تغلب عليها طويلا ثم اصطالحا على ذحل وعاد كل
واحد منهما الى موضعه

وعاش ناصر الدولة شهورا ومات في سنة ٥٨ واستعمل أبو تغلب وعماله
كل قبيح مع حمدان في ضياعه وأملأه وطرد عنها وكلاؤه ^(١) وانخرقت

(١) زاد صاحب التكملة : وكتب اليه حمدان يحائف بطلاق ابنة سعيد بن حمدان
وبكل يمين انه ان أحوجه اليه استعان عليه بالديلم فان اتصف والا استعان بالقرامطة
فان بلغ غرضا والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من أبي تغلب ان قبض ضياعه
وطرد وكلاؤه وأتخذ أخاه الخ

الحشمة بينهما فانفذ اليه أخاه أبا البركات في جيش كثيف فلما قرب منه استأمن اليه معظم أصحاب حمدان فخرج عن البلد منهزما واحتمل حرمه وعياله وعلماؤه ومن تبعه وورد هيت مستأمنا الى بختيار وكتب اليه يستأذنه في الدخول فاجابه بالاذن والقبول وخرج فلقاه ومعه سبكتكين الحاجب وجماعة جيشه وأنزله في دار حسناء^(١) وفرشها فرشاً فاخراً وحمل اليه هدايا من مال وافر وثياب فاخرة وطيب وفرش وبغال ودواب بمراكب ذهب وفضة وتكفل بالتوسط بينه وبين أخيه أبي تغلب وأنفذ اليه أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين برسالة في الصلح فتم بينهما وحلف لكل واحد صاحبه وشخص حمدان الى الرحبة^(٢٢٦) وحمل اليه ببختيار هدية مثل الاولى وزيادة مع جمال وآلات السفر فرحل وشيعة ببختيار مع جيشه^(٢) ثم عاد

(١) وفي التكملة : وأنزله في دار ابن رزق الكاتب النمراني وحمل اليه مائة وخمسين ألف درهم وثلاثمائة ثوب أصنافاً من ديباج وعتابي وديقي .

(٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٥٧ : وفيها مات ناصر الدولة وقتل أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وكان قد طعم في تلك الشام وجاء اليه خلق من غلمان سيف الدولة وأطمعوه فصادر أهل حمص وغيرهم وقتل قاضيهما أبا عمار وأخذ من داره ستمائة ألف درهم . فلما أحس بان أبا المعالي ابن سيف الدولة يقصده صار ينزل على بني كلابر وخلع عليهم واعطاهم الاموال ونفذ حرمه معهم الى البرية ثم سار أبو المعالي وقرغويه الحاجب الى سلمية فاستأمن الى أبي المعالي جماعة من بني عقيل وتأخر أبو فراس وقال : قد أخليت لهم البلد . ثم سار الى قرغويه وأحاط به فقاتل أشد قتال وما زال يقاتل وهم يتبعونه الى ناحية جبل سمير فتعنتر به فرسه بعد المعركة فقتلوه وله شعر رائق .

ومات الخادم كافور صاحب مصر ورد أمرها الى الملك أبي الفوارس أحمد بن علي ابن طنج الاخشيدى فوقع الخلاف بين الكافورية وبينه وتجاربوا ونظم البلاه نقل بينهم خاق ثم هزمت الاخشيدية الكافورية وطردهم عن مصر فصاروا الى الرملة وفيهم ابن

مستأمننا دفعة ثانية على ما سذكروه

وفي هذه السنة ورد الخبر بدخول جوهر صاحب أبي تميم العلوي صاحب المغرب مصر فاشتمل عليها وتقطع جيش كافور وجماعة الاخشيدية وتمزقوا

﴿ وفيها نفي شيرزاد بن سرخاب كاتب الفارسية عن مدينة السلام ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان شيرزاد مستوليا على بختيار كما حكيناه وأسرف في التخيير وحلف بختيار على ان لا ينفذ عزمه ولا يقرر أمرا الا بعد مشاورته ورضاه وتحقق بالجنديّة وادعى الشجاعة وأعاره الناس من ذلك ما لم يكن عنده تقربا اليه وكثر تعلقه بالاموال والتلاجي " وشره الي اكتساب الارباح من غير وجوها ولم ينقبض عن شيء هم به ولم يمكن أحد ان يمتص منه . ومنع بختيار من صطاياه التي كان يذلها للديلم والأتراك وقوى عزيمته على الثبات والتماسك

محمد بن رائق وأبو فتح وقتك وفاتك الهندي قدموا على صاحب الرملة الحسن بن عبيد الله بن طنج فلم يقبل عليهم وقال : لأحارب ابن عمي . ثم ضاق نفقائهم فتوجهوا الي دمشق ومتواهم فاتك الاخشيدى قم بينهم قتال وبلاء . وقال في ترجمة هذه السنة : وفيها ولي أمره دمشق الحسن بن عبيد الله بن طنج الاخشيدى فاقام شهرا ورحل في شعبان واستتاب بها شمون الكافورى ثم سار الى الرملة فالتقى العبيديين في ذى الحجة بالرملة فانهم جيشه وأخذ أسيرا وحمل الى المغرب الي العزيز . وأما ابن سيف الدولة فان جند حلب عصوه فجاء من مياقريقين ونازل حلب وبقى القتال عليها مدة . واستولي على انطاكية الرعيلى رجل شاطر فجاءت الروم فنزلوا على انطاكية وأخذوها في ليلة وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان فنجوا الى الشام وكان أخذها في ذى الحجة وأسر أهلها وقتل جماعة من أكابرها

(١) النلجنة هي أن ياجيء الضيف ضيفته الى قوي ليحامي عليها قاله صاحب

مفاتيح العلوم

وخاض معه في إيقاع حيلة على سبكتكين الحاجب وقيل انه واطلاً بعض
الديلم على الفتك به اذا حضر الدار ليتسع بامواله ونعمته . وعزم على قتله
الجيش والتسمية ^(٣٢٧) بالاسفهلار فبلغ ذلك سبكتكين وامتنع ان ياتي
بختيار او يدخل داره الا في الاحايين البعيدة على تحرز واستظهار . وثقل
أمر شيرزاد على الجند لان بختيار كان عودهم الا يردم عن شيء ياتسونه
من واجب ومحال وقليل وكثير فتمعه شيرزاد من ذلك وناصبه الكتاب
أيضا العداوة للخوف من شره وانتباض أيديهم عمن ياتجى اليه وكثر الدعاء
عليه من أفناء الناس . واجتمع الاتراك على عداوته وصاروا ينسبون كل حال
يكرهونها وينكرونها اليه وأخذ الوزير أبو الفضل يتحرز منه لما فسد بينه
وبينه ويستميل الاتراك ويوسع عليهم فشى بعضهم الى بعض وتوافقوا على
الفتك به ثم رأوا ان يستأذنوا سبكتكين الحاجب فقصدته جماعة لذلك . ونمى
الخبر الى بختيار فتقدم اليه بالمصبر الى سبكتكين واستصلاحه وطرح النفس
عليه ومسئلته كف القوم وضم اليه الوزير أبا الفضل ليعاونه وبينهما اذ ذاك
منافقة لم ينهك سترها فقصد سبكتكين ووجد طائفة كثيرة من الاتراك
عنده يستأمرونه في قتل شيرزاد فلم يأذن لهم ولكن أمرهم بتخوينه حتى
يهرب والا يقاتلوه بالحضرة فامسكوا عن قتله ^(٣٢٨) بعد ان هموا به .
وكان يجري أمره مجرى صالح بن وصيف بسر من رأى أيام المهدي بالله ^(١)
فلما وصل شيرزاد وأبو الفضل الوزير اليه وخاطباه وتضرعا اليه
صدقهما عن الصورة واعلمهما انه لولا خطره على الاتراك لقتل شيرزاد ولما
تركوه ان يصل اليه وأشار عليه بالرجيل من ساعته الى حيث شاء . فخرج

وهو يأس من صلاح حاله وخائف على مهجته فصادف الاتراك مجتمعين في دار سبكتكين يوجون في أمره ويتوعدونه ويغلظون له ويشتمونه فاسرع الخروج الى حضرة بختيار وعرفه ما جرى ثم التفت الى الوزير فاسمعه غليظ ما يكره وقال له : هذا من عملك وتديرك . خلف له بالطلاق على براءته مما ظنه به فأجابه بين الطلاق انه كاذب في جحوده .

ثم خلا بختيار بشيرزاد فخره شيرزاد من الوزير أبي الفضل وعقد معه عقداً وعهد اليه عهداً في صرفه عن الوزارة والقبض عليه واستصفاء نعمته ونيم أسبابه ووافقه على ان يحرس عليه بعد خروجه داره وأهله وولده وضياعه وان يوقع عليه اسم ابنه سلار بن بختيار لتعسم عنها اطماع الديلم والجنود الى ان يستصلح نيات الاتراك ونيات سائر العسكر^(٣٢٩) ثم يعود الى حاله ويحري على رسمه في الخدمة وانحدر في الوقت الى الاهواز ثم صار منها الى ارجان وبها يومئذ الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد . وكان حاجبه روين قريباً لشيرزاد وكان قد توفي فقبح به جدا ووجد به وجداً شديداً فلما وصل اليه شيرزاد رأي فيه شهبامنه وتخليل فيه شمائله فمطف عليه وتحفى له وأكرمه وحمل اليه مالا وكسوة وكتب له الى ركن الدولة كتباً مؤكدة ووعدته بتوسط أمره وأشار عليه ان يخرج الى حضرة ركن الدولة بكتبه ويقيم ببابه الى ان يرد بنفسه فيتوسط أمره فاتفق ان يخرج الى الري وتوفي بها .

وكان من سوء ملكة بختيار وقلة وفائه انه ثانی يوم خروجه قبض اقطاعه وضياعه وأملأ به وجواره ودوره ونكب كاتبه وأسبابه واستثار أمواله وودائمه ونقل ابنه سلار الى داره وسلم اليه اقطاعه لا على الاصل

الذي قرره معه شيرزاد بل علي ان يصير له ذلك خاصة يتوفر عليه . وحكى أيضا ان نقي شيرزاد كان في سنة ٣٥٩ ثم انه بعد شهرين من نقي شيرزاد قبض على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين وكتبه وأسبابه واستصفي اموالهم وقلد الوزارة ^(٣٣٠) ابا الفرج محمد بن العباس وقلد الدواوين أبا قرّة الحسين بن محمد القنّائي .

﴿ ودخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ﴾

﴿ ذكر السبب في القبض عليه ﴾

كان أبو الفضل الوزير استخدم أبا قرّة وهو زجل من دير قنّي حسن الذكاء قد نشأ بين كتاب واسط وعمّالها وتخرج معهم واختص بأحمد ابن علي القنّائي فتمهر ولم يزل يتدرّج في التصرف حتى تقلد واسط رئاسة من قبل السلطان فاقتنى أموالا جليلة وصارت له نعمة ضخمة وكان شديد البراءة على السلطان يقدم على أمواله اقدا ما لا يقدم عليها غيره هذا مع اهتدائه الى وجوه الخيل عليه ومعرفة بوجوه الارتفاق والارفاق فانه كان يرفق الوزراء والعمال بالفسير ويتوصل به الى الارتفاق الكثير . فاضطر أبو الفضل في وزارته لبختيار عند الحاجة والاضافة الى معاملته وكان يشتري منه غلات القضم بالتمن الزائد ويحتسب له بالمال غلات ضمانه يسعرها في وقت البذر فربما قام عليه السكر بثلاثة اكرار هذا الى أمثال ذلك في معاملات الخطة وغيرها وعظمت نعمته وتمكن من رعيته بواسط فانبسطت يده عليهم ^(٣٣١) فتأول عليهم وقوى باموالهم . وكان الواحد منهم اذا تظلم منه لم ينصف وردّ اليه أمره فيسط المكره عليه فصارت رعيته تشكره على طريق الخوف منه .

ولما غاب أبو الفضل الوزير الى الموصل أيام معز الدولة ~~مكة~~ واستخلفه ببغداد ووصل بينه وبين شیرزاد كاتب الفارسية ليعزه ويمنع منه مناعة أبي الفرج محمد بن العباس . فكان أبو قرّة يهدى الى شیرزاد ويلطفه ويكثر وجوه المرافق والمباراة له ليمنع من الاستيفاء عليه وتأكدت الحال بينهما حتى انقطع اليه ولم يتمكن أحد من الرجلين منه أعنى أبا الفرج وأبا الفضل وكانا يومئذ كاتبين لا يتسمى أحد منهما بالوزارة طول أيام معز الدولة . وكان أبو قرّة يرفع حسابه على ما يريد ولا يتمكن أحد من الكتاب ان يستوفيا عليه فيقرر باكثر ارتفاع ضمانه سوى الأرباح التي ذكرناها وسوى ما يستغله من أملاكه وسوى ما يستخرجه من المصادرات والمصانعات . وكان شیرزاد يطالب الوزير أبا الفضل بما كان وافقه عليه اذا تم له الوزارة وكان أبو الفضل يعتد عليه بما يصل اليه من جهة أبي قرّة وقال له : هذا الرجل عالمي وانما ضمته اليك لينوب عني ^(٣٣٢) عند غيبي عن مدينة السلام وقد حصل لك من جهته ما ينبغي ان احتسب به عليك وتعتد له . ويستجيبه شیرزاد بأنه لا يحتسب له الا بما يصل اليه من صلب ماله وخاص اقطاعه وارتفاقاته ولم يزل ذلك يتردد بينهما حتى استوحش كل واحد من صاحبه واستوحش أبو قرّة أيضا واختص زيادة اختصاص بشيرزاد . فطمع في المنازل العالية لما يرجع اليه من الكفاية في نفسه ثم للحال المتأثرة واليسار العظيم واضطر الوزير الى مغالطته عن نفسه وايناسه والاستعانة به على شیرزاد وهو كان سبب اتصاله به . فلما تم على شیرزاد ماتم من النفي ثم الوزير بالقبض عليه ثم أمهله ودبر أمره على ان تدرك غلاته وخشى في الحال ان مديده اليه ان تنقطع مادة ما كان يقيمه من قضيم

الكراع ووافق بختيار على انه يستخرج منه عند حضور الوقت مائتي الف دينار.

وكان بختيار لا يضبط لسانه ولا يكتم شيئاً من اسرار نفسه ولو فيما جرى عليه ذهاب النفس والملك فاخرج حديثه وسره فبلغ أبا قرّة ما جرى وكان يخشى مداوة أبي القرّج فصار يخشى عداوة الوزير ولم يكن له وزيرٌ غير شيرزاد^(١) وكان قد نفى فاضطرب واحتال حتى توصل الى سبكتكين الحاجب وبذل له على يد أبي بكر الاصبغاني صاحبه وثقته ذلك المال الذي كان يرتقى به شيرزاد بن سرخاب فنصره سبكتكين نصرة زادت على نصرة شيرزاد فصار في ظل أحصن من الظل الاول وتعذر على الوزير ان يلاّ عينه منه فضلاً (عن) أن يمدّ يده اليه . فحينئذ اجتمعت على أبي الفضل الوزير أمور منها الاضاقة وانقباض يده عن استيفاء الحقوق ومنها مطالبة بختيار له بالقرض^(٢) التي كان اقترضها ولم يتسع لردّها عليه ومنها عداوة سبكتكين له وخوفه من حيله ومكائده ومنها حسده له على ظاهر حاله وما جمع من الغلمان والحجاب والروءة الظاهرة ومنها استمالته وجوه الاتراك وكأثرته اياه في الاحسان اليهم ومنها عداوة بختكين آذرويه وكتبه سهل ابن بشر اياه لقصده اياها بالاهواز واستقصائه عليها ومصادرتة اياها ومنها عداوة صاحب الديوان أبي القرّج وأخيه علي بن العباس على قديم الايام ومنها انقلاب أبي قرّة عليه للاسباب التي ذكرناها نغلا من كل صديق

(١) يعني ملجأ ومن ايات القيمة (٤ ٣٣٢)

شر السباع العوادي دونه وزر والاس شرهم مادونه وزر

(٢) لله القروض

ومعين واصطلحت هذه الطائفة عليه . ثم اضطر ^(٣٣٤) أبو الفرج محمد بن العباس الى مصادقة أبي قرّة ليتعاضد على أبي الفضل لا لمودة حقيقية فاتفقا على ان يخاطبا سبكتكين الحاجب في رسالة بختيار وموافقته على القبض على أبي الفضل وضمه أبو الفرج محمد بن العباس تسعة آلاف الف درهم يستخرجها منه ومن خلفائه وكتابه وجميع المتصلين به على ان يتقلد الوزارة ويتقلد أبو قرّة الديوان فعمل ذلك وقبض على أبي الفضل كما سبق القول فيه . فلم يلبث محمد بن العباس أبو الفرج في وزارته الا يسيرا حتى اضطربت أموره ولم يف بماضيه لبختيار وتمكن أبو قرّة من السعي عليه وردّ أبي الفضل الى وزارته وضمن لبختيار تصحيح سبعة آلاف الف من جهته بضمان سبكتكين عنه

(شرح الحال في ذلك وسبب تمكن أبي الفضل بعد نكبه)

(حتي أعيد الى الوزارة ومكن من أبي الفرج)

لما خلع على أبي الفرج الخلع التي تخلع على الوزراء ومكن من أبي الفضل وسلم اليه مع جميع أسبابه والمتصلين به انسح بما راج له من جهاتهم وحبس أبا الفضل في داره وضيق عليه وبحث عن أمواله وأموال أهله وحرمه بغاية ما أمكنه فلما وقف عليه الامير طالبه بالمال وناظره فاستقر ما بينهما على ان التزم ثلاثة آلاف الف درهم يحتسب منها ^(٣٣٥) بما يصح من خاص أمواله وأمان غلاته وآلاته وكراعه وبوفي ما يبقى واشترط أن يوسع عليه ويسهل الاذن لمن يدخل اليه ليستغفهم ويقرض منهم . فأحجم أبو الفرج محمد ابن العباس عن التنفيس عنه خوفا من نقاذ حياته عليه وأعاده الى الحبس والتضييق وانسخ ما قرره معه وعطف على أسبابه فثني المصادرات عليهم

وعسفهم وأرهقهم وجازفهم ومات في حبسه صهر لابي الفضل العباس بن الحسين يقال له ابراهيم بن محمد الدهكى فاتهم به وانه قتله بالمذاب والمطالبة . وخلع على أبي قره لتقلد الديوان بعد ان أرفق بختيار بمال على ذلك وأثرت واسط في يده فصار ضامنا لها خاصة مستوفيا على غيره من الضمناء وتلقب بالرئيس لان أبا الفرج كان أيام تقلده الديوان متلقبا بهذا اللقب فانكر أبو الفرج ذلك على أبي قره وأمر الناس أن يخاطبوه بالوزير الرئيس تحصيلنا لهذا اللقب عن أبي قره

{ ذكر فساد الحال بين الوزير وبين أبي قره وماتم له من }

(عزله وتولية أبي الفضل)

وابتدأ أبو قره يطالب بجميع مراتب أبي الفرج التي كانت له قبل الوزارة وزعم انها من ^(٣٣٦) حقوق صاحب الديوان ويجب أن يستوفيهها فاضطربت الحال بينه وبين الوزير أبي الفرج ولم يزل يتزايد حتى ترامت الى نهاية الفساد وضمن أبو قره عن هذا اللقب مالا ثانيا حتى أمضى له وخرج الامر بان يخاطب به . وكان معز الدولة اطلق لابي الفرج وأبي الفضل عند اخراجه اياهما الى جهتي عمان والبطيحة للحرب عليهما أن يضربا على أبوابهما بالدياب في أسفارهما عند حضور أوقات الصلوات فصار ذلك رسما لهما استمرا عليه ولم يقطعه عند انصرافهما من وجه الحرب فلما تقلد أبو قره الديوان أجراه مجرى حقوق العمل التي تستوفي واحب أن يضرب على بابه بالدياب فسأل بختيار ذلك فأجابه اليه ومنعه أبو الفرج الوزير منه وأنكر ثم بذل فيه أبو قره مالا نخرج أمر بختيار بان يطلق له ذلك . ثم خرج الوزير أبو الفرج وأبو قره في التنافس الى أبعد غاية وفي السداوة التي أقصى نهاية وكانت

صاحبهما لاهيا عنهما واتصلت المنازعة بينهما في أمثال هذه الاشياء ولم تحفظ
 مرتبة الوزارة وفضلها على غيرها حتى لم تميز من سواها
 فتقدم الوزير أبو الفرج إلى كتابه بعمل لابي قره ومؤامرة تشتمل
 على ما يجب عليه في مردود حساباته التي عملها في سنى ضيائه واثارة جميع
 ما غبن فيه السلطان ومرافقه القديمة^(٣٣٧) والحديثة فعملت هذه المؤامرة
 واشتملت على ستة آلاف الف درهم ونسبت هذه الاموال الى جهاتهما
 وعرضت على بختيار وأطمع في وجوبها وأن حاله تقي بها فامر بمطالبة .
 واعتصم بسبكتكين الحاجب فحامي عليه واغتاز بختيار من تعززه عليه ووجد
 خصومه الطريق الى اغرائه به وأقاموا في نفسه أنه سيجمل سبكتكين على
 خلع طاعته وازالته عن مملكته فانفذ بختيار اليه نقيبا ووكلا به في دار
 سبكتكين ثم أنفذ ثانيا يستدعيه وضعف سبكتكين عن مقاومة صاحبه
 بختيار ومنابدته وكان شاع عنه انه انما يحامي على أبي قره لرفق يأخذه
 منه فترك الاغراق في نصرته وسلمه الي بختيار على موجدة في نفسه وحمة
 في قلبه ووعد أبا قره انه سيتكلم فيه ويستنقذه . فلما صار عند بختيار سلمه الي
 الوزير أبي الفرج وأمره باستخراج المال فضعف الوزير عن منابذة سبكتكين
 فيه ولم يقدم على عسفه ولم يسكن الى اطلاقه فحصل معتقلا اعتقالا جميلا
 ووقفت الامور التي كان ينظر فيها من اقامة القضيض للكراع ومهمات
 التسيببات عليه . وندم سبكتكين على تقليد أبي الفرج الوزارة ومساعدته
 على نكبة أبي الفضل وتذكر ما كان بعامه به من المجاملة والنفاق ورأي
 انه على علاته كان أصلح له من أبي الفرج وضعف قلب أبي الفرج^(٣٣٨)
 بفساد رأيه .

وكان أخوه أبو محمد علي بن العباس الخازن مستولياً على بختيار مالكا لقياده لا يفارق مجلسه عند الانس والمنادمة فاشفق أن يجري عليه من سبكتكين ما يجري على شيرزاد منه فاتفقا على إرضاء سبكتكين باطلاق أبي قره وتقرير أمره على مال قليل لا يؤثر في حاله وان يصير الى واسط على رسمه الاول ويعزل الديوان فلما أفرج عنه أقام القضيـم وتقد الامور المتعلقة به وانحدر الى واسط بعد أن واطأ سبكتكين على السمي لأبي الفضل في الوزارة وانقاده من محبسه والقبض على أبي الفرج وأبي محمد علي بن العباس وأسبابهما وقد كان الوزير أبو الفرج عطل ديوان أبي قره ونقل الاعمال عنه واستبد بمكاتبه المال وكان له كاتب اهوازي يعرف بابن السكر قد اتسمت حاله فشرع في تقلد هذا الديوان وبذل لبختيار مالا يصححه له في كل سنة من حقوق المحاسبات وأعلمه أن هذا الديوان زمام له على الوزراء وأن الوزير الآن مستبد بالجميع وفي ذلك ضياع الدخل والخرج وفساد الاصل والفرع . واتصل الخبر بأبي الفرج فغلظ عليه وعظم في نفسه وراسل بختيار بأنه لا يصبر^(٣٣٩) على أن يتقلد كاتبه هذا الديوان على مرانمته فاجابه بأنه لا بد من صاحب ديوان يكون معه « فاختر أنت من تحب » فهان عليه رد أبي قره الى نفسه وكان أخفت على قلبه وأيسر ممحلاً من نظر ابن السكر فيه فكتب بالاصعاد فورد وجددت له الخلع وتقلد الديوان . وكانت المراسلات بينه وبين أبي الفضل متصلة وذلك ان أبا الفضل كان واسع الصدر فافضل على الموكلين به من غلمان الوزير أبي الفرج ووسع عليهم وأكثر في برهم والاحسان اليهم فلم ينمؤه من مكاتبه من يريد مكاتبته وواصلوا اليه كتب من كاتبه فاحتال ضروب الحيل وتم له أكثر ما حاوله فلما ورد أبو قره

بفداد تمكن من اتمام أمره والسمي له .

واشتدت الاضائة بابي الفرج ووقفت عليه أموره ومطالبه لان واسط
انفلقت عليه بابي قره والبصرة والاهواز انفلقتا عليه بالاراك الذين استبدوا
باموالهما في تسيبائهم ولم ينهض بما ضمنه عن أبي الفضل لانه اقتصر على
أخذ ظاهره وخاف أن يطلقه ليضطرب فيحتال عليه ويسمى في الوزارة
(وهو لا يعلم انه قد سمى وفرغ) واجتمعت عليه مطالبات كثيرة وصارت
حاله في انحراف بختيار عنه وعداوة سبكتكين الحاجب له ^(٣٤٠) ولاخيه
وتعصب الجند عليهما كحال أبي الفضل لما قبض عليه

﴿ ذكر ما احتال به في هذه الحال وما عرض له ﴾

﴿ من سوء الاتفاق ﴾

لما أحس باضطراب أمره خاف أن يعاجله بختيار بالقبض عليه فأحال
على أموال ووقفت عليه بالاهواز وانه يريد الشخص اليها فنه بختيار من
الخروج الابد. اقامة الوجوه للنفقات التي بمحضرة لثلاث توجه عليه المطالبات
بعد خروجه ويقع اخلال بالاقامات فاحتاج أن يستخلف أخاه بمحضرة حتي
ضمن له ذلك . ووافقه على وجوه ظن انها راجية وأضاف اليه ابن اخته
المعروف بابي القاسم علي بن الحسين المشرف علي أنه ناظر في الدواوين
والحسابات وشخص الي واسط . وشخص أبو قره علي أثره بعد أن قرر
أمر أبي الفضل وفرغ منه . ولكن تلاق طمع بختيار بالمواعيد التي وعده
بها أبو الفرج والضمانات التي ضمنها أخوه فلما حصل بواسط ضايقه أبو قره
في الامور وعارضه في التدبير وكان مستوليا على البلد بالضمان ثم على سائر
الاممال بحق النظر في الديوان ثم بالغاية التي كانت له من سبكتكين فخنقه

الوزير أبو الفرج المقام بواسط وبرز عنها يريد الاهواز . فحدث عند تديره وعمله^(٣٤١) على المسير ان توفي رجل كان متغلبا على أسافل واسط . وهي أعمال نهر الصلة ونهر الفضل وكان يعرف هذا الرجل باحمد بن خاقان وهو جار محمد بن عمران بن شاهين واستولى على هذه النواحي وكان يقطع عنها السلطان كما يريد ولا يمكن الاستيفاء عليه وله حال قوية ونعمة عظيمة فقدر محمد بن العباس الوزير ان يصل الي أمواله فانتقل الي هذا الوجه وسبقه ابن له يقال له خاقان فاحتمل غلات أبيه وأمواله ودخل الي مضائق البطيحة . ووجد أبو قره فرصته فاخذ في مراسلته وتقويته وتشجيعه واعلمه انه معه وعونه ثم عمل اعمالا أوجب بها لنفسه بحق الضمان الذي له في واسط . على هذا المتوفي شيئا كثيرا من الغلة والمال ثم قال للوزير أبي الفرج محمد بن العباس انه لا حق له في شيء مما يصل اليه من أهوال هذا المتوفي الا بعد ان يستوفي منه هذه البقايا أو يحتسب بها له من مال ضمانه . فسار الوزير أبو الفرج الي بلاد لم يجد فيها شيئا ولو وجده لنارعه فيه أبو قره وحصل منازل خاقان بحيث لا يمكنه الدخول اليه ولم يصادف في تلك الاعمال انسانا يكلمه ولا حبة من غلة ولا أرا من مال فجنح الي مراسلة خاقان والتماس مصالحته فامتنع عليه ونازله أياما كثيرة حتى مل^(٣٤٢) وساءت حاله وحال من معه وانقطعت عنهم المواد فاضطر الي الرحيل ورضى بمال يسير لم يتمكن من استيفائه وحصل من هذا اليسير شيء يسير . ووقعت المنازعة فيه وبين أبي قره حتى اتفقا على اقتسامه وبادر بالخروج الي الاهواز .

وكاتب أبو قره بختيار يعلّمه انه ليس له وجه درهم واحد وانه خرج « ستروحا الي البعد عنك لتندفع عنه النكبة التي خافها من جهتك » وكتب

الى مختكين آزاد رويه يحذره منه فكتب مختكين الى مختيار بانه لم يبق عليه شيء وان تسبيبات الاتراك وانزالهم تستغرق الواجب وزيادة كثيرة وان محمد بن العباس الوزير انما يصير الى أعماله ليتأول عليه بالمحالات ويعمل له المؤامرات ويمد يده الى أموال السنة المقبلة . ووافق ذلك ان أخاه أبا محمد على بن العباس الخازن صحح البعض من تلك الوجوه التي أقيمت بالحضرة ووقف عليه الباقي لضعف يده ولكثرة الإراجيف بأخيه ووجه وبان مختيار قد تمت الموافقة بينه وبين أبي الفضل على اعادته الى الوزارة . وأخذ خطه في أبي الفرج وأبي محمد أخيه وأسبابهما بسبعة آلاف ألف درهم وانه يطلق الاستحقاقات ويدير النفقات . فكتب مختيار الى مختكين بالقبض على أبي الفرج ومن معه في يوم وصولهم ^(٢٤٣) الى الاهواز وكتب الى أبي قرعة بمثل ذلك وبالاحتياط عليهم حتى لا يفوت أحد منهم وقبض مختيار على أبي محمد الخازن أخيه وكان جالسا معه يشرب على رسم كان له في منادمته وأطاق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وكان في دار أبي الفرج وخلع عليه للوزارة ^(١)

(١) قال صاحب التكملة . قال أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي فولده بشيراز سنة ٣٠٣ وورد مع معز الدولة بن بدياد وناب عن المهدي وصاهره على بنته زينة وكان ذلك سبب تقدمه ثم فسد ما بينهما . وكان واسع المروءة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهي التي كانت بستانا لنقيب النقباء الكامل وانتقلت الى الفضلوني واتفق عليها أبو الفضل زائدا على مائة ألف دينار ثم احترقت قاهرة ضد الدولة بسطها بستانا . وعمل دعوة لمعز الدولة وجعل في وسط السباط قصر من السكر فيها مخاينث وغانى يغنون ويرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة بالقلوس الغلاظ وطرح الورق فيها حتى ملأها وغطا دجلة . ولم تنزل بشداد قيان حتى احضرها وذلك في سنة ٣٥٤ فلما كان في سنة ٥٥ قال له معز الدولة : يا أبا الفضل تلك الدعوة فريدة

وفي هذه السنة خرج الاستاذ الرئيس أبو الفصل ابن العميد الى الجبل
في خيل عظيمة لتدبير أمرها وتقرير أمر حسنويه بن الحسين الكردي
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾^(١)

كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوى واستفحل أمره لما وقع
من الشغل عنه بالفتوح الكبار ولانه كان اذا وقع حرب بين الخراسانية
وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم وخدم خدمة يستحق
بها الاحسان الا أنه مع ما أقطع وأغضى عنه من الاعمال التي يتسط فيها
والاضافات التي يستولي عليها ربما تعرض لاطراف الجبل وطالب أصحاب
الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها فيضطر الناس الى اجابته
ولا يناقشه السلطان فكان يزيد أمره على الايام وتتشاغل الولاة عنه الى أن
وقع بينه وبين سهلان بن مسافر خلاف ومشاحة تلاحا فيها الى ان قصده
ابن مسافر بالحرب^(٢) فهزموه حسنويه وكان يظن ابن مسافر انه لا يكشفه
ولا يبلغ الحرب بينهما الى ما بلغت اليه فلم تقف الحرب حيث ظن وانتهى

بلا اخت . فقال : بل هي في كل سنة . وعمل دعوة اتفق فيها الف الف درهم
وذهب فيها جوارى وغلمانا وأراكا وضياعات واستمد بعد عمالها عند الدرايين الف عمل
مشوى وحمل الى أبي الفضل اصحابه ما أمكنهم من الهدايا

واما أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس فواده بشيراز سنة ٣٠٣ وورود مع معز
الدولة في ذي الحجة سنة ٢٣٨ وابوه من اصحاب النعم الوافرة بفارس صادرة عماد الدولة
على ستائة المدينار وقال : اني كسبت معه خمسين الف درهم . وجاء مع معز الدولة
الى بغداد وولاه الزمام على المهلب وتوفي سنة ٣٤٢ وتكفل المهلبى بأمر ابنه حتى رد
اليه الديوان

(١) روي هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه ارشاد الاربيب (٥ : ٣٦٨) عن
أبي علي مسكويه

الامر يذهبها الى ان اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بمسد الهزيمة الى موضع شبيه بالحصار ونزل الاكراد حواليتهم ومنعواهم من الميرة وتفرقوا بازاءهم . ثم زاد الامر وبلغ الى أن أمر حسنويه الاكراد ان يحمل كل فارس منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريد بذلك فلما اجتمع حول معسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفا وحيت الشمس عليهم مع حر النهار فاخذ يكظمهم واشرفوا على التلف فصاحوا وطلبوا الامان ففرق بهم وأمسك عما هم به . وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل هذا كله له وتقدم الى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين العميد وهو الاستاذ الرئيس بقصده واستئصال شاقته وأمره بالاستقصاء والمبالغة . فانتخب الاستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة وزينة وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد ووقف حتي اجتاز به المعسكر قائد بعد قائد وكوكبة بعد كوكبة ورضى العدة والقوة ^(٣٤٥) فودع حينئذ الوزير ابن العميد وعاد الى الري .

وسار الوزير ومعه ابنته أبو الفتح وكان شاباً قد خلف أباه بمحضرة ركن الدولة وعرف تدير المملكة وسياسة الجند فهو بذكائه وحدة ذهنه وسرعة حركته قد تفق نفاقاً شديداً على ركن الدولة وهو مع ذلك لقاة خنكته ونزق شبابه وتهوره في الامور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه ويجب ان يسير في خواص الديلم ويمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط من يستميل بقلوبهم ويخضع عليهم خلماً كثيرة ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول المره بالمراكب الثقيل ويريد بجميع ذلك ان يسلموا له الرئاسة حتي لا يأنف

أحد من تقبيل الارض بين يديه والمشي قدماه اذا ركب وكان جميع ذلك مما لا يؤثره الاستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه ان ذلك لو كان بما يترخص فيه لكان هو بنفسه قد سبق اليه .

ولقد سمعته في كثير من خساواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع وانه ما ملكهم أحد قط الا بترك الزينة وبذل مالا يبطرهم ولا يخرجهم الى التحسد ولا يتكبر عليهم ولا يكون الا في مرتبة أو سطهم حالا وان من دعاهم واحتشد لهم وحمل على حالة فوق طاقته لم يمنعهم ذلك من حسد على نعمته ^(٢٤٦) والسعي على ازالته وترقب أوقات الغرة في آمن ما يكون الانسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت . وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى يظن انه قد ملأ قلبه رعبا وانه سيكف عن السيرة التي شرع فيها فما هو الا ان يفارق مجلسه ذلك حتى يعاود سيرته تلك فاشفق الاستاذ الرئيس في سفرته هذه ان يتركه بمحضرة صاحبه فيالج في هذه الاخلاق ويفتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي الى ما لا يتلافاه فسيرة به واستخلف بمحضرة ركن الدولة أبا علي محمد بن أحمد المزوف بآبن البيع وكان فاضلا أدبيا ركيذا حسن الصورة مقبول الجملة حسن الخيل مطلقا وأدبيا .

فلما كان في بعض الطريق وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لا فراط علة النقرس وغيرها عليه التفت محوله فلم ير في موكب واحد وسأل عن الخبر فلم يجد حاجبا يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيري فسأني عن الخبر فقلت له : ان الجماعة باسرم مالت مع أبي الفتح الى الصيد فامسك حتى نزل في معسكره ثم سأل عن جرت العادة باستدعائه للطعام

وكان يحضره كل يوم عشرة من القواد على مائده التي تخصه وعدة من القواد على أطباق توضع لهم وذلك على نوبة معروفة يسمى فيها نقباؤهم فلما كان في ذلك اليوم^(٣٤٧) لم يحضره أحد واستقصي في السؤال ف قيل « ان أبا الفتح أضافهم في الصحراء » فاشتط من ذلك وساء له ان يجري مثل هذا ولا يستأذن فيه . وقد كان أنكر خلوة موكله وهو في وجه حرب ولم يأمن ان يستمر هذا التشتت من المعسكر فتم عليه حيلة فدعا كبر حجابيه ووصاه بان يحجب عنه ابنه أبا الفتح وان يوصى النقباء بمنع الديلم من مسيرته ومخالطته وظن ان هذا المبالغ من الانكار سيفض منه وينهى المعسكر من اتباعه على هواه فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثر . وعاد الفتى الى عادته واتبعه المعسكر ومالوا معه الى اللعب والصيد والاكل والشرب وكان لا يخليهم من الخلع والالطاف فشق ذلك على الاستاذ الرئيس جدا ولم يحب ان يخرق هيئة نفسه باظهار ما في قلبه ولا ان يبالغ في الانكار وهو في مثل ذلك الوجه فيفسد عنكره ويطمع فيه عدوه فدارى أمره وتجرع غيظه وأداه ذلك الى زيادة في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في مجلس خلواته : ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الارض الا هذا الصبي (يعني ابنه) ويقول في مرضه : ما قتلني الا جرع النعيط التي تجرعتها منه .

ومما حصلته عنه في وجهه هذا وقد سأله عن عاقبة أمر حسنويه معه وهل الى استئصاله سبيل فقال : اما بهذه^(٣٤٨) السرعة وفي هذا الزمان فلا ولكننا سنعود عنه ونحن كما كنا وزيادة شيء ويعود حسنويه وهو كما كان ونقصان شيء ثم يدبر أمره على الايام . فلما حصل بهمذان اشتدت علته فتوفي بهارحه الله وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه وكان المعسكر كما

ذكرت ما تلا اليه فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومنأهم وبذل لهم طعامه
ومنادمته وأكثرت من الخلم عليهم وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه
على الطاعة وأوما إلى مصالحته على مال يحمله يقوم بما ألتقى على ذلك العسكر
وتتوفر بعد ذلك بقيته على خزانة السلطان ويضمن اصلاح حاله اذا فعل
[ذلك] مع ركن الدولة . وكان يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من
حسنويه ولانه يحب الانتقام منه ويكره ان ينصرف مثل ذلك العسكر عنه
ولم يؤثر في أمره أثر ايسمع به وليه وعدوه الا ان أبا الفتح كان يرى ان
مقاربة حسنويه والعود الى صاحبه يباه لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم وان
يلحق مكانه من الوزارة قبل ان يطمع فيه [غيره] أولى وأشبه بالصواب
(وقد كان أبو علي محمد بن أحمد خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل
ذلك ما عرفه بالكفاية والساد) فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه الى
ان تقرر أمره على خمسين^(١) ألف دينار ينكسر بعضها وجي كورة الجبل
وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينار
ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى نفسه وشد منته وأحمد جميع
ما كان دبره وأمر بالعود الى الحضرة بالرى

وكانت وفاة الاستاذ الرئيس بهمدان في صفر ليلة الخميس السادس منه
سنة ستين وثلثمائة فقُقد به الفضل اجمع وعدمت المحاسن التي ما اجتمعت
لغيره في الاسلام^(١)

(١) قال صاحب التكملة : قال ابن الهادي : قيل ان ما تفق به ابن العميد على ركن
الدولة ان ركن الدولة أراد أن يحدث بناء بالرى واختار له موقعا وكانت فيه شجرة
ذات استدارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة قدر لقلها واخراج عروقها جملة كثيرة ولم

﴿ ذكر جملة من فضائل أبي الفضل ابن العميد وسيرته ﴾

كان هذا الرجل قد أدى من الفضائل والمحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له العدو وسلم الحسود ولم يزاحمه أحد في المعاني التي اجتمعت له وصار كالشمس التي لا تخفى على أحد وكالبحر الذي يتحدث عنه بلا حرج ولم أر أحدا قط زادت مشاهدته على الخبر عنه غيره . فمن ذلك أنه كان أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغة والغريب وتوسعا في النحو والمروض واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام . ولقد حدثني أبو الحسن علي بن القاسم رحمه الله قال : كنت أروى أبي أبا القاسم القصائد الغريبة من دواوين القدماء لان الأستاذ الرئيس كان ^(٣٥٠) يستنشه اذا رآه وكان لا يخلو اذا انشده من رد عليه في تصحيف أو لحن مما يذهب علينا فكان ذلك يشق عليّ وأحب ان تصح له قصيدة لا يعرفها الأستاذ الرئيس أو لا يرد عليه فيها شيئا فأعياني ذلك حتى وقع الى ديوان الكميّ وهو مكثر جدا فاخترت له ثلاث

يقع في نفسه أنها تستأصل استئصالا قاطعا فقال ابن العميد : أنا أدق الأمير هذه الكلمة وأقطع هذه الشجرة بعروقها بأهون شيء وفي أقرب امد وأقل عدد . فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الأزرار : افعل . فاستدعاه جبالا واوتادا وسلك هذا المسلك المعروف في جر الثقل فلما رتب ما رتبته ولصب ما نصبه أقام نفرا قليلا حتى مدوا ومنع ان يقف احد على جريان كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوج اصولها ووشوج عروقها . ووقف ركن الدولة في موكبته ينظر ذراعيهم الاترعزع الأرض وانفاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها فوجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه واستعظمه ونظر الي أبي الفضل بعين الجلالة . وهذا امر لا يعظم عند من يعرف للحيلة فيه والطريق المقصود اليه .

قصائد غريبة ظننت أنها ما وقعت الى الاستاذ الرئيس وحفظته اياها وتوخت الحضور معه فلما وقع بصره عليه قال : هات أبا القاسم أنشدني شيئاً مما حفظته بعدى . فابتدأ ينشده فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له : قف فقد تركت من هذه القصيدة عدة أبيات . ثم أنشده اياها فحجبت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استزاد فأنشده القصيدة الاخرى فأسقط فيها كما أسقط في الاولى واستدركه عليه أيضا . قال : فملت ان الرجل بحر لا ينزف ولا يؤتى ما عنده . فهذا ما حدثني به هذا الرجل وكان أدبياً كاتباً .

وأما ما شاهدته منذ مدة صحبتي اياه وكانت سبع سنين لازمته فيها ليلا ونهارا انه ما أنشد شعراً قط لم يحفظ ديوان صاحبه ولا غرب عليه بشعر قديم ولا محدث ممن يستحق ان يحفظ شعره ولقد سمعته ينشد دواوين قوم مجهولين أتعجب من تعاطيه حفظ مثلها حتى سأله يوماً وقالت : أيها الاستاذ كيف تفرغ^(٣٥١) زمانك لحفظ شعر هذا الرجل . فقال : وكانك تظن أني أتكلف حفظ مثل هذا انما ينحفظ لي اذا مر بسمعي مرة . وقد صدق رحمه الله فاني كنت أنشده لنفسى الايات التي تبلغ عدتها ثلاثين وأربعين فعيدها بعد ذلك مستحسناً وربما سألتني عنها ويستنشدني شيئاً منها فلا أترجم باعادة ثلاثة أبيات منتظمة على نسق حتى يذكرونها ويعيدها . وحدثني غير مرة انه كان في حدائثه يخاطر رفقاءه والادباء الذين يعاشرهم على حفظ الف بيت في يوم واحد وكان رحمه الله أثقل وزناً وأكثر قدراً من أن يزيد فقلت له : كيف كان يتأني لك ذلك . فقال . كانت لي شريطة وهي أن يقترح عليّ من شعر لم أسمع به الف بيت في يوم واحد يكتب

واحفظ منه عشرين عشرين وثلاثين ثلاثين أعيد لها وأبرأ من عهدها . فقلت وما معنى البراءة عن عهدها . قال : لا أكلف أعادتها بعند ذلك . قال : فكنت أنشدتها مرة أو مرتين وأسلمها ثم اشتغل بغيرها حتي أفرغ من الجميع في اليوم الواحد .

وأما كتابته فعروفة من رسائله المدونة ومن كان مترسلا لم يخف عليه علو طبقة فيها وكذلك شعره الذي جدد فيه وهزل فانه في أعلى درجات الشعر وأرفع منازل . فأما تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار فكان منه في أرفع درجة ^(٣٥٢) وأعلى رتبة ثم اذا ترك هذه العلوم وأخذ في الهندسة والتعالم فلم يكن يدايه فيها أحد . فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه ان يدعيها بحضرته الا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم دون المذاكرة . وقد رأيت بحضرته أبا الحسن العامري ^(١) رحمه الله وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد وعنده انه فيلسوف تام وقد شرح كتب أرسطاطاليس وشاخ فيها فلما اطلع على علوم الاستاذ الرئيس وعرف اتساعه فيها وتوقد خاطره وحسن حفظه للمسطور برك بين يديه واستأنف القراءة عليه وكان يعد نفسه في منزلة من يصلح أن يتعلم منه فقرأ عليه عدة كتب مستغلة ففتحها عليه ودرسه اياها

وكان الاستاذ الرئيس رضى الله عنه قليل الكلام نزر الحديث الا اذا سئل ووجد من يفهم عنه فانه حينئذ ينشط فيسمع منه ما لا يوجد عند غيره

(١) هو محمد بن يوسف وفي ارشاد الاريب (١ : ٤١١) انه توفي سنة ٣٨١

فليراجع ايضا (٣ : ١٢٤)

مع عبارة فصيحة وألفاظ متخيرة ومعان دقيقة لا يتجسس فيها ولا يتلغم .
ثم رأيت بحضرته جماعة ممن يتوسل اليه بضروب من الآداب والعلوم فما
أحد منهم كان يتنعم من تعظييه في ذلك الفن الذي قصده به وإطلاق القول
بأنه لم ير مثله ولا ظن أنه يخلق . وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارة^(٣٥٢)
أخلاقه ونزاهة نفسه إذا دخل اليه أديب أو عالم متفرد بنفس سكت له
وأصغى اليه واستحسن كل ما يسمعه منه استحسان من لا يعرف منه الا
قدر ما يفهم به ما يورد عليه حتى اذا طاوله وأتت الشهور والسنون على
محاضراته واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجري بحضرته نبذ منه فرغب اليه
في اتسامه تدفق حينئذ بحره وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه انه
بارع في ذلك الفن والمعني وما أكثر من خجل عنده من المعجيين بأنفسهم
ولسكن بعد أن يمد لهم في الميدان ويرخي من أعنتهم ويمسك عنهم مدة حتى
ينفذ ما عندهم ويجزل لهم العطاء عليه . فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب
المعروفة ثم كان يختص بفرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل
التي يحتاج فيها الى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجر الثقيل
ومعرفة مراكز الانتقال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى
النفط وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في
المرؤوب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجبية وسهام تنفذ أمدا بعيدا وتؤثر آثارا
عظيمة ومراي تحرق على مسافة بعيدة جدا ولطف كف لم يسمع بمثله
ومعرفة بدقائق علم^(٣٥١) التضاوير وتعاط له بديع ولقد رأيت يتناول من
جانبه الذي يخلو فيه بثقائه وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها فيبحث بها
ساعة ثم يدحرجها وعليه صورة وجه قد خطها بظفره لو اتعمد لها غيره

بالالات المعدة وفي الايام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتى له مثلها
فاذا حضر المارك وياشر الحروب فانما هو أسد في الشجاعة لا يصطلي
بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع نبات جأش
وحضور رأى وعلم بمواضع القرص وبصر بسياسة المساكر والجوش
ومعرفة بمكايد الحروب

فاما اضطلاع بتدبير الممالك وعمارة البلاد واستغزار الاموال فقد
دلت عليه رسائله ولا سيما رسالته الى أبي محمد ابن هندو^(١) التي يخبر فيها
باضطراب أمر فارس وسوء سياسة من تقدم لها وما يجب ان يتلافى به حتى
تعود الى أحسن أحوالها فان هذه رسالة يتعلم منها صناعة الوزراء وكيف
تتلافى الممالك بعد تناهي فسادها وما منه من بسط العدل في ممالكه
وعمارة ما يدبره منها الا ان صاحبه ركن الدولة مع فضله على أقرانه من
الديلم كان على طريقة الجند المتغلبين بتغم ما يتمجل له ولا يري النظر في
عواقب أمره وعواقب أمور رعيته وكان يفسح لجنده وعسكره على طريق
مداراتهم ما لا يمكن أحدا^(٢) تلافيه وردم عنه وكان مضطرا الى فعل ذلك
لانه لم يكن من أهل بيت الملك ولا كانت له بين الديلم حشمة من يمثل
جميع أمره وانما يرأس عليهم بساحة كثيرة كانت فيه ومسامحة في أشياء
لا يحتملها أمير عن أمور وهذه سيرة اذا عودها الجند لم يمكن ان يظموا
عنها بل تزداد على الايام وتهاذى حتى ينتهى الى ما انتهى اليه جند عصرنا
من تسعيرهم على الملوك واقتراحاتهم ما لا يفي به دخل المملكة وخروجهم في
سوء الادب الى ما يخرج اليه السباع التي تضرأ ولا تحمل الادب

(١) هو علي بن الحسين وكنيته أبو الفرج وترجمته في ارشاد الارب ٥ : ١٦٨

ثم كان الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله مع هذه السيرة قد دلرى بجنده ورعيته وصاحبه مداراة لو ادعى له فيها المعجزة لاشتبه على قوم وذلك انه لما استوزر لركن الدولة كان تقدمه قوم عجزة وباشروا مع عجزهم أموراً مضطربة وجندا متحكمين والدنيا في أيديهم يملكونها كيف شاؤوا لا يمنهم أحد منها وإنما أميرهم يسمى بالامرة ما دام يستجيب لهم الى اقتراحاتهم ومتى خالفهم استبدلوا به . وكان ركن الدولة وقبله عماد الدولة يوسفان عليهما في الاقطاعات ويبدلان لهم من الرغائب ما لا يتي لهم معها حجة ولا موضع طلبة وهم مع ذلك يتحكمون ويسيطرون أيديهم ويطمعون فيما لا مطمع فيه وكان قصارى الوزير والمدير ان يقيم^(٣٥٦) كل يوم وجها لنفقة الامير يومه ذلك من مصادرة العامة أو قرض من الخاصة أو حيلة على من يتهم ينسار كائنا من كان وربما تسدر عليهم قضيم الكراع يوما ويومين فاما ثققات الحشم وجراياتهم وما يقيم ارماتهم فكلفت تتمحل وربما امتنع عليهم اقامتها أياما ومع ذلك فان هؤلاء المديرين كانوا لا يتمكنون من الفكر في وجوه الحيل لكثرة من يزدحم عليهم من الجند أعنى الديلم والأتراك وخاصة من يطالبهم بالمحالات فيهربون منهم ويتواعدون من الليل الى مواضع غامضة يجتمعون فيها وربما خرجوا الى الصحراء ويجمعون على ظهور دوابهم ويثنون أرجلهم على أعناقها بقدر ما يدبرون الرأي في وجه الحيلة واقامة وظيفة ذلك اليوم فاذا تم لهم ذلك فهو عيدهم ونشاطهم وغاية كفايتهم في صناعتهم . فلما تولى الاستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله وزارة الامير ركن الدولة استقام الامر حتى رأيناه يركب الى ديوانه من دار السلطان ولا يلقاه غير خاص كتابه ثم يلقى صاحبه فلا يدور بينهما الا عوارض المهم الذي لا تخلوا من مثله

ملك ووزير وضبط أعماله ونظم أموره ورتب أسباب خدمته حتى كان أكثر نهاره مشغولاً بالعلم وأمله . وبسط عدله وأقام هيئته في صدور الجند^(٣٥٧) والرعية حتى كان يكفيه رفع الطرف إلى أحدهم على طريق الإنكار فترعد القرائن وتضطرب الاعضاء وتسترخي المفاصل وقد شاهدت من ذلك مواقف كثيرة لو شرحناها لاطلت هذا الفصل إطالة تخرج عن غرض الكتاب . ولولا أن صاحبه كان لا يستجيب إلى عمارة نواحيه كما حكيت في أول هذا الجزء خوفاً من إخراج درهم واحد من الخزانة ويقنع بارتفاع ما يحصل لا وقت ويرى أن دولته مقرونة بدولة الأكراد فلذلك لا يمنعهم من العيث ولا يطلق يد حماة الأطراف في قصدهم ويرضى أن يقال له « قطعت القافلة وسيقت المواشي » فيقول « لأن هؤلاء أيضاً [يعني الأكراد] يحتاجون إلى القوت » ولقد قيل مرة أن الأكراد وقعوا على بغال له خرجت للملوفة فساقوها وذلك بالقرب من البلد وبحيث يلحقون أن طلبوا فقال في الجواب : كم كانت البغال . فقيل : ستة . فقال : وكم كانت عدة الأكراد . فقيل : سبعة . فقال : سبعة بينهم الخلاف كان يجب أن تكون البغال سبعة بمدد . فإذا كان هذا رأيه في الإنكار على أهل العيث وذلك رأيه في توفير العمارات واستغزار الأموال فمأخذه وزيره ومدبره . فتأمل هذه الصورة وانظر إلى سيرة ملك قد عود وزراءه هذه العادات ورضى منهم بما تقدمت حكايته من تمشية^(٣٥٨) أمره يوماً بيوم

ثم آتت الحال إلى النظام الذي ذكرته واطردت الأمور أطرافها المشهور الذي دبره الأستاذ الرئيس ابن العميد رحمه الله أي كفاية كانت له وأي سياسة مشت بين يديه ولكنه رحمه الله لما حصل بفارس علم عضاً

الدولة وجوه التدابير السديدة وما تقوم به الممالك وصناعة الملك التي هي صناعة الصناعات واقته ذلك تلقينا فصادف منه متعلما لقما وتلميذا فهما حتى سمع من عضد الدولة مرارا كثيرة ان أبا الفضل ابن العميد كان أستاذا وكان لا يذكره في حياته الا بالاستاذ الرئيس وربما قال الاستاذ ولم يقل معه الرئيس ولا يحفظ عليه انه ذكره قط بعد موته الا بالاستاذ وكان يعتمد له بجميع ما يتم من تدابير وسياسته ويرى ان جميع ذلك مستفاد منه وماخوذ عن رأيه وعلمه . ولعلنا نذكر منه طرفا اذا انتهينا الى سيرة عضد الدولة وما تم له من حيازة الممالك وحفظ الاطراف وقمع الاعداء والحرص على العمارة مع الشدة على المريب واطفاء نائرة الاكراد والاعراب واعادة الملك الى رسومه القديمة ان أخر الله في الاجل . ولعل من يطالع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن اننا أعرضناه شهادة أو ادعينا له أكثر من قدر علمه ^(٣٥٩) ومبالغ فضله لا والذي أنطقنا بالحق وأخذ علينا الا نقول الا به .

(ودخلت سنة ستين وثلاثمائة)

وفي هذه السنة رأى بختيار ورثي له ان يعقد بين رؤساء الاتراك ورؤساء الديلم مصاهرات لتزول العداوات التي نشأت بينهم فابتدىء بمقد مصاهرة بين المرزبان بن عز الدولة وبين بختكين المروفي بأذرويه مولى ممز الدولة وثنى بمصاهرة بين سالار بن عز الدولة وبين بكتجور مولى ممز الدولة وفعل مثل ذلك بجماعة وأصلح بين الديلم والاتراك واستحاف كل فريق منهم لما صاحبه خلفوا جميعا على موالاة عز الدولة بختيار بن ممز الدولة وسبكتكين الحاجب وحلف بختيار لسبكتكين الحاجب

وسبكتكين لبختيار بعد وحشة كانت بينهما فزال الظاهر ولم يزل الباطن .
ثم غلبت علة الفالج على المطيع لله ^(١) فثقل لسانه وجانبه الايمن وذلك في
يوم السبت للياسة خلت من صفر سنة ٢٦٠ ثم تماثل وتماسك وعاش على هذه
الحال الى الوقت الذي سلم فيه الامر الى أمير المؤمنين الطائع لله

وفي هذه السنة ورد حاجب ^(٢) لابي تغلب ابن حمدان وهو
عدة الدولة فعقد مصاهرة بين أبي تغلب باحدى بناته وبين عز الدولة بختيار
على صداق مائة الف دينار وجدد على أبي تغلب عتد ^(٣٦٠) أعماله لاربعم
سنين حساب كل سنة ستة آلاف الف درهم ومائتا الف درهم وأنفذت
اليه الخلع

وفي هذه السنة كانت وزارة أبي الفضل العباس بن الحسين الثانية
لعز الدولة والقبض على أبي الفرج محمد بن العباس

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

قد كنا ذكرنا فيما تقدم ان عز الدولة كتب الى آذرويه بالقبض على أبي

(١) وفي الاصل : على سبكتكين . وهو غلط واضح قال صاحب تاريخ الاسلام : وفي
أول صفر لحق المطيع لله سكتة آل الامر فيها الى استرخاء جانبه الايمن وثقل لسانه

(٢) قال صاحب التكملة : وفي شهر ربيع الاول وصل أبو الحسن على بن عمرو
ابن ميمون وقد ثبتت مكانته عند الفاضل أبي محمد ابن معروف من أبي تغلب وتزوج له
بنت عز الدولة وسنها ثلاث سنين على صداق مائة الف دينار وكفى الخليفة أبا تغلب
وجدد له ضمان الموصل وسائر أعماله بديار ربيعة ومصر في كل سنة بالف الف ومائتي
الف درهم ووصل ابن عمرو الي المطيع لله مع أبي عمر محمد بن فسانجس الخازن حتى
سلم اليه الخلع لصاحبه والسيوف . والراجح ان الخازن المذكور هو أبو محمد على كما
قدم ذكره .

الفرج ومن معه في يوم وصولهم الى الاهواز وانه كتب أيضاً الى أبي قرّة
بمثل ذلك وانه قبض على أبي محمد الخازن أخى أبي الفرج في مجلسه وكان
يحضره للمنادمة وأطلق أبو الفضل العباس بن الحسين من محبسه وخلع عليه
للوزارة وذلك يوم الثلاثاء آخر ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٠ . فلما تمكن
من الوزارة لم تكن له همة الا استصلاح سبكتكين وعول عليه وعلى كاتبه
أبي عمرو ابن آدمي وصاحبه أبي بكر محمد بن عبد الله الاصمعياني وتقرّب اليه
في مظاهرة أبي قرّة ومساعدته . وقلد أخاه الحسن بن محمد القنائي خزّانة
عز الدولة مضافاً الى ما كان يتولاه من خلافة أخيه أبي قرّة على الدواوين
وقلد أبا أحمد ابن حفص ديواناً كانت تجري فيه نواحٍ اختصاصاً بختيار
لنفسه وسماه ديوان الخاص وكتب الى أبي قرّة يستدعيه من الاهواز الى
الحضرة وأمر بإتخاذ أبي الفرج محمد بن العباس^(٣٦١) الى البصرة موكلًا به .
فورد أبو قرّة بغداد ومعه أسباب أبي الفرج المقبوض عليهم فبلغ الوزير
أبو الفضل في اكرامه كل مبلغ وعظمه وتجددت بينهما معاهدة ومحالفة بأمر
عز الدولة وسبكتكين اياهما واتفقت كلمة الجماعة

ثم نظر الوزير أبو الفضل في أمره وزيادة خرجته على دخله وقلبه ظهراً
لبطن فلم يروجا غدير اطماع عز الدولة في أموال عمران فخرضه عليه وقرب
عليه أمره واتفق ورود أبي قرّة وقد تمت العزيمة . فشخص بختيار متقدماً
وسار في الجانب الغربي على الظهر والوزير أبو الفضل وأبو قرّة انحدرا
في الماء واجتمعت الجماعة بواسطة وذلك في شوال سنة ٣٦٠

وفي هذه السنة ارتفع امر ابن بنية مع عز الدولة وعلا شأنه حتى بلغ

الزيادة كما سنحكّه باذن الله

﴿ ذكر ارتقاء ابن بنية ﴾

كان هذا الرجل من القرية المعروفة ياوانا وكان أبوه مزارعا وجدّه بنية واليه كان ينتسب ونشأ في أيام الفتنة وغلبه أهل الرستاق على طريق دجلة العليا ودخل في غمارهم وأنتسب الى بعض عيارهم وكان جرى رسمه بقلده المآصير . واتفق له ان اتصل بصاحب مطبخ معز الدولة المعروف بممله وكان ضامنا لتكريت^(٣٦٢) وما يجري معها من المآصير العليا وأبواب المال فلما خدم ممله توجه معه وخف على قلبه فتدرج من حال الى حال حتى استعمله على هذه الاعمال كلها وفوضها اليه وكان فيه سماحة نفس وخفة مع اقدام وتهور استفادتهما من الحال التي نشأ عليها . واتفق على ممله اتفاق سيء من عال اتصلت به واعراض من معز الدولة عنه فشرع أبو طاهر ابن بنية في ضمان أعماله وعنى به جماعة من الكتاب لاجل ما كان يبذله لهم فعمدت الاعمال عليه الا انه لم يتفق على معز الدولة ولا وثق به على مطبخه فقلده غيره^(١) ووفى بمال ضمانه وأقبلت حاله تزايد وصدره يتسع للبذل حتى غلب على الوزير أبي الفضل وقرب منه وتفاق منه بعناية . وتوفى معز الدولة فاتفق على عز الدولة بمختيار وبذل له مرفقا يوصله اليه مما ينظر فيه فقبل

(١) قال فيه صاحب النكمة : وكان يخدم في مطبخ معز الدولة حتى خدم آبا الفضل الشيرازي وكان واسع النفس وكانت وظيفته في كل يوم الف رطل ثلجا وفي كل شهر أربعة آلاف مناشعا وكان يفعل كما تفعل وزراء الخلفاء من الجلوس في الدسوت البكامنة ويضع وراء مجلسه أساطين الشمع وبين يديه عدة آتوار فيها الموكيات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار تورقيه ثلاثية وان كان المكان خاليا وفي أيدي الفراشين الموكيات بين يدي من يدخل ويخرج وفي الشتاء يترك بين يديه كوانين الفجج فيها جمر الغضا ويترك عليه اقطاع الشمع فكان يشتعل أحسن اشتعال

بختيار: ذلك وردت اليه الوكالة وتلد المبلغ فبلغ بالمرنق الذي بذله لبختيار عشرة الاف درهم في كل شهر واشترط أن ينصره على الكتاب وأصحاب الدواوين ومنهم من الاستقصاء عليه ويشد على يده في استيفاء أموال تسيبائه من الوكالة فوفى له وكان يحمل اليه هذا المرفق الذي ذكرته مشاهرة ثم أنس به في خلواته ومجالس لهوه وانبط الى بانواع من المازح^(٣٦٣) كان يستعملها في مجالسه مع ندمائه فلفظ موقمه ودخل معه كل مدخل . ثم صار يهاديه بالخيال والبعال والجوارح والالطاف والجواري والعبيد ودخل في جلالة الزعفران جاهدته عنده حتى صار يتوسط يده وبين كل رافع ظلامه وطالب حاجة فلما أفضت هذه الوزارة الثانية التي نحن في ذكرها الى أبي الفضل كان ابن بقية قد استولى غاية الاستيلاء وصار في مثل منزلة شيرزاد اختصارا ومنزلة وغلبة على أمره واحتاج الوزير أبو الفضل اليه ليحفظ غيبه وانحدرت الجماعة الى واسط لحرب عمران

واستدعى الوزير أبو الفضل أبا الفرج محمد بن العباس الى واسط وكان معتقلا بالبصرة وأخذ خطه بمال عظيم لا ينهض به وأنفذه الى بغداد ليصححه هناك وكذلك فعل بأخيه أبي محمد فجري عليهما ببغداد أمر قبيح يجري مجرى التشفي من غير ضرب ولا مكروه في الجسم بل بضروب من الاستخفاف والاهانة والاسماع فتم لهما الهرب واستترا عند بعض أسباب سبكتكين . فمادت الوحشة بين أبي الفضل وبين سبكتكين واتهم بأنه يسفر له في العود الى الوزارة والجاته الحال الى مطالبة عز الدولة بختيار باليمين الغموس على الا يستوزره أبدا ولا يستعين به في شيء من الاعمال إن لم يظهر بعد شهر من تاريخ اليمين^(٣٦٤) وحالف له عز الدولة بحضرة القواد

والقضاة والشهود ووجوه الخاشية وكان في اليمين كل ما يكون في أيمان البيعة ولقنه بنفسه حرفا حرفا وبقي الامر كذلك وأبو الفرج مستتر الى أن عاد عز الدولة الى بغداد بعد سنتين وأخذ له ولاخيه امان فظهرا بعناية سبكتكين . وضمف أمر الوزير أبي الفضل وضمفت منته وتأدى أمره الى النكبة التي هلك فيها ووفى بختيار باليمين وقتل أبا طاهر ابن بقية الوزارة فكف عن أبي الفرج لانه علم انه لا يستوزر ولا يشرع في شيء من فساد حاله وتقي أخاه أبا محمد الى واسط وأجرى عليه رزقا . ثم ان أبا محمد أصعد الى بغداد بنير أمره وذلك لارجاف ارجف عنده بالقبض على ابن بقية فاعتناظ لذلك وقبض عليه وتقاء الى البطيحة فحصل عند عمران مدة ثم أصعد سرا واستتر ببغداد في عرض الفتن التي كانت تجري ثم تمكن ابن بقية منه ومن أخيه وطالبهما ثم تقاه وتقي أبا الفرج الى سر من راي واعتقله بها

﴿ ذكر ما انتهى اليه أمر أبي قره بعد حصوله بواسط ﴾

(وقوة أمره وعناية سبكتكين وأصحابه به)

لما أنس أهل واسط بقرب عز الدولة منهم وطال مقامه بينهم تظالموا اليه سرا ولقيه نفر منهم فاعلموه انه قد أخرج بلادهم وأفقرهم وظالمهم وغشهم وصادرهم وملك^(٣٦٥) عليهم ضياعهم وانه استحصل منهم ما حرمه الله وصححوا عنده سعة حاله وكثرة ماله وجلالة ضياعه فاستعظم بختيار ذلك وغازله فعلمه وتمكنه من النعم الكبيرة حتى أزالها واستبد بها فعرفه عن واسط وتقدم الى ابن بقية أن ينظر فيها على سبيل الامانة . فاتهم أبو قره الوزير أبا الفضل بأنه عن رأيه ومساعدته ولم يكن كما ظن فكتب الى

سبكتكين الحاجب يعرفه ما جرى ويحرضه على أبي الفضل ويعلمه انه قد حنث في يمينه وعقوده التي بينهما وعاد الى أسوأ فعله واعتقاده . ثم عطف أبو قرّة على أبي طاهر ابن بقية فخاعبه بكل ما كره وتوعده وهدده بالنكبة وطالبه بالحسابات لما يجري على يده دخلا وخرجا فاستطال عليه ابن بقية واتصف منه ونصره بختيار فانخزل أبو قرّة . واتصل بسهل بن بشر النصراني كاتب بختكين آذرويه وهو بالاهواز ما جرى على أبي قرّة وضمف أمره وكانت بينهما عداوة قديمة فكتب الى بختيار يضمه بمال عظيم وساعده ابن بقية فقبض على أبي قرّة وأسباه واستبيع ماله وقبضت ضياعه وغلاته فسارع الى التزام مصادرة ثقيلة عن نفسه واسباه وبذل بعد ذلك أموالا عظيمة يثيرها من محاسبات الضمنا واستمال ابن بقية وعاهده على أن يكون كل ^(٣٦٦) واحد منهما ناصرا لصاحبه . ثم ان بختيار مال الى ما بذله أبو قرّة فامر بأن يخلع عليه ولم يكره الوزير أبو الفضل ذلك لتزول التهمة التي سبقت الى سبكتكين في أمره .

﴿ ذكر السبب في انتقاض أمر أبي قرّة بعد تماسكه ﴾
(وبعد اشرافه على الخلاص من النكبة)

كانت الخلع أحضرت ليليسها فكره المنجمون له الوقت وأشاروا عليه بالتوقف إخباره يوم فورد للوقت غلام لسهل بن بشر على البريد برسالة منه ومن بختكين آذرويه صاحبه يستلان تسليم أبي قرّة اليه بزيادة بذلها وضمه بها وصادف ذلك خوف الناس من عوده بعد سماعتهم به وأنه عدو لهم يستأصلهم فسووا الى ابن بقية به حتي أشار على عز الدولة بتسليمه الى

سهل بن بشر وعرفه انه انما ضمن تلك الاموال حيلة في الخلاص والعود الى التعزز عليه بسببته كين فسلمه الى رسل سهل بن بشر وحمل من ليلته الى الاهواز وصور هناك وتشفى منه وتلف في أنواع المكاره التي جرت عليه^(١) وقد ديوانه أبو احمد ابن حفص^(٢) ثم أفضت الوزارة الى ابن بقية فضعت يده وقل نظره لاستيلاء ابن بقية على المملكة فلم يبق من هذا الديوان الا الاسم

وفي هذه السنة قتل حمدان أخاه أبا البركات

﴿ ذكر السبب في ذلك والاتفاق الحادث ﴾

﴿ عن قصد وغير قصد^(٣٦٧) ﴾

كنا ذكرنا ورود حمدان ورجوعه الى الرحبة وتمام الصالح بينه وبين أخيه أبي تغلب ولم يلبث الامر بينهما ان عاد الى فساد فاتفق أبو تغلب أخاه المكني بابي البركات اليه حتى دفعه عن الرحبة فسلط طريق البرية يريد دمشق وملك أبو البركات الرحبة تخلف بها طائفة من جيشه مع غلام من غلمانه وعامل من عماله ورحل منصوراً

وانتهى حمدان الى بعض طريق البرية ولحقه وأصحابه عطش ولم يمكنه الا تمام فرجع مخاطراً بنفسه ووصل الى باب الرحبة ليلاً والقوم الذين فيها غافلون نيام وتهياً لنفر من غلمانه ان دخلوا البلد من ثلثة في السور غامضة كانوا

(١) قال صاحب التكملة : وفي هذه السنة قبض على أبي قرة بالجمدة وحمل الى جنديسابور فمات تحت المطالبة وكان قد نزل الفبة التي على قبر الوزير القاسم بن عبيد الله وهي قبة مشهورة بالشؤم ونصبها على مجلس في داره وكان القاسم قد تقوي في عملها فدفن تحتها حين تمت (٢) هو محمد . كذا في التكملة

يهتدون اليها وفتحوا له باب الرحبة فدخلها واستروا وراء السور وضرب
بالبوق فسادر القوم الى الباب منقطعين متفرقين واپس يعلمون بحصول حمدان
من داخله فكان يوقع بهم أولا أولا وأسر عاملي الخراج والمعونة ووجد
في أيديهم غلات قد وردت في السفن فغنمها وغنم سوادهم وآلاتهم وسلاحهم
وكراعهم وصادرهم وأصعد على الفرات في الجانب الشامي الى قرقيسيا .
واتصل خبره بابي البركات وهو سائر الى الموصل فعطف عليه وحاراه من
الجانب الجزري وتخطبا وتراسلا فلم يتم بينهما صلح ولا اتفاق ولم يمكن أبا
البركات^(٣٦٨) المقام لضيق الميرة على عسكره فرجع يريد الحلبور . فاتفق أن
صار الى حمدان مائتا فارس من بني غير مستأمنة وكانت عدته ثلثمائة غلام
فصار في خمسمائة فارس فتتبعته نفسه العبور في أثر أخيه والتصملك على عسكر
وكان فيه جرأة واقدام تخاطر وعبر في جريدة خيل وسار حتى أذركه
بمنزل يقال له ماكسين وهو راحل مجتاز فنزل منه على فرسخين وبكر في
الغلس فزحف اليه فصادفه قد سبق بسواده وبعض جيشه وهو ماض على
غير استعداد لانه لم يقع في ظنه أن حمدان يقدم عليه مع التفاوت بين عدتيهما .
فلما قيل له انه قد وافى عطف اليه في طائفة من الرجال ليتلاحق به الباؤون
فبث حمدان أولئك العرب في الاغارة على سواده ومنع العسكر ان ينتظم
شمله وحقق على أبي البركات في الحملة مع غلمانة فوجده متسرعا في أول
الناس فاجتمعا ، تصادمين وعرف كل واحد منهما صاحبه فتضاربا بالسيوف
ولم تكن على أبي البركات جنة فضر به حمدان على رأسه فسقط الى الارض
وأخذه أسيرا وبه رمق . واستباح سواده واستأمن اليه جماعة من أصحابه
وأسر جماعة وقتل بعض الاسارى واستبقى البعض وانكفأ الى قرقيسيا

ليعالج أخاه من ضربته وظن انه ينجر فلق بـمد ثلاث^(٣٦٩) فانقذه في تابوت الى الموصل واستحكمت العداوة بينه وبين أخيه أبي تغلب^(١)

واختلف باقي الاخوة وتخاذلوا وتنافسوا وكانوا متفرقين في أعمالهم فبلغ أبا تغلب أن محمداً من بينهم المكنى أبا الفوارس وكان يتولى زعميين قد كاتب حمدان وعمل على اللحاق به والاجتماع معه عليه فاختال عليه واستدعاه وأطمعه في الاحسان والزيادة فاغتر محمد وصار اليه فقبض عليه واعتقله في قلعة أردمشت وضيق عليه هناك وثقله بالحديد حتى أطلقه عضد الدولة لما ملك تلك الديار^(٢) وكنت مندوباً لنقل ما في تلك القلعة من الذخائر مأموناً على ما فيها فجرى ما سأذكره اذا انتهيت اليه .

واستوحش باقي أخوة أبي تغلب لما جرى على أخيرهم محمد وأقبل أبو تغلب يستميلهم فخدعهم واحداً واحداً فصاروا اليه بعد أحوال تتقلب بهم بنوى أبي طاهر ابراهيم فانه لم يسكن اليه ورحل الى بغداد مستأمناً الى عز الدولة بمختيار على طريق دجلة . وسار أبو تغلب الى قرقيسيا وأنقذ منها أخاه أبا القاسم هبة الله سرية في جيش كثيف الى الرحبة بتقدير أن يكبس أخاه ويأخذه اسيراً فما أحسن به حتى أطل عليه فخرج هارباً واتبعه ابنه وطائفة

(١) قال صاحب التكملة : واعتذر حمدان بانه دفع عن نفسه بقتله فقال أبو تغلب : والله لالحقته به ولو ذهب ملكي . ولما عرف هبة الله بن ناصر الدولة ما جرى على أبي الفوارس ثار به المرار وأنكر فعل أبي تغلب . وكتب الحسين بن ناصر الدولة الى أخيه أبي تغلب وهو صاحب الحديثة يقول : ان ابنه قد وفق الامير في افعاله ونحن وان كنا أخوة فمن عييد ولو أمرني بالقبض عليه لفعلت . وقال أبو تغلب : هذا كتاب من يريد أن يسلم

(٢) وقصة إطلاقه من القلعة موجودة في الفرج بعد الشدة ٩ : ١٣٦

مرت غلماناه ولحقه هبة الله فابقي عليه حتى نجا . ثم وقعت ^(٣٧٠) عليه سرية للقرامطة كانت سائرة الى الشام لقتال صاحب المغرب فارادوا الايقاع به فتعرف اليهم وكان متعلقا بينهم بذمام فكفوا له وبذلوا له من نفوسهم ما أحبه فسألهم أن يسير معه ثمر منهم الى طريق عانة فقبلوا وعدل الى مدينة السلام فاستقر الاخوان بها في ذي الحجة سنة ٣٦٠ وكتب بخنيار اليهما بالانحدار اليه الى واسط فانحدرا ووصلا اليه في صفر سنة ٣٦١ وتلقاهما واكرمهما ^(١) وأمر بحمل انزال كثيرة اليهما وردتهما الى بغداد بعد أن حمل الى كل واحد عند رحيلهما هدايا كثيرة من الثياب والورق والطيب والدواب والبغال والمراكب . وسندكر ما انتهت اليه أحوالهما بعد ذلك ان شاء الله

﴿ ذكر تدبير دبره الوزير أبو الفضل على سبكتكين ﴾

(لما استوحش منه فلزمكس عليه)

قد قلنا ان أبا الفضل اتهم سبكتكين بأنه ستر أبا الفرج وأبا محمد وحامي عليهما وأنه يريد ان يسعى لابي الفرج في الوزارة وكان سبكتكين اتهم أبا الفضل بأنه دبر علي أبي قره حتى قتل بعد ذلك بالمذاب الطويل فشرع أبو الفضل في استصلاح سبكتكين بكل وجه وحيلة فلم يجد الى ذلك سبيلا فصبر حينئذ على عداوته وأخذ في التدبير عليه . فكان من ذلك ان اشار على بخنيار بان يستدعي آزاد رويه من الاهواز ويزيد في حاله ومجلسه ويقيم كالفد لسبكتكين لينجذب الاتراك ^(٣٧١) الى هذا ويفلهم عن ذلك فقبل بخنيار بما أشار به عليه . وورد بخنيار واسط فاعظم أتم تعظيم وفخم أمره أشد تفخيم

(١) زاد صاحب التكملة . وأنزل حمدان دار أبي قره وأنزل أبا طاهر ابراهيم في دار أبي العباس ابن عروة

وعقدت عليه واسط مضافة الى الاهواز فلم يتم ما قدر من انتفاض الاتراك عن سبكتكين وذلك أنهم تنبهوا على المقصد وعلوموا أنه انما دبر على تفريق شملهم وايقاع التنافر بينهم وكانوا قد تحالفوا على المعاضدة والا يتفرقوا. واشفق بختكين آذرويه من أن يعتزلهم ويفرد عنهم فصار واحداً منهم فانعكس تدبير الوزير أبي الفضل واضطر الى العود الى بابه والنزول تحت حكمه وطلب سامه بعسد مما تبات ومراسلات . ولما عاد بختيار الى بغداد زاد في منزلة سبكتكين وأمر بان يخاطب بالاسفهلار وتموهت الوحشة واندرجت على غير وثيقة . ولما عزم بختيار والوزير على الاصعاد عن واسط قدما أبا طاهر ابن بقية الى سبكتكين ليصالح ما أشعث بينه وبين الوزير أبي الفضل ويستعيد له جميل رأيه فجرى الامر أيضا في ذلك على تفاق ووحشة في السر واندمسل الجرح على فساد الى أن تم على الوزير الصرف والنكبة واتصل بقتله وابادته

وفي هذه السنة هلك أبو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصر وكل من اتصل به وغفت آثارهم وزالت نعمهم ولم يبق منهم على وجه الارض
نافع ضربة (٣٧٢)

﴿ ذكر السبب في اجتياح الزمان له ولهم ﴾

كان هذا الرجل فيه شهامة وكفاية وتهور مع ذلك ومخاطرة ولما حصل بختيار بواسط أكثر الناس من حديثه وما وصل اليه من الاموال حتى اتسعت فيه الظنون . وكان الوزير أبو الفضل يعلم ان ذلك باطل وليس يجب أن يفسد نظام أمور البصرة بهرفه والطمع في يسير ماله وكانت البصرة معتدلة الحال مستقيمة الامور . فأغرى بختيار بالمصير الى البصرة

وأقيم في نفسه أنه يصل منها إلى مال كثير ولم يكن وراءها فساد إليها ولم يجد بها ما كان مولعاً به من المتصيدات ولا تمكنت البزاة والجوارح من الصيد لكثرة نخلها وشجرها ولا لطفه هذا العامل بالهدايا والتحف ووافقه على صرفق يرفقه به ومشاهرة يقيمها له وتجاوز ذلك إلى أن ضمن له إثارة مال من البصرة على طريق التأويلات على التجار والمعاملين وأراد بذلك الدفع عن نفسه . ووافى الوزير أبو الفضل البصرة بعد أن رتب عساكره على طفوف البطيخة لأن المد وافى وكثر فلم يمكن طلب عمران بن شاهين واحتيج إلى الانتظار إلى وقت النقصان فامر به بختيار بالنخل على أبي طاهر المامل وتقبل ما بذله له . ولم يستطع البصرة لعدم الصيد الذي ذكرته فعاد إلى واسط ووصى الوزير بتقوية يد المامل والزيادة في بسطه^(٣٧٣) والرفع منه فاضطر الوزير إلى امتثال ما رسم له وهو لا يختاره ولا يستصوبه . فبسط أبو طاهر المامل يده في القبض على التجار والعوام وتناول عليهم بالحمال واستخرج منهم أموالاً كثيرة وظن أنه قد تمسك من بختيار بم عهد يثق به وأنه ممن يعتمد على قوله وضمائم وحدت نفسه بمنزلة أبي قررة وإن يرتقى منها إلى منزلة الوزارة فسأ رأي الوزير أبي الفضل فيه وأخذ في التدبير عليه والسمي على دمه فكتب إلى بختيار يعرفه أنه قد أخرب البصرة وأفسد نيات أهلها وأنهم عيب لا يحملون ما يحملونه غيرهم ويزعم أن أموالهم الآن قد حصت والدواب يقتضي إرضاءهم بالقبض على هذا العامل والاستبدال به ومصادرتة على مال ينضاف إلى مصادرتهم ثم دس إلى عز الدولة من يغريه به ويعظم عليه جناياته ويطمعه في ماله إلى أن أمر بالقبض عليه فقبض الوزير عليه وعلى أخيه والمعاملين به حتى زوجته وعياله وأقاربه وأسبابه كلهم وعقد

البصرة على علي بن الحسين المعروف بأبي القاسم المشرف وسلمه اليه امداد
كان يعرفه بينهما وأخذ خطه بان يستخرج منه ومن أسبابه مالا عظيما
وأصعد عن البصرة لاستتمام منازلة عمران بن شاهين . وكان هذا العامل
(أعني أباطاهر) من أهل الشر فكثير خصماؤه^(٣٧٤) وطلاب الطوائف عنده
ففسقه علي بن الحسين وسلمه الى مستخرج كان قد وتره فنالته منه مكاره
عظيمة خاف معها ان يسلم فيكون بواره على يده فأتى على نفسه ثم ألحق به أخاه
وأقاربه وزوجته فأتاف الجماعة بأسرها وعنى آثارها . ثم عطف على بن
الحسين على معامليه ومخاطبيه وقوم تأول عليهم فصادروهم لصحة المال الذي
ضمنه فما صح له من جميع الجهات الا البعض وانكسر الباقي وانجحت آثار
أبي طاهر من الارض فلم يبق له بقية

﴿ ذكر سوء تدبير بختيار لامر عمران منذ انحدر من ﴾
﴿ بغداد الى أن خرج عائدا اليها وماتم لعمران ﴾
(من الطمع فيه والاستظهار عليه)

كان بختيار لما خرج عن بغداد لمحاربة عمران أظهر أنه يريد الخروج
الى البصيرد بناحية النعمانية مغالطة لعمران وظن أنه يرهقه عن التجرز منه
والاستعداد له . وقد تفعل الملوك مثل هذا ولكن مع اتهم المزائم والصبر
على مطاولة العدو بالمسكايد التي تشبه هذا الابتداء لا بان يكون مبدأ التدبير
صوابا يشبه الآراء الوثيقة ثم يتبعه باللعب والاشتغال عنه بالعبث ويترك
الاستظهار واهمال الجند حتى تحرق الهية وتزول الحشدة ويظهر للعدو
عصيان الجند وقلة النظر في الحرب والتعويل على الجدد دون الجند حتى يطمع

على الحيرة والتبلة ومكان^(٣٧٥) العورة والضرورة الداعية الى مقاربتة في طلب الصلح منه والجنوح الي السلم بعد النزاع الى الحرب فان بختيار عمل في المبدء ذلك العمل الواحد ثم اتبعه بجميع ما ذكرته وذلك انه استطاب التصيد الذي أظهره مكيدة لعدوه وأقام بالثمانية شهرا مع عساكره التي علم معها عمران ان قصده بهم اياه^(١) لا غيره . ثم أمر وزيره أبا الفضل ان ينحدر الى الجامدة وطفوف البطيحة وبني أمره معه على ان يسد أفواه الانهار ومجارى المياه الى البطيحة ويمد بها الى غيره وان يبنى مسناة عظيمة يمكن سلوك الديلم عليها مشيا الى معقله وهذا ضد ما بنى عليه أمره في الابتداء ولا يشبه الحيلة التي تؤدي الى ارهاق العدو ومنعه من الفكر فان الهجوم والكبس والبيات يتم بالمساجلة والركض الى الناية دون التمهل والاخذ والتدبير البعيدة والاعمال الطويلة

فلما طالت المدة في عمل هذه السدود وجرت في اضعافها وقائع لحقت المدود وغلب الماء والسيل علاج السكور فاحتيج الى الامساك عنها والانصراف عن اتقانها الى حفظ ما عمل منها بالرجال حتى لا يفسدها العدو لاسيما وعمران متدرب بذلك قد اعتاد في جميع حروبه ان يمسك عن عدوه حتى ينفق ماله ويكد رجاله فاذا أحس بالمد ومجيء السيول^(٣٧٦) احتال في تخريب ما يبنى له من السكور وانما يكفيه ايقاع ثلثة يسيرة في احدواحي السد ثم يحمل الماء فيتولى كفايته في الهدم والتخريب فربما أفسد في ساعة من الليل أو النهار تعب سنة أو نحوها . وذلك ان هذه السدود تكون من قصب وتراب يُقام في وجوه المياه الجارية عند ضعف

(١) لعله أنه قصد به

جرباها وغاية نقصانها فاذا وردت المياه القوية ومنعت من حـدورها كفى
منها اليسير من المعونة حتى تنبت ويدفع بعضها بعضها وربما كان سبب
انبثاق الماء نقب فارة ثم بوسعه الماء وينتهي فيه الى حيث لا حيلة في سده
ولما عمل بمختيار ووزيره ما ذكرته من السدود وأتى المد كان قصاراها حفظ.
ما عمل بالرجال حتى لا يتم لعمران حيلة في هدمه فعدل عمران عن هدم
سكوره الى الانتقال الى معقل آخر من معقل البطيحة ونقل غلاته
وزواريقه وجميع أمتعته الى هناك فلما انحسر الماء وجاءت أيام الجفاف من
السنة الثانية وجد مكان عمران خاليا منه ولم تكن له آلة يطلب بها فطلب
غلاته فلم يجد فيها شيئا فانصرف خائبا . وصجر العسكر من المقام على الشقاء
ولم يصبروا على أذية البق وحر الهواء وانقطاع المواد التي انقواها فشغبوا
عليه وتناولوا الوزير بالسنتهم وهموا بالايقاع به وتحالف الديلم والأتراك
على النعصب واتفاق الكلمة وأبوا ان يقيموا أكثر مما أقاموا فاضطر^(٢٧٧)
بختيار الى طلب مصالحة على مال يلتمسه منه (وقد كان هابه في أول الامر
فبذل له خمسة آلاف الف درهم) فلما طالب هذا المال بعد اضطراب الجند
وطول المقام وانقطاع الحيلة امتنع عليه منها وبذل التي الف درهم بواسطة
سهل بن بشر كاتب بمختكين آذرويه وكانت بينه وبين عمران صداقة فنجّم
عليه هذا المبلغ ثم تماسك عمران وامتنع من التوثقة بما وافق عليه واقتصر
منه على اليمين أيضا فاضطر الوسائط الى ان يقولوا لبختيار انه قد حلف وما
حلف . وانصرف بختيار عنه مع عسكره خائبين عايم الزلة
وحـدث للعسكر زيادة على المعهود من سوء الخدمة وقلة الطاعة
والاستطالة حتى وثبوا على سهل بن بشر مرة لاجل مال كان حمله معه

فاحسوا به وطمعوا فيه ونهبوه واجتهد بختيار في ارتجاع شيء منه فما أمكنه ذلك . ثم وثبوا أيضا على محمد بن أحمد الجرجرائي (وكان ينظر في أمورهم ويخلف الوزير عليهم) لاشياء كانوا تقوموها عليه وأبوا ان يكون متوليا عليهم فارضاهم الوزير بصرفه عنهم ووجد السبيل الى مصادرتة فاستخرج منه عشرة آلاف دينار كانت سبب حقه حتى صار في جملة من سعى به ودبر في هلاكه ^(٣٧٨)

وقد كان قبل هذه السنة ندب عضد الدولة كوركير بن جستان لمحاربة سليمان بن محمد بن الياس وكان سليمان هذا بخراسان وأطمع صاحبها في كرمان والقفص والبلوص في طاعته فضم اليه صاحب خراسان جيشا وجاء الى كرمان فاستنوى هاتين الطائفتين وغيرهم من الامم المفارقة لطاعة السلطان الاكبر فصارت هذه الطوائف يدا واحدة في شق العصا . فلقية كوركير بين جيرفت وبتم وجرت بينهما حرب أجلت عن قتل سليمان ^(١) وبكر والحسين ابني الدير أخيه وعدد كثير من قواد خراسان والرجال المضومين اليه وحملت رؤسهم الى شيراز وأنفذها عضد الدولة الى حضرة أبيه ركن الدولة

واجتمعت النوجانية وسائر القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده وغيرهم من الرؤساء على كلمة واحدة في الخلاف وتحالفوا على الثبات والاجتهاد فضم عضد الدولة الى كوركير عابدين على فسارا الى جيرفت فيمنعهما من المساكر فوقت الواقعة يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من صفر سنة ٣٦٠ وأجلت عن هزيمتهم وقتل خمسة آلاف رجل من

(١) قتله زريزاد ودفن بدارزين . كذا في تاريخ هلال الصابي فيما بعد .

أشدائهم ووجوههم وقتل ابنان لابي سعيد البلوصي وحصل المعروف بابن الفوارس الموجهاني في الاسر وابن أخيه^(٣٧٩) أبو الليث وجماعة يجرّون مجراهم ثم صمد عابد بن علي أمّص آثارهم والتولّج إلى مكّهم ليبيد غصراءهم فتابع الايقاع بهم والائتخان فيهم وانتهى إلى هرموز فلما استولى على بلاد النيز ومكران وحصل في يده بعد من هلك في الحروب ألفا أسير من رجالهم ونسائهم وذريتهم فلاذوا بطلب الامان وبذلوا تسليم المعاقل والجبال على ان يدخلوا في السلم وينزعوا شعار الحرب ويقتنعوا بالاقوات التي تحل وتطيب ويتحلوا بسماء المسلمين وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمضان ويتمسكوا بشار شروط الايمان فعدّوا على أنفسهم بذلك عقدا وثيقا . ثم عدل عابد بن علي إلى طوائف آخر من الامم المخالفة في حال تصاقبهم يعرفون بالخرمية والجاشكية يخيفون السهل في البر والبحر وكانوا ضاموا سليمان بن محمد بن الياس فاوقع بهم وقتل كثيرا منهم وحصل في يده رئيسهم أبو علي بن كلاب ففرض عنقه وقبض على خلق منهم فاقبضهم إلى شيراز فتوطأت تلك الاعمال وصاححت مدة من الزمان

ثم لم يلبث البلوص وكانوا أشد هذه الطوائف باسا وأوعدهم جانبا وأشدّهم كفرا ان اشتاقوا إلى عاداتهم من اخافة السبل وسفك الدماء الحرام ونقض^(٣٨٠) ما كانوا تمسكوا به من تلك اليهود فلما فعلوا ذلك اعتقد عضد الدولة الاحيلة في صلاحهم ويثس منهم فرأى الا يبقى عليهم وعزم على السير بنفسه إلى كرمان فسار في ذي القعدة سنة ٣٦٠ فلما انتهى إلى السيرجان وجد البلوص قد تبسطوا في الاعمال وسعوا فيها بالفساد

ونصبوا للرئاسة عليهم على بن محمد البارزي ولقي الناس منهم عتاشديدا في جميع طرق كرمات وخراسان وخراسان فجرد عابد بن علي في عسكر كثيف من الديلم والجيل والأتراك والاعراب والاكراذ والزط والرجال السيفية وأنفذ اليهم فلما أحسوا باطلاله عليهم أوغلوا في الحرب وسلكوا طرقا ضيقة شاقة ظنوا ان العسكر لا يمكنه سلوكها ولا اتباعهم فيها ثم ان عابدا أنفذ أخاه في سرية قوية خلفهم وسار هو في باقي الجيش من طريق آخر الى بلادهم التي يأوونها الى جبال البارز ففتحها^(١) غزوة واستنزل عنها محمد بن علي البارزي وظفر بصهره أبي دارم وقد كانوا أنفذوا طلائع لهم وعيونا ليأتيهم بالآخبار فذر بهم وقبض على جماعتهم فلم يرجع اليهم مخبر منهم فكانوا ساكنين غارين الى ان أطل الجيش في الموضع الذي ظنوا انهم آمنون فيه فلم يجدوا مهربا ولا معدلا عن المجاهدة فثبتوا سحابة^(٣٨١) يوم الاثنين لاثدي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ٣٦١ منذ طلوع الشمس الى غروبها ثم انجلت الواقعة عن قتال الرجال المقاتلة الا القليل وعن الاحاطة بحرمهم وذراريهم وأملأهم ونجا في الوقت رئيسهم المعروف بابن أبي الرجال البلوصي مع جماعة من الوجوه ثم ظفر بهم من بعد فقتلوا جميعا ودخل نفر يسير ممن بقي تحت الامان وتشبهوا بالعهود والذمام فنقلوا عن تلك الجبال وأسكن عضد الدولة مكانهم الاكرة المزارعين والمستورين من أجناس الرعية حتى طبقت تلك المواضع بالعمارات وطهرت تلك الجبال من معة أوائلك المفسدين

ثم عاد عابد بن علي الى الامة المعروفة بالجاشكية ومن يجري مجراها

(١) في الأصل « من فتحها »

من الدعار وكانوا وراء جبال الققص مما يلي التيز ومكران والسواحل الى حدود عمان ولهم معرفة شديدة وفساد كثير وجنايات عظيمة على الناس وأنفذ عابد أخاه في عسكر قوى من الدلم والأتراك والعرب وغيرهم وحمل معه الزاد على الجازات في البر وعلى الشذاآت والمراب في البحر من سيراف الى مكلي هرروز وسواحل كرمان فقطع عدة مضائق حتى وصل اليهم وهم غافلون لا يظنون ان أحدا يصل اليهم فوقع بهم وقتل وأسر واصطلم ولم يبق من طبقات^(٢٨٢) الدعار في تلك النواحي أحدا . وفي هذه السهرة تنكر عضد الدولة لكوركير فقبض عليه وردّه الى سيراف واعتقله اعتقالا جميلا فيه بقية للصالح

﴿ ودخلت سنة احدى وستين وثلاثمائة ﴾

وفيه تمكن الاستاذ الجليل أبو الفتح ابن أبي الفضل ابن العميد رحمه الله من الوزارة^(١) بعد أبيه وفوض اليه ركن الدولة تدبير ممالكه ومكنه من أعنة الخيل فصار وزيرا وصاحب جيش على رسم والده إلا أن والده باشر هذه الامور في كمال من أدواته وتمام من آلاته على ما شرحناه فيما تقدم وكان لو فور عقله يدارى أمره مع صاحبه ومع عسكره ثم يسوس رعيته والممالك التي يراعيها ويدبر الجميع تدبيرا ملائما لوقته موافقا لزمانه فلا يظهر من الزينة وأبهة الوزارة إلا بمقدار ما يقيم به مرتبته ولا يجاوز ذلك الى ما يحسد عليه وينافس ثم يتواضع تواضعا لا يخرج به الى غضاضة تلحقه في جاهه أو تحطه عن المنزلة العالية التي يرقب اليها وكانت سلامته طول مدته على أصناف الناس وطبقاتهم وقيام هيئته وتمام سياسته متصلة تزيد على الايام ثناء وثباتا .

(١) ابراجع- ترجمته في ارشاد الارب ٥ : ٣٤٧

فاما ابنه أبو الفتح فكان فيه مع رجاحته وفضله وأدب الكتابة وتية ظه
وفراسته^(٣٨٣) نزع الحداثة وسكر الشباب وجرأة القدرة فتطلعت نفسه الى
اظهار الزينة الكثيرة واستخدام الديلم والاتراك والاحتشار في المراكب
التي يركب فيها واتخاذ الدعوات لصاحبه وسائر عسكره التي يلتزم فيها الخلع
والحملان على الدواب والمراكب والامراف في الصلات والنفقات تشبهها
بوزراء عزالدولة بمختيار الذين لا خبرة لهم بمواقب الامور ولا نظر لهم في
مصالح الملك وانما همة أحدهم في تناول شهواته والوصول الى لذاته واثارة
غيط حسادهم باظهار الزينة التي فوق طاقته . وليس يعلم ان أول من ينكر
ذلك في نفسه وان لم يبد له صاحبه فهو يحسده على مساواته له وعلى تمكنه
مما يتمكن هو منه ثم مزاحمته له في الاستظهار والجمع وتبذير الاموال التي
يرى انه أحق بها منه ثم خوفه من ميل الجند اليه واجتماعهم على جرده وسخائته
واعتمادهم بما يصل اليهم له دون صاحبهم وولي نعمهم . فكان أبو الفتح
ابن العميد يسرف في ركوب هذه الاهواء ويجب أن يبلغ غاية ما يقدر
عليه منها جلب عليه ذلك ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب
السيوف والاقلام فكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسم ملابسة أمور
الجند وأحب الراحة والدعة ففوض اليه الامور ورآه شابا^(٣٨٤) قد استقبل
الدنيا استقبالا فهو يحب النمب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله ويستلذ فيه
الانتصاب للامر والنهي ومخالطة الجند والركوب الى الصيد ومشى خواص
الديلم وكبار الجند بين يديه ثم مشاربهم ومؤانساتهم والاحسان اليهم بالخلع
والحملان . فاول من أنكر عليه هذا الفعل عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا
ركن الدولة وكتابهم ثم سائر مشايخ الدولة ورأوه يركب في موكب عظيم

وينشي الدار والديوان فاذا خرج تبعه الجميع وملت دار الامارة حتى لا يوجد فيها الا المستخدمون من الاتباع والخاصية فقط . ثم ترقى أمره في قيادة الجيش والتحقق بها الى أن ندب للخروج الى العراق في جيش كثيف من الرى والاجماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذى وقع بينه وبين الاتراك المستعصين عليه كما سنشرحه فيما بعد باذن الله . فأقام هناك ونظم أمور بختيار وتلقب بذى الكفایتين . من جهة الطائفة لله وأخذ الخلع وواطأ بختيار على أمر خائف فيها عضد الدولة وأوحشه وتأدى أمره الى الهلاك . وانما ذكرنا هاهنا جملة من سوء تدبيره لنفسه ونحن نشرحها مفصلة في الامور التى حدثت في سنة ٣٦٥ ليعتبر بها المعتبرون ^(٣٨٥) ويجرى مجرى تجارب الامم التى يتكرر مشاها فيتجرز منها . فاما الآن فانا نشرع في الامور التى حدثت في هذا الزمان الذى نحن في ذكره ونستقصى أخبار بختيار وما عمله في عوده من البصرة الى واسط ليتصل حديثه ولا ينقطع بدخول حديث غيره فيه

﴿ ذكر السبب في تجارب العامة على السلطان والفتن ﴾

(النائرة بهم حتى خربت بغداد)

وذاك ان الكتب وردت عليه بأن الروم غزوا نصيبين فلكوها وأحرقوها وقتلوا الرجال وسبوا الذرارى ثم ورد خلق من ديار ريعة وديار بكر مدينة السلام واستنفروا المسلمين في المساجد الجامعة والاسواق وحكوا انفتاح الطريق للروم وانه لا مانع لهم من تورد ديارهم وهي متصلة بالعراق فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد صاروا الى دار الطيع لله وحاولوا الهجوم عليها وقلعوا البعض من شبائيكها فاغلقت الابواب دونهم بمسدان كانوا

يصلون اليه ويأتون عليه فاسمعوه ما كره ونسبوه الى المعجز عما أوجب الله على الأئمة وتجاوزوا ذلك الى ما يتبع ذكره . وكان يختار في هذا الوقت بالكوفة مظاهرا لزيارة المشهد وغرضه التصيد تخرج اليه وجوه أهل بغداد^(١) منكرين عليه اشتغاله عن مصالح المسلمين^(٢٨٦) وانصرافه عن تدبيرهم الى مجاهدة عمران وهو من أهل القبلية وامهاله الروم وهم أعداء الملة ثم تشاغله بالصيد والاهو عن جميع مهمات المملكة ووعدهم بالعود الى واسط ومصالحة عمران والانسكفاء الى الثغور فسكنوا وانصرفوا . فلما عاد كاتب أبا تغلب وهو صاحب الموصل يعلمه فيه أنه عامل على الغزو ويلزمه أن يمد له من الزاد والملوقة ما يسمه وجنده في الطريق وأنفذ في ذلك بمضخووصه فقضى ابن حمدان حقه ورده بالانعام والمسارة الى ما سأل وهو يعلم أنه لا يفي بوعد ولا وعيد وأنه يقول ولا يفعل .

ثم أنفذ محمد بن بقية برسالته الي سبكتكين الحاجب وهو ببغداد يستصاحبه لوزيره العباس بن الحسين ويستنهضه للغزو معه ويأمره بأن يستنفر من يرغب في الجهاد فتقبل سبكتكين ذلك تقبل المناق ثم ركب ببغداد

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : وفيهم الامام أبو بكر الرازي الفقيه وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي وأبو القاسم الداركي وابن الدقاق الفقيه . وعلى بن عيسى هو الريمي المتوفى سنة ٤٢٠ عن نيف وتسعين سنة وترجمته في ارشاد الاربب ٥ : ٢٨٣ وأبو بكر الرازي هو أحمد بن علي تلميذ أبي الحسن الكرخي واليه رئاسة الحنفية أريد لقضاء الفضاة فامتنع توفي سنة ٣٧٠ وأبو القاسم الداركي هو عبدالمزير بن عبد الله بن محمد الفقيه الامام انتهى اليه معرفة مذهب الشافعي وله وجوه في المذهب منها أنه قال : لا يجوز السلم في الدقيق . وربما كان يجتهد في المسئلة والفتوي فيقال له في ذلك فيقول : ويحكم فلان عن فلان عن رسول الله صلعم بكذا وكذا والاخذ بالحديث أولى من الاخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة ! توفي سنة ٣٧٥ كذا في تاريخ الاسلام

في الجيش واستنفر المسامين فثار من العامة عدد كثير باصناف السلاح والسيوف والرماح والقسى حتي استعظم ما شاهده منهم ولم يوفق لتربيتهم وضمهم الى رئيس يقوم بهم بل جعلهم كالعدة لنفسه فصاروا وبالا عظيما وضروا على المحارمات بينهم وأظهروا ضروب العصبية وأثاروا الفتن وأقدم بعضهم على بعض بالقتل واستباحة الاموال والهجوم^(٣٨٧) على الحرم والفروج وتفاقم الامر بينهم وبلغ كل المبالغ في الشر وعجز السلطان عن اصلاحهم وانطفاء ما أثاره من نائرتهم حتى صار ذلك سببا لخراب بغداد وسند كر شرح هذه الاحوال عند دخول سنة ستة بمون الله

وصالح بختيار عمران كما حكينا أمره فيما تقدم وطمع في مال الصلح واستضعفه ورجع بختيار الى بغداد وهي خراب بكثرة الفتن واستطالة العامة وحدثت الحروب فيها واغارة بعضها على بعض وكثرة رؤسائهم الناجين فيهم حتى حصل في كل محلة عدة رؤساء من العيارين يحامون على محلتهم ويجبونهم الاموال ويحاربون من يليهم فهم لذلك متحاذون يغزو بعضهم بعضا نهارا وايلا ويحرق بعضهم دور بعض وينير كل قوم على اخوانهم وجيرانهم . فاما الاثراك فتسحبون مقترحون ما لا تمكن منه متجاوزون حدود العامة في سفك الدماء والطمع في الاموال والفروج حتى قتلوا صاحب شرطة كان لبختيار يقال خمار لشيء حقير^(١) كان حقه على بعض أصاغر الاثراك فلقبهم

(١) قال صاحب التكملة : وفي شعبان قتلت العامة والاثراك خمار صاحب الممونة برأس الجسر من الجانب الشرقي وأحرقوا جسده لانه كان قد قتل رجلا من العوام وولى مكانه الحبشي . قتل أحد العيارين في سوق النحاسين فثار العامة وقالت له وأخذ أبو الفضل الشيرازي حاجبه صافي له اونة صاحب الشرطة وكان صافي يبغي أهل الكرخ فاحترق النحاسين الى السماكين فذهب من الاموال ما عظم قدره وأحرق الرجال والنساء في

راكبا في موكبه فحملوا عليه وأجأوه الى الهرب والدخول الى دار بختكين المعروف بجمدويه وكان رئيسا معظما في الاتراك فجمعوا عليه وأخرجوه وقتلوه قسلة الكلاب خفقا بالسيوف واللتوت^(٣٨٨) ثم سلموا جثته الى العامة ففصلوه آرابا حتى أخذ كبده بعض السفهاء وقلبه آخر وكل جراحة منه وجد في يد سفيه ثم أحرقوا باقي جثته بالنار. وفتحوا السجون وأطلقوا أهل الدعارة منها وقاموا أبوابها ونقضوا حيطانها وعجز بختيار عن تدبير أمرهم وخاف معرفة الاتراك فاستدعى الديلم الى داره فحضره بالسلاح وتكلموا في أمر المقتول أعنى خمار وأنكروا تبسط الاتراك وتمركت الاحقاد بينهم وعمل الديلم على قصد دار سبكتكين الحاجب ومنازل الاتراك وأحسوا بهم فتحرزوا واستعدوا وتعصبت العامة معهم فسكن بختيار تلك الثورة وأغضى عن قتل صاحبه فمات عول على الحاجب سبكتكين في تسكين العامة لان هيئته كانت في نفوسهم أكبر وقلد سبكتكين الشرطة بفسداد حاجبا له فسكنت الفتنة مدة أيامه الا أنه تعصب للطائفة المنتسبة الى السنة على الشيعة فثار أهل التشيع وعادت الحروب والفتن كاعظم ما كانت . فكانت الاموال تنهب والقتل بين العامة يستمر في كل يوم حتى صار لا ينكر ولا يمكن حسمه وظهر نقصان الهيبة وعجز السلطان .

الدور والحمامات وأحصى ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلثمائة دكان وثلثمائة وعشرين داراً أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون الف دينار واحترق ثلاثة وثلاثون مسجدا . وكلم أبو أحمد الموسوي لابي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى أبا محمد الحسن بن أحمد اناصر الملوك . وركب أبو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة وأحضر التجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم : أيها الوزير أريتنا قدرتك ونحن نؤمل من الله تعالى أن يرينا قدرته فيك . فامسك أبو الفضل ولم يجبه وركب الى داره

وعطف بمختيار على وزيره أبي الفضل العباس بن الحسين بمطالبة
الاموال واعطاء الرجال وأرضاء طبقات^(٣٨٩) الجند وكان لا ينظر في دخل
ولا خرج وانما يلزم وزيره تمشية الامور من حيث لا يعينه ولا ينصره
ولا يمنع أحدا من جنده شيئا يلتمسه ولا يقبض يده ولا لسانه عن كل ما
يفسد حاله وشانه ويحب أن تقضى أوقاته في الصيد والأكل والشرب والسماع
واللهو واللعب بالنرد وتمريش الكلاب والديكة والقباج فاذا وقفت أموره
تبض على وزيره واستبدل به فلا يلبث الامر أن يعود من الالتيات
والانحلال الى أسوأ ما كان . فلما بلغ الامر بوزيره أبي الفضل هذا المبلغ
ولم تبق له حيلة في درهم يأخذه من وجهه عدل الى طلب الاموال من
الوجوه المذمومة التي تقبح الاحدوتة بها وتحرم ولا تحمل في شيء من
الاديان .

فبعت بمختيار على مطالبة المطيع لله بما لا يوهمه أنه من وراء ثروة ومال
وانه يحتاج الى اخراجه في طريق الغزو وان ذلك واجب على الامام
﴿ ذكر الرسائل والجوابات التي دارت بين المطيع وبين ﴾
(بمختيار وما آل اليه أمر أبي الفضل من الهلاك)

أجابه المطيع لله بان : الغزو يلزمني اذا كانت الدنيا في يدي والى تدبير
الاموال والرجال وأما الان وليس لي منها الا القوت القاصر عن كفاي
وهي في أيديكم وأيادي أصحاب الاطراف فما يلزمني غزو ولا حج ولا شيء
مما تنظر الأئمة فيه وانما لكم مني هذا الاسم الذي يخطب به^(٣٩٠) على
منابركم تسكنون به رعياكم فان أحببتم أن اعتزل اعتزلت عن هذا المقدار
أيضا وتركتمكم والامر كماه . وترددت المخاطبات في ذلك والمراسلات حتى

خرجت الى طرف من أطراف الوعيد واضطر الى التزام أربعمائة ألف درهم باع بها ثيابه وبعض أنقاض داره . وشاع الخبر ببغداد بين الخاص والعام وعند من ورد من حاج خراسان وغيرهم من الواردين عن الاقطار ان الخليفة صودر وكثرت الشناعات^(١)

وعول أبو الفضل الوزير فيما يحتاج اليه من مال الجند والاقامات التي تلزمه للاتباع والحاشية على مصادرات الرعية والتجار والتأويل عليهم بالحال وابتدأ بأهل الذمة ثم ترقى الى أهل الملة فأخذ أموال اليهود ووجوه البلد من أهل الستر وبث السماة والغمازين وسامع المال وأجرى عليهم الارزاق وكثر الدعاء عليه في المساجد الجامعة وفي الكنائس والبيع وفي المحافل والمجالس وزادت العامة على ما ذكرت من حالها في الاغارة والاقدام على النهب والحرق وأسرفت في ذلك حتى بطأت الاسواق وانقطعت المعاش وتمذر على أكثر الناس الوصول الى ماء دجلة حتى شربوا ماء الابار وحصلوا في شبه الحصار . ورام الوزير أبو الفضل تسكينهم فتعذر عليه حتى أركب اليهم طائفة من الجيش فواقعهم^(٢٩١) وكسروهم ونقصت الهبة أكثر مما كانت عليه وركب أبو الفضل بنفسه لقتال العيارين وواقعهم فلم يقدر عليهم .

وكان في حجابة رجل يعرف بصافي ذميم الاخلاق دنى النفس يتعصب لاهل السنة فضرب محلة السكرخ وهي مجمع الشيعة ومعظم التجار

(١) زاد صاحب تاريخ الاسلام : فشددوا على المطيع لله حتي باع قماشه وحمل أربعمائة ألف درهم فانفقها ابن بويه في اغراضه وأهمل النزو وشاع في الالسنه أن الخليفة صودر كما شاع قبله ان القاهر بالله كدى يوم جمعة فانظر الي قلبات الدهر

بالنار فمظلم الحريق وتلفت البضائع وصارت المضررة على الرعية فيما دبره
سلطانها أعظم مما جناه سفهاؤها . وكان بين أبي أحمد الموسوي (وهو الحسين
ابن موسى ويتولى نقابة الطالبين) وبين أبي الفضل الوزير مناظرة فيما جرى
على الشيعة فظهر امتعاضا وخرج في المناظرة الى المهارة فصرفه الوزير عن
النقابة بابي محمد بن الناصر^(١) وهو الحسن بن أحمد العلوي وحصل أبو أحمد
الموسوي من أعداء أبي الفضل المكاشفين له الثرين عليه وحصل أبو الفضل
فريدا لا ناصر له اما سبكتكين فيطاب عنده نار أبي قررة وفي نفسه عليه ما كان
منه في استدعاء بختكين آذرويه من الاهواز الى واسط ليقم مقامه ويجمعه
ضد آله وشيء آخر كان عظيما عنده قبيحا وهو أن سبكتكين كان يختص غلاما
تركيا من غلمانه فغضب عليه وأمر يديه في السوق فنصب الوزير أبو الفضل
من اشتراه له بضعف قيمته وتمحطاه ونزل عنه منزلة من كان في نفسه منه عشق
ثم وله وأعطاه^(٢) شيئا كثيرا حتى صار أجل وأيسر من غلمان سبكتكين
فلحقت سبكتكين من ذلك غيرة شديدة وفسد عليه غلمانه الذين في داره بما
وصل اليه هذا الغلام . فهذه اسباب عداوة سبكتكين وقد حكينا عداوة
الجرجرائي له وعداوة أبي أحمد الموسوي النقيب له ثم عداوة محمد بن بقية له
وكان ابن بقية قد ملك قيادة بختيار وكان سبب عداوته له أن أبانصر المعروف
بأبن السراج (واسمه إبراهيم بن يوسف وهو من الاشرار المعروفين بالسماية)
قد جمع بالملكسب الخيـث مالا عظيما وأعقد ضياعا جائلة فشعثها أبو الفضل
تشعينا يسيرا أخرجه به الى عداوته والسعي على دمه وكان يجتمع مع المعروف
بمحمد بن أحمد الجرجرائي كاتب شرمزن (الذي قدمنا خبره وسبب عداوته

(١) يعني الناصر لدين الله أبو الحسين أحمد بن الهادي الى الحق بحى قد تقدم ذكره ص ٢٠٩

لابن الفضل (ويدخلان محمد بن بقية ويعرضانه للمكاسب الجليلة والقوائد العظيمة ولم يزالا به حتى غيرا رأيه في الوزير أبي الفضل وأوهماه أنه ساعا عليه وأنه لن يبعد أن يضمنه من بختيار بمال عظيم ثم تجاوزا ذلك إلى أن أشارا عليه بتقليد الوزارة وأن يسبته إلى القبض عليه والراحة منه

﴿ ذكر السبب في تقلد ابن بقية الوزارة ﴾

لم يكن ابن بقية يستقل ولا يكمل الحمل دواة بين يدي وزير ولا يطعم في شيء من هذه المراتب^(٣٩٣) ولكنه تقدم عند بختيار وقت خلافته لصاحب المطبخ في توفير وفره وخدمة في جملة ما تمسخر وكان مستخرجا عسوفاً شديد التسوقة جاهلاً وفيه مع ذلك سماحة وسعة صدر وهو في هذه السيرة متشبه بأهل الشطارة والفتاك والدعار وليس يسلك طريقة أهل الكرم والرياسة ولما أشار عليه هذان بالدخول في الوزارة والقبض على أبي الفضل قبل أن يسبته إلى ذلك دهش وعلم أنه يعجز عما أشارا به عليه

﴿ ذكر كلام سيد لابن بقية في تلك الحال ﴾

أنه أجابهما بأن قال : لا صناعة لي ولا توجه فيما تدعوانني إليه ولي عند صاحبي منزلة كبيرة تمنحني الوزراء إلى معي وأخاف أن أدخل فيما ليس من عملي وأتهجن ويقدح في منزاتي واحط عنها من غير أن أتنفع بالوزارة . فشجماه وجسراه وضمن له محمد بن أحمد الجرجرائي أن يخففه ويكفيه العمل كاه ثم صار إلى - بكتكين الحاجب وذكراه بأفعال الوزير أبي الفضل وخلاه على الشروع في صرف أبي الفضل ونكبته فقال لهما : انني لم أزل معتقداً لذلك وأما كان توقفي عنه طلباً لمن يقوم مقامه وبسد مسده إذ كان

محمد بن العباس. ^(١) قريب العهد بالصرف ولم يكن مرضياً في وزارته ولا ^(٣٩٤) ناهضاً بها وقد حفظت على الأمير بختيار إيمان البيعة بأن لا يقلده وزارته .
فخطابه في تقليد ابن بنية وضماناً عنه أن ينهض وينفى ويكفى وأنهما يعضدانه
ويشدان منه في التدبير والنظر في الأمور فاستروح سبكتكين إلى ذلك وجمع
به التشفي من أبي الفضل وفساد أمر بختيار وتجنس احتمال النفاضة في
توفية محمد بن بنية حقوق الوزارة بعد أن لم يكن ممن يجوز أن يعده من
أصاغر خدمه ولا يطمع في دخول داره وإنما تجرع ذلك وطابت به نفسه
لعظيم ما كان في قلبه من أبي الفضل فراسل بختيار في ذلك وقد كان بختيار
سأء رأيه في أبي الفضل جداً فاستجاب إليه .

وقد كان أبو سهل ديزويه المعارض مرموقاً بمال عظيم ولم يتمكن منه
لمصاهرة كانت بينه وبين شیرزاد بن سرخاب فلما نفي شیرزاد احتجج إليه في
تسكين الجند مديدة فندفعت نكبه ثم أن أبا الفضل هم في هذا الوقت
بالقبض عليه فاحب ابن بنية أن يتولى أبو الفضل القبض عليه ثم يتسلمه هو
ويستخرج أمواله . فجرى الأمر على ذلك فقبض أبو الفضل على أبي سهل
ديزويه في يوم الخميس وقبض ابن بنية على أبي الفضل يوم الاحد فكان
بينهما ثلاثة أيام واستتم القبض على جميع ^(٣٩٥) كتابهما ومن يتصل بهما من
أسبابهما وكان ذلك في سنة ٣٦٢

وفي سنة ٣٦١ وقع الصلح بين عضد الدولة وبين أبي صالح منصور بن
نوح صاحب خراسان ووقعت المصاهرة فتزوج منصور بن نوح بابنة
عضد الدولة ونفذ في ذلك عابد بن علي مع عشرة أنفس مختارين من

(١) يعني ابن فسانجس الوزير

الاشراف والقضاة والشيوخ المذكورين وتكلف صاحب خراسان مؤونة عظيمة للرسيل والشيوخ وحمل هدايا كثيرة لم تحمل مثلاً قط الى عضد الدولة وكتب بينهما كتاب اتفاق بين الجهتين وكتب فيه شهود العراق الحاضرون وشهود خراسان خطوطهم

وفي سنة ٣٦٢ خلع المطيع لله على أبي اسحق ابراهيم بن ماز الدولة وكناه ولقبه عمدة الدولة^(١)

وفي هذه السنة جرت وقعة بين الدمستق وبين هبة الله بن ناصر الدولة بناحية ميافارقين^(٢) وكانت عدة الدمستق عظيمة كثيفة لكنه اتفق ان لقيه في مضيق لا تجول فيه المساكر وكان الدمستق في أول عسكره على غير أهبة تامة فانهمزم الروم وأخذ الدمستق أسيراً وتمكن المسلمون منهم وأعز الله دينه وكثر القتل والاسر حتى أُنقذ الى بغداد الرأس والأيدي وكانت كثيرة فشهرت وكانت^(٣٦١) هذه الوقعة في آخر يوم شهر رمضان سنة ٣٦٢ وحبس أبو تغلب الدمستق الى ان جرح به جراح عظيم فبط وتأدت الحال به الى الموت بعد ان كان أحسن ضيافته واجتهد في علاجه وقدّر ان يبلغ

(١) زاد صاحب التكملة : خلع عليه من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجبة المطيع لله على رسم أخيه عز الدولة في أيام أيه (٢) وقال أيضا : ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد آمد فخرج اليه واليه هزارد مولى أبي الهيثم ابن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم أهل الثغور فصرهم الله تعالى وكثر القتل والاسر لاصحاب الدمستق وأخذ مأسورا وذلك في ثنى شوال . وكان أكبر السبب في خذلان الله تعالى الروم ان هبة الله تعالى متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يأنهب وكانت الحال في أسره كما وصفنا . وكتب أبو تغلب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال وكتب الصابي الجواب عنه وهو مذكور في رسالته ومات الدمستق من جراح به

به من ملك الروم ما يريد

وفي هذه السنة خلع ثاني يوم قبضه على أبي الفضل وهو يوم الاثنين السابع من ذي الحجة سنة ٣٦٢ على محمد بن بقرية وكان الى هذا اليوم يقدم الطعام اليه ويحمل المضائر بيده ويتشح بمناديل الغمر ويدوق الالوان عند تقديمه اياها على رسم من يخدم في المطبخ خدمته فلما وزر عاد يريد الخدمة في ذلك فراه بختيار . وتمجب الناس من وزارته فانه كان دنيا لا يقع عينه الا على من كان فوقه ولا يرى نفسه الا دون كل أحد فازدادت دولة بختيار به سقوطا واخلاقا وتضاحك صغار الناس به قريبا وبعدا . واستخلف حين وزر محمد بن أحمد الجرجاني وناط الامور به وبالمعروف بابي نصر السراج واستقصى على أبي الفضل في المطالبة بالمال حتى تقرر أمره على مائة الف دينار فلما صبح أكثرها سلم الى أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوي الكوفي على ان يخرج به ^(٣١٧) الى الكوفة ويحبسه عنده فتسلمه وعاش عنده مديدة وتنف فلم يشك أحد انه مات مسموما ^(١)

وقبل ذلك توفيت زينة بنت أبي محمد المهدي رحمه الله وقد كان أخوها أبو الغنائم تقدمها وأكثر أهلها وانقرضت الجماعة ثم تتبعهم جميع من اشترك في دم

(١) ذكر صاحب التكملة انه سقى ذرايح في سكينجين فتقرحت مثاقته ومات من ذلك قال أبو حيان : قيل له في وزارته الثانية : كنت قد وعدت من نفسك ان أعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة انك نجمل في المعاملات وتسي المقلبة وتلقى وليك وعاءوك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا . فكان جوابه ما دل على هذوه لانه قال : أما سمعتم قول الله تعالى : ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . فما لبث بعد هذا الكلام الا قليلا حتى أورد ولم يصدر ولم ينشئ بعد ان عثر . وفي تاريخ الاسلام : وله تسع وخمسون سنة

أبى الفضل قتلا من غير ان طال بهم الاعمار وسند كر ذلك فى موضعه ان شاء الله ﴿ ذكر ما دبر به ابن بقية أمره حتى تماسك مديدة ﴾
 انه جد فى مطالبة أبى الفضل وأسبابه من خلفائه وحجابه وغلمايه وكل من انتسب اليه والى ديزويه المعارض حتى استصفى أهوالهم واتسع بما وصل اليه مديدة ومشى الامور بين يديه فتبجح بذلك وادعى حسن الاثر وتوصل الى ان كناه المطيع ولقبه الناصح فخام عليه الخلع السلطانية بامر بختيار واذنه . وكثر ذمه لآبى الفضل والطمع عليه وادعى العدل والانصاف فلم تمض الا أيام حتى ارتكب من الظلم والغشم واثارة الفتن ماصارت أيام أبى الفضل بالقياس الى أيامه جارية مجرى أيام العمرين وكل ذلك لسوء نظر بختيار واهماله الامور واقباله على الشهوات واستثقاله مباشرة^(٣٩٨) التدبير حتى سقطت الهيبة وانديست العامة وأغار بعضها على بعض وظهرت الاهواء المختلفة والنيات المتعادية وفشا القتل حتى كان لا يعدم فى كل يوم عدة قتلى لا يعرف قائلوهم وان عرفوا لم يتمكن منهم فانقطعت مواد الاموال وخربت النواحي المتباعدة بخراب دار المملكة وظهر فى كل قرية رئيس منها مستول عليها وتباغوا بينهم وحصل السلطان صفر اليد والرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهارجون ﴿ ذكر تدبير دبره الترك وأكابر الحاشية والجند حتى سكن أمرهم مديدة ﴾
 (ثم عادت الحال كاسوأ ما كانت)

شرع ابن بقية فى اصلاح ما بين بختيار وسبكتكين وتوسطه الوجوه والاكابر فتددت المراسلات ووجوه^(١) الكتاب والقواد وأخذ لكل واحد

منهما على صاحبه يمين مؤكدة على التصافي والتآلف فلما تم الاتفاق بينهما ركب سبكتكين الى بختيار مع جماعة من الاتراك فلقية وسلم عليه وانصرف. ولم يمد اليه ولا اجتمعا الا في الموكب وعلى سبيلهما الاولى في التحرز ونشأت بينهما ظنون سيئة وبلاغات منكرة ووجد الاعداء والمتسوقون ^(١) طريقا سهلا في الشر فسلكوه فادا الى التنافر ^(٣٩١)

﴿ ذكر سبب قوى في عودهما الى الحال الاولى من العداوة ﴾
اجتاز ديلمى من سقط الجنود سكران في فنا دار سبكتكين الحاجب فيما يلي دجلة وهو نائم فرمى الديلمي أحد صوالة الروشن بزوين كان معه فاثبتته فيه على سبيل العبث فظن سبكتكين انه مدسوس عليه ليرمييه فتقدم باخذه فاخذ وسئل واستقصى عليه فلم يكن لذلك الظن أصل فامر بانفاذه الى بختيار وتعريفه ما كان منه فلما حصل بحضرته أمر بقتله فقتل وتحرك الديلم وانكروه واستشنعوا فله وشغبوا وحملوا السلاح ولزموا موضع الشغب ثلاثة أيام ثم استعطفوا فرجعوا الى منازلهم والقلوب نائرة

﴿ ودخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة ﴾

وفيهما خرج بختيار الى الموصل طمعا في تناول بعض مافي تلك الاعمال والاتساع به وحرصا على التصيد في طريقه

(شرح هذه الاسباب وذكرها على التفصيل)

قد كان أبو الفضل قبل صرفه عن الوزارة الاخيرة اطمع بختيار في الموصل وقدر أن خروجه اليها يشغله عن نفسه وقصده ويدفعه عن نكبه وليتمل بما يتناوله من تلك الاعمال غلة ومالا يستعين بها في القضييم والاقوات

(١) يعنى السعاة قال أبو الملاء المعري في الازوميات (٢١:١) * ولا تقبلوا من كاذب متسوق *

فلما تقلد محمد بن بقية الوزارة سلك هذه السبل في بعثه على الخروج وحرص
ابن بقية على الموصل^(١)

﴿ ذكر سبب ذلك ﴾

وردت كتب أبي تناب على ابن بقية مع علي بن عمرو كاتب أبي تغلب
ووزيره بمخاطبة دون ما كانت تكاتب به الوزراء قبل ذلك لانحطاط منزلته
في نفوس الناس وأبت نفس أبي تغلب أن يوفيه جميع ذلك الحق فاغتياظ ابن
بقية من ذلك وذكر علي بن عمرو وصاحبه أبا تغلب بالقبائح وتوعدهما بالمسير
فتلافاه بالمسكابة المستوفاة فلم ينصرف ابن بقية عن عزمته . وأحب بختيار
الخروج الى الموصل للامور التي ذكرناها وقد كان أبو المظفر حمدان وأبو
طاهر ابراهيم ابنا ناصر الدولة حصلا ببغداد وطمع أبو تغلب في استصلاح
أخيه ابراهيم ولم يطمع في حمدان لو كيد العداوة بينهما فكاتب ابراهيم وأرغبه
ليقطعاه عن مضامة حمدان وصادف ذلك تقصيرا من بختيار . ونظر ابراهيم
فاذا أحوال اخوته الذين أقاموا مع أبي تغلب مستقيمة منتظمة وكاتبه « باني
سائر اليك » واستدعى منه نفرا من الفرسان والاعراب ليصحبوه فانفذهم
الى قرب بغداد على سمت البرية فهرب اليهم وأخذ معه أخاذا المسمى ذا القرنين^(١)
وكان رهينة في يد معز الدولة ثم في يد بختيار وهرب من محبسه ليلا وخرج
مع أخيه فلما كان الصبح عرف بختيار الخبر فلم يكن له فيه حيلة وجعل ذلك
سببا ظاهرا للخروج الى الموصل والباطن ما تقدم^(١) ذكره . وكان حمدان
ابن ناصر الدولة من أشد الناس بعثاله على الشخصوص الى تلك البلاد وطعما

(١) هو أبو المطاع وجيه الدولة ولى دمشق من قبل الحاكم صاحب مصر سنة

٤٠١ : كذا في تاريخ ابن القلانسي ص ٦٩

في التشفى من أبي تغلب فاستعطفه بختيار بنعموس الايمان بعد هرب ابراهيم
على اثبات ماله والنصيحة له وتمت العزيمة فخرج بختيار وسبكتكين الحاجب
ومحمد بن بقية الوزير وذلك في شهر ربيع الاول من سنة ثلث
(ذكر الحال في هذه الخرجة وما آل اليه الامر)

وقع التدبير علي أن يخرج سبكتكين في الجانب الشرقي على المقدمة
ويتلوه بختيار سائرا على أثره ويذهبهما مرحلة واحدة فاذا صاروا بازاء تكريت
عبر بختيار وسار في الجانب الغربي واستمر سبكتكين سائرا في الشرق
ففعلا ذلك وسبق بختيار الى الموصل وقدر حل عنها أبو تغلب الى سنجار
بعسكره كله وأخلاها من كل ميرة وكل كاتب ومتصرف ثم توجه من سنجار
الى مدينة السلام وهو من الجانب الغربي . وتأخر سبكتكين بالحديثة وأظهر
التشاغل بعبور السفن فاتصل خبر أبي تغلب وخروجه الى بغداد ببختيار
فكتب الى سبكتكين يرسم له العبور الى الجانب الغربي والمسير في أثر أبي
تغلب واتخذ اليه شطر عسكره وحمدان بن ناصر الدولة وجمهور العسكر وانفذ
محمد ابن بقية في الطيارات والزبازب راجعا الى بغداد بمد أن استخاف^(١٠٢)
بمضرتة محمد بن احمد الجرجرائي . فسبق أبو تغلب وانتهى الى قرية تعرف
بالفارسية علي نهر الدجيل بينها وبين بغداد نحو ثلاثة فراسخ فمسكرو بها وعامل
من اجتاز به من أهل السواد بالجمل ولم يأخذ منهم شيئا الا بالثمن الوافر
وأظهر العدل والانصاف . وصارت طلائعه ترد الى بغداد وخرج اليه جماعة
من عوام الناس وأوباشهم مستقبلين له . فظهرين السير بمقدمه وبرز أبو
اسحق ابن معز الدولة وكان يخلف أخذ بختيار الى باب الشمسية وانتقل المطيع
لله والدة بختيار وجماعة الحرم والاولاد الى القصر الذي بناه معز الدولة بباب

الشماسية على طريق التحصن وعقد أبو اسحق جسرا في هذا الموضع على دجلة وعبر بطائفة من الجيش الذي كان معه وظهر أنه يريد الحرب والمدافعة من غير عزيمة صحيحة وانما اراد التماسك الى أن يصل سبكتكين الحاجب . فتمجّل وصول محمد بن بقية سابقا في آلات الماء فشد من أبي اسحق واقتن الجانب الغربي وعاد الموام الى حمل السلاح والحرب وطلب الطوائل واستتر التجار وتعطلت الاسواق وعبر أهل النباهة من الغربي الى الشرقي ونزل سبكتكين باوانا بازاء عكبرا . فمدل أبو تغلب من موضعه راجعا اليه فنزل في قرية بينهما نحو نصف فرسخ^(٤٠٣) وتضاف العسكران ووقع الطراد بين سرعان الخيل وطوائف من الاعراب ثم تكافأ وجنحا الى الصالح

﴿ ذكر مكيدة جرت في هذه الحرب واجتماع من ﴾
 ﴿ سبكتكين وأبي تغلب على بمختيار وحيلة بينهما ﴾
 (لم يتمها سبكتكين وضيع فرصته فيها)

كانت الموافقة في السر تجرى بين أبي تغلب وسبكتكين على المواءمة واطهار الخلاف الى أن يتمكن سبكتكين من القبض على الخليفة ووالدة بمختيار وحرمة ومحمد بن بقية واطهار العصيان عند ذلك ثم يعود الى بغداد ويعود أبو تغلب الى الموصل قاصدا بمختيار وهو في عدد قليل فيتمكن منه ويقلب دواته سريرا . ففكر سبكتكين في سوء السمعة ولم يقدم على حرم مولاه وعلى الخليفة وخاف عاقبة ذلك . وبادر محمد بن بقية من بغداد الى سبكتكين فاجتمع معه وحضرهما رسل أبي تغلب وتقرر الصالح على المبلغ الاول وزيادة الف كرم من الخنطة في كل سنة وعلى أن يطلق أبو تغلب لبختيار ثلاثة آلاف

كر حنطة عوضاً عن مؤونة سفره : وانكفاً أبو تغلب الى الموصل قاصداً .
بختيار وهو في خوف من عسكره فايقن الناس ان أبا تغلب لم يقدم على القرب
من سبكتكين الا على ثقة من أنه لا يحاربه وان ذاك الطراد الذي وقع بين
أوائل العسكرين إنما كان تمويهاً

ودخل سبكتكين وجميع^(١٠٤) العسكر بغداد وأسلم بختيار وقامت
القيامة على محمد بن بقية من ذلك وطالب سبكتكين بمعاودة المسير واللاحاق
بصاحبه بختيار فتناقل عن ذلك واحتج بان الرجال لا يستجيبون للعود ثم فكر
في المواقف فانكفاً على مضض ورحل وقد ظهر للناس ما كان هم به الا أنه
ما فعل ولو هم وفعل لكانت فرصة عجيبة وكان لا يتمتع عليه شيء من التدبير
الذي ذكرناه . ثم جد سبكتكين وابن بقية وسائر الجند في المسير مصعبين
وقد كان بختيار حين عرف خبر رجوع ابي تغلب اليه جمع اليه أطرافه وردّ
قواده من النواحي التي كان ثروهم فيها وخاف خوفاً شديداً وعي مصافه في
الموضع المعروف بالدير الاعلى من ظاهر الموصل وقرب أبو تغلب ونزل
أسفل الحصبا على حالة الالهبة والتعبية ولم يبق بينهما في المسافة الا طول
قصبة الموصل فقط وأحجم كل واحد عن صاحبه وعن المناجزة الا أن أبا
تغلب كان الاظهر لكثرة عدده وتمصب أهل الموصل له وخاض الناس
بينهما في حقن الدماء وتتميم الصلح الذي تقدم ذكره فاشتط أبو تغلب في
الحكم والتمس النقصان والحطيطة وطالب بتسليم زوجته بنت بختيار اليه وان
يلقب لقباً سلطانياً فأجابه بختيار الى ذلك كله تفادياً من اللقاء . وجرى كلام
في معنى حمدان وان يفرج عن ضياعه وأملا كه^(١٠٥) بغلاتها وعن القلعة
المفردة له المسماة وهي قلعة ماردين . وكانت هذه القلعة مسماة لحمدان

ومفردة له منذ أيام أبيه وقد رتب أخاه من أمه مع ثقات له فيها فاحتال أبو تغلب على هذا الاخ حتى رغب في مال يتعجلاه وخان أخاه وسامها . فامتنع أبو تغلب من ذلك كله ولم يدخل في شرائط الصالح شيئا منه وكان غائبا عن هذا الامر وحاصلا يبعداد مع سبكتكين الحاجب . فضعف بختيار عن الاستيفاء وكان غرضه المفاينة وان يفرج له أبو تغلب فخرج الى موضع يقال له قرن الآئل على خمسة فراسخ من معسكره في عرض الموصل بعد ان حلف كل واحد منهما لصاحبه يمينا أخذها عليهما أبو أحمد الموسوي وجماعة من السفراء وانحدر بختيار الى الحديثة وأهل الموصل يتبعونه بالآمن ولدعاء عليه ويتبعون أصحابه ويتوثبون عليهم وذاك ان محمد بن أحمد الجرجرائي خليفة ابن بقية ظلمهم وعسفهم فكان انصرف بختيار عن هزيمة ظاهرة . فلما تحرك من موضعه وانحدر دخل أبو تغلب الموصل وظفر بجماعة كانوا مالوا الى بختيار من أصحابه وأهل الموصل فسلم عيونهم . ووجد رجلا عقليا يعرف بابن العجاج كان استأمن من معسكره الى بختيار ولم يخرج عن البلد تعويلا علي ما جرى من الصالح فضرب رقبة .

ولما وصل سبكتكين ومحمد بن بقية وحمدان والجيش واجتمعوا مع بختيار اضطرب حمدان من خروجه عن الصالح وأنف محمد بن بقية من المال التي انصرف عليها بختيار واتفقوا على ان يجملوا ضرب رقبة هذا العقيلي وسلم المال^(١٠٦) ووثوب أهل الموصل على حاشية بختيار واتباعه عذرا في الرجوع وحجة على أبي تغلب في الفسخ فعطفت الجماعة بجميع المعسكر الى الموصل . فهرب أبو تغلب عنها الى ناحية يقال لها تل اعفر ورد كاتبه المعروف بابني الحسن على بن عمرو بن ميمون برسالة الى بختيار يعاتبه

فيها على النقض وينسبه الى العدر فقبض محمد بن بقية عليه واعتقله وامتنه واحتج عليه بما ذكرنا فجحد ان يكون ما جرى من القتل والسمل بامر أبي تغلب وأحال فيه على بعض علمائه ثم تقرر الامر بعد خطوب جرت على اتمام الصلح وقومت الغلة وردت الى الورق ووضع عنه ما استخرجه بختيار من الموصل وأعمالها ونجم الباقي على تمجيل وتأجيل وشرط الافراج عن ضياع حمدان خاصة دون قلعة ماردين ودون ما أخذ منها ومن ارتفاع الضياع وان يسلم القوم الذين قتلوا العقيلي وسموا الامال لينفذ فيهم بختيار حكمه فانفذهم أبو تغلب اليه على ثقة بانه لا يسيء اليهم لعلمهم جميعا انهم مأمورون (فمما عنهم بختيار) وعلى ان يلقب أبو تغلب ويرزف اليه زوجته وجددت الايمان والمهود على الفريقين وانصرف بختيار وتشاغل في طريقه بالتصيد وكان وروده مدينة السلام لمشر خلون من رجب من هذه السنة وورد كاتب أبي تغلب فانجز له بختيار المواعيد وسأل المطيع لله في تلقيه فلقب عدة الدولة وأخذ اليه^(٤٠٧) خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته ووقع البدار به ليصح المال

وفي هذه السنة هلك محمد بن أحمد الجرجرائي وتلف في المصادرة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يبقى على أحد يتهمة أو يسبق الى قلبه منه شيء بل يعاجله قبل التأمل ويقتله من غير تثبيت وكان أهلاك قوما من أهل الكفاية والكتابة بالظن والتهمة وانهم سيصلحون لمكانه . ولما أفضت اليه الوزارة وكان المتولى للبصرة على بن الحسين الشيرازي المعروف بابي القاسم المشرف وكان يماذيه ويعتقد انه ذو كفاية فاراد القبض عليه واستصفاء ماله واتلافه

فتدافع ذلك الى ابن عاد من الموصل فعمل على ان ينقذ محمد بن أحمد الجرجرائي في ذلك طلبا لابعاده عن الحضرة ولان حاله كانت تمهدت عند اختيار لتقدمه على ابن بقیة في الكتابة ولانه عقد بينه وبين قهرمانة بمختيار التي يقال لها تحفة فكانت تحامى عليه وتمصّب له وكان مع ذلك يتكلم بالفارسية وابن بقیة لا يعرف منها شيئا فتطاول بهذه الاشياء على ابن بقیة واستهان ببعض ما كان يأمره به ثم بلغه انه مهد لنفسه حالا عند بمختيار أيام تفرّده بخدمته بالموصل . فلما اجتمعت عليه هذه الاشياء أراد ابعاده عن الحضرة واخرجه في القبض على علي بن الحسين والنظر فيما كان ينظر فيه فلما خاطبه في ذلك تفر منه وأحس بتغير نيته له واجتهد^(٤٠٨) في ان يعفيه فلم يفعل فانحدر وقد نبا كل واحد منهما عن صاحبه . ولوصبر على ان يكون حامل البصرة لما خرج به ابن بقیة الى ماخرج ولكن لما رآه يأبى الا التشبث بالحضرة والتمسك بما كان ناظرا فيه دون ما سواه اتهمه وازداد شكاه . وكان ابن بقیة قدّم كتابه الى صاحب له ينوب عنه بالبصرة يقال له عبد العزيز بن محمد الكراعي وهو من الاوغاد الاصاغر الذين ارتفعوا بارتفاعه وأمره يعرّفه نيته في علي بن الحسين ويأمره بالقبض عليه فانحدر الجرجرائي على ان يصادرد وينصب مكانه ضامنا له أو عاملا غيره ويعود فلما استقر بالبصرة وافق على بن الحسين على مال التزمه وأضافه الى أصل ضمان البصرة وجدد ايقاع العهد عليه ورده الى عمله من غير استئذان لمحمد بن بقیة وكتب اليه بان الصواب أوجب ذلك عنده وانه مصمم الى الحضرة فاغتاز من فعله ورآه بصورة من يستهين به ويؤثر المقام بالحضرة فكتب الى عبد العزيز بن محمد الكراعي بالقبض عليه وعلى علي بن الحسين فعمل ذلك فلما

على بن الحسين فانه قرر أمره على بعض المقاربة ورده الى العمل بعد خطوب جرت فيه وأما الجرجرائي فانه أخذ خطه بمال ثقل فصيح له بالبصرة شيء يسير واشترط لنفسه ان يحمل الى بغداد ليصح المال اذ كان وطنه بها وفيها نعمته وانما كان غرضه^(١) بالقهرمانة التي كانت تعزه فسابقه محمد بن بقية اليها فاشتراه بخمسين الف درهم منها فاسلمته وختت بينه وبينه وكتب بحمله وتقدم الى عامله بواسط وهو محمد بن أحمد المكنى أبا غالب الصريفي بآن يتسلمه حتى يصل اليه ويتولى من أمره ما الله مسأله عنه . فتسلمه أبو غالب ومكث في يده أياما وأظهر انه اعتل ومات وحساب الجماعة على الله الحكم العدل

وفي هذه السنة بدأت فتنة الاتراك بالاهواز ثم عمت جميع العراق
﴿ ذكر السبب في هذه الفتنة كيف نشأت ﴾

قد كانت الاضافة في المال والتسحب من الرجال زاد على بختيار حتى نبت به الديار وتعذر عليه الاستقرار فكان وزراؤه وكتابه يحتالون له فلا يجدون طريقا لمصلحة ولا يتجه لهم وجه الصواب وكلما أمليوا أملا خابوا أو قصدوا عدواً نكبوا ونكصوا لان الابذية كانت توضع على أصول غير مستقرة وقواعد غير قوية فلا يبعد ان يتقوض فيمتاص عليهم المذاهب . فاعتقد بختيار ومحمد بن بقية عند منصرفهم من الموصل بالخيرة ان يخرجوا الى الاهواز فيستقصيا على بختكين آذاذرويه ويصرفاه عن البساء ويعملوا له أعمالا ويطالباه بمال ويمرأ عليه النكبة ثم يفرقا الاتراك عن سبكتكين ويخفقا عدد من يبقى منهم ببغداد^(٢) ويحتالوا عليه من البعد ليستريحوا منه

(١) لعله سقط مثل « الاجتماع »

ويُحَصِّلُ أمواله واقطاعه ونعمته ويتسما بذلك . فانحدروا الى الاهواز في شعبان سنة ٦٣ فلما صاروا بواسط أنفذ اليهما بختكين ثلاثمائة الف درهم ثم نزلوا الاهواز فحمل اليهما ما يحمل الى الاصحاب وخدمتهما وبذل من نفسه الطاعة في المحاسبة والوافقة . فلم تمض على ذلك أيام حتى ثارت فتنة بين الاتراك والديلم في سبب صغير قد كان يجوز ان يستدرك قبل ان يستفحل ويستصعب فاغتماه وجعلاه ذريمة الى اتمام ما كانا هما به وأجرياه على تخليط وفساد من غير تحرز ولا احتياط

﴿ ذكر الخطأ الفاحش والتخليط الذي استعمل ﴾

﴿ في التدبير حتى انعكس وعاد وبالا ﴾

ان بختيار خاف بغداد والدته واخوته وأولاده وحُرْمه وخزائنه وأكثر سلاحه وقطعة من خيله في قبضه سبكتكين عدوه الذي هو في طريق التدبير عليه ومكاشفته بالعداوة ثم أخذ يتطلب عورة الاتراك الذين معه ويانهز الفرصة الضعيفة فيهم ليفسدهم على نفسه وينبه سبكتكين على تدبيره عليه . فكان مبدأ هذا الفساد ان غلاما من الاتراك نزل بسوق الاهواز دارا تجاور بعض الديلم وكان على بابها لينٌ مشرج فاراد ان يبنى به معقلا لدوابه واحتاج ذلك الديلمي أيضا الى شيء منه فوجه غلامه ليأخذه فمنعه غلام التركي فلم يمتنع وخرجوا^(١١) الى التنازع والتهار فخرج التركي من داره لينصر صاحبه وينع صاحب الديلمي وخرج أيضا الديلمي لنصرة غلامه فأرْبى على التركي واستطال عليه فركب في الوقت واستنهض الاتراك فثاروا بالديلم وتبادر الديلم وحملوا السلاح واجتمعوا على باب بختيار وبالباب ساحة واسعة قد ضرب فيها وجه من وجوه الاتراك مضاربه

وذلك لعزة المنازل فأحاطوا به وهو سكران وسمع الصياح فنهض وركب وعمل على ان يلحق برفقائه فعارضه أحد الديلم وشمته فثنى عنانه اليه وهو بغير جبة فرماه الديلمى فقتله فاستحكمت حينئذ الفتنة وطالبت الاتراك بثار صاحبهم هذا ورهوا الديلم بنشاب كثير حتى قتلوا رجلا وجرحوا عدة وبرزوا بأسرهم عن البلاد الى الصحراء وتبعهم غلمانهم وأتباعهم وقعد عنهم القواد والاكابر في منازلهم على طريق التوقف عن الفتنة والتمسك بالطاعة . واجتهد بختيار في تسكين النائرة فلم يمكنه ذلك بعد انتهائها فاستدعى قواد الديلم وشاورهم وقد كانوا يعرفون اعتقاده في سبكتكين الحاجب والاتراك فقالوا : هذا أمر قد انتشروا في تمسك منه ما فيها والصواب أن تقبض على رؤساء الاتراك المقيمين وتستولى على هذه البلاد التي كانت في يد بختكين وتنهض الى بغداد لتقام عنها ^(١٢) سبكتكين وتستريح منه ومن الاتراك . وكانت عادة بختيار ان يسمع من كل مخاطب ويتحدث مع كل كاذب فتسرع الى قبول ما رآه ووجهه الى بختكين آذرويه وسهل بن بشر كاتبه وسبأشى الخوارزمى وبكتيجور وكانت حما لسبكتكين الحاجب فأحضروهم من منازلهم وقبض عليهم وقيدهم وأدخل يده في اقطاعات سبكتكين بالاهواز وصرف أسبابه عنها وكتب الى البصرة بالبدء في الاتراك والايقاع بهم فنودى فيهم ونهبت منازلهم وهربوا عنها .

﴿ ذكر حيلة احتالها بختيار فلم تتم له ﴾

كان بين بختيار وبين والدته اتفاق على أن تظهر عند بعده عن بغداد الى الاهواز وخفة الاتراك المقيمين بخفة سبكتكين ان بختيار قد توفي ليصير سبكتكين اليها معزيا ومشاركا في المهينة ووافق أخاه أيضا على مثل

ذلك فاذا حضر أوقعا به وقبضا عليه فكتب اليهما ساعة قبض على رؤساء
الأتراك على الاطيار بالعمل على ذلك الاتفاق . فاشاعا ورود نعيه وظنا أن
سبكتكين لا يتأخر عنهما وكان أرزن وأرجح من أن يصير اليهما ولو صار
اليهما لما حضر الا على نهاية الاستظهار فان غلبت داره الممالك أربع مائة
سوى أتباعهم وسوى الديلم برسمه وسوى حجابيه ومن في جماعتهم .^(٤١٣)
وكان هذا الرأي من بختيار بعيدا من الصواب خليقا بالانتقاض فاقصر
سبكتكين على مراسلتهم بالمسئلة عن الخبر ومن أين صح وتوقف عن
الركوب الى أن وردت رسل أصحابه وكتبهم بشرح ما جرى على حقيقته
فجمع حينئذ الأتراك المقيمين ببغداد وأعلمهم ما عومل به رفقاؤهم وان
الستر قد انخرق وانتهك وان دماهم قد أحمات وأبيحت فدعوه الى
أن يتأمر عليهم لطيبوه فتوقف عن ذلك وراسل أبا اسحاق ابن معز الدولة
يطلبه ان الحال بينه وبين بختيار أخيه منفرجة انقراجا لا الشام له وان
أكثر الجيش نافر عنه وانه ليس يستحسن أن يعدل عن طاعة مولاه
وان عقوه وباينوه وانه يعقد الامر له ويجمع الأتراك على متابته وينقل
الديلم عن بختيار اليه ويتكفل له بالامر حتى يستقر عليه

هو ذكر انتقاض هذا التدبير بعد استمراره حتى ثارت الفتنة العظمى
لما قبل أبو اسحاق ابن معز الدولة هذا الرأي ودخل تحت علمه أن
بختيار اما أن يصير جالسا في بيته مزاح العلل فيما يحتاج اليه أو يصير الى
حضرة عمه ركن الدولة فذهب الى والدته وقص عليها القصة فمنعته
من هذه الحال واشفقت من أن يؤول^(١) الى هلاك احد ولديها . وصار اليها

(١) لعله سقط « الامر »

من كان مقيما بمدينة السلام من الديلم فاطمعوها في الاستقلال بمحاربة
سبكتكين^(١١٤) ومن معه من الاتراك فجمعهم الى دارها بالسلاح واصبح
سبكتكين وقد نقض عليه ابراهيم ذلك الاتفاق . فركب في يوم الجمعة ثمان
خيلون من ذى القعدة من سنة ثلث مع جميع الاتراك قاصدا الحرب وناصبا
لها فبقى يومين يحاربهم تباعا فلما كان في الثالث احرق جوانب الدار بعد أن
حاصرها وتقد زاد من كان فيها واستسلم ابراهيم ووالدته وكذلك أبوطاهر
ومن كان معه وسألوه أن يفرج لهم عن الطريق لينحدروا الى واسط ولا
يفضح حرم مولاه واولاده فاستجيا وتقدم فاجتمعوا جميعا في حديدى
وانحدروا وتفرق الديلم هارين في مرقعات الى بختيار وأقامت منهم شرذمة
في طاعة سبكتكين

وكان المطيع لله أعد لنفسه حديدا استظهر به عند حدوث الفتنة فانحدر
مع المنحدرين فانفذ سبكتكين عدة من الزبازب حتى ردوه الى داره ووكل
به فيها توكيلا جيلا . واستولى على ما كان لبختيار بمدينة السلام من السلاح
والدواب والآلات والمنازل فنزل الاتراك في دور الديلم وتبعوا حرمهم
وودائعهم وسائر اسبابهم . وثارت العامة من أهل السنة ناصرة لسبكتكين
فقود من رؤسائهم القواد وعرف العرفاء ونقب النقباء وخلع عليهم وحملهم
على الدواب^(١١٥) واستصحبهم وبسطهم وصار له منهم جند

(ذكر خلع المطيع وتسليم الامر الى ولده)

كان المطيع لله بمقب علة من الفالج يسترها وقد ثقل لسانه وتمذرت
الحركة عليه فانكشف حاله لسبكتكين فدعاه الى تسليم الامر الى ولده الطائع

لله ففعل وعهد اليه فبريء من الخلافة وخلعها واشهد على نفسه سنة ٦٣ يوم الاربعاء لثلاث عشرة خات من ذى القعدة^(١)

﴿ ذكر اسباب الفتن الهاجنة بين العامة ﴾

(حتى أدت الى بوار بغداد)

لما انبسطت العامة الذين ذكرنا حالهم مع سبكتكين وهم الفرقة المعروفة بالسنة استضاءوا الشيعة وناصرهم الحرب وتحزب الفريقان وكانت عدة الشيعة قليلا فتحصنوا في أرباض الكرخ من الجانب الغربي واتصلت الحروب حتى سفكت الدماء واستبيحت المحارم وأحرق الكرخ حريقا ثانيا بعد الحريق الاول في وزارة أبي الفضل فاقتقر التجار وغلبهم المياريون على أموالهم وبضائعهم وحرّمهم ومنازلهم واحتاجوا أن يتخفروا منهم وأى فريق كانت الخفارة له قصد الفريق الآخر . وانتثر النظام والنخلة السلطان وصارت العصبية بين هذين الصنفين في أمر الدين والدنيا بعد أن كانت في أمر الدين خاصة وذلك أن الشيعة ناروا بشمار بختيار والديلم وأهل السنة ناروا بشمار سبكتكين والأتراك^(١٦)

﴿ شرح الخال فيما تأدى اليه أمر بختيار بالاهواز ﴾

(وما دبر به أمره)

أدخل يده في اقطاعات جماعة الأتراك وظفر بذخيرة كانت لبختكين آذاذرويه بجند يسابور واجتمع الأتراك المشغبون بسواد الاهواز ثم صار بعضهم الى سبكتكين وتلافي بختيار بعضهم

(١) وفي تاريخ الاسلام . فقال أبو منصور بن عبد العزيز العكبري : كان المطيع لله بعد أن خلع يسمى الشيخ الفاضل

﴿ ذكر السبب في ضرورة بختيار الى استصلاح ﴾
(الاتراك بعد استفسادهم)

استوحش غلمان دار بختيار منه واضطربوا عليه وقصده الاتراك الذين هربوا من البصرة وعابود على ما ارتكب منهم من غير ذنب وقال له الديلم : انه لا بد لنا في الحرب من فرسان واتراك . فاضطرب بختيار في الرأي وترجع فيه ثم قرره على ان اطلق بختيار آزا ذرويه وجعله في موضع سبكتكين وسماه حاجب الحجاب وقدّر ان الاتراك يأنسون به ويعملون عن سبكتكين اليه وكتب الى البصرة بايقاع النداء بانهم آمنون والآ يمرض لهم وان يُرد ما أخذ منهم وأطلق سبأشى الخوارزمي وأقر بكتيجور على جملة^(١) الاعتقال لمصاهرتة سبكتكين . وبلغه خبر والدته واخوته وعياله في انحدارهم الى واسط فدار اليها .

وكتب الى الحضرتين بفارس والري يشكو ما نزل به ويسئل ان يكشف عنه وتابع المكاتبات وزاد في تأكيدها بحسب تزايد الفتنة وكتب الى أبي تغلب ابن حمدان فسأله انجاده بنفسه وعسكره وعمل على ان يمتصم بمران بن شاهين فانفذ اليه خلما وفرسا بمركب ذهب وتوقيعا باسقاط مابقى عليه من مال الصالح الذي كان صالحه عليه^(١١٧) وخطب اليه احدى بناته وسأله ان ينفذ اليه عسكرا في الماء يستعين به على حرب الاتراك وترسل اليه في ذلك حاجب له يعرف بابراهيم بن اسمعيل فلما أدى اليه الرسالة قال له : يا هذا قد جئتنا في أمور غير متوجهة عنسدنا ولا لائقة باحوالنا .

﴿ جواب عمران بن شاهين عن رسالته واتباعه ﴾

﴿ اياه بكلام وافق قدرا جفرا كما قال وقدّر ﴾

أما هذا الدين المتروك فالتحمد علينا به مع علمنا بأنه ساقط باطل لا يحسن لكننا نقبل ذلك . وأما الوسلة فانا رجل لا أداخل أحدا من خلق الله الا ان يكون الذكر من عندي والاثني من عنده وقد خطب الى الطالبين مع انهم موال فما أجبت أحدا منهم الى ذلك لان نفسي لا تسمع له وهو لاء أولاد أخى هم أكفاء بناتي ما واصلت أحدا منهم ولكن ان شاء ان تصاهر على السبيل الاخرى فمات . واما الخلة والفرس فاست من يابس اباسكم ولا أركب الخيل لان دوابي هذه السفن لكن أبا محمد ابني يقبل ذلك ولا يرده . رأما عسكري واثقاده فليس تسكن رجالى الى مخالطكم لكثرة من قتلوا من رجالكم على مر السنين والوقائع . ثم قال للرسول : قل له : ينبغي ان تتوفر وترزن ولا تستعمل هذه الخفة والنزق فقد قصدتني محاربا الى فرجعت عنى منهزما وقصدت الاهواز فرجعت منهزما على هذه الحال والصورة من الفتنة^(١٨) وأنا أعلم ان أمرك سيتأذى الى ان تبيثنى وتلوذ بى وتحصل عندي وساذرك هذا وتعلم حينئذ انى أعاملك بالجميل وبخلاف ما عامتني به أنت وأبوك قبلك . فتمجّب الناس من موافقة كلام عمران هذا المقدور الكائن فان الحال ببختيار آلت الى المصير اليه والحصول عنده مستجيرا به ومستنما على ما سذكركه ان شاء الله

﴿ جواب ركن الدولة عن رسالته اليه ﴾

فاما ركن الدولة فانه أجاب بجواب صدر عن نية صحيحة وشفقة عليه وهو ان قال : ان الفتق الذى اتفق عليه عظيم يحتاج الى رجال ومال

وسلاح وتدير وهيبة وطاعة وانه قد شاخ وثقلت عليه الحركة وانه بازاء
اشغال عاتقة وأور قاطمة ولكنه قد عول في هذه الحال على ابنه عضد الدولة
اذ كانت تلك الادوات التي عدها مجتمعة له وحاصلة عنده وانه سائر من
فارس اليه مع جيش كثيف ويخرج الى نصرته من عنده الوزير أبو الفتح
ابن أبي الفضل ابن العميد . واما بني ركن الدولة هذه الرسالة على ما كان
يكتبه به ابنه عضد الدولة فانه كان يعرف أخبار العراق يوما يوما ويطمع ان
يملكها لما يرى من سوء تدبير بختيار لها ولاضطراب الامور^(١) هناك
بسوء تأتي الوزراء وسقوط الهيبة وانتشار الحيل وفساد الرعية وكان مع
ذلك فاسد الرأي في بختيار مضطعنا أشياء كان تقدم^(٢) بينهما من مناقشة
جرت في وقت ومنافسة في مرتبة ومنع مما كان ياتمه عضد الدولة منه
خاصة من دفاتر عزيزة كان يرض بها بختيار وجوار صوانع محسنات كان
لا يسمح بها ومن خيل عراب كان يمنع من شرائها له ويجب ان يستبد بها
من البادية وكانت هذه الاشياء مجتمعة في نفس عضد الدولة فهو يجب ان
تستحكم الفتن ويستشري البلاء حتى يزول أمر بختيار ثم يقصد بنفسه
وخيله وأمواله ويدبر أمر تلك الممالك لنفسه ويضمها الى مملكته . فراسل
أباه ركن الدولة : بانك قد كبرت عن لقاء الحروب ولا مال عندك وعندى
منه كيت وكيت في القلاع والخزائن . وعظم عليه ما جمعه ولعمري لقد
كانت عظيمة وكانت له مع ذلك هيبة في أصحابه وتدابير مصيبة ولكنه
أحب ان يبذلها في خاصة نفسه لا في معاونة ابن عمه الذي يتصوره
بصورة التجلف وتضييع الامور واهمالها وتفويض الوزارة وتدابير المملكة

(١) يريد كانت تقدمت

الى من لا يُرجع منه الى روية صادقة ولا تدبير صائب ولا صناعة قوية ولا ذكر بين الناس جميل وهو^(٢٠) مع ذلك يظهر له المنافسة ويمنعه من مطالبه وينفض من اقدار أصحابه الواردين عليه في مهماته . وكان يكتب أباه ركن الدولة بمثل ذلك الظاهر الجميل الذي يجمع الشفقة عليه والمحاماة عنه وتفديته بنفسه ورجاله في نصرة ابن أخيه الذي هو ابن عمه وباطن رأيه ان ذلك الامر سيضطرب اضطرابا لا تبقى معه بقية الا باستصلاحه لنفسه دون غيره ﴿ جواب عضد الدولة عن رسالته اليه ﴾

قد كان حبس أباه ركن الدولة عن الحركة بنفسه وأطمعه في النيابة عنه وكفايته هذا الشغل فاجاب بختيار يشير عليه بان يقف حيث انتهى والا يزيد الامر فسادا ولا يبرح من واسط حتى يلحقه ويدبر نواحيه وأقبل بمأطله بالمسير وزحف اليه الأتراك ومن انحاز اليهم من سائر أنواع الجند فحصر وبلغ منه كل جهد . وامر بى لقد صبر لهم وطاولهم ولكن مصابة من يحتمسه عدوه ويبقى عليه وذلك أنه لما اشتد به الجبار وكان نازلا بين النخيل لا مجال لخيل الأتراك فيه وأصحابه ديلم ورجاله يستندون الى النخيل ويراوغون فيه ولا يخلو في خلال ذلك من موافق يصل اليه فيها التركي المداخل المصالت فاذا علم انه قد تمكن منه عدوه يذكره بالله وبالنعمة^(٢١) وانه صنيعته وصنيعه أيه ويخاطبه بما يرق له القلب وتستحي منه العين فيصرف عنه التركي بعد اتمكن منه ويجب أن يجرى قتله على يد غيره . فلم تزل هذه حاله من الصبر على الجوع والعري ونفاد السلاح والخوف من اقدام من لا يقبله ولا يحتمسه عليه ويكتب عمه وابن عمه . وعضد الدولة يتوقف ويعده بالمسير مدافعة الماثل المنتظر به الهلاك وركن الدولة يضحج من ذلك ويبعث ابنة

ويستبطئه الى ان لم يجد عضد الدواة من المسير بدا فصار من فارس وسار
أبو الفتح ابن الحميد من الري وكانت عدة أبي الفتح الوزير التي استصحبها
يسيرة بالاضافة الى ما استظهر به عضد الدولة كثرة وقوة ومددا وذلك
انه بالغ جدا ولم تبق بقية في الاحتشاد ولم تكن صورته في ذلك صورة من
ينصر ابن عمه على طريق المعاونة والانجاد ثم الانصراف بل صورة من
يجاهد ويدافع ويقيم بمد الظفر . ولم تخف على الناس هذه الحال منه اسكثرة
ما استصحبه من آلات خيم المقيم التي يريد ان يستقر بها ويتمكن في كل
بلد بالآلات المعدة لها من الفرش الكثير والزينة التامة التي لا يستعملها
المتوجه الى معاونة المنصرف بعد الفراغ من نصرة من توجه لنصرته .

فاما جواب أبي تغلب ابن حمدان عن رسالته^(١٢٢) فانه أجاب بالمسارعة
والانعام وأنفذ أخاه أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الى تكريت في جمع
من جيشه فاقام بها مدة طويلة انتظاراً بما يكون من انحدار الأتراك عن بغداد
الى محاربة بختيار فيردها . ولما تمادى الامر وانحدر بعد ذلك سبكتكين كما
سنحكاه سار أبو تغلب يجمع جيشه الى مدينة السلام ليوجب على بختيار
الحجة فيما بذل له خطه من ابطال ما تقرر بالموصل وعمل ببغداد ما سنصفه
ان شاء الله

(ذكر الرسائل التي ترددت بين سبكتكين وبختيار)

ثم أن سبكتكين راسل بختيار : بانك قد جنيت على نفسك جناية
عظيمة بما ارتكبته ودبرته وان كل ما عمله وتنصرف فيه خطأ وغلط وان
الامر الآن قد خرج عن اليد فافرج ن عن واسط حتى تكون هي وبغداد
في يدي بازاء أموال الأتراك التي قد حصلت على وتكون البصرة والاهواز

ونواحيها في يدك بازاء أموال الديلم واجعل أمرى وأمرى وأمرى واحداً ولا تدخلن
بيننا أحداً ولا تفتح للحرب باباً فليست من رجالها وأنا ناصح لك مشفق
عليك حافظ وصية مولاي فيك التي ما حفظت مثلها في . فعرض بخيار هذه
الرسالة على الديلم فانكروها وأكبروها واستخفوا بقائلها والتحمل^(١٢٣) لها
وردوه بالخيلة والمال بذة بخد سبكتكين واستعد للحرب وقدم كتاباً من الخليفة
إلى بختیار يذره فيه وأجيب عنه بما ليس هذا موضعه ووصل جواب هذا
الكتاب الى الطائع لله والى سبكتكين وقد انحدرنا عن بغداد وانها الى
دير العاقول ومع وصوله توفي المطيع لله وكان انحدر مع ابنه الطائع لله
وحدث بسبكتكين علة الموت فمكث فيها بدير العاقول أربعة أيام وتوفي فحمل
الى مدينة السلام .

وتماسك الاتراك وثبتوا واجتمعوا على الفتكين مولى معز الدولة وكان
يتلو سبكتكين عند معز الدولة وله رياسة في الاتراك وحشمة قديمة^(١) ولقاء
في الحروب للاعداء فمقدوا له الرياسة عليهم وعمل على اتمام العزيمة في اللقاء
وكانت عبر بختیار الى جانب واسط الغربي وأخلى الشرقي وجمع السفن
والزواريق اليه ولم يترك من آلات الماء شيئاً في الجانب الشرقي ونقل الشتاء
وطبقات الناس اليه وضرب مصافه في منازل واسط وعمل على المناجزة
الاتراك واقامهم بالديلم اما مناجزة ان ثبتوا له واما مصابرة الي أن يأتيه
النوثة من الري وشيراز وكان استبشر بما اتفق على الاتراك من موت
زعيمهم وقدر انهم يضطربون وينتشروا أمرهم ثم عرف انتظام أمرهم فتوقف^(١٢٤)
عن الاصعاد . واجتمع الاتراك وزحفوا وعقدوا جسراً بسفن كانت معهم

من بغداد وكانت معهم أيضا زبازب كثيرة وجيش للماء وعلي مقدمتهم حمدان ابن ناصر الدولة فاستأمن حمدان الى بختيار بكل من معه وعبر من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فأكرمه بختيار ووصله

﴿ ذكر السبب في تسيرهم حمدان مقدمة والسبب ﴾
﴿ فى استئمانه الى بختيار ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة ببغداد عند حدوث هذه الفتنة فدعاه سبكتكين الى طاعته فاجابه وأخذ عليه العهد والمواثيق بالنصيحة والموالاة وانما سكن اليه للمداوة التى بينه وبين أبى تغلب ولان أبى تغلب حافظ على مودة بختيار وواصله ونصره وظاهره فانفذه سبكتكين على مقدمته . فلما توفي سبكتكين كتب اليه الفتكين يعرفه وفاته وانتصابه فى موضعه ويستدعيه اليه ليستأنفا اتفاق التدبير ويتفقا على المسير . فاعتقد حمدان حين وقف على هذا الكتاب أن أمر الاتراك قد اختل نظامه بوفاة سبكتكين وغزم على المصير الى بختيار وكان عرف أيضا مسير عضد الدولة وخيول ركن الدولة فانفذ كتاب الفتكين الوارد عليه الى بختيار وأعلمه انه سيعود الى الفتكين ثم ينحار اليه واشترط شروطا واقترح اقتراحات . فورد ذلك على بختيار وقد عبر الى الجانب الغربى ولما اجتمع حمدان مع الفتكين رده^(١٢٥) على مقدمته كما كان فى أيام سبكتكين . فوافى بمن معه من غلمانه وأسبابه وعبر مستأمنا الى بختيار فلقاه وأكرمه وحمل اليه مالا كثيرا وثيابا فاخرة وعدة وافرة من الخيل والمراكب والبغال والجمال . وضعت نفوس الاتراك فتوقفوا يوما ثم زحفوا بأسرهم ونزلوا على دون الفرنج من واسط وعبروا

على جسرهم وتقدموا الى مصاف بختيار فكانوا يواقعونه بنواب واتفق على استعمال المشاة الفاحشة والمساباة المقذعة واتفق على حمدان انه حمل على الاتراك في بعض هذه الايام فرموه ووقع بعض سهامهم في صماخ فرسه فرمى به ونهض ليركب غيره وعليه الحديد فلم يتمكن من ذلك وعرفه الاتراك فاكبوا عليه بالدبابيس حتى اثنوه وكاد يلف- ثم اخذوه اسيرا لا فضل فيه فعولج وبرا الا انه لحقه عرج ظاهر من وركه الايمن وبقي على ذلك بقية عمره ثم من عليه الفتكين وأطلقه وأخذ منه رهينة وأعادته الى حاله فشهد معه الحرب يوم ديايالي الى ان انهزم الاتراك وانحاز الى عضد الدولة .

ولم تزل الحرب بين الديلم والاتراك متصلة بواسطة واستظهار الاتراك على الانكسار والهرب دفعات وقتل من الديلم خلق كثير لنقصان جنهم واستظهار الاتراك عليهم بالاسلحة واشتد على بختيار الحصار وأحرق به وصار في مثل كفة الحابل وأحاط به الاتراك من كل وجه وكانت صورته كما ذكرت فيما تقدم . واتصلت كتبه الى أبي تغلب يسأله الانحذار والى عضد الدولة يسأله اللحاق ويُعلمه ان مملكته قد خرجت من يده وانه أحق بها ممن غلب عليها حتى انه كتب اليه في بعض كتبه البيت الذي كتب به عثمان الى أمير المؤمنين على صلوات الله عليه :^(١)

فان كنت مأكولا فكن خيرا كل والا فادركني ولما أمزق
نأما أبو تغلب فصار بجميع عسكره بعد ان كان قدّم أخاه الحسين كما

(١) راجع كتاب الامامة والسياسة ١ : ٥٨

كتبنا خبره فيما تقدم وصار الى مدينة السلام فالفها مفتتة باليارين^(١) فقمعهم وقتل جماعة منهم وحمل من بغداد الى الموصل أشياء كثيرة ظفر بها من آلات فاخرة وأنقاض جليلة وذخائر وودائع وأما عضد الدولة فإنه سار بعد ما ذكرته من التوقف والإبطاء واجتمع مع أبي الفتح ابن العميد بالاهواز

﴿ ذكر السبب في رجوع الفسكين الى بغداد ﴾

﴿ وهرب أبي تغلب عنها الى الموصل ﴾

لما سمع الفسكين بخبر عضد الدولة وحصوله بالاهواز نخب قلبه

(١٠) وفي تاريخ الاسلام انه في المحرم أوقع العيارون حريقا بالخشابين مبداء من باب الشمير فاحترق أكثر هذا السوق وهلك شيء كثير واستفحل أمر العيارين ببغداد حتى ركبوا الخيل وتلقبوا بالقواد وغلبوا على الأمور وأخذوا الخفارة من الاسواق والدروب . قال صاحب التكملة : وذكر أبو حيان في كتاب الامتاع والمؤانسة قال : حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء ان يصل الى الكرخ وكان فيهم قائد يعرف بالاسود الرند لانه كان يأوى قنطرة الرند ويستطعم من حضر وهو شريان لا يتوارى فلما فشا المخرج رأى هذا الاسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف فطلب الاسود سيفاً ونهب وأغار وظهر منه شيطان في مسك انسان وصبح وجهه وعذب لفظه وحسن جسمه وأطاعه رجال فصار جانبه لا يرام وحريمه لا يضام وظهر من حسن خاقه مع شره ولعنته وسفكه الدم وهتكه الحرم وركوبه الفواحش وتمرده على ربه القاهر ومالكه القادر انه اشترى تجارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فتمته فقال : ما تكرهين مني . فقالت : أكرهك كما أنت . فقال : مانحين . قالت : ان تبيعني . قال : أو أفعل معك خيراً من ذلك . وحملها الى مسجد ابن رغبان فاعتقها بين يدي القاضي ووهب لها الف دينار . فعجب الناس من نفسه وهمته وسماحته وصبره على خلافها وترك مكافاتها على كراهتها . ثم صار في جانب أبي أحمد الموسوي فحماء وسيره الى الشام فهلك بها .

ورأى ان يحصل ببغداد ويجعلها^(١٢٧) وراء ظهره وتكون حربه على دياالى .
قال صاحب هذا الكتاب : كنت في جملة السائرين من الرنى في صحبة أبى
الفتح ابن العميد وما كان اشفاقنا ولا حذرنا كله الا من سبق الاتراك ايانا
لى أسفل واسط الى الموضع المعروف بباذين وان يجعلوا النهر وراءهم مع
المدينة والميرة وان يتركونا حتى تقطع اليهم مفازة بنج وبنج وتلقاهم على اعياء
وكلال وليس وراءنا عمارة ولا نجد ما ننزل عليه فان طاولونا اياما كان الهلاك
وان ناجزونا حين ورودنا كانوا جامتين مستريحين ونحن على حال تعب
وضعف وكنا من كثرة العدد على ما وصفت فيما تقدم . فلم يوفق الاتراك
لذلك وانصرفوا الى بغداد ورأوا من الصواب لهم ان يملكوا ببغداد
ويجعلوها وراء ظهورهم وتكون حربهم على دياالى فكانت الخيرة لنا فيه
ودخلنا واسطا بغير مانع . وقد كان بختيار واخواه ومحمد بن بقية تلقوا
عضد الدولة لما انصرف الاتراك عنهم وترجلوا له وأعظموه كما يستحق
وسار عضد الدولة في الجانب الشرقى وتقدم الى بختيار ان يسير بازائه من
الغربي ممتدين الى بغداد

فاما الفتكين فانه لما توسط في مسيره الى بغداد أنفذ سرية في أربعمائة
غلام من الاتراك لسكيس أبى تغلب فارهقوه وشغب مع ذلك جنده عليه
فهرب^(١٢٨) الى الموصل هربا قبيحا وتقطع عسكره . وحصل الفتكين ببغداد
في حصار شديد قد أهدقت به الخيول من كل وجه وذاك ان بختيار كاتب
ضبة بن محمد الاسدي وهو رجل من أهل عين التمر كثير المشاثر وقد
جرت عادته بالتبسط بان يشن الغارات على أطراف بغداد ويمنع من جلب
الميرة اليها ففعل ووجد الطريق الى بغيته فنهب السواد وقطم السبل . ثم أنفذ

في الجانب الشرقى ابن أخ لمحمد بن بقية وزيره يعرف بابى الحمراء وهو لقب غلب عليه مع طائفة من بنى شيخان ليتطرف بغداد ويحاصرها من ذلك الوجه وكانت خيول عضد الدولة والري وبختيار متوجهين اليه سائرين لحروبه وكان أبو تغلب من ناحية الموصل يمنع الميرة وينفذ اليه سراياه ورجاله فاشتد الحصار به وعزّت الميرة وانحسرت مواردها وثارت الرمية فهبت الموجود في المدينة وامتنع الناس بالفتنة ان يتسوقوا اذ ينهشوا وأُعيت الفتكين الحيلة في التماس ما يحتاج اليه وصار يتبع المواطن التي يظن فيها قوتا أو بذرا أو عدة يتناول ذلك حتى انتهى به الامر الى ان ركب بنفسه الى منزل بعض الاشراف فكبسه وأخذ مافيه .

وسار عضد الدولة كما حكينا في الجانب الشرقى وبختيار بازائه في الغربي فلما صار بدير^(٢٩) العاقول عبى عسكره تعبى اللقاء وجعل موكب خاصته في القلب وفي ميمنته أبا الفتح ابن العميد وجيش الري وفي ميسرته أبا اسحق ابراهيم بن معز الدولة ومحمد بن بقية وطائفة من عسكر بختيار ونزل المدائن على هذه الحالة من الترتيب . وورد خبر الفتكين بانه برز الى دىالى ونزل عليه مستعدا للحرب وعقد عليه جسورا ليعبر عليها واعتقد ان باقى الساكر في فضاء بين دىالى والمدائن وظن انه يتمكن بالجولان فيه مما يريد وذلك في^(١) سنة أربع وبستين وثلاثمائة .

(١) زاد صاحب التكملة . طولب أبو محمد ابن معروف ان يستحل بيع دار ولد أبي الحسن محمد بن أبي عمرو الشرايى حاجب الخليفة وكان أبوه قد مات والبائع لها وكيل نصبه المطيع لله فامتنع وأغلق بابه واستعفى من القضا (وفي تاريخ الاسلام انه عزل بحكومة ابتغى فيها وجه الله) فقاد مكانه القاضي أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيخان الهاشمى بعد ان امتنع وأجاب على أن لا يقبل رزقا ولا خلة ولا شفاعة وان يدفع

وعبر الفتكين تلك الجسور ولم يقع في الظن أنه يعبر دبالى ولا أنه يترك التحصن به والقتال من ورائه فسار عضد الدولة على تعبئة وهيئة حتى انتهى إلى قرية هناك وتراءت مواكب الفتكين وقد صباها كراديس واعترض نهر صغير في هذه القرية فوقع التشاغل به إلى أن عبرته العساكر وصاروا مع تلك الكراديس في أرض واحدة

﴿ ذكر عجلة وقعت وحرص ظهر من جيش ﴾

﴿ بختيار الذين كانوا في ميسرة عضد الدولة ﴾

(فكانوا يكسرون العسكر)

تقدم الجيش البختيارى المرتب في الميسرة مع أبى اسحق وابن بقية زحفاً بغير أمر وفارق المصاف وخرج عن النظام حرصاً على اظهار فضل وغناء وتشوقاً إلى اللقاء فراسلهم عضد^(٤٣٠) الدولة ونهاهم فلم ينتهوا على ما اعتادوه من الاستبداد حتى لحجوا واستجروهم الاتراك حتى صاروا بالبعد من العسكر فعطف الاتراك عليهم وقتلوا خلقاً منهم وتابعوا الحملات عليهم وأكثروا النكابة فيهم فحينئذ عرفوا الخطأ الذي ركبوه وأنفذ عضد الدولة طائفة من الرجال اليهم فلم يغنوا عنهم وحصلوا في مثل حالهم فلما رأى ذلك زحف على نظامه وهيأته حتى اتصلوا بهم بعد أن أشرفوا على الهلاك فلما

إلى كاتبه من بيت مال السلطان ثلثمائة درهم (في كل شهر) ولحاجبه مائة وخمسون درهماً وللقاضي في الفروض على باب مائة درهم ولخازن ديوانه وأعوانه ستمائة درهم وإن بصل اليهم ذلك من الخزانة فأجيب وركب معه ابن بقية والوجوه وتسلم بهذه بحضرة المطيع لله فتولى انشاء أبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى صاحب ديوان الرسائل يومئذ وقرىء بهذه في جامع المدينة . وفي سنة ٦٤٤ أعيد ابن معروف إلى قضاء القضاء وصرف ابن أم شيان

قرب من جرة القوم ومجتمعهم حمل عليهم فلم يثبتوا واستأمن بعضهم وحكم
السيف في الباقي فقتل خلق منهم وأجلأتهم الهزيمة الى تلك الجسور التي
عقدوها على ديايى فازدحموا عليها وأرهمهم الامر فهلك منهم ومن البيارين
الذين وازروهم بالقتل والفرق خلق كثير وركب عسكر عضد الدولة
أكتافهم وعبروا تلك الجسور على آتارهم فاستباحوا عسكرهم وسوادهم
وألقوا النار فى خيمهم وخر كاهاتهم وأدركهم الليل فبات هؤلاء وهرب
أولئك لا يلوي أحدهم على صاحبه .

وأنفذ عضد الدولة فى ساعة الفتح بشيرا الى بختيار وذلك يوم السبت
لاربعة عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٣٦٤ وأقام على ظاهر^(٤٣١)
المدينة الى ان عرف خبر الاتراك ثم دخل المدينة فى أحسن زى وعدة
وطواه متجاوزا الى باب الشمسية وبختيار يسير بازائه ويمسك بجياله وأقام
بموضعه الى ان بعد الاتراك وورد عليه خبرهم من تكريت وانهم وصلوا
اليها على حال قبيحة من التقطع والتمزق واختلاف الكلمة فحينئذ انثنى الى
النزول فى داره . واشتغل قلبه بالطائع لله وحصوله مع الاتراك وتصرفه على
ما يحبون والتقل معهم فبث اليه رؤسائه وقد كان رساله قبل ذلك ولم يزل معه
بالتلطف والرفق حتى رده الى دار الخلافة وموطن الائمة .

﴿ ذكر ما جرى بين بختيار وبين جيشه وما كان ﴾

﴿ من اعتزله اياهم وما كان من انكار ركن ﴾

﴿ الدولة لذلك وما تم من الحيلة عاياه ﴾

﴿ انتفاضه وعوده الى منزله وحالته ﴾

لما تم هذا الفتح لعضد الدولة لم يشك أحد ممن دنا وبعده فى أنه

يستولي على هذه المملكة ويضيفها الى مملكته لضعف اختيار عنها واشتغاله بضروب اللهو واللعب وتجاسر الديلم والأتراك عليه فقكر في حديث الناس وعلم ان أباه ركن الدولة لا يصبر على ذلك ولا يحتمله له . فأتخذ دعوة دعا اليها بختيار واخوته ومحمد بن بقية وسائر عسكر بغداد وخلع عليهم ضروب الخلع على مقدار مراتبهم وجعل ذلك كالوداع وأظهر^(١٣٢) الرحيل الى فارس وأمر بأعداد الميرة في المنازل . ووافق في السر رؤساء الجند ان يثوروا بختيار ويشغبوا عليه ويطالبوه بان يطلق أموالهم ويغير أحوالهم ويحسن مجازاتهم عن صبرهم عليه وثباتهم معه وبذلهم الانفس في محاربة الأتراك . دونه ففعلوا ذلك وبالغوا في الشغب والاقتراحات وبختيار صفر اليد لا يملك ذخيرة ولا تصل يده مع خراب النواحي واتصال الفتن الى درهم واحد . فراسله عضد الدولة سرا ووافقه على مقاتلتهم بالتشدد والغلظة والصدق عن الحال وانه لا يعدم بما لا يقدر عليه وان يفصح لهم بالاستعفاء عن الرياسة وانه قد بريء اليهم منها ووعدده أن يتوسط حينئذ بينهم ويقرره على ما يحب . فلم يجد بختيار عدولا عن ذلك ولا عرف وجه حيلة سوي ما أشار به عليه فبادر اليه واستعفاهم من رياسته وأغلق أبوابه وصرف كتابه وأسبابه وراسله في الظاهر بمقاربة القوم وتدبيرهم فاجابه : باني لست أميزاً عليهم ولا معاملة بيني وبينهم فلينظروا لانفسهم وليعقدوا لمن شاءوا . واتصلت هذه الرسائل ثلاثة أيام والشغب يزيد الى أن اعلنوا بالقيح وكادوا يزحفون اليه ويأتون عليه فاستعاذ بعضد الدولة وطلب منه ما كان وعده به^(١٣٣) من التوسط فراسلهم عضد الدولة بما سكن منهم وأمرهم بالتفرق ووعدهم بالنظر في أمرهم . ثم استدعى بختيار الى داره وقد كان خائفا مرعوبا واستدعى أخويه

على طريق الاشفاق عليهم والحذر من أن ينصبوا أحدهما علماً للفتنة فيفتحوا به باباً الى الفرقة ورأسلهاما بختيار أيضاً بمثل ذلك حتى حضرا جميعا . ثم جمع الرجال وجماعة الجند وأعلمهم أن استيفاء بختيار من النظر واعتزاله اياهم وافق محبة منه للنظر في أمورهم وضمهم الى نفسه وأنه يخلطهم بعسكره ويشملهم باحسانه وأنه المتولي للامر وان بختيار انما كان خليفة له ولركن الدولة وأنه الآن قد استعفى فاعني وبريء فأبرى فسكنوا وتفرقوا ووثقوا بوفائه وأنه من وراء ذلك . وأمر باستظهار على بختيار وأخويه ووكل بهم ثقاه وذلك يوم الجمعة لاربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٦٤ وجمع بينهم وبين الوالدة

فاما الخليفة الطائع لله فانه كان نافرا من بختيار للحروب التي جرت بينه وبينه ولان انتصابه في الخلافة جرى على يد غيره في غير أيامه وسكن الى عضد الدولة وضمائه . فلما اتصل به ما اختاره بختيار لنفسه من الخلم سكنت نفسه وهو حينئذ مع الاتراك وعند الفتيكين بتكريت^(١٢١) فجرت بينه وبينهم مناظرات في الرجوع الى بغداد فسألوه الامتداد معهم الى الشام فلم يمكن ذلك لان القوم منهزمون وعلى حال اضطراب فوعدهم من نفسه اذا ثبتت أقسامهم وكان له قوة وفيهم منعة أن يحتال لهم ويعود اليهم أو يدبر لهم في الاجتماع معهم فاتفقوا على ذلك . وانكفأ الطائع لله الى داره ورحل الاتراك الى الشام^(١)

وتقدم عضد الدولة بعمارة دار الخلافة ونظريتها وتجديد فرشها وآلتها وترتيب أسباب الخدمة فيها والتزم في ذلك مالا جليلا وأخرج الجيش اليه

(١) ليراجع تلخيص أبي يعلى حمزة ابن الفلاني ص ١١

مُتَاقِنَ واستقبله بنفسه يوم الخميس ثمان خلون من رجب سنة ٦٤٠ وكان أول اجتماعهما وانحدر معه في حديديّ كان أنقذه اليه ودخلا بغداد . وكان طرح لعضد الدولة بين يديه كرسىّ وقد كان قبل عضد الدولة الارض له وجلس على الكرسىّ وأطافت بهما الزبازب والطيارات في الماء وسار الجيش على شاطئ دجلة ودخل الخليفة داره واستقر على سريره . وأنقذ عضد الدولة الى خزائنه مالا كثيرا وثيابا وفرشا جليلا من جميع الاصناف وعدة من الخيل والمراكب والرقيق والآلات وقرّر يده في ضياع الخدمة المرسومة بالخلفاء وقد كانت متشذبة قد تحيفها أسباب^(٤٣٥) معز الدولة ثم أسباب بختيار فمنهم من تغلب على حدودها ومنهم من استقطع الخليفة بعضها ومنهم من ضمن منها ما لم ينصفه من نفسه فيه ولم يسهل اخراج يده عنه فردّ عضد الدولة ذلك كله الى حقه . فامر الطائفة بالله بإنشاء الكتب عنه الى النواحي باستقامة أحوال السلطان وتميى آثار الفتنة وتآلف الشمل وكتبت وفرقت في الممالك كلها

﴿ خبر عصيان المرزبان ابن بختيار بالبصرة ﴾

﴿ وعصيان ابن بقية بواسط ﴾

أما المرزبان فان عضد الدولة سام بختيار أن يكتبه بالاصماد وكان متوليا البصرة ايرضى بما رضى به أبوه من خلوة الذرع من تدبير الجند والرعية فكتب وأنقذ كتابه على يد ثقة من ثقاته يعرف بعلى بن محمد الجوهري وكان صحبه من شيراز ووصاه بموافقة محمد بن دربند وكان اسفهلار جيش البصرة وهو قريب للحسين بن ابراهيم وهو متقدم في جيش عضد الدولة . ولم يقع في نفس أخذ أن المرزبان يتمتع ويحدث نفسه بالعصيان اصباه وصغر سنه ولأن

جيشه من الديلم وهذا المدبر للجيش الذي ذكرناه يهوى هوى عضد الدولة ويرى رأيه . فلقى علي بن محمد الجوهري في طريقه صاحب دواة لعز الدولة بختيار يقال له عيسى بن الفضل الحباري قد كان اصعد عن البصرة فعرّفه الصورة واستعمل في اخراج هذا الحديث اليه غير الحزم والصواب^(١٣١) فثنى وجهه عائداً اليه الي البصرة وسبق الي الرزبان بالخبر فاشعره الوحشة واعلمه أن آتاه مكرهة ولقنه العصيان . فلما ورد الجوهري على أثره البصرة بدأ بمحمد بن دربند وأوصل ما كان معه من الكتب اليه فصار به وبها الي الرزبان وتندهما انه غافل فوجده مستعداً للخلاف وقبض عليهما جميعاً وأظهر الخلاف وكاتب ركن الدولة بالبكاء والنوح وأعلمه ما جري على أيه بختيار وعمومته وان جميع ما يكتب من جهة عضد الدولة ووزيره أبي الفتح ابن العميد عن بختيار انما هو تمويه وان الحياة استمرت وتمت لهما على القبض على أبيه وانه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه وأنفذ قاصدين عدة بكتب متواليه

وكان لمحمد بن بقية خليفة بالاهواز من جنسه في الانسلاخ من صناعة الكتابة [ومن كل فضيلة] يقال له محمد بن عبدان الاهوازي فلما بلغه ماجري احتوى على ما قدر عليه من المال وأثبت عدة من الرجال وصار الي البصرة داخلا في سوار أهل العصبية فغلب على الرزبان وشجذ بصيرته في العصيان ودخل في وزارته ووعد الكفاية . وأما محمد بن بقية فقد ذكرنا حاله في البعد من كل فضيلة وكان يتموه أسره في أيام بختيار غاما في دولة عضد الدولة فما كان أبده من أن يكون عريفاً من عرفاء الرجالة يبايه فضلا عن ان يختلط بوزرائه وكتابه ولكن أظهر مساعدة كثيرة^(١٣٧) لعضد

الدولة فيما كان يدبره وخدمة فيما كان يراه وانما فعل ذلك حذرا على نفسه وخوفا ان يُردّ الي مرتبته وعلماً بان بختيار ان عادت يده في التدبير قبض عليه وطمع فيه وعامله بما عامل به وزراءه الكفاة عند حاجته الى المال وكره عضد الدولة ان يخلطه بوزرائه الكفاة مثل نصر بن هرون وكان معه في هذه الواقعة وهو شيخ الكتاب قد سلّم له صناعة الحساب خاصة فينسبه الناس الي قلة المعرفة بالرجال ونقصان الرعاية لاهل السابقة والتقدم في الكفاية وكره أيضا ان يصرفه صرفا قاطعا فيكون قد خيب ظنه وأكذب تأمليه فاستوزره لابنه أبي الحسين ابن عضد الدولة وعرض عليه ما يشاء ان يتقلده من الاعمال فاختر واسطا وتكريت وعكبرا واوانا وقاطع على هذه الاعمال ووفر على ما كان العمال يدخلون فيه زيادة عظيمة فأمر عضد الدولة ان يعقد عليه جميع ذلك . واقترح ابن بقية اقرار اللقب والتكنية السلطانية ولباس القباء عليه فأجيب الي ذلك وخلع عليه خلعا نفيسة وحمل على دواب بمراكب ذهب وأقطع خمسمائة ألف درهم ورسم له حضور مجالس المؤانسة والمنادمة ولم ينقصه من جميع عاداته الا اسم الوزارة لانه بالحقيقة لم يكن يتولاها على رسوم الوزراء فيخاطب بها فظهر سرورا عظيما وشكرا كثيرا ودعاء متصلا وكل ذلك على ذحل^(١٣٨) وغل قد أضمره وانحدر الي واسط .

وقد كان عمران صاحب البطائح مستوحشا فاحب ان يتلاق مع تجدد ملك عضد الدولة بدمام فانفذ كاتبه يلتمس عهدا ومنشورا وعقدا وتقريرا فأجيب الي ذلك . والتمس أبو تغلب ابن حمدان صاحب الموصل مثل ذلك وضمن حمل المال الذي كان يحمله قديما الي بختيار فاجابه عضد الدولة الي

ماسأل وأعفاه من حمل المال لمكاتبة قديمة كانت بينهما ومودة سالفة وعقدت أعمال الاهواز على سهل بن بشر النصراني وخلع عليه ف شخص اليها وكان محبوبا في يد بختيار وقد جازفه وصادره . و فرقت أعمال السواد على العمال ودبر الامور كلها أبو منصور نصر بن هرون .

ولم يبق في نفس عضد الدولة شيء يتعلق به نفسه الا انتزاع البصرة من يد المرزبان فلما حصل ابن بقية بواسطة خلع الطاعة وأظهر الخلاف وقبض على من ضم اليه من القواد وأظهر انه امتعض لصاحبه بختيار وكان هو المشير بجميع ما جرى متابعة لرأي عضد الدولة . ثم كاتب عمران بن شاهين يستدعي منه المعاضدة ويحذره تدابير عضد الدولة وانه ليس ممن يصبر له على محاورته : انك الحال فاجابه عمران الى ما سأل . وكاتب المرزبان ابن بختيار يلتمس منه ان يمدد بالرجال والمال والسلاح فلم يجد عنده ما يحب لتهمة بالانحراف عنه وعن أبيه ^(٣٦) وعلم انه يريد ان يقيم سوقا لنفسه واحجم ابن بقية عن المصير اليه لتقليد الاهوازي وزارته فبني أمره على انه متى وقع الطلب له هرب الى عمران وقصد أعمال نهر الفضل فیتغلب عليها وكتب الى سهل بن بشر ما أغواه حتي استجاب له وسلمك سبيل ارادته . وقد كان عضد الدولة عزم على انقاذ عسكر الماء لفتح البصرة فلما عصي ابن بقية جعل همه كله واسطا فانفذ اليه عسكرا قويا نخرج اليه في آلات الماء فيمن أمدده بهم عمران من رجاله

ووردت كتب ركن الدولة على المرزبان بان يماسك بالبصرة وشجعه على مقاومة عضد الدولة ووعد بالمصير الى بغداد بنفسه لازعاجه وتمكين بختيار وكذلك فعل في مكاتبة ابن بقية وأبي تغلب ابن حمدان فاضطربت هذه

النواحى على عضد الدولة وضاق به الامر وتجاسر عليه الاعداء من كل وجهه وانقطعت عنه مواد فارس والبحر ولم يبق في يده الا قصبة بغداد وتجاسرت العامة عليه وأشرف على صورة قبيجة . فرأى ان ينفذ أبا الفتح ابن العميد الى آية ركن الدولة متحملاً^(١٠٠) رسالة عنه يصدقها فيها عما جرى ويؤلمه فيه بعده عن ممالكه وتضييعه الاموال التي أنفقها وانه قد خاطر مع ذلك بنفسه وجنده كما خاطر هو بوزيره وأكثر جنده وانه قد هذب مملكة العراق واستعاد الخلافة الى ممالكه وان يختار ليس ممن تستقر بنظره دواة ولا تعتدل على يده مملكة وانه ان خرج عن العراق على تلك الصورة لم يبعد ان تضطرب الممالك كلها ثم لا يمكن تلافيها ويسأله المدد والامساك عن نصرة من تفسد على يده مملكته وممالكها . وقال لابي الفتح ابن العميد انظر فان تيقظ للامر ونجم فيه هذا القول وأشباهه فاقصر عليه وان رأته : مقيماً على رأيه فزد في الرسالة وقل له : انى أقاطمك على أعمال العراق وأحمل اليك عنها ثلاثين الف الف درهم وانت فقير لا مال لك ولا عدة عندك لمثل هذه الحال ان عادت اليك وأنا أعجل لك من جعلها عشرة آلاف الف درهم وأبث بختيار وأخوته اليك لتجعلهم بالخيار فان شاؤا أقاموا في أوساط ممالكهم ومكنهم من أي البلدان اختاروه وان شاءوا أن يصيروا الى فارس فيختاروا من أعمالها أي البلدان أحبوه الى ذلك ووسعت عليهم في النفقات وأرغدت عيشهم في أوساط ممالكنا . ولم تتركه في هذه الديار التي استضعفه أهلها وعرف جنده سيرته^(١٠١) فيها وان الخلافة تخرج عن يده وأيدنا وهو يضعف عن سياسة جنده ويعتمد في التدبير على الجبابات والمصادرات وتمكين من يرتفع له في الوقت على يده بما لا يقع موقماً من حاجته ثم يضطر الى نكبته

واعتماد غيره على أن هذا الباب أيضا قد انسدّ ولم يبق فيه بقية مما عمله قديما وقد عرف ذلك من نفسه ولذلك استعفى من الامر . وان أحييت أذ تحضر بنفسك العراق لتسلي التدير وتكون سائس الخلافة وبيت الملك ووليت الامر وترد بختيار الى الرّى فانصرف الى فارس كان ذلك وجهها من الرّأي صحيحاً . وقال لابن العميد : وينبغي أن تتبسط في هذا المعنى فانك تجد فيه مقالا واسما فان لان لك وعرف صواب قولك والا فزد في الرسالة فصلا ثالثا بتوجيه به وهو : انك أيها الوالد السيد مقبول القول والرأي والمحكم ولكن لا سبيل الى اطلاق القوم بعد مكاشفتهم والقبض عليهم واظهار العداوة لهم فانهم لا يصلحون لي أبداً ولا تنقي جيوبهم ولا تصح نياتهم وسيقابلوني بغاية ما يقدرون عليه فيضطرب الجبل وتتشركامة أهل هذا البيت أبداً . وان أبيت أن تقبل أحدي الخصال التي عدتها لك وخيرتك فيها وحكمت بانصرافى على هذه الجملة فاني سأضرب أعناق هؤلاء ^(١١٢) الثلاثة الاخوة (يعني بختيار وأخويه) وأقبض على من اتهمه من حزبه وأخرج وأترك العراق شاغرة ليدبرها من اتفقت له

فقال له أبو الفتح ابن العميد : هذه رسائل صعبة لا يمكنني أن أتلقى ركن الدولة بها وأنا صاحبه ومدير أمره فاني أعرف نصيرته لمن ينصره من الغرباء وتصميمه عليه وبلوغه غاية جهده فيه فكيف ابني أخيه ! ولكن الصواب أن يتقدمنى اليه من يفرغ جميع ذلك في أذنه من جهتك ثم اتلوه شافما له ومتما ومشيراً . فتقرر الامر على ذلك ونفذ فيه من جهة عضد الدولة ^(١) ومن جهة أبي الفتح ابن العميد أبو الاس ابن بدار وكان الامير ركن

الدولة يأنس به قديماً فتوجهت الرسل وشخص ابن العميد على جازات عددها مائة يتلوها . فلما بلغ الرسولان الاولان الى ركن الدولة وشرعا في تأدية الرسالة وعرف الغرض الاخير منهما لم يمكنهما من اتمام الرسالة ووثب الى الحربة التي تلي مجلسه فتناولها وهزها وهرب الرسولان احضاراً من بين يديه .

فلما سكن غضبه استعادهما وقال : قولا لفلات (يعني عضد الدولة وسماه بنير اسمه) خرجت الى نصره ابن أخي أو الطمع في مملكته ؟ أما عرفت أنني نصرت الحسن بن الفيروزان وهو غريب مني مراراً كثيرة أخرج فيها كلها عن^(١١٣) ما كى واخاطر بنفسى وأحارب وشمكير وصاحب خراسان حتى اذا ظفرت وتمكنت من البلاد سلمتها اليه وعدت من غير أن أقبل منه ما قيمته درهم فما فوقه طلباً للذكر الجميل ومحافظة على الفتوة ؟ تريد ان تمنى أنت على بدرهمين انفقتهما على وعلى أولاد أخى ثم تطمع في ممالكهم ! وخرج هؤلاء الرسل لا يملكون أرواحهم اشفاقاً مما رأوا منه وما ظهر من غيظه وغضبه .

وبلغ ابن العميد الرى وهو الوزير المقرب والامين المتمكن وعند نفسه أن صورته كما كانت فحُجِبَ عن دار الامارة ورُدَّ عنها أقبج رَدَّ وروسل : بانك خرجت من عندنا ناصراً لبختيار ومديراً عسكرياً وعسكر فناخسره حتى يستقيم أمر أولاد أخى ثم تأتيني الآن في صورة قبح تحمل رسالة فناخسره فيما يهواه حتى يكون مكان أخى وأولاده ويطمع مني في أن اخص له في القبض عليهم وازالة نعمهم ويتهددني بالمصيان ! أما أنت فقد عرفت انك اخترته على وسوَّلت لك نفسك ووزارة العراق ونزهة دجلة ارجع

اليه على حالك فوالله لا صلبن أمك وأهلك على باب دارك ولا يدين عشيرتك
ومن يتصل بك عن وجه الارض ولا تركنك وذلك الفاعل (يعني ابنه)
تجهدان ثم لا أخرج اليكم الا بنفسى في ثلاثمائة جازة لا يصحبنى الا من
عليها^(١١١) من الرجال ثم ابتوا الى ان شئتم . وحلف ركن الدولة محلوقة :
انى اذا بلغت بعض طريقى في قصدي اياكم لا يبقى معكم رجل واحد الا
تلقانى وحصل عندى وانه لا يتقرب بك وبعضد الدولة الا أخص أولياءكم
وأوثق عبيدكم فى انفسكم وانما أتركك الآن وانت فى يدي لتعود الى
موضعك وتعيد رسالتى وكلامى وتنتظر صحة وعدى ووعدى . وأمر من
هذا الكلام ما هذا جملة وان كان اكثر من هذا وأشنع .

وكان ركن الدولة قبل هذه الحال وعند سماع حال أولاد أخيه من
القبض عليهم رمى بنفسه عن سريريه وأقبل يتمرغ ويزبد ويمتنع من الاكل
والشرب أياما ومريض من ذلك مرضا لم يستقل منه باقى حياته وكان يقول :
انى أرى أخى من الدولة متمثلا ازانى بعض على أنامله ويقول « يا أخى هكذا
ضمنت لى ان تخلفنى فى أهلى وولدى ! » وكان ركن الدولة يعز أخاه عزّا
شديدا فيراه بصورة الولد لانه رباه ومكنه مما تمكن منه .

وتوسط الناس بينه وبين أبى الفتح ابن العميد يشفعون له ويقولون
انه لم يرد فيما ظننته وانما احتال فى الخلاص من عضد الدولة بتحمل رسالته
وغرضه ان يجتمع معك لتدير الامر بما تراه و[هو] يضمن ضمانا يدخل
فى تبعته انه يقرر الامر على رضائك بعد ان تسمع كلامه وتمضى له بما يعمل
به فى هوائك . فأذن له^(١١٢) حينئذ وجرى بينهما خطاب طويل تقرر على
ان يعود ويفرج عن بختيار وأخوته ويقرر الملك فى أيديهم وينصرف كل

واحد من عسكر الري وعسكر فارس الى مركزه وموضعه على صورة جميلة وعلى أكثر مما يمكن ان يعمل من الحيلة في مثل هذه الحال فأذن له حينئذ ورجع الى عند عضد الدولة بخلاف ما خرج وخلا به وعرفه حقيقة الامر وانه ليس ممن يطمع في اصلاحه من جهة ركن الدولة فلما رأى عضد الدولة انخراق الامر عليه من كل وجه ونفذ ما صحبه من الاموال ولم يصل اليه شيء من ممالكه اضطر الى الخروج الى فارس والافراج عن بختيار وأخويه قفل ذلك . وتوسط ابن العميد بينه وبين بختيار وخرج من دار عضد الدولة بعد ان خلع عليه وقبل بساطه وشرط عليه ان يخلفه في تلك الاعمال ويخطب له وخلق على أبي اسحق ابن معز الدولة على ان يلي أمر الجيش وذلك لما كان اعتقده الجند من ضعف بختيار وسوء تديره لهم وزوال هيئته مرة بعد أخرى عن قلوبهم فلما خرجوا من داره وأصعدوا الى منازلهم في طياره خلعوا الطاعة من غير انتظار ساعة . واجتمع الى بختيار جيشه وعوام البلد والعيارون وأثاروا الفتنة وارتفع عياطهم وصياحهم وقد كان عضد الدولة (حفظ) عليهم خزائهم وجميع ما وجد^(٤٤٦) لهم من الدواب والاثاث فما شذ منها شيء حتى تسلموها كهيئتها يوم فارقوها . وبرز عضد الدولة يوم الجمعة لخمس ليال خلون من شوال سنة ٣٦٤ عن مدينة السلام قاصداً أعماله بفارس ووافق ابن العميد على المسير في أثره والا يقيم ببغداد بعده أكثر من ثلاثة أيام .

﴿ ذكر ما جناه أبو الفتح ابن العميد على نفسه وميله ﴾

(الى الهوى واللعب حتى تأدى أمره الى الهلاك)

لما خرج عضد الدولة الى فارس طابت بغداد لابن الفتح ابن العميد

وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه ووجد خلوة ذرع من أشغاله وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناء محسنات وتمكن من اللذات . وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في بابه ^(١) وأنه خلصه من مخالب السبع بعد أن اقترسه وإن سعيه بين ركن الدولة وبينه هو الذي رد عليه روحه وملكه فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه والا يعارضه في شيء يدبره ويراه فلم يجبه إلى ذلك وقال : لي والدته وأهل وولد ونعمة قد ربيت منذ خمسين سنة وهي كلها في يد ركن الدولة ولا استطيع مفارقتها ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفتها ولا يتم أيضا لك ذلك مع ما عاملك به من الجميل ولكنني ^(٢) أعاهدك إذا قضى الله على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه أن أصير إليك مع قطعة عظيمة من عسكره فإنهم لا يخالفوني وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أوغد وليس يتأخر أمره . واستقر بينهما ذلك سرّاً لا يطلع عليه إلا محمد بن عمر العلوي فإنه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه ولم يظهر ذلك لأحد حتى حدثني به محمد بن

(١) زاد صاحب ارشاد الأريب ٥ : ٣٧٣ : لأنه كان قد جرد الفمل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالفة وتملكها وقبض على بختيار واستظهر عليه نخله وأعاد ملكه عليه وصرف عضد الدولة عن بغداد فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخالب الأسد بعد الخ

.. وقال صاحب التكملة : ورد ابن بقية بغداد في ذي القعدة ومسلماً عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الأيام : لا بد أن أخلع عليه . فلما أكل وقعدا على الشرب أخذ ابن بقية يده فرجيه ورداه في غاية الحسن والجلالة ووافي بها إلى ابن العميد وقال : صرت يا استاذ جامدرك فانظر هل ترضيني لخدمتك . فطرح الفرجية عليه فأخذ الرداء منه ولبسه .

عمر بعد هلاك أبي الفتح ابن العميد . ولكن الغلط القبيح من أبي الفتح كان أنه أقام مدة طويلة ببغداد وطمع في أملاك اقتناها هناك واقطاعات حصلها وأصول أصلها على العود اليها . ثم التمس لقبا من السلطان وخلصا وأحوالا لا تشبه ما فارقه عليه عضد الدولة ثم استخلف ببغداد بعض أولاد التناء بشيراز يعرف بابي الحسين ابن أبي شجاع الارجاني من غير اختيار له ولا خاتمة قديمة تكشف له أمره فلما خرج كانت تلك الاسرار التي بينه وبين بختيار والتراجم بينهما تدور كلها على يده ويتوسطها ويهدي الى عضد الدولة جميعها ويتقرب اليه بها . فلما عرف عضد الدولة حقيقة الامر ومخالفة أبي الفتح ابن العميد له ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله وهو ذو الكفائتين ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية في هذه الخلع عرف مكاشفته اياه بالعداوة ^(١١٨) وكنتم ذلك في نفسه الى أن تمكن منه فأهلكه كما سنذكره في موضعه ان شاء الله .

(ذكر ما جري عليه أمر ابن بقية)

كان محمد ابن بقية مستوحشا من بختيار لما يعرف من سوء معتقده له فتوقف بواسطه وترددت بينهما كتب ورسائل على يد ابي الحسن محمد ابن عمر العلوي وأبي نصر ابن السراج غاستحلفا كل واحد منهما لصاحبه فاصعد حينئذ وامتن على بختيار بأنه انما استعصى على عضد الدولة بسببه ومن أجله فقل منه وزاد في اكرامه وتجددت بين ابن بقية وبين أبي الفتح ابن العميد مودة ومهادنة .

وفي هذه السنة لقب أبو الحسن علي بن ركن الدولة نحر الدولة ولقب المرزبان بن بختيار اعزاز الدولة ولقب عمران بن شاهين معين الدولة ولقب

محمد بن بقية نصير الدولة مضافاً الى لقبه الاول ولقب أبو الفتح ابن العميد
ذا الكفائتين وخلع على من حضر من هؤلاء من جهة أمير المؤمنين وأنفذت
الخلع الى من غاب .

وبني محمد بن بقية أمره علي تمكين الوحشة وتوكيد العداوة بين بختيار
وبين ابن عمه عضد الدولة وأكثر من التسوق والتنفق والبذخ والتبجح
وأطلق لسانه اطلاقاً من لا يترك للصلح موصفاً ونارت الفتن بين العامة
وزالت السياسة التي أسسها عضد الدولة من قمع العيارين وظفر ابن بقية
بالمعروف بابن [أبي] عقيل صاحب الشرطة الذي كان من قبل سبكتكين
«(١)» وكان من أهل السنة وقد قتل طائفة من أهل الشيعة فامر بقتله فقتل
في وسط الكرخ بين العامة فزادت ضراوة العيارين وعاد الفساد وخاف
التجار على أنفسهم وأموالهم . وأخذ ابن بقية في خدمة الطائع لله ومناصحته
وعقد مصاهرة بينه وبين بختيار «(١)»

وتجددت لبختيار نية في الخروج الى الكوفة على أن الظاهر فيه زيارة
المشهد بالقرى والباطن التصيد فشخص اليها وصحبه الحسين بن موسى النقيب
ومحمد بن عمر العلوي وأقام محمد بن بقية ببغداد وقد كان تنكر لمحمد بن عمر
وقبض عليه لينكبه فلم يطلق ذلك بختيار ولم يتركه في يده الا ساعة من النهار
حتى انتزعه منه فلما دخل الكوفة نزل على محمد بن عمر وفي ضيافته خدومه

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة بختيار انه تزوج الخليفة الطائع بابنته شاهناز
على مائة الف دينار وخطب وقت العقد القاضي أبو بكر بن قريمة وذلك سنة ٦٤ .
والقاضي هو محمد بن عبد الرحمن البغدادي ولاء القاضي أبو السائب قضاء السندية وغيرها
من اعمال بغداد وكان مختصاً بالوزير أبي محمد المهلب توفي سنة ٣٦٧

ولاطفه وجرت بينهما مؤانسات وخلوات واتصل ذلك بمحمد بن بقية وقيل له « قد سعى بك ووافق بختيار على انكبتك » فاستوحش ابن بقية واستعد للانحدار الى واسط على سبيل المقاطعة والمخالفة وساعده على ذلك بعض الجند فشرعت والدة بختيار في اصلاح الحال وكتبت بختيار بالصورة فثني وجهه مبادراً الى بغداد وقدم امامه كتيبه ورسائله مع الحسين بن موسي الموسوي بالتلافي وانكار كل شيء بلغه عنه واخذ لكل واحد منهما على صاحبه يمينا على التصافي والتراخي فخرج حينئذ محمد بن بقية متلقياً له عائدا الى طاعته .

واتصل^(١٤٠) بمحمد بن بقية وبختيار أن عضد الدولة يريد العود الى العراق فخرج ابن بقية الى واسط لجمع المال واعداد زاد وعتاد واستعمل ضروباً من القبيح في الكلام والمهجر ومنع شذائات كانت هناك من الاجتياز وواطأ عمران على منع اجازتها وغير ذلك من ضروب الجهل وذلك للحين المتاح له والشقاء المصوب عليه حتى تأدي أمره الى اقبح صورة في الهلاك بانواع العذاب والمثلة كما سنده في موضعه ان شاء الله .

وتجددت بينه وبين بختيار وحشة أخرى بعد عوده الى بغداد واقتضت الحال القبض على سهل بن بشر النصراني ضامن الاهواز وفكبتة التي تأدت الى القتل

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان ابن بقية لا يثق ببختيار على تصرف كل حال ولا يدع التحرز منه ونصب العمون عليه وأشد ما يكون نفوراً منه اذا حلف ووثق له فأنهمك في استمالة الجند ومتابعة الخلع عليهم والصلوات لهم ونصب الموائد وعمل

الدعوات وأمر أن يحمل المال الى خزائنه . ووافق بختيار على شيء يُقيمه له وصار كالحاجر عليه فمضى طالبه بزيادة على ذلك بعث الجند على مطالبته وأحالهم عليه . فضاقت ذرع بختيار به وخاطب جماعة من حاشيته وشيوخ قواده في تدبير يوقعه عليه حتى يتمكن من نكبته ويستكتب سهل بن بشر وسهل يومئذ في عمله بالاهواز فاخرج اليه جماعة من كبار قواده فيهم الحسن بن أحمد بن بختيار والحسن بن فيلسار وتكيدار الجيلي^(١٠١) وجماعة مثلهم وراسلوه على أيديهم بايقاع الحيلة عليه . فلما وصل اليه هؤلاء القواد برسائل بختيار وعلاماته تقرر الرأي على أن يفصل الجيش عنه الذين ينفذون ويظهر سهل ومن معه بالاهواز الشعب عليه وترك الرضاء به . وورد الخبر بذلك الى بغداد وقد ضعف بختيار عن امضاء تلك العزيمة وقد استصاح ابن بقية الجند وملك الامر فظهر حينئذ ما في نفسه وعاتب بختيار ووبخه وذكره الايمان التي لا زال يحلفها ثم يعود ناقضا لها وتغاضب عليه وتناقل عنه فرق بختيار في يده وأنكر أن يكون ما اجري اليه الاهوازيون بأمره وعلمه فقال : فاطلق يدي فيهم . فاجابه الى ذلك وأمضى حكمه عليهم فالزمه أن يقبض على سهل بن بشر ويسلمه اليه وأن ينفي القواد الذين أظهروا ما أظهروه فعمله وانفذ ابراهيم ابن اسماعيل الحاجب الى الاهواز وأمره أن يحتال على سهل بن بشر حتى يقبض عليه ويبادر به الى الحضرة فمضى مسرعا ووصل الى الاهواز واحتال حتى حضر سهل بن بشر في منزل أحد القواد فقبض عليه وعرفه فساد جميع الامر الذي كان خائضا فيه وحمله للوقت فسلمه الى ابن بقية . وقد كان الحسن بن فيلسار سبق الى مدينة السلام فتلافي محمد بن بقية واستصيح نيته وأما الحسن بن أحمد بن بختيار وتكيدار فانه استدعاهما فلما

قربا من بغداد طردا وبقيبا عن^(٤٥٢) المسكر فعاد الحسن الى بلده ولحق
تكنيدار بمضد الدولة . وجد محمد بن بقية في مطالبة سهل بن بشر بالاموال
وبسط عليه المكاره واستخرج منه كل ما أمكنه ثم قتله بالعذاب مع جماعة
من الناس سنذكرهم .

وفي أثر القبض على سهل بن بشر قلد بختيار أخاه أبا اسحق أعمال الاهواز
وأنفذه اليها مع طائفة من الجيش وذلك بسفارة محمد بن بقية لانه كان
استمان بابي اسحاق ووالدته على بختيار فاعاناه وبلغاه ما أحب فقضى حقهما
بهذا التقليد

وقبض ابن بقية على صاحبه أبي نصر السراج وعذب به حتي قتله
﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

هجمت على ابن بقية علة من حرارة فقصد منها في اليوم الثاني فسا
أمسى الا ذاهب العقل مسجي يخور خوار الثور ولا يسيغ طعاما ولا شرابا
ولا يسمع كلاما ولا يحير جوابا وظهرت في فيه رغبة واختلج وجهه وعلا
نفسه ولحقه الفواق الشديد واجتمعت فيه أعراض الموت التي لارجاء معها .
وقد كانت لابي نصر السراج نعمة فاتسعت في أيامه وعظمت بالدخول في
الامور المنكرة وضروب الشر والسعايات واعداؤه كثيرون . وكان ابن
بقية اصطنع رجلا يقال له الحسن بن بشر الراعي وكان في الاصل نصرانيا
من رأس عين فصحب بني حمدان بالموصل فدخل في الاسلام لشيء ظهر
منه وخاف فاسلم ثم خاف خوفا ثانيا فهرب الي بغداد وانصل بمحمد بن بقية
وحظي عنده فقرب^(٤٥٣) منه ورفعته من حال الى حال حتي قله واسطام
استدعاه الى بغداد فقلده خلافته . وتولدت بينه وبين أبي نصر السراج

منافسة ومضاغنة فلما وقع اليأس من محمد بن بقية استتر ابن الراعي وبادر أبو نصر ابن السراج الى بختيار فضمن له من جهة أسباب ابن بقية أموالاً عظيمة وكتب أسماء إقاربه وأصحابه وكتابه وسائر أسبابه فركب بختيار الى ابن بقية حتى شاهده في علقته .

﴿ ذكر اتفاق ظريف في سلامة ابن بقية من علقته ﴾

﴿ ثم من قبض بختيار عليه ﴾

ان بختيار أدركته رقة شديدة له مع اجتهاده كان في هلاكه وتبرمه به لاستبداده بالاموال والمساكر فأشار عليه ابن السراج بالتبض على الجماعة قبل ان يستروا فتوقف عن ذلك وألح عليه إلحاحاً شديداً فلم ينفعه ذلك وأحس عيال ابن بقية وأسبابه بما فعله ابن السراج فخذروا منه ثم تماسك محمد بن بقية في اليوم الرابع من علقته بعد ان تردد اليه بختيار دفعتين في كل يوم في مدة الحذر عليه وسكنت أطرافه ورجى رجاء ضعيفاً وتزايد ذلك الرجاء الى أن أفاق وهو ساكت وهضت أيام يسيرة فنهض وتراجع الى عاداته . وظهر ابن الراعي صاحبه واجتمع أسبابه المتحققون به فصدقوه عن فعل ابن السراج وضمنه ابن الراعي منه بمائة ألف دينار فقبض عليه فصاح من أمواله وودائنه وأثمان غلاته والمأخوذ من^(١٤٤) أسبابه أكثر مما ضمنه ابن الراعي ثم بسطت عليه المكارة وأصناف المذاب وحبس في صندوق ومنع الطعام حتى مات أقيح ميتة .

وفي هذه السنة اضطربت كرمان على عضد الدولة

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان في أعمال كرمان خلق من الرجالة الجرومية لهم بأس شديد وهم

متمسكون بالطاعة وأحد وجوههم رجل يقال له طاهر بن الصيمية وكان
 واسع الحال والمعاملة فدخل في ضمانات ضمنها وتمار ابتاعها فحصلت عليه
 أموال طمع فيها وشره الى كسرهما . وكان عضد الدولة قد سار الى العراق
 للايقاع بالأتراك وخرج وزيره أبو القاسم المطهر بن عبد الله الى عمان فلم
 يبق بفارس من العساكر الا شيء يسير فخلع طاهر بن الصيمية الطاعة وجمع
 الى نفسه هؤلاء الرجالة بالاسلحة التامة واستكثر من عددهم . واتفق ان
 كان في نواحي خراسان أمير وجيه من أمراء الأتراك السامانية يقال له
 يوزتمر عظيم المنظر جبار البنية معروف بالبأس والشدة . وقد استوحش من
 محمد بن ابراهيم بن سمجور صاحب جيش خراسان وقر منه فكتبه طاهر
 ابن الصيمية وأطمعه في أعمال كرمان فسار اليه وصاراً بدأ واحدة في
 الاستيلاء الا ان الامارة ليوزتمر . فبعد مدة شغب الرجال الجرومية فاتهم
 طاهر انه ^(١٠٠) "بعتهم على الهيج ففسدت الحال بينهما وزاد الفساد حتى اقتتل
 قتالا شديداً فظفر به يوزتمر وأخذه أسيراً وقتل خلقاً من رجاله . واتصل
 ذلك ببعض أولاد الياس وهو الحسين بن محمد بن الياس وهو في بعض
 أعمال خراسان وطمع في الاستيلاء على كرمان وجمع جمعاً وصار اليها وانضم
 هؤلاء الرجال الجرومية اليه وأمثالهم من كل ضرب من الدعار . وقد كان
 المطهر بلغ من إصلاح عمان ما أراد وفتح جبالها وأوقع بالشرارة وانكفأ راجعاً
 الى ارجان عاملاً على المسير الى حضرة عضد الدولة بالعراق فورد عليه الامر
 بالمسير الى كرمان ليتلافى تلك الحادثة فعاد الى شيراز وبرز عنها لتسع ليال
 بقين من رجب سنة ٦٤ وسار لطيفته مسير السرايا لايلاوي ولا ينثنى فأوقع
 بكل من وجد في طريقه من أهل التهمة وقتل وصلب وسمى العيون ومثل

بكل مثلة وبالغ في القسوة اقامة للهيبة وأسرع السير حتى انقضت على يوزنم فلم يعرف خبره الا مع وصوله فبرز اليه وواقعه فانهمزم الى البلدة وهو بهم وتحصن في قلعة وسطها حصينة فحاصره فيها مطهر الى ان أعطى بيده واستأمن وأحضر معه طاهر بن الصمة أسيراً فتسلمه المطهر ثم أمر به فشر ونودي عليه ثم ضرب عنقه وأعناق^(١) جماعة يجرون مجراه وأنفذ يوزنم الى بعض القلاع فاعتقله بها وكان آخر العهد به .

ثم خرج المطهر في طلب الحسين بن محمد^(٢) بن الياس وكان قد جمع عشرة آلاف رجل في أساحة تامة مستعدين للقتال فلما أشرف عليهم استكثر سدتهم وهاله أمرهم ولم يجد من الحرب بداً فناصرهم الحرب على باب جبرفت فحملوا عليه حملة تبت لها ثم حملت ميمته فأثرت فيهم وألجأهم الى سور المدينة واختل نظامهم فأكب العسكر عليهم بالنشاب ولم يجدوا مهرباً فقتلوا بأسرهم وهرب الحسين وطلب فجيء به أسيراً ولم يعرف خبره بعد ذلك وتطهرت كرمات منه .

﴿ ودخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة ﴾

قد ذكرنا مرض ركن الدولة وسبب ذلك وحكيما انصراف عضد الدولة من بغداد على الحال التي وصفناها واستيحاظه من أبيه لما كان منه في مكاشفته ونصرة بني أخيه ورأى تجاسر الاعداء عليه واختلال هيئته في صدور أوليائه ولم يأمن ان يموت ركن الدولة على تلك الحال فينتشر ملكه ولا يجتمع له ما يحب . فراسل أبا الفتح ابن العسيد وكان قطع مكاتبة أبيه استيحاظاً منه وتنجيأ عليه وسأله ان يتوسط بينه وبين أبيه حتى يعود له كما

كان وتلطف مع ذلك في أن يجتمعا ويمهدا اليه ويشهر ذلك في ممالكه وبين
 وجوه الديلم والجند . وكان أبو الفتح ابن العميد متمكناً من ركن
 الدولة ومن الجند أيضاً فكان يجب أن يتلافى قلب عضد الدولة لما كان
 منه اليه وهو مع ذلك لا يأمنه ويخشى بادرته ومكايده فخاطب ركن الدولة
 وأعلمه ما يخشى من اضطراب الجبل وفساد ما بين أهل بيته باستيعاش
 عضد الدولة وحذره من ترك هذه الصورة حتى تستمر وتمكن من
 النيات والقلوب ولم يزل به حتى رق ولان وعرف صلاح حال أولاده
 وممالكه وممالك بني أخيه فيما دغاه اليه ثم أشار عليه بأن يأذن له في الورد
 عليه حتى يجتمع معه ويراه فقد كان فارقه صديقاً ويشاهده الجند بحضرته
 ويزول ما خامر قلبه وقلوب الناس من اعتراض الوحشة ويجعله ولي عهده
 اذ كان أكبر أولاده وأنجبهم وأوسمهم بمملكة وأكثرهم مالا وعدة
 ورجالا . فأجاب ركن الدولة بأن هذا رأى صواب ولكن ليس في خزائنه
 ما يتسع لعضد الدولة ومن يرد معه من الخيل والقواد والعلمان وان لم يلاطف
 الجماعة باقامة الانزال واتخاذ الدعوات وافاضة الخلع والحملات والهدايا على
 الجماعة افتضح وتهجن فقال له أبو الفتح : فتسير أنت اليه لتجدد النظر في
 تلك الممالك التي طال عهدك بها وتشاهد أولئك المسكر^(٤٥٨) الذين رتبهم
 قديماً وحديثاً فيها ويلتزم عضد الدولة لك ولجندك وجميع حاشيتك
 ما أشفقت من التزامه لهم وتقيم السياسة التي لا بد لك من إقامتها بين
 أولادك وممالكك فقال له : هذا يقبح في الاحدوتة وعند ملوك الاطراف
 وفيمن يأتي بعدنا من الامم ان يتحدث الناس ان فلاناً أوحش ابنه في أمر
 رأى يحاشه به وتأديه فيه ثم قصده يرضاه . فكتب عضد الدولة

بجميع هذه الفصول فكتب : ان هاهنا خلة أخرى يسلم فيها من جميع هذه الاشياء التي ينكرها وهو ان يقصد اصبهان فانها من أعماله وأنهم أنا من فارس فاقصده لخدمته وعبادته من مرضه ويازمي حينئذ تفقد أسبابه وحاشيته ولا يلزمه لي ولا لاحد من يصحبنى شيء ولا يتحدث بأنه قصدني أو زارني . فتقرر الرأي على ذلك وتشمر أبو الفتح ابن العميد له حتى تمت المزيمة ونهض ركن الدولة مع ضيفه ومرضه وحضر اصبهان واستدعى الأمير نغر الدولة وهو ابنه على وكان مؤيد الدولة في ولايته مقيماً باصبهان وهو ابنه بويه وحضر عضد الدولة وخرج ركن الدولة في تلقّيه فلما قرب من البلد وقف على نشز من الارض حتى ترجل له عضد الدولة ابنه وقبل الارض مرات ثم تقدم اليه فقبل يده^(١١) ثم تابع القواد والامراء وكبار الحاشية بتقيل الارض والخضوع له . فرأى لنفسه منظرآ يسر مثله الاباء في اولادهم ثم سار حتى نزل ونزل كل واحد حيث رسم له ونزل عضد الدولة معه في دار الامارة في الابنية التي كان استحدثها مؤيد الدولة . ثم دعا أبو الفتح ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة وجميع اولاده ووجوه الامراء والقواد والحاشية وخاطبهم ركن الدولة بأن عضد الدولة وليّ عهده وخليفته على ممالكه وان مؤيد الدولة ونغر الدولة خلفاؤه في الاعمال التي رتبهم فيها . ولزمت أبا الفتح مؤونة عظيمة وحمل الى كل واحد من ركن الدولة والامراء من اولاده وقواده وحاشيته ما يليق به وكان في جملة ما خلغ على الخواص من الديلم ومن يجري بمجرهم الف قباء والفسكساء .

وانصرف القوم وقد ثقرت الرئاسة من بين اولاد ركن الدولة على

عضد الدولة واعترف له مؤيد الدولة ونخر الدولة به وخدماه بالريحان على
الرسم المعروف لهم وخدمه بعدهما كل أمير وقائد ممن حضروا كتب بذلك
عهد قرى وكتب فيه القوم خطوطهم

وكان بختيار سي الظن شديد الحذر مما تقدم له ولجندة من مكاشفة عضد الدولة
فهو يحب ان يصلح أمره معه فتتابع كتبه الى ركن الدولة ويسأله ان يعصمه من
الحال التي خافها^(١٦) وأخذ اليه عيسى بن الفضل صاحب دواته ووافق
ذلك هذا الوقت الذي كنا في ذكره من اجتماع الجماعة باصبيان فتكلم
ركن الدولة في ذلك وأظهر عضد الدولة في الحال الاغضاء عنه وشرط
عليه ان يقطع عما يوحشه من بعد ولا يماود شيئاً مما ذمه منه فعلا وقولا
وكان بختيار سكن قليلا الى ذلك الا ان محمد بن بقیة مقيم على خوفه
وحذره ويحمل بختيار على مكاتبه سهلان بن مسافر وكان وجهه عسكر
نخر الدولة وحسنويه بن الحسين ايرزبكانى وكان مجاورا لعماله ومصاهرا
له وحمله أيضا على استمالة فخر الدولة حتى يدخل في منايدة أخيه عضد
الدولة فترددت الرسل بينهم فتأكدت اليهود بينهم واستعدوا جميعا
للمعاونة واتفقوا على التعاضد والتوازر ان نابت أحدا منهم نائبة . وحضر
كتاب لهم وجرت موافقة في أمور مشهورة ظهر منها تقليد كل واحد من
فخر الدولة وسهلان بن مسافر ما في أيديهما من الاعمال رئاسة من قبل
السلطان وكتب لهما العهد ولقب سهلان عضمة الدولة وكتبى وأثقلت
الخلع الى الجهتين ووعد حسنويه بمثل ذلك اذا سار فلما وردت عليهم هذه
الخلع أحجموا عن لبسها وتوقفوا عن اظهار المنايدة لعضد الدولة فكثرت

الخلع مع الرسل مطرحة لا يلبس^(١) ولا يتلقب سملان ولا يتبكنى ويجرى الامر على غاية الاخلوقة والفضيحة .

وواصل بختيار وابن بقية عدة الدولة^(٢) أبا نغاب ابن حمدان ومعين الدولة عمران بن شاهين وقطعت الخطبة ببغداد وجميع منابر العراق عن اسم عضد الدولة وزعم بختيار أن الرياسة له بعد ركن الدولة . وشرع ابن بقية في تلقيب ثان مضاف الى لقبه الاول وأن ينشأ كتاب عن الخليفة بالزيادة في المقاطعة والمكاشفة وأشيع ذلك على المنابر وأطلق للناس الكلام القبيح وعظم بختيار وانزل منزل ركن الدولة بالعراق والممالك المجاورة له وزعم أنه ياتس تلك المنزلة من عضد الدولة ومن دونه وتلاه ابن بقية في هذه الراجب ووجد من جهال الجند مساعدة له ورغبة في حطام يتناولونه منه ويأكلون عده واسراراً للبراءة منه واسلامه . وكان يظن انه ان بلغ ما يحب بالتدبير الذي دبره فقد فاز وان انعكس عليه كان بختيار الهالك وهو الناجي فيظن ظنا خطأ لان من سلك مسلكه لم ينبج ولم يخل من ورطة يقع فيها تكون سبب هلاكه^(٣)

﴿ ودخات سنة ست وستين وثمانئة ﴾

وفي هذه السنة تحرك عضد الدولة نحو العراق ورحل من فارس فجند محمد بن بقية وبختيار في مكتابة الجماعة المذكورة . وكان حسنويه بن الحسين الكردي خاصة يفر بختيار من نفسه ويطمعه في أنه سائر اليه لما واثه^(٤) بنفسه وأهل بيته ومن يطعمه من الاكراد وكان يحب أن يشتت الالفة ويفرق

(١) يريد مطرحة لا تلبس (٢) وقال صاحب تاريخ الاسلام : وفي رجب عمل

مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة وجلس ابن معروف وحكم لان عز الدولة النمى ذلك لي شاهد مجلس حكمه كيف فيها هو

الحكمة لان نظام أمره كان في انتشار أمر هؤلاء الملوك
وكان بروز بختيار وابن بقية يوم الاثنين ليلة بقيت من جمادي الاولى
يريدان الزيارة والتصيدهم الانقلاب الى واسط قاصدين الاهواز على نية
المحاربة فانتهما الى واسط في انسلاخ جمادي الآخرة ووقت بينهما وبين
عمران بن شاهين مصاهرات وتزوج بختيار بابنة عمران بن شاهين وتزوج
الحسن بن عمران بابنة بختيار

وفي هذا الوقت أهلك ابن الراعي بامر ابن بقية خلقا ممن كان بينهم
فيهم المعروف بابن عروة وهو ابن أخت أبي قره وكان من وجوه العمال
وفيههم علي بن محمد الزطي وكان اليه شرطة بغداد ومنهم المعروف بابن العروقي
وكان أيضا اليه الشرطة بواسطة وجماعة بجرون مجراهم وهم بقتل صاعد بن
ثابت وكان قبض عليه ونكبه ولسكنه سلم من القتل

وراسل بختيار من واسط الطائع لله وراسله ابن بقية يستلانه الانحدار
اليهما والمسير معهما فامتنع من ذلك وترددت المكاتبات في ذلك الى أن
قرر عنده أنه إنما يستل تجشم العناء للصالح والالفة فيتمذ انحدر الى واسط
وسارت الجماعة عنهما الى الاهواز . والمكاتبات تردد في خلال ذلك (٤٦٣)
بين القوم وبين حسنويه بن الحسين وهو يعد بالمسير. فينما هم كذلك اذ ورد
خبر عضد الدولة في نزوله ارجان في جميع عساكره فاضطربت القلوب
وكتب عن الخليفة كتاب في معنى الدعاء الى السلم والكف عن الحرب
وانفذ الكتاب مع خادم من خدم بختيار على أنه من خدم الخليفة. (٤٦٤) وكان

(١) زاد فيه صاحب التكملة : فقال عضد الدولة للخادم . قل لمولانا أمير المؤمنين

« لا يمكنني الجواب الا اذا منلت بحضورك » ولم يجب على الكتاب .

الطمع في الصلح في هذا الوقت محالاً . فاستقرّ الرأي بعد مناظرات بين
بختيار وأصحابه على أن تكون الوقعة بالاهواز والتحصن بالنهر المعروف
بسوراب والقتال من ورائه فبرزوا وضربوا مضاربهم على شاطئ سوراب
ونفذ أبو اسحق ابن معز الدولة في طائفة من الجيش الى عسكر مكرم
لضبطها وحفظت المعابر على المسرقان وجردت الساكنين من الاعراب
والاكراد وغيرهم الى رامهرمز وذلك أن المقيم كان بها والضامن لها وهو
الحسن بن يوسف استأمن الى عضد الدولة . ولما رأى الطائع لله ان الحال
أفضت الى الحرب امتنع من المقام وبرز متوجها الى بغداد فاجتهد بختيار وابن
بقية الجهد كله في أن يقيم فابى ذلك وسار الى دجلة البصرة وأصمد فيها الى
مدينة السلام مجتازاً في أعمال البطيحة

ثم ورد خبر نزول عضد الدولة رامهرمز وهزيمة ذلك العسكر الذي
نقذ اليها فزاد قلوب القوم ضعفاً وانتقضى^(١٦٦) عليهم رأيهم في لزوم شاطئ
نهر سوراب فرجعوا منهزمين الى أفنية سوق الاهواز وقطعوا قنطرة اربق
وكتب ابراهيم بن معز الدولة بالمواد من عسكر مكرم فعاد واجتمع جيشهم
وانصل بختيار أن سلا بن باعبد الله سُرخ هو مع جماعة من وجوه قواده
وجماعة أخرى عاملون على أن يستأمنوا ويقضوا عسكره وأشير عليه بالقبض
عليهم وتقييدهم وحملهم الى واسط فضمعت نفسه عن ذلك وخشى اضطراب
باق عسكره وضعف عن المحاربة بالاهواز وعمل على أن يرجع الى واسط
موفوراً فيجعل الحرب فيها فمنعه ابن بقية وجميع القواد عليه والزموه المقام .
وطالبه العسكر بالمال فظهرت خلته وفاقته وابتدأ ابن بقية بمصادرة أهل
البلد وكسر بختيار أواني الذهب والفضة من الحلى والمراكب وضربت عينا

وورقا فضعت آمال جنده . وعقد على دجيل جسراً ضيقاً ضعيفاً في أسفل
البلد وعلى طريق لا يصلح للمساكر عدة للهرب

ووردت أخبار عضد الدولة باستظهار شديد ومال كثير وكراع وسلاح
وجمال موفرة بالازواد والآلات وعدة فيول مقاتلة وكان على ثقة من استئمان
جماعة من البختيارية اليه . منهم سلال سرخ الذي ذكرناه وذلك أن كتبه وصلاته
كانت متصلة اليهم . وقدم عضد الدولة اقامة أبا الوفاء طاهر بن محمد بن
ابراهيم وضم اليه جماعة فيهم المعروف ^(١) بالكاروى الاهوازي مع جيش
من رجاله القفص وغيرهم فوردوا الباسيان وجمعوا السفن وصاروا بها الى
الناحية المعروفة ... ^(٢) فعمدوا جسراً وورد عضد الدولة فمبر عليه وجميع
عساكره والاخبار ترد مع ذلك على بختيار وابن بقية فلا يكون فيهما فضل
للممانعة عن العبور ويثبتان ثبات التحيين وذلك أن من عجز عن رد بعض
المساكر عن العبور والزحف في المواضع التي يمكن فيها الممانعة كيف يثبت
لجميع المساكر في الفضاء

ونعسك عضد الدولة بالماء فنزل على شاطئ النهر لان الوقت كان
مدخل تموز فنزل من القوم على نحو الفرسخ وبكر يوم الاحد لاجدى
عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٦٦ على تعبئة ونظام وعدة واستظهار
واحتياط وصافه بختيار مصافة مضطربة وجمع الفرسات أمام الرجال
(وهذا شيء ما فعله أحد قط ولا تجهله عوام الناس حتى لعاب الشطرنج)
فاستأمن سلال سرخ والحسن بن خرامذ ونيباك بن شبرك وهو من أشد

(١) يابض في الاصل وفي التكملة : كانت الحرب بناحية يقال لها قشان من
أعمال الباسيان .

الديلم وشجعانهم وعدد كثير من الخواص وكان ديس بن عفيف رئيس
بادية بنى أسد في ميسرة بختيار فاستأنوا وانهزم جيش بختيار وتبعهم الاعراب
والاكراد بالنهب والسلب والقتل والاسر^(١٦٦) واستأنوا تحت السيف
خلق وانهزم الفلّ يطلبون الجسر الذي وصفناه فترقأ كثيرهم بالمضايقة
والمزاحمة . وأقلت بختيار وأخوه أبو اسحق ووزير ابن بقية وعبروا دجيلا
واختلفت بهم المذاهب فلم يعرف بعضهم خبر بعض حتى التوا بمطارا وكان
بختيار التي سلاحه عن نفسه وتلم وفيه عدة طعنات بالزويينات فاما أخوه
وابن بقية وجماعة من كبار نواده فأنهم وردوا الحويزة نصف الليل في نحو
خمسمائة رجل وباتوا فلحق بهم تمام الاف على صورة قبيحة من الاختلال
ولما أمسوا ساروا نحو نهر الامير ومن هناك الى مطارا واجتمعوا مع
بختيار . وقد كان ابن بقية عبر بصاحبه ابن الراعي مع خزانته وخزانة بختيار
وعدة كانت معه الى المأمونية التي بازاء سوق الاهواز وعول في حفظه على
بعض بنى أسد فذهب جميعه .

فانفذ عمران بن شاهين ابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة زواريق
وآلات الى بختيار وحمل اليه والى ابن بقية مالا وثيابا وحمل المرزبان بن
بختيار الى أبيه من الابلّة وقد كان برز اليها مالا وثيابا وصارت الجماعة الى
الابلّة في الماء بعد أن تأثثوا وتزودوا الى واسط . وصادف بختيار وابن بقية
البصرة مفتتة بالحروب بين ربيعة ومضر^(١) فان مضر كانت^(١٦٧) داخلة
في طاعة عضد الدولة بتدبيرات دبرها وأصول قدمها وأمار ربيعة فاقامت على
طاعة بختيار ولا لرغبة فيها ولكن مضاغنة لخصومهم من مضر فاتصلت الفتن

(١) روى الطبرى (٢ : ٤٥٠) ان مضر كانت تكثر ربيعة بالبصرة

ودامت الثورة واحترقت المحال وانتهت البضائع^(١) ودخل ابن بقية الى البصرة لتسكين هذه الفتنة فزادها اشتعالا وفسادا وأحرق بمض خطط المضرين وانصرف والشر باق . واشفقت الجماعة من أن يسير عضد الدولة الى واسط فيحصل بها فيفوتهم الحرب ان أرادوه فاصعدوا في الماء واخترقوا البطائح فتلقاهم عمران بن شاهين في عسكره وآلاته وقبل يد بختيار وتناول بختيار له وعطف به الى دار ابنه الاكبر وهو أبو محمد الحسن فانزله فيها للوصلة بينهما ولأنها كانت أحسن دار بالبطيحة وأنزل محمد بن بقية عليه فاداموا عنده اضيافاً ثلاثة أيام فمعجب الناس من موافقة ذلك ما كان عمران سبق اليه بالحكم كما حكيناه فيما تقدم . ثم رحلوا ورحل الحسن بن عمران معهم الى واسط .

وفي هذه الحال هرب الرزبان بن بختيار من البصرة الى واسط لاحقا بآيه في الشذات والزبازب والسفن بكايته وحرمة وأسبابه

{ ذكر السبب في ذلك }

ظهرت مضر على^(٤٦٨) ربيعة وضعفت نفوس ربيعة بهزيمة بختيار وانخزل الرزبان وخاف أن يؤخذ فبادر الى واسط موفورا وحينئذ كتب وجوه البصريين الى عضد الدولة بانفاذ من يتسلم البصرة فانفذ أبا الوفاء طاهر بن محمد فدخاها

ولما حصل بختيار بواسط تنكر لا بن بقية وذم مشورته وندم على

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وورد أبو بكر محمد بن علي بن شاهرية صاحب القرامطة الكوفة في الف رجل منهم وأقام الدعوة بها وبسورا وبالجامعين والنيل لعضد الدولة

قبوله منه وقال : قد كنت عملت على الانصراف عن الاهواز قبل الحرب
بجيش كثيف وأمر مستقيم وعسكر وآلة وسلاح فان تمكنت من المقام
بواسطة أو ببغداد ولحقتني المعونات التي انتظرها من سائر الجهات والا كان
أقل ما في يدي ان أنصرف عن هذه البلاد بعسكر لم يثلم ولم ينكس فلم
يتمذر على ان أغلب على غيرها فايت الاخراجي من جميع نعمتي ومملكتي
وافساد ما بيني وبين أجل أهلي . فثبت ابن بقية وقال : قد ينال الملوك مثل
ما نالك وأعظم منه فيما سكون وعلى أن أصلح أمورك وأبذل نفسي دونك
ومساعدة الجند على ذلك . وتراجع الى بمختيار كثير من الديلم والأتراك
واستدعى كراعا كان له ببغداد واستجد سلاحا وخيما وخرقاهات وصار
اليه من كان بالبصرة وبغداد من الجند وأحوالهم جامعة فصار في عسكر
قوى . ووردت عليه كتب حسنويه بن الحسين السكردى يفرضه غرورا نيا
ويعتذر اليه في ^(١٦١) التأخر عنه ويعده بان ينفذ اليه أولاده واحدا بعد آخر
ثم يصير اليه بنفسه في جميع رجاله . وعادت المسكابة بينه وبين فخر الدولة
على بن ركن الدولة وأبي تغلب ابن حمدان ورجع ابن بقية الى ذخيرة كانت
له بواسطة فتاات منها وجرى على عادته في استمالة الجند وبذل الخلع حتى
مالوا اليه وآثروه على بمختيار

﴿ ذكر بلوى بلي بها بمختيار في تلك الحال ﴾

﴿ حتى أسلم بقية ملسكه ﴾

من عجائب ما اتفق على بمختيار في تلك الحال انه كان أسره في الوقعة
بالاهواز غلام تركي يعرف بيايتكين لم يكن من قبل يميل اليه ولا تظهر منه
محبة له فجبن عليه جنونا وتسلى عن كل شيء خرج عن يده الا عنه وحدث

له من الحزن عليه ما لم يسمع بمثله فامتنع من الطعام والشراب والقرار والسكون وانقطع الى النحيب والشهيق والمويل وأحتجب عن الناس اخلاذا الى البكاء وتضجر بالجيش وتبرم بحضورهم وأطرح التدبير وزعم ان فجيئته بهذا الغلام فوق فجيئته بالمملكة والانسلاخ منها ومن النعمة . ثم اذا كان وصل اليه وزيره وكتابه وقواده وخواصه في المهم قطعهم عن ذلك بالشكوى بما حل به والبوح بما في نفسه ونقصت أوقاته ومجالسه بهذا^(٤٧٠) الخطب الجليل عنده دون ما سواه وامتنع من الجلوس في الدست ومن استعمال التمهيد بالمخاد وما أشبه ذلك فخفف ميزانه عند الناس وسقط من عيونهم فلم يبال بذلك . وصار القواد يجتمعون الى ابن بقية ويقولون : دبر أنت أمورنا فانا معك ومطيعوك . فاستهان به ابن بقية واستعجزه وجاهر بذلك بعد ان كان يستره وعدل الى الاخذ بالحزم لنفسه وأما بختيار فانه أسقط التجميل في أمر هذا الغلام عند كل أحد حتى كتب الى عضد الدولة والحرب قائدة بينهما وهو يطالب ملكه ونفسه يسئله رد هذا الغلام عليه وكتب الى جماعة خواصه المطيعين به وبخدمته يسألهم معاوته فيما رغب فيه اليه فاستزاد بذلك فضيحة في المساكر والامصار وعانبه الاقارب والاباعد . فما ازعوى بل تمادى وأنفذ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي رسولا اليه في هذا الباب وبذل له على يده في فدية الغلام جارينتين عرادتين محسنتين كانتا عنده ولم يكن لهما نظير في الخدق والبراعة وقد كان أبوتغلب ابن حمدان بذل باحديهما مائة الف درهم فابى ان يبيعها . وقال له : ان وقف عليه الامر في هذا القداء فزد أبدا ولا تفكر في شيء مما بيني وبينه فقد رضيت^(٤٧١) ان آخذه وأمضى الى أقصى الارض وأسلم اليه ما في يدي .

فشخص وأدى الرسالة وقد وجد ذلك الغلام قد اختلط مع غيره من رفقاته
 المأسورين يوم الوقعة ولم ير له فضل ولا ميز من بينهم وأتقذوا الى شيرزاد
 هدية للامير أبي الفوارس ابن عضد الدولة . فلما أدبت الرسالة وعرف الملك
 ما عند بختيار من الفجعية به عجب كل العجب وأمر برد الغلام الى حضرته
 فردّتم أعاد أبا أحمد الموسوي بجواب الرسالة وضم اليه أبا سعد بهرام بن
 أردشير السكاتب رسولا وأعلمه انه يجب له الى ما سأل وأرشده مع ذلك
 الى بعثه على الطاعة وحمّله رسائل أخر أمرهما أن يؤديها الى بختيار سرا
 عن ابن بقية وعلى غير مشهد منه ولا من أحد . فلما وردا امثلا الامر وطويا
 عنه ما حضرا فيه وأدياه الى بختيار وحده على اقرار به فاستوحش ابن
 بقية استيحاشا شديدا وأنهم انه التمس القبض عليه وتسليمه اليه عوضا عن
 الغلام وان بختيار يفعل ذلك لشغفه به فهم بالقبض على الرسولين جميعا
 ومكاشفة بختيار وان يظهر المصيان . وكان نازلا من واسط في الجانب
 الغربي ومعه المال والسلاح والثياب والآمال متعلقة به ^(١٢) وبختيار في
 الجانب الشرقي خال من ذلك كله وانما كان ابن بقية يجري عليه قوته
 ويعوله كما يهال من لا أمر له وعمل على ان يرأسه باعتزال التدبير وان
 يصعد الى بغداد ويحلى بينه وبين الحرب فان فعل والا جاهره وطرده وكان
 ذلك ممكنا منه لو أمضاه فعدل بختيار الى تلافيه والرفق به وأظهره على
 الرسالة المطوية عنه وسكنت نفسه وطيب قلبه وأراه انه راجع الى رأيه
 ومتدبر بتدبيره وغير خارج عن ارادته الى ان تم له القبض عليه

﴿ ذكر السبب في قبض بختيار على ابن بقية ﴾

كان ابراهيم بن اسمعيل صاحب بختيار تمسك منه ووثق به صاحبه

وكان نقيبا خطملا فتقدم عنده الى ان استجيبه وذلك بعد رحيل عضد الدولة الى فارس . ولما اطلع على الحال التي عليها ابن بقية من التنكر أعلم بختيار انه على خطر من وثبة يثبها عليه اشفاقا على نفسه وانهم اذا لفرصته مع تمكنه من الجند والمال فقتال له بختيار : اني أخاف شغب الجند وان يستنفذوه من يدي ويطالبوني بالاموال . فتضمن له الا يجري شيء من ذلك وان جرى كان عليه ان يسكنهم ويرضيهم بما يوجد من اموال ابن بقية واسبابه وأطمعه في كثيرها وفي ان تسفر الحال في القبض عليه فيما بينه وبين عضد الدولة ويصير ذلك طريقا الى انعطافه وصلاح رأيه وأشار عليه الا يستوزر وزيرا بعده^(٤٧٣) وان يقر الكتاب على أعمالهم ودواوينهم ويخرج أبا العملاء صاعد بن ثابت [النصراني] من محبسه فيرد إليه استخراج الاموال والاستيفاء على العمال من غير وزارة . فقبل بختيار مشورته واطلع بختكين آذرويه عليها فاستصوبها وكان في ضنك شديد حتى انه احتاج الى الثلج فالتمس من ابن بقية ثلجا فحمل اليه ثلاثين رطلا ووجد في خزانة شرايه يوم القبض عليه ستة آلاف رطل كان أعدها اسماط بتخذه للجند .

فلما كان وقت العصر من ذي الحجة سنة ٣٦٦ هجرية ابن بقية في زبزه الى بختيار فوجه في الوقت جماعة قبضوا على الحسن بن بشر [المعروف] بابن الراعي صاحبه فحين حصل في أيديهم أمر بالقبض على ابن بقية من غير ان يصل اليه وقبض على جميع ما وجد له من مال وكراع واستخلص أبا العملاء صاعد بن ثابت من محبسه وكان أمر ابن الراعي بقتله في الليلة المقبلة فكفاه الاجل والمقدار . ووجد في حبس ابن بقية صاحبه المعروف

بالكراعي وكان صادرة ولم يبق فيه بقية فاطلقه بختيار وسلم اليه ابن الرأعي ليطالبه ثم أخذه من يده فاستوحش الكراعي وهرب الى البطيحة . فتحرك الجند بعد أيام يسيرة من القبض على ابن بنية وطالبوا بأموالهم وعرضوا بذكره والتأسف عليه فهم^(١٧٤) بختيار بقتله في الوقت فلما تفرق الجند عنه أنقذه في الليل مقيداً الى بغداد موكلأ به وأخرج معه أبا العلاء صاعد بن ثابت ليطالبه ولم يكن الاحتياط وقع على أقاربه لان بختيار عاجله كما حكيت ثم كتب على الاطيار الى مدينة السلام بتحصيلهم فسبق أحد الاطيار وحمله صاحب البرج الى أسباب ابن بنية على الرسم في خدمة الناس لهم فوقفوا عليه وأنذر بعضهم بعضاً فهرب من هرب واستتر من استتر فالتجأ أخوه وابن أخيه المعروف بأبي الحمراء مع جماعة منهم الى بني شيبان ثم الى بني عقيل وأقاموا في البادية

﴿ تمام خبر بختيار وما عمله بواسط الى ان صاعد الى بغداد ﴾
كان قبضه على ابن بنية قبل رده أبا أحمد النقيب وبهرام بن أردشير الرسولين الى عضد الدولة فشهدا ذلك عياناً ثم أنقذهما وأنقذه الجاريتين ليفتدي بهما غلامه بايتكين ووافق أبا أحمد العلوي على ان يبذل جميع ملكه ان دعت الى ذلك حاجة . فجرت خطوب استقرت على ان تسلم الجاريتان ويسلم الغلام وتوانرت البشائر بحصول الغلام بالبصرة فأظهر بختيار السرور العظيم بذلك وانه جرى عنده مجرى الظفر بجميع خيرات الدنيا والآخرة واستشعر ان نعمته قد عانت اليه وهم بالعود^(١٧٥) الى بغداد على ما شرط عليه عضد الدولة . وجاء ابراهيم بن اسمعيل حاجبه وأشرف عليه في اللوم والتقريع وأشار عليه ان يقيم بواسط للمقارعة والمدافعة وجاءه عبد الرزاق

ابن حسنويه ثم أخوه أبو النجم بدر بن حسنويه في نحو ألف فارس ووردت كتب حسنويه بأنه سائر على أثرهما فأظهر المقام بواسطة على مباينة عضد الدولة . فأنصل ذلك به وأنه نقض الشرط فبادر برسالة الى أبي أحمد النقيب [العلوي] يرسم له ان يتوقف بالبصرة مع الغلام الى أن يرحل بختيار عن واسط ويتمسك بالشرائط التي شرطت عليه فوردت كتب العلوي بذلك فاضطرب واجتهد وكاتب وراسل فلما لم ينفعه شيء من ذلك أمر بتقديم سواده وعمل على الاصماد ليلا وأعلم عبد الرزاق وأبا النجم انه قد رأى ان تكون الحرب ببغداد لان أبا تغلب ابن حمدان صائر اليه لمعاوته وسألها الاصماد معه ففعلا ذلك على استضعاف الرأي فيه وقد كانا اطلعا على حديث هذا الغلام فكتبنا الى أبيهما حسنويه يصدقانه عن الصورة فلما حصل عبد الرزاق بجرجرايا رحل منصرفا وتوقف أبو النجم بدر على سبيل التذم والحياء . وتلوّم بختيار في طريقه حتى لحقه أبو أحمد العلوي وبهرام بن أردشير^(٧٦) ومعهما بايتكين فسلما اليه فتم المسير الى بغداد

وقد كان ابن بقية والمعروف بابن الراعي أظهر التبلع في المطالبة بعد مكاره عظيمة لحقتهما والتمس ابن بقية كتب الامانات لاهله الهاريين فكتبت وحضروا . وتجدد لابن بقية طمع في أن يخطب الوزارة ويبدل لبختيار ثلاثمائة ألف دينار يصححهما من جهات كتابه وأسبابه وذويه ومن البقايا في النواحي وان يرد الى مرتبته ليقوم بأمر الحرب ويدبر العسكر فبلغ ذلك أصحاب بختيار والقواد الذين أشاروا بالقبض عليه فاضطربوا واجتمعوا الى بختيار وأعلموه أنه انما يحتمل بما يبذله للخلاص وان يتمكن من الانسلاخ ثم يشير الفتن التي لا تتلافى

وفي هذه السنة قبض على أبي الفتح ابن العميد بالزي
﴿ ذكر السبب في ذلك ^(١) ﴾

﴿ ^(١٧٧) ودخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة ﴾
﴿ ذكر السبب في المثلة بابن بنية وابن الراعي ﴾
(وسمل عيونهما)

كان بهرام رسول عضد الدولة يخاطب بختيار في تسليم ابن بنية اليه
ليحمله الى عضد الدولة ويعوضه عنه ، الا من خزائمه واتصل ذلك بهؤلاء
القوم أعنى القواد فحضرُوا عند بختيار وأقاموا في نفسه انه ان سلمه اليه
مصححاً لم يؤمن ان يصطنعه ويبقى عليه فيكون قد حصل له بحضرته عدو من
قبله وكثر المشيرون بقتله والراحة منه فنقرر الرأي على سمله وتسليمه
مسمولاً . فسمل ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ٦٧
وجد أبو اسحق ابن معز الدولة في إلحاق صاحبه المعروف بابن الراعي به
لشيء كان في نفسه عليه ولم يكن له شافع لما كان ارتكبه من مكاره ^(١٧٨)
الناس فسمل أيضا

وترجع الرأي ببختيار بين الدخول في طاعة عضد الدولة وبين المقام
على مصيئته ومحاربتة وكان الرسولان مع جماعة من نصحاء يشيرون عليه
بطريق السلامة ويعرفونه عجزه عن مقاومته وقلة عدته من المال والرجال

(١) ياض في الاصل وأما نكبة أبي الفتح ابن العميد ليراجع ترجمته في ارشاد

وكان جماعة أخرى من قواده وخواصه فيهم الحسن بن فيلسار يشيرون عليه بالثبات والمقارعة ثم تقرر الامر واختار السلامة والطاعة من طريق الضرورة فدخل في الطاعة وحلف عليها وأعطى صفة يمينه بها ولبس خلع عضد الدولة وعبر الى الجانب الغربي على ان يسير الى الشام ويثبت على أعلامه وراياته اسم عضد الدولة ويقيم الخطبة له في أي بلد دخله ولما فعل ذلك انصرف عنه بدر بن حسنويه أيضاً منه ولحق بأبيه . وبذل له عضد الدولة مالا جليلاً على ان يقيم في كنفه ويلقاه ثم يسير الى حيث يختار فلم يفعل ذلك ولم يسكن اليه فاشتراط عليه شروطاً كثيرة كان فيها الا ينادى أباً تغلب ولا يمرض له الا بقدر الاجتياز في أعماله فقط لمراسلة كانت بينه وبين عضد الدولة ولقائه على العهد القديم وأطلق لبختيار مالا وقاد اليه جمالا ودواب معونة له على نهضته^(١٧٩) ووقع النداء بمدينة السلام برجوعه الى طاعة عضد الدولة وانه يسلم غير محارب وخرج نحو الموصل .

فأول ما نقض من شروط عضد الدولة ان اعترض على أبي تغلب ابن

حمدان وعمل على لقائه ومحاربه ودفعه عن الديار

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان حمدان بن ناصر الدولة خرج معه وسار بمسيره فلما صار الى عكبرا ذكرهم أمر نفسه ووعدته بأموال ابني ناصر الدولة وما جمعه في القلاع وما خلفه لهم ناصر الدولة وكان بالحقيقة كثيراً جداً وزعم انه لا يلبس مملكة هي أسهل شوكة من مملكة أبي تغلب وانه يتولى حربه ويشق بمصير خلق من رجاله اليه وكذلك من اخوته وأسبابه فهاهد حمدان على انه يمنعه من جميع ما يمنع نفسه ذباً وحماية وحلف له بأيمان البيعة وجرت

بينهما شروط التزمها ودخلا فيها . فلما صار بتكرير صار اليه علي بن عمرو كاتب أبي تغلب بهدايا يسيرة وانزال من قضيم وطعام وسار معه الى الحديثة وخلا به ودعاه الى القبض على حمدان وتسليمه الى أبي تغلب على ان يجتمع معه وينفق أمواله ويبدل سلاحه وآلاته وذخائره وعسكره ورجاله ويعود معه الى بغداد ويستخلص له ملكه من يد عضد الدولة . فالتوى بختيار واضطرب وذكر انه لا يستجيز ذلك مع ما حصل لحمدان في عنقه^(١٨٠) بن اليمين الغموص ومع ما عليه من عهد عضد الدولة فلم يزل يماوده ويستعين عليه بوالدته وأخيه أبي اسحق وحاجبه ابراهيم بن اسمعيل وبجماعة من استولى عليه من أسبابه . واستولى كاتب أبي تغلب هذا أعني أبا الحسن علي بن عمرو على بختيار وتسمي بالوزارة وجمع لنفسه كتابة بختيار مع كتابة أبي تغلب واستخلف عليه ابنه . واجتهد في أمر حمدان واسلامه وذلك ان أبا تغلب وأخته المسماة جميلة كانا طالين عنده بشار أخيهما أبي البركات .

وأقام بختيار على الامتناع الى ان صار أبو اسحق الى الموصل واجتمع مع أبي تغلب وتقرر الامر بينهما على القبض على حمدان من حيث لا يدخل بختيار في ذلك لئلا يحنث في يمينه فرجع الى الحديثة . وعسف بختيار في المخاطبة وأعلمه انه متى لم يفعل ذلك قصده أبو تغلب وحاربه ولم يقاومه وانه ان ساعده صافاه وواخاه وأعادته الى بغداد وأنفق أمواله وذخائره واستدعى الرجال الى ذلك من كل وجه مع ما عنده من الاستقلال بعسكره ورجاله . فضعف بختيار في يده على رسمه في ضعف الزيمة واين العريكة فقبض على حمدان وأسلم الى خصومه وحبس في قلعة وهرب ابنه المكنى

أبا السرايا الى عضد الدولة . وجمع أبو تغلب الرجال وفتح قلاعهم واجتهد
وبالغ واجتمع مع بختيار على ظهور الدواب فتحالفا وتمعنوا فلما فرغا من
الاستعداد انحدرا من الموصل وكانت عدة أصناف^(٤٨١) الرجال معهما
خمسة وعشرين ألف رجل . وبالغ عضد الدولة أخبار الجماعة ولم يكن ممن
تخفى عليه أمور أعدائه وأوليائه يوماً فبرز عن مدينة السلام في جيوشه
المنصورة وقدم مقدمته مع أبي القاسم سعد بن محمد الحاجب الى تكريت .
وكان أولئك اتفقدوا اليها جيشاً مع ابراهيم بن اسمعيل حاجب بختيار
فاوقع به أبو القاسم وقتل كثيراً من رجاله وكاد ابراهيم يؤخذ أسيراً الا
انه نجا الى تكريت واستتر عند بعض أهلها ثم هرب منها ولحق بأصحابه .
وفي هذا الوقت قتل ابن بقية وصاب بغداد

(ذكر الحال في ذلك)

كان حمل مسمولا على ما ذكرناه الى عضد الدولة عند نزوله بالزعفرانية
فتقدم بأن يشهر في العسكر على حمل ثم طوب بالمال فلم يذعن بشيء منه
فطرح بحضرة العسكر بباب حرب الى الفيلة وأضررت عليه فقتلته شر قتلة
وصلب لوقته على شاطئ دجلة في رأس الجسر بالجانب الشرقي وذلك في
يوم الجمعة لست خلون من شوال سنة ٣٦٧ ثم نقل الى الجانب الغربي
فصلب بازاء ذلك الموضع من الشرقي وبقي فيه .

وعاد الحديث الى تمام خبر الوقعة بين بختيار ومن جمع

وبين عضد الدولة بقصر الجص^(٤٨٢)

اتصل بعضد الدولة ان القوم أجمعوا على ان يفرقوا بعد عبور النهر
المعروف بالاسحاقي يأخذوا في عدة وجوه الى بغداد فسار بجميع عساكره

الى قصر الجص حتى نزل فوق الغاية التي عزموا على ان ينفروا منها وذلك بعد ان استخلف وزيره أبا القاسم المطهر بن عبد الله في جيش كثيف يعداد . والتقى القوم غداة يوم الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال واشتدت الحرب وثبت القوم بعضهم لبعض وتصابر الفريقان من الديلم فحمل عضد الدولة حملة صادقة فانهزموا وتبعهم الجند يقتلون ويأسرون وقد كان بختيار عمل على الهزيمة فمنعه أصحابه وخاف من الحصول في الاسر أو التسل فلما تحققت الهزيمة ظفر به بعض الاكراد من العسكر فأخذ سلبه وهو لا يعرفه ثم عرفه غلام تركي يقال له ارسلان كورموش فضربه بلسان وأراد ان يثني عليه فتعرف اليه باسمه واستأسر له وقال : احملني الى حضرة ابن عمي وخذ جائزتك . ولحقه في الحال تركي آخر فحملاه الى القرب واستأذناه فتوقف وكان أبو الوفاء طاهر بن ابراهيم حاضراً فأشار بالفراغ منه فلم تطب نفس عضد الدولة به ولحقته دهشة وأراد استبقاءه فألح عليه أبو الوفاء وقال : ما تنتظر به ان يعود ثالثاً والى متى يثير علينا هذه الفتن التي لعلنا نكون من صرعاة في بعضها^(١٨٣) افرغ منه ! وعلا صوته وأظهر من النصيحة في هذه الباب والمراجعة الشديدة ما لو قصر فيه لجاز . فرفع عضد الدواة [يده] الى عينه يمسحها من الدموع وقال : انتم أعلم . وكان هناك أبو القاسم سعد الحاجب حاضراً فبادر اليه مع صاحب له واحتز رأسه وكان قد جهده العطش حتى كاد يأتى عليه الموت لو ترك لحظة .

وقتل في هذه الوقعة خاق كثير من القواد والامراء ومن واساه بنفسه وفيهم ابراهيم بن اسمعيل صاحبه وحاجبه وأسر خلق كثير سوى من قتل . ولحقت أبا تغلب ضربة في منهزمه ولم يكن باشر الحرب بل

طلب تلمعة بالقرب فوقف عليها وكان دبر عسكره بأن ينفقوا كراديس فكلما حمل منها كردوس وأبلى وتعب عاد وحمل كردوس آخر وغره كثرة القوم وكان بختيار عبى خيله تعبىة الديلم ليلقى بنفسه ويياشر الحرب وتلقاه المعونة من كل وجه فخرى الامر على ما ذكرت .

ومن عجيب ما جرى قبل ذلك ان أحد الامراء من عسكر بختيار يعرف بالحسن بن فيلسار أشار عليه وهو ببغداد ألا يخرج عنها ولا يسلمها الا بحرب وابلاء كثير فأبى عليه بختيار فاعتزله وشخص الى جسر النهر وان مع طائفة كانوا يرون رأيه فلما اجتمعوا هناك عقدوا له الرئاسة على أنفسهم وحدث نفسه بالمسير الى جهة شعبانا^(١٨٤) أو طرف من الاطراف فبلغ عسك الدولة خبره فلما بلغ الى القرب من بغداد جرّد خلفه خيلا فلاحقوه ووقف للحرب فانجلت عنه أسيراً وبه ضربات فلبث يسيراً ومات وأسر كثير من أصحابه وانقضّ ذلك الجمع .

فأما عضد الدولة فإنه لما فرغ من وقعة قصر الجص تمّ المسير الى الموصل فلما سائر ما يتصل بها من الاعمال والديار وظن أبو تغلب أنه يلبث فيها يسيراً ثم يضطر الى العود الى بغداد على سيرة من كان قبله . وذلك ان رسم الحمدانية اذا ضعفوا عن مقاومة من يقصدهم ان ينقلوا الثلث والميرة وسائر الاموال والذخائر الى فلاعهم وينقلون الكتاب والدواوين أيضاً اليها ويخرجون في أصحابهم الى حول الموصل متفرقين في أعمالها فاذا حصل بالموصل عدوهم المتغلب عليهم لم يجد بها شيئاً غير ما عند الرعية فيضطرون الى الملوقات والمير ويخرج من يخرج في طلبهم وينقضون عليهم من أمكنة غريبة وطرق لا يعرفها الغرباء من العساكر فيأخذون

بنغالهم وجاهلهم ويقتلون ويأسرون من يمانعهم فاذا صبروا على ذلك أياماً يسيرة وجهدوا ولم يجدوا حيلة ولا معيناً من كاتب بلدى ولا غيره طلبوا الصلح وقاربوهم للضرورة التي ذكرتها وانصرفوا عنه فيعودون الى ممالكهم . ولم يكن عضد الدولة ممن يسلك هذه السبيل بل احتاط ونقل من الميرة والعلوفة والازواد ما تمكن منه وحمل من رجال الموصل وكتائبها الموجودين^(١٨٥) ببغداد وبتكريت وسائر الاطراف من يرشد ويخدم وكذلك كتاب بغداد كان فيهم من أقام بالموصل وعرف وجوه الاعمال فصبر وأقام الى ان صار أبو تغلب الى الشام بعد نواب نائبته وقتل هناك كما سنشرح أمره ان شاء الله .

وفي هذه السنة خرج الطائع لله مع عضد الدولة لمشاهدة الحرب بينه وبين أولئك الذين قدّمنا ذكرهم أعنى بختيار وأبا تغلب وكان بروز عضد الدولة الى معسكره بباب حرب من أعلى الجانب الغربى يوم الاثنين لليلةتين خلّتا من شوال سنة ٦٧ وبرز الطائع لله يوم الخميس لخمس خلون منه فلما انهزم بختيار وأبو تغلب من الوقعة بحضرة قصر الجص عاد الطائع لله الى منزله ببغداد^(١) وسار عضد الدولة كما ذكرنا فيما قبل الى الموصل فنزل بظاهرها يوم الاربعاء العاشر من ذى القعدة ودخل الدار يوم الجمعة

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : نفلح الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره وقلده سيفاً وعقد له لواءين يده أحدهما مفضض على رسم الامراء والآخر مذهب على رسم ولاية اليهود ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله ولقب تاج الملة وكتب له عهد بحضرتة فقراً بحضرتة ولم تنجر العادة بذلك انما كان يدفع العهد الى الولاة بحضرة أمير المؤمنين فاذا أخذه قال أمير المؤمنين : هذا عهدى اليك فاعمل به .

الثاني عشر .

وترددت الرسل من أبي تغلب الي عضد الدولة في التماس الصلح وحمل مال فامتنع عضد الدولة وقال : انا اذا ملكنا ناحية بالسيف وبعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها . وتشدد في ذلك حتى صرح لرسله بأن الموصل وديار ربيعة أحب اليه من العراق وأنه ليس يبيعها أبدا . وكانت الموصل وأكثر أعمالها ملكا لأبي محمد ناصر الدولة وكان رسمه أن يضايق أصحاب المعاملات من التناء وأصحاب العقار من أهل البلد ويخاشنهم ويتأول عليهم حتى يلجئهم الى البيع ويشترى^(٤٨٦) أملاكهم بأوكس الاثمان وطالت حياته وامتدت أيامه حتى استولى على الناحية ملكا وملكاً فلما صار جميع ذلك في قبض عضد الدولة لم يفرج عنها وطب أبو تغلب وأسريت اليه السرايا فلم يمكنه المطاوعة ولا ان يسير بسيرته التي حكيناها فيما تقدم فسار الى نصيبين وسير عضد الدولة خافه أبا الوفاء طاهر بن محمد على طريق سنجار . وكان في جملة من انهزم منه الرزبان بن بختيار ووالدة بختيار وابناها أخوا بختيار ومن أفلت من وقعة قصر الجص فلما لحقهم أبو الوفاء نهضوا منهزمين الى ميافارقين ثم افترقوا فاما والدة بختيار وأخواه وابنه ومن نهض معهم من أسبابهم وبقية الديلم والأتراك المرشومين بهم فانهم ساروا الى دمشق لاثنين بالفتكين المعزي وهو الذي نحارب عضد الدولة بديالى وانهزم من بين يديه فلما بلغه مسير أولاد . ولأه وحرمه وأسبابه اليه تلقاهم وقضى حقوقهم . وظن انه يتكثر بهم ويزيد في عدته بمكانهم ويتقوى بهم فجري الامر بالضد وذلك انه لما انهزم من العراق الى دمشق وتغلب عليها تماسك فيها نحو أربع سنين ودفع جيش المغرب عنها وثبت لمساكر صاحب مصر

التي جهزها اليه واستولى استيلاء قويا وهاباُ العرب وطار اسمه هناك . فلما صار اليه هؤلاء المنزومون قصده عساكر مصر على الرسم متضاعفة على العدة التي تقدمت فصار اليها الى الرملة ومعه الجماعة للحرب^(٤٨٧) والمقارعة فحين توافقت الفرقتان استأمن المرزبان بن بختيار فظهرت المغاربة على الفتيكين وكثروه بمدد فانهزم وقتل أبو طاهر ابن معز الدولة واستأمن أبو اسحاق بن معز الدولة في آخر الامر . ووقع الطالب على الفتيكين فاحقه المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وجاء به أسيرا : وكان صاحب مصر (قد) عرف منه ومن الأتراك الذين معه على طول الممارسة بأسا وشدة فأبقى عليهم وعليه وأحسن اليه واليهم واتخذهم عدة وصاحبه ثم اشترى منه ولأه وصار كالعبد له وحصل أصحابه محصل الجند وأحسن اليهم^(١) وأما أبو تغلب فانه أقام بميفارقين ومعه أخته جميلة وكانت وحدها شريكة له في الامر والنهي وسائر اخواته الباقيات وحرمه وعياله معه فلما بلغه مسير أبي الوفاء اليه قدم الحرم والعيال والاموال والسواد الى حصن بدليس وتوجه بنفسه لاحقا باسبابه ووصل أبو الوفاء الى ميفارقين وهي منقطة دونه ولها سور وثيق من حجارة سود لا يعمل فيها الحديد وهي من حصون الروم وأبنيتهم القديمة فطواها أبو الوفاء طالبا أبا تغلب وانتهى أبو تغلب الى أرزن ونزل على نهر يعرف بخويبور ثم عدل من هناك الى ناحية الحسنية ووصل الى قلاعه واستنزل منها مالا على سبيل الخالصة فعاد الشيخ أبو الوفاء الى ميفارقين لما زلتها وافتتاحها . واتصل بمضد الدولة مخالفة^(٤٨٨) أبي تغلب الى قلاعه وأخذ ما أخذ منها فنرض من الموصل

(١) اراجع تاريخ ابن القلانسي ص ١٨ - ٢١

بنفسه وهرب أبو تغلب من بين يديه وفارقه جمهور عسكره وأعيان رجاله مستأمنين الى عضد الدولة منهم بختكين آذرويه وبقايا الغلمان المعزية والغلمان السيفية فماد الى الموصل وقد ترك أبا تغلب مسلوب القوة والمعدة

وسلك أبو تغلب في هزيمته هذه طريق الجزيرة فجرد عضد الدولة في أثره أبا حرب طغان الحاجب وأمره باتباعه ومناجزته فتككب أبو تغلب الطريق وتعمف الرجوع الى بدليس وظن أنه لا يتبع فكوتب طغان باتباعه وجرّد أبو سعد بهرام بن أردشير في عسكر مدد له فسار خافه فهرب من بدليس ودخل بلاد الروم قاصدا ملك الروم المعروف بورد الرومي^(١) وهذا رجل تملك على الروم ثم اختلف الجيش عليه بقسطنطينية ونصبوا أخوين من أولاد ملوكهم وافترقت كلمة الروم وطالت الحرب والمنازعات بين الفريقين وكان وزد هذا قد صاهر أبا تغلب وواصله واعتضد به على خصومه فانعكست الحال بان صار أبو تغلب هو اللاجئ اليه واتفق لابي تغلب ان كان مسيره في مضائق بين جبال ولحقه عسكر عضد الدولة هناك

﴿ ذكر غلط اتفق بجناية جناها أبو سعد بهرام على العسكر ﴾
(حتى كسر وهزم بعد التمكن من أسر أبي تغلب)
(والظفر به وبمن معه^(١٨١))

كان عسكر عضد الدولة على نهاية الحرص على الظفر بسواد أبي تغلب

(١) هو المعروف بالسقلا روس والملكان هما باسيل وقسطنطين ابنا رومانوس وأمهما هي ثاوفانو

واشتد طمعهم فيه لعلهم بما معه من المال الصامت الذي أخرجه من القلعة
وانه لم يترك ذخيرة هناك من جوهر نفيس أو در نمين أو متاع أو عين
يخف بحمله الا وهو معه ورأوا الصناديق بعينها التي وصفت لهم انها محمولة
من القلعة فحمل الاتراك وفرسان الاسكر ومن يوثق بفرسه وسلاحه
متسرعين الى غنيمة تلك الاموال . فناداهم أبو سعد بهرام : يا فتيان الاسكر
احفظوا تلك الصناديق فانها لمولانا . وكرر ذلك وتابيه فانكسر القوم
فقتلوا في الطاب ونظر اليهم أعداؤهم من خزائن وهم لا يعرفون السبب
فحمل عليهم أبو تغلب في عسكره فانهزموا ووقع بعضهم على بعض فقتل منهم
خلق كثير . وضرب طغان ضربات تعطل منها كثير من أعضائه وأفلت
مع أبي سعد وقد أشرفوا على الهلاك بعد ان أشرفوا على الغنيمة والظفر .

﴿ وذلك عند دخول سنة ثمان وستين وثلثمائة ﴾

ثم ان أبا تغلب بعد كسره طغان وأبا سعد أمن وصار الى حصن زياد
وأقام . وكانت جيوش قسطنطينية قد سارت الى ورد^(١) فشغل عنه بنفسه
وأنفذ اليه ميرة كثيرة وأشار عليه بأن يلحق به ليجتمعما على حرب خصومه
فاذا انهزموا واستظهر عليهم عاد فنصره . ولم تسكن نفس أبي تغلب الى أن
تلقاه فأنفذ^(١٠) اليه طائفة من عسكره على سبيل النجدة والمعونة وأقام

(١) قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخه (ولسخته موجودة في كتيبة
باريس : ٢٩١) ان أبا تغلب خاف على نفسه فاخذ طريق الجزيرة وكتب الى بردس
السقلاروس وكان السقلاروس قد واصله واعتضد به على منازعة باسيل واتفق ان كتبه
وردت عليه وقد توجهت جيوش باسيل الملك مع بردس الفوقاس فشغل السقلاروس
عن أبي تغلب بنفسه وأنفذ اليه الخ

بحصن زياد ينتظر فالتقى الجيشان من الروم وانهزم ورد^(١) واتصل ذلك
بأبي تغلب فيئس منه وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين الى أن
فتحت ميفارقين

﴿ شرح الحال في ميفارقين وفتحها ﴾

قد كنا ذكرنا تجاوز أبي الوفاء ميفارقين طالبا لأبي تغلب فلما هرب
الى بلاد الروم وتفرّد أبو حرب طغان الحاجب بطلبه والمسير في أثره عاد
اليها فبرز اليه هزارمرد على أن يواقعه فلم تكن له به طاقة فعاد الى التحصن
في المدينة . فاقضى الرأي عند أبي الوفاء أن كر الى أرزن لخاصرها ثلاثة أيام
وضعف من فيها عن المقاومة ففتحوها له ودخلوا في أمانه وطاعته ولم يزل
بسائر الحصون المقاربة لها حتى استغرقها وانكفأ حينئذ الى ميفارقين
وناصبه من فيها الحرب ثلاثة أشهر وكسرا وهجم البرد عليه وسقطت المنلوج
فاحتمله وصبر . ونُصب عليه وعلى عسكره من داخل السور منجنقات
فثبت لها وقابله بالمنجنقات مثلها ورمم بالنار والحجارة وهو في خلال
ذلك يفتح الحصون المقاربة لها ويستأمن أهلها ومن فيها من غلمان أبي تغلب
المرتبهين حتى قضى الله وفاة هزارمرد فكوتب أبو تغلب بذلك فكتب
بأن ينصب مكانه غلام من الحمدانية كان مضموما اليه يقال له مونس . وكان
بالبلد قاض جاهل متهور ليس^(٢) فيه من أدوات القضاء شيء يقال له
أبو الحسين المبارك بن ميمون ويعرف بابن أبي ادريس^(٣) فاستولى على تدبير

(١) وفيه أيضا أن ذلك يوم الأحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨

(٢) قال ابن الأزرقي الفارقي صاحب تاريخ ميفارقين : كانت ميفارقين من سنة ٣٣٣

نمحت حكم القاضي عبد الله بن الخليل بن المبارك بن ميمون عند غيبة سيف الدولة

أمر مونس هذا وجمع كلمة أهل البلد ومن كان فيه من المطوعة وحمله السلاح على الثبات والمدافعة فمكاتبه أبو الوفاء ودعاه الى الطاعة وبذل له الرغائب فأبى الا العناد . وكان يصعد الى برج من أبراج السور فينادي العسكر ويسمى القواد وصاحب العسكر ومن يلى أمرهم ويشتمهم ويبالغ في ذكركم بالقبيح ويتجاوز ذلك الى ما لا يحسن ذكره فعدل أبو الوفاء عنه الى مكاتبه شيخ من ميفارقين كان وجيها ومطاعا فيها يقال له أبو الحسين أحمد بن عبيد الله^(١)

﴿ ذكر الحيلة التي تمت لابي الوفاء في فتح ميفارقين ﴾

وجد أبو الوفاء لابي الحسين احمد بن عبيد الله خارج البلد غلاما كان مقيما في ضيعة له فراساه به ورفق بالعلام ووصاه ثم جمعه وليجته الى صاحبه ولم يزل به حتى استجاب للطاعة فأخذ العهد والميثاق على أهل البلد سرا فتمنى خبره الى القاضي الذي ذكرناه فسمى في الفتك به وكاد يتم له ذلك لولا أن أهل البلد حاموا عليه ومنعوا منه ولم يزل أمره يقوى وأهل البلد يجتمعون اليه وقد ملوا الحصار والضيق حتى استظهر بهم^(٢) فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٦٨ ثاروا مشغبين^(٣) على أصحاب أبي تغلب

الى ان مات ومات بعده القاضي وولى موضعه أبو الحسين محمد بن علي بن المبارك ابن ميمون وكان هذا البيت يعرف بيت ابن أبي ادريس

(١) وقل أيضا : وكان أحمد هذا صهر القاضي وكان الناس يرجعون الى كلمته

(٢) وزاد صاحب تاريخ ميفارقين : ثم أنه من الغد حضر عند القاضي وكان بينهما وحشة ومصاددة ومعه جماعة من الناس فشكوا ما هم عليه من المضايقة والحصار فقال القاضي : وأن صبركم وجلدكم وبعد ما أكلتم الكلاب ولا أكلتم أولادكم ولا مات منكم مائة في يوم واحد .

فالتجأ مونس ومن معه الى منازلهم وقبض احمد بن عبيد الله على القاضي ابن
أبي ادريس وعلى جميع من كان في حصن ميفارقين من أصحاب بختيار
وحاشيته وفيهم غلام أهوج معروف بالتهور والجهل كان قد داخل بختيار
على طريق المنادمة التي تليق بمثله يعرف بابن الطبري فساعد القاضي على
سيرته وجعله في ذكر الملوك وبسط اللسان فيهم ووجه الى مونس الحمداني
يلتمس مفاتيح الباب منه ويتهده متى أخرها وساعده الجماعة على ذلك
فأنفذها والتمس الامان فكتب احمد بن عبيد الله الى أبي الوفاء يعرفه ماعمله
ويلتمس الامان لمونس ومن معه من الحمدانية فأمنه واستثنى بهذا القاضي
وبالمعروف بابن الطبري وأتخذ أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب في قطعة
من الجيش فدخل الى البلد وملكه وأحسن أبو الوفاء الى أهله وفرق فيهم
أموالا وتصدق على ضغناتهم بإصر عضد الدولة إياه. وحمل الى حضرة
القاضي وابن الطبري فأمر بضرب رقابهما وصلبهما من السور على البرج
الذي كان يظهر منه ويسمي أدبه فيه

فتح آمد

كان أبو الوفاء أنفذ اليها في أول الامر أبا علي التميمي الحاجب لافتتاحها
فتمذرت عليه لخصائتها ووثاقه سورها الذي هو أشد من سور ميفارقين
فرجع عنها ثم عاد اليها أبو تغلب من بلاد الروم على ما^(١١٣) ذكرنا وظن
انه يقيم فيها ويمتنع بها فلما فتحت ميفارقين علم ان الجيش سائر اليه وانه
لا يثبت مع الحصار ومع ما استمر عليه من الجوائح فأنفذ أخواته سوى
جميلة مستأنات الى أبي الوفاء وتبين أصحابه ضعفه فالتأوا عليه فهرب الى
الرحبة ومعه أخته جميلة ومن يمس أمره من حره . وقعد عنه المعروف

بأنجوتكين وهو من نجباء الأتراك المعروفين بالشدة والثبات في المارك وله قوة على حملات له ثقيل يعجز عنه غيره وإذا حمل به لم يثبت له أحد وقعد معه جماعة من الأتراك وقصدوا حضرة عضد الدولة مستأمنين إليه ثم تابع الناس الذين كانوا مع أبي تغلب من الغلمان والجند والكتاب والولاء والاتباع . وسلك حينئذ أهل آمد بعد انصرف أبي تغلب عنها سبيل أهل ميافارقين ففتحوها سلمًا وظوعا .

واشتمل أبو الوفاء على ديار بكر بأسرها وعاد الى الموصل ومعه الاسارى بعد ان رتب في الحصون من يحفظها من ثقات عضد الدولة ورتب في البلدان عمال الخراج والمعاون

﴿ ذكر ما عمله أبو تغلب بعد مسيره من آمد ﴾

لما انصرف من آمد وقصد الرحبة أتقذ من طريقه أبا عبد الله الحسين ابن ناصر الدولة وسلامة البرقيدي وهو من كبار الحمدانية الى عضد الدولة برسالة تتضمن الاستعطاف ويسأله الصلح والاصطناع ووصل الى الرحبة ^(١٤) وأقام بها على انتظار الجواب . فورد أبو عبد الله وسلامة البرقيدي الموصل وأدّى أبو عبد الله ما تحمله فتلقاه عضد الدولة بالجميل وقبل منه تنصله وبذل له اقطاعا وفضلا على ان يطاء بساطه ويدخل في ذمامه وتبين أبو عبد الله حزم عضد الدولة وذاك أنه مع احسانه اليه وتوسعته عليه منع أخذاً من الوصول اليه فلم يشاهد بعينه إلا الموكلين به فقط وعرف من أخيه انه لا يستجيب لما دعاه اليه عضد الدولة فأخذ بالخزم لنفسه وتعلق بمصمة باطنية اختص بها واعتقد ان يفارق أخاه ويعود الى حضرة عضد الدولة فمضى اليه مأماد الجواب عليه . فكان الامر على ما ظنه من مخالفة

أخيه لرسوم عضد الدولة فتوجه الى الشام لاجئاً الى صاحب المغرب
وسار معه أخوه الحسين الى بعض الطريق ثم فارقه قبيل تدمير على غير
استئذان فأنفذ خلفه من يتبعه فشعث سواده ولم يلحقه في نفسه فنجوا
وحصل بحضرة عضد الدولة على حال جليلة

﴿فتح ديار مصر﴾

كان الوالى عليها سلامة البرقيدى فأنفذ اليه سعد الدولة وهو ابن
سيف الدولة جيشاً لينزله عنها فجرت بين الفريقين حرب . وكان سعد
الدولة هذا قد كاتب عضد الدولة وعرض نفسه^(١٩٥) وتعلق منه بعصمة
فأنفذ عضد الدولة أبا أحمد الموسوي النقيب اليها فسلمها بعد حرب ودخل
أهلها في الطاعة . ولما استولى عليها سلطان عضد الدولة استصفي منها الرقة
وأعمالها خاصة وفوض باقيها الى سعد الدولة وجرت مجرى سائر ما في
يده من أطراف الشام .

ثم فتح الرحبة فتفرغ لفتح قلاع أبي تغلب وهذه القلاع هي في جانب
دجلة الشرق وهي عدة كثيرة فمنها أردمشت ومنها الشعباني وقلة اهرور
وقلة مليصى وقلة برقي وكانت أردمشت خاصة بمملوءة بالامتعة الفاخرة
من أصناف الثياب والفرش والجواهر والمياغات والحلي وسائر أصناف
العدد وكان أبو تناب رتب فيها رجلا من الاكراد بينه وبينه قربى من جهة
والدته فاطمة بنت أحمد الكردية يعرف بابن بادويه وضم اليه مملوكا له
كان من غلمان أبيه يثق به يقال له طاشتم فأنفذ اليه عضد الدولة أبا العلاء
عبيد الله بن الفضل بن نصر النصراني لمنازاة القلعة والاحتياال في فتحها
وأنفذ أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الى الشعباني وأنفذ صاحباً لابي نصر

خرشيد يزديار الخازن الى امرور فعرف أبو العلاء حال أقارب لابن بادويه الكردي خارج القلعة فدعاهم الى خدمة عضد الدولة^(١) ورغبهم فيها وعرفهم اضمحلال أمر أبي تغلب ووقوع اليأس منه وكاتبهم عضد الدولة بمشورة أبي العلاء فرغبوا في الخدمة وصاروا على ثقة مما وعدوا به ثم حملوا على مكاتبة صاحب القلعة وأشاروا عليه بالقبض على طاشتم وتسليم القلعة وذلك ان طاشتم كان شديد الطمع في عود صاحبه ويجب أن تظهر أمانته عنده فعمل ابن بادويه ذلك وبذل للحراس وسائر من يحفظ القلعة البذل الكثير وحكموا فتم القبض على طاشتم والتقييد وحصات القلعة بما فيها^(٢) وظهرت نجابة أبي العلاء واجتهاده وحسن تلافئه وكان قيمة ما في القلعة على ما حررناه (وكنت فيمن أخرج اليها لنقل ما فيها مما يصلح للخزائن) ومع ما يباع وبقيّة ما يبقى في القلعة نحو عشرين الف الف درهم قال صاحب هذا الكتاب : كان عضد الدولة أمرني أن أصير مع خواشاه^(٣) الى هذه القلعة وأحضر احصاء ما فيها ثم تسلم طاشتم مقيدا وأحمله على بفسل بألف مجردا لا وطاء عليه ومعه أصحابه الذين قيدوه وسلموا القلعة بالخلم والدواب والمراكب التي حملوا عليها وبين أيديهم البدر والثياب التي حبوا بها ثم أطوف به تحت القلاع الممتعة التي لم تفتح بعد لينظر من فيها الى حال طاشتم فيحذروا مثله ويروا أحوال الباقين فيطمعوا

(١) وفي طاشتم هذا ايراجع ما في كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ١٣٦

(٢) وفي خواشاه هذا قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٢٥٥) قرأت في

كتاب بغداد تصنيف هلال بن الحسن الصابي : حدثني خواشاه خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة (يعني بغداد) عامرها وخرابها وحريمها وما يجاورها ويتاخها فكان مثل شيراز

في مثلها ^(١١٧) ففعلت ذلك وتحملت رسائل الى أصحاب تلك القلاع .
وجرت أحوال يطول شرحها إلا ان جملتها ان القوم لما نظروا الى هيئة
طاشتم وأصحابه دخلهم الرعب من جانب وتجددت لهم الرغبة من جانب
وكانوا قبل ذلك لا يصدقون الرسل بان هذه القلعة التي كان فيها طاشتم
فتحت فلما رأوه عيانا وخاطبوه عرفوا وهاء أمر أبي تغلب وقوة عضد الدولة
وسلموا القلاع بعد مدة .

ورأيت أنا من طاشتم هذا في طريقى حصافة واقبالا على الصلوات
ودعاء كثيرا (وقد كان أومن على روحه فقط) فسألنى فى الطريق المعونة
وحسن المحضر عند عضد الدولة فلما عدنا الى الموصل وفرغنا من استقراء
القلاع على ما وصفت ثبت عن طاشتم هذا بحضرة عضد الدولة وعرفته
سداده وانه يصلح لخدمته فقال : هو كما تقول ولسكن السياسة لا توجب
اصطناعه . فقلت : وكيف ؟ قال : لانه مانعنا تم تقرب به الينا غيره فان وقع
احسان اليه سوينا بينه وبين من خدمنا بالقبض عليه فخبثت نيات من
يخدمنا فى أعدائنا وظنوا انا لا نتميز فى الاحسان بين الولي والعدو وبين
الحبيب والممتنع ومع ذلك فان بين أيدينا قلاعا ما فتحت بعد وان بلغ أصحابها
المتنعين فيها احساننا الى هذا زالت الرهبة عن قلوبهم وطمعوا فى مثل
طاقة هذا بعد حصولهم ^(١١٨) فى أيدينا ان حصلوا وسلامتهم فى مواضعهم
ان سلموا . ثم قال : ولان لى فيه رأيا وهو ان أتقذه الى صاحبه أبي تغلب
فانه سيؤوه على صاحب مصر به وبقلعة ويدعي انها فى يده وفيها ذخائره
وثقائه وان ماله فى هذه القلاع ينفي بمؤنته ان أمد بالرجال ولا تزال
مخاريقه مشتبهة وجائزة هناك الى ان يطلع عليه هذا وتتقدمه الاخبار بما

جرى عليه فحينئذ تبطل تمويهاته وتظهر فاقته وأنه طريد سيوفنا وإنما أفلت بحشاشته وليس وراءه عُدّة ولا ذخيرة ولا قلعة . فلما سمعت هذا الجواب علمت أنه صواب في سياسة الوقت وإن معارضته فيه خطأ فأمسكت . وبلغ ظاشتكم ما عزم عليه من تسيره الى صاحبه . مقيداً بحالته تلك فقلق جداً وراسلني يسألني المصير الى محبسه فصرت اليه تذكماً فوجدته كثير البكاء لا يستقرّ على الارض قلقاً فقلت : ما شأنك ؟ فقال : ان الملك كان آمناً على نفسي وأراه الآن قد بذلني لمن لا يبقى على . وأطال هذا المعنى وسألني معاودة عضد الدولة ومخاطبته في الامان الذي معه فحملت نفسي على معاودته فلم يرجع عن رأيه الاول وقال : انما آمنتك على نفسه منى والا أصيبه بمكروه وأنا له على ذلك ولست أضمن الا يصيبه صاحبه بمكروه . وتبرأ مما يجري عليه من صاحبه وتقدم^(١١) بالاسراع به . فلما بلغ أبا تغلب خبره من موضع يقرب منه تلقاه بمن قتله والله أعلم بصحة ذلك الا ان موته شاع بعد زمان قليل .

﴿ ذكر ما دبره عضد الدولة من أمر هذه الممالك ﴾

﴿ وعوده الى بغداد ﴾

خلف أبا الوفاء بالموصل لتهديب المعاملات وترتيب العمال في الاعمال وتقنين القوانين وتدوين الدواوين وعاد الى مدينة السلام يوم السبت انسلاخ ذي القعدة سنة ٣٦٨ . وخرج الطائع لله في تلقيه مع جماعة الجيش والمقيمين وسائر الخوإص والعوام ودخل يوم الاحد ليلة خلت من ذي الحجة واجتاز في الجانب الغربي على تسمية من الجيش وبعد ان ضربت له القباب متصلة منتظمة بين عسكره من باب حرب وبين الموضع الذي

ينزله من آخر البلد وهو البستان المعروف بالنجمي وعبر في يوم الاثنين له الى داره فاستقر فيها .

﴿ [ذكر] ما أكرم به عهد الدولة من جهة الطائع لله ﴾

خرج أمر الطائع لله الى خلائقائه على الصلاة في جوامع مدينة السلام بان يقيموا لعهـد الدولة الدعوة تالية لاقامتها له على منابرها وتنفذت به الكتب اليهم ورسم ان يضرب على بابه بالدباب في أوقات الصلوات . وهذان الامران من الامور التي بانها عهد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على ^(١) قديم الايام وحديثها ^(٢)

﴿ ودخات سنة تسم وستين وثمـائة ﴾

وفي هذه السنة ورد الحضرة أخ اسقلاروس الرومي المعروف بوّرد وقد ذكرنا خبر هزيمته عن جيوش قسطنطينية وكان صار الى ديار بكر وأنفذ أخاه هذا الى عهد الدولة مستنجرا ومستنجدا وباذلا من نفسه الطاعة والمعاهدة ^(٣) ولما كان الملكان الاخوان اللذان بقسطنطينية عرفا

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : وقد كان معز الدولة أحب ان يضرب له الدباب بمدينة السلام وسأل المطيع لله ذلك فلم يأذن له قات : وماذا لك الا لضمف أمر الخلافة .
(٢) قال يحيى بن سعيد الانطاكي : وأما اسقلاروس فانه بعد هزيمته أخذ معه أخاه قسطنطين وولده رومانوس وصار الى ديار بكر وأنفذ أخاه قسطنطين الى عهد الدولة يلتمس منه النجدة والمعونة وبذل له الطاعة والمواالة وتناول مقامه واتي الى الملك باسيل حاله فأنفذ الى عهد الدولة كتابا له وجيها يسمى قففور ويعرف بالاورانوس (وهو الذي باخره ماجسطرس ووالى انطاكية) مترسلا عنه فيما يفسد على اسقلاروس ما شرع فيه مع عهد الدولة ومالا واسما يستعين به على قصده ورسم له بان يرغب عهد الدولة بما بذله له فيه ويهدء اخراج كل أسير في بلد الروم وان يتلطف باحضار

ما فعله أئقذارسولا وجيها الى عضد الدولة لنقض ماشرع فيه ورد واجتمع هذان الرسولان على بساطه خاضعين يتنافسان فيه ويتزايدان في التقرب اليه ويستبقان الى التماس الذمام منه ولم ينصرفا الى ان انساخت سنة تسع وذلك مالم يكن مثله قط. وهو من مآثر عضد الدولة

وفيه توفى عمران بن شاهين صاحب البطيحة بخاة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان ركب في غداة هذا اليوم للتنزه على عادة كانت له فلما عاد الى داره تشكى دون ساعة وفاطت نفسه بعد ان نصبت له الارصاد اربعين سنة وأتقت على حروبه الحرائب وبعد ان أذل الجبابرة وأرباب الدول وطواهم أولا أولا وقدمهم أمامه على غصص يتجرعونها

السقلاروس اليه ولو بائبباعه وابئباع من معه من الروم ويضحن له انه يؤمنهم ولا يسيء الى أحد منهم . وأوعز عضد الدولة الى صاحبه المقيم بيمافارفين سرا بان يقبض على بردس السقلاروس فظهر عضد الدولة الانكار للحال والغضب على صاحبه لما فعله وكاتبه بان يحمله الى بغداد وحمل معه ولده رومانوس وسائر أصحابه وكان عددهم تقديرا ثلاثمائة نفس . ولما وصل السقلاروس أنزله عضد الدولة دارا خلبيت له ووسع عليه الجراية مديدة واعتقله واحتاط عليه ووعده باطلاقه وتجرید عسكر معه . وارسل عضد الدولة الى باسيل الملك صاحبالميعرف بابن شهرام في معنى السقلاروس وقصده وما يبذله من الموالة فانه قد شرط على نفسه اذا ظفر بسلم اليه حصونا عما اقتنحه الروم وانزعوه من أيدي المسلمين ويستدعى منه أن يسلم اليه تلك الحصون والا هو يعد السقلاروس بالعساكر ويهضده على ما انمسه منه فأعلمه باسيل الملك قلة غنايته به وان ذلك مما ينزعج منه . وورق الى عضد الدولة ان تقفور رسول باسيل الملك الوارد في طلب السقلاروس مجتهدا عند اياسه من أن يسمه ويميته ايكفي صاحبه أمره فوكل به أيضاً واعتقل فقبض على جميع ما ورد معه من المال والمتاع . واعتل عضد الدولة وشغل عنه وعن غيره بنفسه ومات وبقي جماعتهم معتقلون ببغداد مدة ثمان سنين الى ان صدر إمام ولده صاحب الدولة واتمى أمرهم الى ما سنشرحه مسانقاً .

وذحول يتحملونها وهو ممنوع الحريم محصن الساحة محمي من غوائلهم
ومكايدهم فلما أطرقت^(٥٠١) الله لم يكن له مستقدم ولا مستأخر
وفيها جرّد عضد الدولة جيشا مع صاحبه وثقته أبي القاسم علي بن
جعفر الواذاري وضم اليه أبا الملاء النصبراني لطلب بني شيبان
(ذكر السبب في ذلك)

كانت هذه القبيلة أعني بني شيبان مستعصين قد تعودوا النهب
والغارة والتلصص وأعتت الحيلة في طلبهم وذلك ان لهم خيولا جيادا
يعولون عليها في الهرب اذا طلبوا فكانت سراياهم تبلغ في الليلة الواحدة
ثلاثين فرسخا وربما زادوا على ذلك فيمسون بموضع ويصبحون على هذه
المسافة البعيدة وكذلك يصبحون في مكان ويمسون منه على مثل ذلك ولا
يصح للسلطان خبرهم ولا يتأتى له طلبهم . وكان لهم رئيس يعرف^(١)
وكانوا مع ذلك قد عقدوا بينهم وبين أكراد شهرزور المتغلبين عليها
مصاهرات وأذمة وشهرزور هذه لم تنزل ممتنعة على السلطان لا يذعن أهلها
لحصانة المدينة ولا لهم في أنفسهم عتاة ذوو بأس وجلد . فاراد عضد الدولة
أن يبدأ بشهرزور ليقطع بين اعراب بني شيبان وأكرادها فاتفق شيوخ
أبي القاسم الواذاري وهو عقيب علة طالت عالية ولحقته نسكة في طريقه
فمات وورد خبره على عضد الدولة وكاتب أبا الملاء وأقامه مقامه وأمره
باستكمال الخدمة فيما توخاه . ففعل ووفى وظهرت نجابته المروفة منه ونهض
نهوضا كفى المهم به وشفى الصدور ولما وصل الى شهرزور وعسكر على
ظاهرها فتحت له فدخلها في عدة يسيرة على موادعة لاهلها وقبول^(٥٠٢)

الطاعة منهم ولم يكن القصد الاول اليهم ولا المراد بلدهم . فهرب بنو شيبان في البر مضطربين الي نواحي الزواحي على رسمهم في الاجفال اذا طلبوا .

﴿ ذكر ما دبره أبو العلاء من أمرهم حتى ظفروهم ﴾

سار أبو العلاء الى دقوقا وأقام بها أربعة أشهر وكسرا يعمل ضروبا من الخيل والمكايد والمكاتبات المتصلة بضروب من الاستمالة والرفق والاطماع حتى سكنوا اليه وأنسوا به ولم يجعل مع ذلك حتى قربوا بأحيائهم منه فأسرى حينئذ اليهم وأوقع بهم ودية عظيمة أتت علي نفوسهم وأموالهم وفزارهم وأغزتهم وغنم غنيمة عظيمة وقتل من مقاتلتهم خلقا كثيرا وانصرف بمائتي رأس من رؤوس القتلى وتمائة رجل من الاسرى فيهم جماعة من وجوههم ورؤسائهم . فدخل بغداد يوم الخميس ثمان خلون من رجب وشهر هؤلاء الاسارى على الجبال بالبرانس الطوال والثياب الملونة لاربعة عشرة ليلة خلت منه وأودعوا الحبوس والمطابق وتفرق أوتشك الذين نجوا منهم في الاطراف البعيدة وطفئت جمرتهم وزالت عن أعمال بغداد والسواد مضرتهم .

وفيها قبض على أبي أحمد الموسوي نقيب الطالبين وعلى أخيه أبي عبد الله وعلى قاضي القضاة أبي محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف وأنفذوا الى فارس وقلد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس ^(١) واستخلف له ببغداد أربع خلفاء على أرباع بغداد وهم أبو بكر

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام : هو قاضي قضاة شيراز توفي في رءضان سنة ٣٨٠ وكان اماما في مذهب داود (يعني من أهل الظاهر) فصرف عن القضاء في سنة ٣٧٢ بموت عضد الدولة . واما خليفته ابن صبر قال أيضا إنه خفي ولي القضاء بعسكر المهدي

محمد بن عبد الله^(٥٠٣) المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الاعلى منه وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الحرزى وصير خليفته على ما بقى من الجانب الشرقي من حد المخرم الى الطرف الاسفل وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الاكفاني^(١) خليفته على مدينة أبي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الاعلى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التي

ومات سنة ٣٨٠ وكان معتزليا مشهورا به رأسا في علم الكلام سمي أبو بكر الخطيب أبا عبد الرحمن وأما هو محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن الحسين بن فهم المعروف بابن صبر وكان بصيرا بكلام أبي هاشم الجبلي خيرا بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الأدلة وكتاب التفسير وما أتمه . وأما الحرزى وهو شيخ أهل الظاهر أخذ عن قاضي القضاة بشر بن الحسين وقدم من شيراز في صحبة السلطان عند الدولة وتوفي سنة ٣٩١

وقال أيضا ان أبا هاشم الجبلي هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن أبي علي البصري كان هو وأبوه من رؤس المعتزلة وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما . قال ابن درستويه النحوي : اجتمعت مع أبي هاشم فالتقي على ثمانين مسألة من غريب النحو ما كنت أحفظ لها جوابا . ولأبي هاشم تصانيف وتلامذة وكان يصرح بخناق القرآن كآييه ويقول بخلود الفاسق في النار وان التوبة لاتصح مع الاصرار عليها وكذا لاتصح مع المعجز عن العقل فقال : من كذب ثم خرس أو من زنا ثم جب ذكروه ثم تابا لم تصح توبتهما . وأنكر كرامات الاولياء توفي في ثامن عشر شعبان سنة ٣٢١ هو وابن دريد في يوم واحد ودفنا بمقبرة الخيزران . وإبراهيم ما قال فيه أبو سعد السمعاني في كتاب الانساب : ص ١٢١ وابن دريد ترجمته في ارشاد الاربيب ٦ : ٤٨٣

(١) قال فيه صاحب تاريخ الاسلام رواية عن التنوخي : قال لي أبو اسحق الطبري : من قال ان أحدا أتقى على أهل العلم مائة ألف دينار فقد كذب غير أبي محمد الاكفاني . والله جمع له في سنة ٣٩٢ جميع قضاة بغداد وتوفي سنة ٤٠٥ .

تعرّف بالشرقية وهى على غربى دجلة الى طرفه الاسفل وقسمت نواحي السواد على هذه الحصص بينهم

وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبى تغلب فضل الله بن ناصر الدولة . بالرملة ﴿ ذكر شرح الحال فى قتله وحرقة ﴾

كنا قد ذكرنا خبره فى توجهه من الرحبة الى دمشق وكان بلغه ان عضد الدولة كاتب سعد الدولة بن سيف الدولة وجميع البرادى هناك من بنى كلاب وغيرهم بمارضته فى مسيره وأخذوه وحمله الى حضرته فاستوحش وعدل عن نهج الطريق وأوغل فى البرية فآلته مشقة عظيمة ووصل الى دمشق من ورائها فوجد فيها من اهمل ارجلا يقال له قسام^(١) قد تحصن بها وغلب عليها وخالف صاحب المغرب فلم يتمكن من دخولها فنزل فى ظاهرها وأتخذ كاتبه على بن عمرو الى مصر يستدعى من صاحب المغرب النجدة . ووقعت بين أصحابه وبين أصحاب قسام هذا ثورة فرحل الى موضع يقال له نوى وفارقه من ههنا ابن عمه أبو النطريف مستأمننا الى عضد الدولة وعيد عيد انطر بنوى وورد عليه كتاب من كاتبه من مصر بان صاحب المغرب تقبله ووعدته بكل ما أحبه وأنه التمس منه ان يسير اليه زائرا فامتنع أبو تغلب من ذلك وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما . فرحل عن نوى الى منزل يقال له كفر عاقب على بحيرة طبرية وفارقه من هناك أخوه أبو طاهر ابن ناصر الدولة على اتفاق واستئذان مستأمننا الى عضد الدولة . وكان صاحب المغرب أنفذ وجها من وجوه غلمانه يقال له الفضل الى دمشق ليجتال على قسام ويفتح البلاد نصار الى طبرية وقرب

(١) ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسي ص ٧٢ — ٧١

من أبي تغلب وتراسلا في الاجتماع فسار الفضل اليه وتلقاه أبو تغلب وتفاوضا في الموكب ووعدوه عن صاحب المغرب بكل ما أحب وبذل له أبو تغلب المسير معه الى دمشق لفتحها . فسكره ذلك للنفرة التي كانت جرت بينه وبين قسام لثأل يوحشه . وكان يسلك في أمره اللطف والحيلة لا طريق الخوف والمقارعة فاقتربا وعاد كل واحد منهما الى موضعه ثم رحل الفضل الى دمشق فلم يتم له ما قدره فيها . وكان بالرملة دغفل بن المقرج بن الجراح الطائي وهو رجل بدوي استولى على هذه الناحية وأظهر طاعة صاحب المغرب من غير ان يتصرف على أحكامها واستفعل أمره وكثرت البوادي معه فسار الى احياء عقيل المقيمة بالشام ليواقعها ^(١٠٠) ويخرجها عن تلك البلاد فلجأت الى أبي تغلب وسألته نصرتها ومثت اليه بالرحم النزارية وكتب ابن الجراح اليه يسأله ألا يفعل ذلك ومثت اليه بالهلف الذي وقع قديما في الجاهلية بين ربيعة واليمن فتوسط بين الجهتين على التكاف الى ان يرجع الى صاحب المغرب ويمثل ما يرد منه في الامر الذي شجر بينهما . ورحل فنزل في جوار عقيل على انه مانع لها المسير والابتداء بالشر فاوحش ذلك ابن الجراح والفضل صاحب صاحب المغرب وخافاه وظنا ان اجتماعه مع بني عقيل لتدبير على أعمالهم فسار الفضل عن باب دمشق على طريق الساحل الى الرملة . وضجر أبو تغلب من طول مقيل واتصال كُتُب كاتبه اليه بالتسويق والتعليل فسار الى الرملة مع احياء عقالي وذلك في المحرم سنة ٣٦٩ هـ . هرب ابن الجراح والفضل من بين يديه حبا لبعده وكتب الفضل يستنجد ويجمع الى نفسه جيوش السواحل وولاهه وجمع أيضا ابن الجراح الرجال واحتشد فتوافت اليهما طوائف كثيرة

واستأمن الى أبي تغلب ممن كان معهما اسختكين التركي المغربي وغيره من الاتراك وقطعة من الرجال الاخشيدة والمغاربة وعطف اليه الفضل وابن الجراح فيمن جمعا فوقمت الوقعة على باب الرملة يوم الاثنين لليلة خلت من صفر^(٥٠٦) سنة ٣٦٩ فلما عاينت عقيل كثرة الناس انهرمت فضف^(١) أمر أبي تغلب وفارقه اسختكين المغربي طالبا العراق ومستأمنا الى عضد الدولة وعاد باقى المستأمنة من المغريين الى الفضل والى ابن الجراح ولم يبق مع أبي تغلب الا نحو سبعمائة رجل وهم غلمانهم الحمدانية فانهزموا وانهزموا ولحقهم الطالب فقتلوا وجوههم بحامون عن قوسهم بالكافة والمجالد فضرب بعض الصماليك أبا تغلب على رأسه وعرقب آخر فرسه فسقط الى الارض وبادر اليه ابن عمه لابن الجراح يقال له مشيع الطائي وقتل بعض غلمانهم وأسرا أكثر أصحابه وحصل أبو تغلب في عشية تلك [الليلة] فى يد ابن الجراح فبكر مرتحلا بأحيائه وعسكره وسيره بين يديه على ناقة وقد شد رجليه بسلسلة الى بطنها واعتقد ان يأتي عليه ولا يبقى فبلغ ذلك الفضل فبكر ليأخذه من يد ابن الجراح فالتقاء قد سار فانبه فلما قرب خاف ابن الجراح ان يتسلله منه وبصير به الى مصر فيجري معه مجرى الفتيكين فى اصطناع صاحب المغرب له واستصحبه اياه وقد وتره بالحرب والاسر وأناخ الناقة وضربه بيده ضربتين بالسيف فسقط قتيلاً وأخذ رأسه وقطع بعض الشيوخ من العرب يديه ورجليه لانه كان ضرب يد ابن له عند مماذته عن نفسه فأطنها . ولحق الفضل وقد قضى الامر فأخذ رأسه وأتقذه الى مصر ثم صلب جثته ثم أحرقت .

وقد كان خلف أخته جميلة وزوجته وهى بنت سيف الدولة^(٥٠٧) فى احياء بنى عقيل فلما قُتل حملوها^(١) مع سائر عياله الى حلب فأخذ سعد الدولة أخته اليه وأنفذ جميلة الى الرقة وحدرها منها الى عانة وعدل بها من عانة الى الموصل وسلمت الى أبى الوفاء فكانت فى يده الى ان انحدر الى بغداد فحدرها معه وحصلت معتقلة فى الدار فى بعض حجرها مع جوارى عضد الدولة ونسائه^(٢).

﴿ ذكر تلا فى بغداد بالعمارة بعد الخراب ﴾

وفى هذه السنة أمر عضد الدولة بعمارة منازل بغداد وأسواقها وكانت مختلة قد أحرق بعضها وخرب البعض فبى تل وابتدأ بالمساجد الجامعة وكانت أيضا فى نهاية الخراب فاتفق عليها مالا عظيما وهدم ما كان مستهدما من بنيانها وأعادها على أحكام وشييدها وأعلاها وفرشها وكساها وتقدم بإدرا رزاق قوائمها ومؤذنيها والائمة والقراء فيها واقامة الجرايات لمن

(١) الصواب « حملوها » (٢) قال صاحب تاريخ الاسلام فى ترجمة سنة ٣٦٩ ان فيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان ومعا أخوها ابراهيم وهبة الله فضرِبَ بحجرها المثل فانها استصحبت أربع مائة رجل وكان معها عدة محامل لم يعلم فى أنها كانت وكسب المجادرين ونثرت على البكة لما رأتها عشرة آلاف دينار وسقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر والتلج (كذا قال أبو منصور النعماني فمن أين لها تلج ؟) وقل أخوها الواحد فى الطريق وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية وأغنت المجادرين بالاموال . قال أبو منصور النعماني : خامت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان بها أربع مائة عمارية لا يدري فى أيها كانت ثم ضرب الدهر ضربانه واستولى عضد الدولة على أموالها وحصونها وممالك أهل بينها فغضت بها الحال الى كل قلة وذلة وتكشفت عن فقر مدقع وقد كان عضد الدولة خطبها فامتعت ترفعا عليه فغند عليها وما زال ينفذ بها حتى عراها وهتكها ثم أزمها ان تخلف الى دار القهاب فتكسب ما تؤديه فى اصادرة فلما غاق بها الامر غرقت نفسها فى دجلة .

يأوى اليها من الغرباء والضعفاء وكان ذلك كله مهما لا يُفكر فيه . ثم أمر بعمارة ما خرب من مساجد الارباب المختلة وأعاد وقوفها وعول في هذه المصالح على عمال ثقات أشرف عليها نقيب العاويين ثم ألزم أرباب العمارات التي احترقت ودثرت في أيام الفتنة ان يعيدوها الى افضل احوالها في العمارة وفي الحسن والزينة فمن قصرت يده عن ذلك اقترض من بيت ماله ليُرْتَجَم منه عند الميسرة ومن لم يوثق منه بذلك أو كان غائبا أقيم عنه وكيل وأطلق له ما يحتاج اليه فعمرت بغداد^(٥٠٨) وعادت كأحسن ما كانت .

ثم وقع التتبع على الدور والمساكن التي على جانبي دجلة فبنيت مسناتها وجددت رواشنها بعد ان كان الخراب شاملا لها وتقدم الى من سميت له دار على الشط من كبار الاولياء والخاصية ان يجتهد في عمارتها وتحسينها . وكان السبب في خراب هذه الدور والقصور على الشط ان بختيار كان نقض دار أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي التي كانت على الصراة ودجلة حين قبضها عنه ولم يكن لها نظير ببغداد في الاتساع والحسن وكان اتخذ فيها بستانا نحو سبعة أجرة مملوا بالنخل والاشجار والياحين والانوار وطرائف الغروس الغريبة وأنشأ فيها المجالس البهية والمساكن الفسيحة فارتفع له من أثمان النقض جملة استكثرها واستطاب بعد ذلك بيع الانقاض فهدم المنازل الجليلة التي لا يمكن أو يصعب اعاتها . فأمر عضد الدولة برفع سنة الاخراب وبيع الانقاض واعادة عمارة بستان عرصة دار العباس بن الحسين وكذلك عمارة البستان بالزاهر المتوسط الشرقي من بغداد فعمل ذلك فامتلاّت هذه الخرابات بالزهر والخضرة والعمارة بعد ان كانت مأوى

الكلاب ومطارح الجيف والاقذار وجلبت اليها الغرور من فارس وسائر البلاد.

وكان ببغداد أنهار كثيرة مثل نهر العبازة ونهر مسجد الانباريين ونهر البراذين ونهر الدجاج ونهر القلايين ونهر طابق وميزابها الى دجلة^(٥٠٩) والصراة ونهر عيسى ونهر بناحية الحرية يأخذ من الدجيل وكان منها مرافق للناس لسقي البساتين واشرب الشفة في الاطراف البعيدة من دجلة فاندفت مجاريها وعقت رسومها ونشأ قرن بعد قرن من الناس لا يعرفونها واضطر الضعفاء الى أن يشربوا مياه الآبار الثقيلة أو يتكاثفوا حمل الماء من دجلة في المسافة الطويلة فأمر بحفر عمدانها ورواضعها وقد كانت على عمدانها الكبار المعروفة بنهر عيسى والصراة والخندق قناطر قد تهدمت وأهمل أمرها وقل الفكر فيها فربما انقطعت بها السبل أصلا وربما عمرتها الرعية عمارة ضئيفة على حسب أحوالهم وعلى حسب الاقتصاد والترجبة فلم تكن تخلو من أن يجتاز عليها البهائم والنساء والاطفال والضعفاء فيسقطون فبنيت كلها جديدة وثيقة ونمات عملا محكما . وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد فانه كان لا يجتاز عليه الا المخاطر بنفسه لا سيما الراكب لشدة ضيقه وضعفه وتراحم الناس عليه فاختيرت له السفن الكبار المتقنة وعرض حتى صار كالشوارع الفسيحة وحُصِّن بالدرابزينات ووكل به الحفظة والحراس . فأما مصالح السواد فانها قلدت الامناء ووقع الابتداء بذلك في السنة المتقدمة لهذه التي نحن في ذكرها فقلبت الزيادات وجمعت العدد من القصب والتراب وأصناف الآلات^(٥١٠) وأعيد كثير من قناطر أفواه الانهار والمناياض والآجر والنورة والجص وطواب الرعية بالعمارة مطابقة

رفيقة واحتيط عليهم بالتبعية والاشراف وبلغ في الحماية الى أقصى حد ونهاية
وأخر افتتاح الخراج الى النيروز المعتضدي^(١) وكان يؤخذ سلفاً
قبل ادراك الغلات وأمضيت للرعية الرسوم الصحيحة وحذفت عنها
الزيادات والتأويلات ووقف على مظالم المتظلمين وحملوا على التعديل
ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج وزال ما كان يجري عليهم من القبايح
وضروب العسف وأقيمت لهم السواني في مآهل الطريق وأحفرت الآبار
واستقيضت ينباعم . وحملت الى الكعبة الكسوة المستعملة الكثيرة
وأطلقت الصلوات لاهل الشرف والمقيمين بالمدينة وغيرهم من ذوى الفاقة
وأدرت لهم الاقوات من البر والبحر وكذلك فعل بالمشهدين بالغري
والخائر على ساكنهما السلام وبمقابر قریش فاشترك الناس في الزيارات
والمصليات بمدء ادوات كانت تنشؤ بينهم الى أن يتلاعنوا وتوائفوا

(١) قال صاحب كتاب العيون انه في سنة ٢٧٩ أحدث المعتضد النوروز الذي

يقع في اليوم الحادي والعشرين من حزيران

وفي آخر الخراج قال أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل (والنسخة موجودة في
كتبةخانة باريس ٥٩٨٦ ص ١٣٨) ان أول من أخرج النيروز المتوكل فانه كان يرى ما أضر
بالناس افتتاح الخراج والزروع أخضر وهم بقرضون وبستلفون وأحضر ابراهيم بن العباس
الصولي فوق العزم على تأخير النيروز الى سبعة وعشرين يوماً من حزيران فكتب
الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل ابراهيم وفيه وجد البلاذري خطأ
(وردت القصة في ارشاد الاريب ٢ . ١٢٨) وانه قتل المتوكل قبل دخول السنة الجديدة
وولى المنتصر فاحتاج الى المال فطوبى به الناس على الرسم الاول وانتقض ما رسم
المتوكل فلم يعمل به حتى ولي المعتضد . فوقع حسابه في اليوم الحادي عشر من حزيران
فاحكم أمره على ذلك وأثبت في الدواوين . وأما احتدى المعتضد بالله ما فعله المتوكل
الا أنه قد قصره في احدى عشر يوماً من حزيران

وخرست اللسن التي كانت تجر الجرائر وتشب النواثر بما أظلمها من السلطان القامع والتدبير الجامع . وبسطت رسوم للفقراء والفقهاء والمفسرين والمتكلمين والمحدثين والنسايين والشعراء والنحويين والعروضيين والاطباء والمنجمين والحساب والمهندسين وأفرد في دار عضد الدولة لاهل الخصوص والحكاماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا^(١) يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة وأقيمت لهم رسوم تصل اليهم وكرامات تتصل بهم^(٢) فعاثت هذه العلوم وكانت موانا وتراجع أهلها وكانوا أشتاتا ورغب الاحداث في التأديب والشيخوخ في التأديب وانبعثت القرائع ونفقت أسواق الفضل وكانت كاسدة وأخرج من بيت المال أموال عظيمة صرفت في هذه الابواب وفي غيرها من الصدقات على ذوي الحاجات من أهل الملة وتجاوزهم الى أهل الذمة . وأذن للوزير نصر بن هرون في عمارة البيع والديرة واطلاق الاموال لفقراءهم .

وكنا برض الزيادة من هذه البركات الى ان أتى أمر الله الذي

(١) ويشبه هذا حكاية أوردها جعفر بن قدامة في كتاب الخراج : أخبرني سنان ابن ثابت بن قرة ان المعتضد بالله (وكفى به من الملوك فضلا وحزما) أنه لما أراد بناء قصره في أعلى بغداد على الموضع المعروف بالشمسية استزاد في الذرع بعد ان فرغ لها من تدبير جميع ما أراد له للقصر فسئل عما يريد ذلك له فذكر انه يريد ليبنى فيه دورا ومساكن ومقاصير ترتب في كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية ويجري عليها الارزاق السنية ليتصد كل من اختار علما أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه ولو مد له في العمر حتى يفعل هذا لظهر فضل هذه الامة على جميع الامم

لا يدفع وإنما شرحناها لينظر فيها من يأتي بعدنا ويقرأها الملوك أو تقرأ بين أيديهم فيعملون بمثل ذلك ويسرون بها لينتشر ذكرهم بالجميل ويطلع الله عز وجل على نياتهم فيمكن لهم ويحسن معونتهم فلو لا خلال كانت في عضد الدولة يسيرة لاستحسن ذكرها مع كثرة فضائله لبلغ من الدنيا مناه ورجوت له من الآخرة رضاه والله ينفعه بما قدمه من العمل الصالح وينفر له ما وراء ذلك .

وفي هذه السنة شخص المطهر بن عبد الله عن مدينة السلام الى أسافل واسط لطلب الحسن بن عمران فاقام على منازلته والثالث عليه أمره فقتل نفسه .

﴿ ذكر شرح الحال في قتل المطهر نفسه ﴾

لما توفي عمران بن شاهين وفرغ عضد الدولة^(٥١٢) من الاعداء الكبار وقتل بختيار وأبو تغاب وبملك ديارهم ورجلهم وحصل بمدينة السلام وكانت نفسه تنازع الى مصر خاصة والى ديار الكفر بعد ذلك من الروم وما والاها كره أن يجاوره الباطل مستمعية ويطاوله صغار أصحاب الاطراف ومن يلوذ بالتمصب والغياض والآجام ولا يستأصله فمرّض في مجلسه بذكر الحسن بن عمران والبطيعة وطالب من يكفيه هذا الخطب فانتدب له أبو الوفاء والمطهر وأظهر كل واحد منهما كفاية فيه . وتقرر الرأي على انتقاء المطهر فجرد معه عسكريا فيه أصناف من الرجال وأزاح غلته في السلاح والآل والعدد والآلات وضم اليه أبا الحسن محمد بن عمر العلوي الكوفي وكان في هذا الوقت بها فانقلب منها الى واسط حتى اجتمع معه بها فمخاع على المطهر وأكرم وسار يوم السبت للنصف من صفر واستخلف

له عضد الدولة على الوزارة وتدير الاعمال وجمع الاموال أبا الريان حمد بن محمد الاصبهاني وذلك لدربه لا لصناعته ولانه عرف بطول الممارسة موارد الامور ومصادرها وكان واسطة بين عضد الدولة ووزرائه وكان كالشريك لهم فيما يعمدونه ويمضونه من أوامره . فلما استقر المطهر بالبريوني من أعمال الجامة شاور الناس ومحض الرأي فتقرر الامر على تدير فاسد قد كان جربه من درج قبله . مراد فلم ينتفع به وهو ايقاع السدود على أفواه الأنهار لتكشف البطيحة التي يلجأ اليها^(٥١٣) عسكر النبط وأنشأ مسناة يسلك عليها بالاقدام الى نفس معانهم فأطلقت في ذلك أموال ضاعت وانهطت المسالك في دجلة وبطل ارتفاع السكار ولزمت مؤن الحصار واثبات الرجال وجاءت المدود فحمت على السدود . وتوصل الحسن بن عمران الى بعض تلك السدود فبثها فامتلات البطائح بالمياه وكان المطهر اذا سدها جانبا اثلمت عليه جوانب واذا حفظ وجها أتاه الخلال من وجوه واتفق مع ذلك ان جرت بينه وبين الحسن بن عمران وقعة في الماء فلم يتم له ما قدره من اصطلامه . وكان المطهر قد ألف غيا كان باشره من الحروب المناجزة واعتاد المفاصلة ولم يدفع الى مصابرة قط ولا مطاولة فشق ذلك عليه وبلغ منه وكان يتهم أبا الحسن محمد بن عمر العلوي بمراصة تجرى بينه وبين صاحب البطيحة وهدايا وملاطفات في السر منه وأنه يطلعه على أسرار التدبير عليه ويهديه الى مصالحه . وكانت أخلاق المطهر معروفة بالشراسة والخسنة وكانت أفكاره سيئة فأوجس في نفسه خيفة واستشعر وحشة وتوهم أن استصعاب ما استصعب عليه من هذا الامر عائد عليه بانخفاض منزلة وانحطاط عن رتبة الوزارة وان أبا الوفاء بمجد مساعدا لاطمن عليه واظهار

معايه لما كان بينهما من العداوة والمنافسة في المرتبة واختار الموت على تسلط الاعداء عليه وتمكنهم منه . فلما كان يوم الثلاثاء لاجدى عشرة ليلة خات من شعبان جلس في مجلسه من عسكره ودخل اليه الكتاب والقواد وخطبات الناس^(١) سامعين عليه فتقدم اليهم بالتخفيف والانصراف ونهض الى خيمة كان يخاو فيها واستدعى طبيبه وأمره بان يفصده وظن انه اذا انصرف الطبيب حل شدة الفصد واستنزف دمه الى أن يتلف وكان قريب العهد باخراج الدم وشرب الادوية المسهلة من أجل علة نالته قبل حركته من الحضرة فاعلمه الطبيب انه غير محتاج الى الفصد فزجره وطرده ثم صرف من كان واقفا بين يديه من غلمانة حتى خلا بنفسه وأخذ سكين دوانه فقطع بها شرايين ذراعيه جميعا وأدخلها الى باطن ثيابه فخرج نفسه في مقاتله ودخل اليه فراش كان يختص به فرأى دسنة الذي كان جالسا فيه مملوا دما فصاح وتوافي اليه الناس فادركوه وبه رمق وظنوا أن انسانا أوقع عليه ثم تكلم بما بان لهم^(٢) انه تولى ذلك من نفسه وحفظت عليه الفاظ يسيرة منها ان محمد بن عمر العلوي حمله على ما ارتكبه من نفسه وكلمات يسيرة في هذا المعنى وغيره ومات من ساعته وحمل الى بلدة بكارزين من أعمال فارس فدفن هناك . وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ فتك هذا الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له ونسئل الله التوفيق والعصمة والستر الجميل برحمته .

وأتمنى عهد الدولة عبيد الله بن الفضل الى معسكر المطهر لحفظ أسبابه وتقرير أمر صاحب البطيحة على أمر في العاجل من حمل مال

(١) لعله سقط « منه »

وموادعة له الى أن ينظر في أمره وكان ذلك عقيب عوده من الايقاع بينى
شيبان^(٥١٥) فأنحدر ووفى بما أمر وحمل مالا من قبل الحسن بن عمران
وتسلم منه رهينة وانكفأ بجميع ذلك ودخل الحضرة يوم الاربعاء للنصف
من ذى القعدة

وفيهما انفرد نصر بن هرون بالوزارة لان أصل الوزارة كانت له ثم
شورك بينه وبين المطهر فلما مضى المطهر لسبيله وتفرّد نصر بن هرون
بوزارته وكان مقبلا بفارس يدبر أعمالها استخلف له عضد الدولة أبا الريان
حمد بن محمد .

وفيهما ورد رسول لصاحب المغرب برسائل أذّاها وكان دخوله في شعبان
وانصرفه في ذى القعدة ورد معه القاخي أبو محمد العماني لتأدية الجواب .
وفيهما توفي حسنويه بن الحسين في قلعة المروفة بسرماج .

وفيهما قبض على محمد بن عمر العلوي بالبطيحة وأُنفذ الى فارس وكان
السبب فيه ما حفظ من كلام المطهر قبل وفاته فيه^(١) وانفذ أبو الوفاء طاهر
ابن محمد الى السكوفة لقبض أمواله وأملاكه فوصل الى شيء عظيم
يستكثر من المال والسلاح وضروب الذخائر التي لا يظن بمثله انه
يجمعها ودخلت اليد في ضياعه وكانت كثيرة تشتمل على جل سقى الفرات
بل قد تجاوز ذلك الى غيره من أعمان السواد واصطنع أخوه أبو الفتح أحمد
ابن عمر وقتل الحجج بالناس واقطع اقطاعا سنيا .

(١) قال ابن الصابي انه سمع منه كلام يفهم منه الشكابة من الشريف فقبض
عليه عضد الدولة ونقله الى فارس ودخلت اليد في أملاكه وأسبابه : كذا في عمدة الطالب
طبع بمكة ١٣١٨ ص ٢٨٤

وفي هذه السنة أخذ عبد العزيز بن محمد المعروف بالكراعي أسيرا
وشهر بالبصرة وبمدينة السلام ثم قتل وصلب الى جانب صاحبه .^(٥١٦)

(شرح الحال في الحيلة التي تمت عليه حتى أسر وقتل)

كان هذا الرجل وضيعا ساقطا طبخته عن كل رتبة واستخدم في وقت
في تفرقة قضيم الكراع ولذلك عُرِف بالكراعي ثم وصل بمحمد بن بنية
وجمعتها عاهة النقص ومناسبة السقوط فارتفع معه حتى قابله خلافته
بالبصرة وجعله مستوفيا على العمال فأثرى وتمول وكان منه في أيام عصيان
ابن بنية بواسط سوء أدب كثير وذكر الملوك بما لا يليق بالملوك بعضهم
في بعض . ثم تنكر له ابن بنية فقبض عليه ونكبه فلما قبض بختيار على ابن
بنية استخدمه ولما عزم بختيار على الحرب منهزما هرب منه وصار الى
البطائح وكان هناك يجري على سوء عادته في سوء الادب . فدير عضد الدولة
تديرا ثم شطره عليه ولوقبل جميعه لم أيضا على صاحب البطيحة ما يُستغنى
معه عن محاربة ومكافحة وذلك انه ووقف جماعة من أهل البصرة ووجوهها
ان يخدموا عضد الدولة في مكاتبة يؤقعوها الى هذا الكراعي ويوهمونه
انهم يوالونه ويضافرونه فاذا قربوا منه أثاروا الفتنة بمواطاة من سلطان
البصرة ثم سلموا اليه البصرة حتى اذا اغتر استدعى الحسن بن عمران
ليتموى به فاذا صار في دجلة حيل بينه وبين الرجوع الى البطيحة وحاشته
الكمنا من أعلى وأسفل . وأخذ فبلغ به الجهل ان صدق بهذا الوعد
وعجل فخرج وأخرج معه الحسن بن عمران وسائر عسكره وقال : لي
بالبصرة أولياء واخوان قد كاتبوني و"بصرة في أيدينا . فاغتر به الحسن
ابن عمران^(٥١٧) وخرج مع عسكره فلما صاروا بمطارا نار بهم من كان فيها

من الرجال وقتلهم . وأخطأوا لان تمام التدبير كان في ان يتركهم حتى
يُغفلوا الى البصرة فقام القوم يقاتلونهم ثم ظفر بالكراعى وانهزم الحسن
ابن عمران بعد ان مُلِكت عليه قطعة وافرة من سفنه ورجاله . وحمل
الكراعى الى البصرة فشهر وعوثب وطواب بالمال ثم أتخذ الى بغداد
فشهر منصوبا على نقق في سفينة وعلى رأسه برنس وذلك يوم الخميس لعشر
ليال بقين من شعبان فلما كان يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة طُرح
الى القيلة نخبته وصلب الى جانب ابن بقية .

وفي هذه السنة نفذ عسكر الى عين التمر في طلب ضبة بن محمد
الاسدى (وقد مرّ ذكره) وانه ممن يسلك سبيل الدعار ويسفك الدما
ويُخيف السبل وينهب القرى ويبيح الاموال والفروج) واتهم حرمة
المشهد بالخائر فلما أظلم عليه العسكر المجرّد هرب بمحاشته الى البادية وأسلم
أهله وحرمة فحصل أكثرهم في الاسر ومُلِكت عين التمر

وفيها دبّر عضد الدولة ان يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته
الكبرى ففعل ذلك وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة
والقضاة على صداق مائة الف دينار^(١) وبني الامر فيه على ان يرزق ولداً
ذكر منها فيولى العهد وتصير الخلافة في بيت بني بويه ويصير الملك
والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية^(٥١٨)

وفي هذه السنة سار عضد الدولة الى الجبل وأعمالها ودوخ همذان

(١) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام : وكان الوكيل عن عضد الدولة أبو على
(الحسن بن أحمد بن عبد الففار) الفارسي النحوى والذي خطب القاضي أبو على الحسن
ابن على الترخي .

والدينور ونهوند لافتتاح قلاع حسنويه بن الحسين الكردي وتدير
فخر الدولة في قصده ومقابلته على ما كان منه في مكاشفته والاجتهاد في
تشيت شمل الدولة وتفريق الكلمة ومعاضدة بختار وابن بقية وقد كان
أظهر مباينة مؤيد الدولة وكاتب قابوس بن وشمكير .

ولما هلك حسنويه بن الحسين أمّل عضد الدولة ان يكون الشيطان
الذي نزع بينه وبين اخوته قد زال وأنفذ آبا نصر خرشيد بزديار الخازن
رسائل الى مؤيد الدولة والى فخر الدولة والى قابوس بن وشمكير اما الى
مؤيد الدولة فباحماده على طاعته التي ما غيرها ولا كدّها واما الى فخر
الدولة فبالمعاتبه والمداراة والزيادة في الاخذ بالحجة واما الى قابوس بن
وشمكير فبالمشورة عليه بحفظ الذمة التي تعلق بها وحفظ نعمته وترك
التعرض لما يورطه ويهلكه . فأما مؤيد الدولة فانه أجاب جوابا سديدا
وانه واقف على حدود طاعته وتابم له في رضاه وغضبه . واما فخر الدولة
فاجابه جواب النظير الذي لا يرى لرتبة الملك مزية ولا ليكبر السن وعهد
الاب فضيلة ولا في المعاودة الى جميل الطاعة نية . وأما قابوس فاجاب
جواب المتهيب المعجم المراقب .

وافترق أولاد حسنويه فرقا واختلفت بهم المذاهب وهم أبو الملاء
وعبد الرزاق وأبو النجم بدر وعاصم وأبو عدنان وبختيار^(١٩) وعبد الملك
فطائفة منهم انحازت الى فخر الدولة مظهرة لبشاقة عضد الدولة وطائفة
وردت . حضرته فاما بختيار من بينهم فانه نافذ اخوته وكان مقيما في تلمة
سرماج ومعه الاموال والذخائر فابتدأ بمكاتبة عضد الدولة وبذل تسليم
ذلك اليه وذ كر رغبته في الاعتصام به والدخول في كنفه ثم تلون ولم

ف . فتشوّف عضد الدولة للمسير الى الجبل وتهذيب أعمالها فابتدأ فقدم
 هاكره يتلو بعضها بعضا فجرد أبا الفتح المظفر بن محمد الحاجب
 وأبا نصر خواشاذه وأبا الوفاء طاهر بن محمد وبرز عن داره الى المسكر
 بالمصلي من الجانب الشرقى بعد ان أقرّ أبا الريان بالخضرة على جملة من
 خلافة الوزارة ولسكن زاد في منزله وناط به جميع أمور المملكة وطال مقامه
 بالمسكر الذي برز اليه الى ان أوغلت تلك الجيوش السائرة على مقدمته . وقد
 كان أبو نصر خواشاذه وطأ الامور عند خروجه لتأدية الرسائل فواقف
 القواد والوجوه أن يخدموا عضد الدولة بدياتهم فاذا سار استأمنوا اليه وضمن
 لهم الاقطاعات السنية وحمل الى بعضهم الهدايا والالطاف في السرفلما سار
 تلقته في طريقه البشائر بدخول جيشه همدان واستئمان العدد الكثير من
 قواد^(١) نخر الدولة ورجال حسنويه وتلقبهم رايته منجازين اليها وتلقاه أبو
 الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وزير نخر الدولة ومعه جماهير حاشيته
 وبقية قواده وغلمانهم فأنحل أمر نخر الدولة واحتاج الى مفارقة موضعه
 واللاحاق ببلد الديلم فمضى ونزل دارا كان بناها معز الدولة بهوسم ولجأ الى
 الداعي العلوي المستولى على ذلك الصقع وعرج عضد الدولة الي نهاوند
 وافتتح قلعة سرماج واحتوى على ما فيها وملك غيرها من قلاع تلك البلاد
 وألقت اليه الحصون مقابليدها وأخرجت الارض أثقالها .

ولحقته في هذه السفرة علة عاودته مرارا وكانت شبيها بالصرع وتبعه
 مرض في الدماغ يعرف بليترغس وهو النسيان الا انه أخفى ذلك
 ويقال ان مبدأ ذلك به كان بالموصل الا انه لم يظهر أمره لاحد^(١)

(١) قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٣٦٩ : وسأل عضد الدولة الطائم

﴿ وهذا آخر ما عمله الاستاذ أبو علي أحمد بن محمد بن
يعقوب مسكويه رضي الله عنه ﴾

والحمد لله وصلواته على محمد النبي وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من اتساخه محمد بن علي بن محمد أبو طاهر البلخي في
منتصف شهر ربيع الاول سنة ست وخمسة

نقله وقابله علي بن حنظلة سنة عشرين وخمسة

فرغ من نقله الحسن بن منصور في مستهل المحرم سنة
ثمان وثلاثين حامدا لله ومصليا على نبيه

فرغ ابنه محمد بن الحسن في ربيع الاول سنة اثنين وخمسين وخمسة

ان يزيد في لقبه « تاج الملة » ويجدد الخلع عاد : ويأبسه التاج فاجابه وجلس الطائع على
المربر وحوله مائة بالسيوف والازينة وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة
ويده القضيب وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وضربت ستارة بعتها عضد
الدولة وسأل ان تكون حجابا للطائع حتى لا تقع عليه عين أحد من الجند قبله ودخل
الاتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ووقف الاشراف وأصحاب المراتب من
الجانبين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة فقبل عضد الدولة الارض .
فارتاع زياد القائد لذلك وقال بالفارسية : ما هذا أيها الملك أهذا هو الله عز وجل !
فالتفت الي عبد العزيز بن يوسف وقال له : فهمه فقل له « هذا خليفة الله في الارض »
ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات فالتفت الطائع الى خالص الخادم فقال :
استدنه . فصعد عضد الدولة فقبل الارض دفعتين فقال له : أدن الى أدن الى . فدنا وقبل
رجله وثني الطائع يمينه عليه وأمره فجلس على كرسي بعد ان كرر عليه « اجلس »
وهو يستغنى فقال له : أقسمت لتجلس . فقبل الكرسي وجلس فقال له : ما كان أشوقنا
اليك وأشوقنا الي مفاوضتك . فقال : عندي معلوم . فقال : نيتك موثوق بها وعقيدتك

مسكون اليها . فأوماً برأسه ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الارض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصي وأسبابي فتولّ ذلك مستخيراً بالله . قال : يعينني الله على طاعة مولانا وخدمته . وأريد وجوه القواد أن يسمعوا لفظ أمير المؤمنين قتال الطائع : هاتوا الحسين بن موسى ومحمد بن عمرو بن معروف وابن أم شيبان والزيني . فقدموا فاعاد الطائع لله القول بالتفويض . ثم التفت الى طريف الخادم فقال : يا طريف تفاض عليه الخلع وتبوّج . فنهض الى الرواق وألبس الخلع وخرج فأوماً ليقبل الارض فلم يطق لكثرة ما عليه فقال له الطائع : حسبك حسبك . وأمره بالجلوس . ثم استدعى الطائع تقديم ألويته فقدم لوائين واستخار الله وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وعقدتهما ثم قال : اقرأ كتابه . فقرأ فقال له الطائع : خار الله لك ولنا وللمسلمين آمرك بما أمرك الله به وأنك عما نهاك الله عنه وأبرأ الى الله مما سوى ذلك تمض على اسم الله . ثم أخذ الطائع سيفاً كان بين المحدثين فقلده به مضافاً الى السيف الذي قلده مع الخلعة وخرج من باب الخصة وسار في البلد .

وأما عضد الدولة وعلمته فليراجع في ذلك حكاية أوردها ابن جردون في التذكرة وهي : حدث القاضي أبو علي المحسن بن علي التتوخي قال : حدثني عضد الدولة أبو شجاع فناخسرة بغداد وذلك في سنة ٣٧٠ قال : حدثني أمي رحمها الله أنها ولدت للامير ركن الدولة ولداً قيل كناه أبا داف وعاش قليلاً ومضى لسبيله (قالت) فحزنت عليه حزناً شديداً اسفاً على فقدّه واشفاقاً من أن ينقطع ما بيني وبين الامير بعده فسلاّني مولاي وسكنني وأقبل على وقريني ومضت الايام وتطاول العهد وسلوت ثم حملت بك باصفهان فنحفت أن أجيء بينت فلا أرى مولاي ولا يراني لما أعرفه من كراهته للبنات وضيق صدره بهن وطول أعراضه عنهن ولم أزل على جملة الفلق والجزع الى أن دخلت في شهرى وقرب ما أرقبه من أمرى وأقبلت على البكاء والدعاء ومداومة الصلاة والادعية الى الله في أن يجمله ولداً ذكر اسوياً محظوظاً (أو كما قال عضد الدولة) ثم حضرت أيامي وانفق ان غلبني النوم فتمت في مخاذي ورأيت في منامي رجلاً شيخاً نظيف البرة ربعة كثر اللحية أعين عريض الاكتاف وقد دخل على وعندي انه مولاي ركن الدولة فلما تبينت صورته ارتعت منه وقلت : يا جوارى من هذا الهاجم علينا فتساعين اليه . فزبرهن وقال : أنا مل بن أبي طالب . فنهضت اليه وقبلت الارض بين يديه فقال : لا لا . وقلت : قد ترى مولاي ما أنا فيه فادع الله لي بأن يكشفه ويهب لي ذكراً سوياً محظوظاً . فقال : يا فلانة

(وسأني باسمي وكذا كنى الملك عضد الدولة عن الاسم) قد فرغ الله مما ذكرت
وستلدين ذكرًا سويًا نحيبًا ذكيًا عاقلًا فاضلاً جليل القدر سائر الذكر عظيم الصولة
شديد السطوة يملك بلاد فارس وكرمان والبحر وعمان والعراق والجزيرة الى حلب
ويسوس الناس كافة ويقودهم الى طاعته بالرغبة والرغبة ويجمع الاموال الكثيرة ويقهر
الاعداء . ويقول بجميع ما أنا فيه (يقول الملك ذاك) ويعيش كذا وكذا سنة لعمر
طويل أرجو بلوغه (ولم تبين للملك قدره) ويملك ولده من بعده فيكون من حالهم كذا
وكذا شيء طويل هذه حكاية لفظه قال الملك عضد الدولة : وكلما ذكرت هذا المنام
وتأملت أمرى وجدته موافقاً له حرفاً بحرف ومضت على ذلك السنون ودعاني عمى عماد
الدولة الى فارس واستخلفني عليها وصرت رجلاً ومات أُمى

وحدث أبو الحسين الصوفي يقول الملك هذا (وأبو الحسين حاضر يسمع حديثه) واعتلت
علة صعبة أبست فيها من نفسي وأبس الطبيب منى وكانت سننى المتحولة فيها سنة ردية
الدلائل موحشة الشواهد وبلغت الى حد أمرت فيها بان يحجب الناس عنى حتى الطبيب
لضجى بهم وتبرمى بأمورهم وما احتاج الى شرحه لهم ولا يصل الى الحاجب النوبة
ويدى أنا على ذلك وقد مضت فيه ثلاثة أيام أو أربعة ولا شغل لى الا البكاء على نفسي
والحسرة من مفارقة الحياة اذ دخل حاجب النوبة فقال : أبو الحسين الصوفي فى الدار
منذ الغد يسأل الوصول وقد اجتهدت به فى الاذراف فابى الا القعود ورك القبول
ولن يقول « لا بد لي من لىء مولانا فان عندى بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها
وسمعه اياها » فلم أحب أن أجده فى المنع والصرف الا بعد المطالمة وخروج الامر .
فقلت له على مضض غالب وبصوت خافت : قل له كاني بك وأنت تقول « قد بلغ
الكوكب الفلانى الى الموضع الفلانى » وهذى على فى هذا المعنى هذياناً لا يتسع له
صدري ولا يحتمله قاي وجسمى وما أقدر على سماع ما عندك فانصرف . فخرج الحاجب
وعاد متعجباً وقال : اما ان يكون أبو الحسين قد اختل واما ان يكون عنده امر عظيم
فانى أعدت عليه ما قاله مولانا فقال : ارجع وقل له « والله لو أمرت بضرب رقبتى
لما اتصرفت أو أراك ومتى أوردت عليك فى معنى النجوم حرفاً تخشعك ماغى فى .
واذا سمعت ما أحدثك به عوفيت فى الوقت وزال ما تجده » فمجيبت من هذا القول
عجباً شديداً مع علمي بعقل أبى الحسين وشدة تحقيقه وقلة تحريفه ونظمت نفسى الى
ما عنده فقلت : هاته . فلما دخل قبل الارض وبكى وقال : أنت والله يا مولانا فى عافية
ولا خوف عليك اليوم بل وتستقل ومعى دلالة على ذلك . قلت : وما هي . ولم أكن

حدثته من قبل بحديث المنام الذي رآته أمي ولا سمعته أحد مني فقال : رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عم والناس يهرعون اليه ويجمعون عليه ويقاضونه أمورهم ويسألونه حوائجهم وكان قد تقدمت اليه وقلت له : يا أمير المؤمنين أنا رجل في هذا البلد غريب تركت نعمتي وتجارتي بالري وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أنا معه وقد بلغ في علمه إلى حد آيس فيه من عافيته وأخاف أن أهلك بهلاكه فادع الله له بالسلامة . قال : تعنى فناخسره بن الحسن بن بويه . فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال امض اليه غدا وقل له « أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رآته وهي حامل بك ألم أخبرها مدة عمرك وانك ستعتل اذا بلغت كذا وكذا سنة علة يابس فيها منك أهلك وطبك ثم تبرأ منها وفي غد يتدى بروك ويتزايد إلى أن تركب وتعود إلى حادثك كلها في كذا وكذا يوما ولا قاطع على أجلك إلى الوقت الذي أخبرتك به أمك عني » قال الملك عضد الدولة : وقد كنت أنسيت أن أمي ذكرت ذلك في المنام وأنا اذا بانمت هذه السنة من عمري اعتلت هذه العلة التي ذكرها فذكرت ذلك عند قول أبي الحسين ما قاله فحين سمعت ما سمعته حدثت لي في الحال قوة نفس لم تكن من قبل وقلت : اقم دوني . فجاء الغلمان وأجلسوني فلما استقلات على الفراش قلت لأبي الحسين : اجلس وأعد الحديث . فجلس وأعاد وتولدت بي شهوة الطعام واستدعيت الطب فاشاروا بتناول غذاء عمل في الوقت وأكلته ولم ينصرم الوقت حتى أحسست بالصلاح الكثير وتدرجت العافية فركبت وعاودت عادتي في اليوم الذي قاله أبو الحسين .

وكان الملك يشرح هذا الشرح وأبو الحسين حاضر يقول : كذا والله قلت لمولانا وأعيذه بالله فما أحسن حفظه وذكره . ثم قال لي : بقي في نفسي من هذا المنام شيء قلت : يبلغ الله مولانا آماله ويزيله من كل ما يهوله ويصرم عنه كل ما يخشاه . ولم أتجاوز الدعاء لعلمي بأن سؤاله عن ذلك سوء أدب فلم ما في نفسي وقال : وقوفه على أنني أملك حطب ولو كان عنده أنني أتجاوزها لقال حتى أنه لما ورد الخبر بإقامة ابن شيخ الدعوة لي بها ذكرت المنام فتغنص على أمرها اشفاقا من أن تكون آخر حدود مملكتي من ذلك الصقع . فدعوت له وانقطع المجلس

TAJÄRUB AL - UMAM

BY

AHMAD IBN MUHAMMAD, KNOWN AS

MISKAWAYH

(DIED 421 A. H.)

EDITED,

BY

H. F. AMEDROZ,

BARRISTER ATLAW,

Volume II

DEALING WITH THE EVENTS OF 40 YEARS:

329 - 369 A. H.

